
الهيكل المفقود
الطَّبعَةُ الثَّانِيَةُ المُنقَّحَةُ
مُحلَّاةٌ بِالرُّسُومِ وَالصُّوَرِ وَالخَرَائِطِ
صَمُوئِيلُ عَبدُ المَسِيحِ

مَنْشُورَاتُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

إِسْرَائِيلُ 2026

الْمُقَدِّمَةُ

لَقَدْ بَذَلْتُ أَقْصَى جُهْدِي لِلْوُصُولِ إِلَى الذُّرْوَةِ الْمُخِيفَةِ، فَلَمْ أَتْرُكْ بَابًا إِلَّا طَرَقْتُهُ، وَلَا كِتَابًا أَوْ نُسْخَةً مِنْ مَخْطُوطٍ وَقَعَ بَيْنَ يَدَيَّ صَنَّفَ الْحَدَثَ إِلَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ، لِأَسْتَنْبِطَ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ.

بَدَأَتِ النَّهْضَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَالثَّقَافِيَّةُ الْمَقْدِسِيَّةُ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَمَطَالِعِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، حَيْثُ تَمَثَّلَتْ فِي نَهْضَةِ الْبَحْثِ الْعِلْمِيّ الْأَثَرِيّ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى التُّرَاثِ الْأَثَرِيّ الْغَنِيّ فِي الْمِنْطَقَةِ، لاسِيَّمَا عَبْرَ الِاسْتِقْصَاءِ الدَّقِيقِ لِطَبَقَاتِ الصُّخُورِ وَالْأَسَاسَاتِ الضَّارِبَةِ فِي عُمْقِ التَّارِيخِ بِالْمَنَاطِقِ الْمُتَاخِمَةِ لِلْجِدَارَيْنِ الْغَرْبِيّ وَالْجُنُوبِيّ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، الرَّابِضِ عَلَى رَبْوَةِ الْمُرَيَّا فِي رِحَابِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛ وَفِي تِلْكَ الْآوِنَةِ، تَبَارَتِ الْبَعَثَاتُ الْعِلْمِيَّةُ الدُّوَلِيَّةُ وَتَسَابَقَتْ لِإِمَاطَةِ اللِّثَامِ عَنِ الْمَكْنُونَاتِ الْأَثَرِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الْبَعَثَاتِ:

الْمَعْهَدُ الشَّرْقِيُّ الْأَلْمَانِيُّ (GPIA) الَّذِي تَأَسَّسَ فِي عَامِ 1898م، وَلَمْ يَقُمْ بِحَفْرِيَّاتٍ مُبَاشِرَةٍ دَاخِلَ حَرَمِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، بَلْ كَانَتْ أَعْمَالُهُ مُرَكَّزَةً فِي مَنَاطِقَ مُجَاوِرَةٍ فِي الْقُدْسِ، وَرَكَّزَ فِي بِدَايَاتِهِ عَلَى الْمَوَاضِيعِ الْأَثَرِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالنُّصُوصِ التَّوْرَاتِيَّةِ.

الْمَدْرَسَةُ الْأَمِيرِكِيَّةُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْآثَارِ الشَّرْقِيَّةِ تَأَسَّسَتْ فِي الْقُدْسِ عَامَ 1900 بِهَدَفِ دِرَاسَةِ تَارِيخِ وَآثَارِ الْمِنْطَقَةِ، وَلَعِبَتْ دَوْرًا رَئِيسِيًّا فِي تَنْقِيبَاتٍ أَثَرِيَّةٍ مُهِمَّةٍ.

الْمَدْرَسَةُ الْفَرَنْسِيَّةُ لِلْبَحْثِ عَنِ التَّوْرَاةِ وَالْآثَارِ الْقَدِيمَةِ تَأَسَّسَتْ عَامَ 1920، وَقَدْ شَارَكَ عُلَمَاؤُهَا بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي حَفْرِيَّاتِ مَخْطُوطَاتِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ فِي خِرْبَةِ قُمْرَانَ بَيْنَ عَامَيْ 1949 وَ1956، وَالَّتِي قَادَهَا الْأَبُ رُولَانْ دِي فُو.

الْمَعْهَدُ الشَّرْقِيُّ لِجَامِعَةِ شِيكَاغُو بَدَأَ فِي مُنْتَصَفِ عِشْرِينَاتِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ.

الْمَدْرَسَةُ الْبِرِيطَانِيَّةُ لِلْبَحْثِ عَنِ الْآثَارِ بَدَأَتْ تَنْقِيبَاتِهَا فِي مَنَاطِقَ قَرِيبَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مُنْذُ عَامِ 1927 بِإِشْرَافِ جُونْ كْرُوفُوتْ، حَيْثُ بَدَأَتِ الْحَفْرِيَّاتُ فِي جَبَلِ

عُوفِلَ، وَهُوَ تَلٌّ قَرِيبٌ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، بِتَعَاوُنٍ مَعَ صُنْدُوقِ اكْتِشَافِ فِلَسْطِينَ (**Palestine Exploration Fund**).

الْجَامِعَةُ الْعِبْرِيَّةُ الَّتِي تَأَسَّسَتْ فِي الْقُدْسِ عَامَ 1934م.

حَيْثُ اسْتَطَاعَ بَعْضُ الْمُسْتَكْشِفِينَ وَالْمُنَقِّبِينَ أَنْ يَعْثُرُوا عَلَى بَعْضِ الْكُنُوزِ الْمَدْفُونَةِ فِي صُورَةٍ مُشْرِقَةٍ وَحُلَّةٍ عِلْمِيَّةٍ تَشْهَدُ عَلَى الْوَقَائِعِ وَالْأَحْدَاثِ بِشَأْنِ "الْهَيْكَلِ الْمَفْقُودِ"، الَّتِي أَدَّتْ إِلَى حُدُوثِ اضْطِرَابَاتٍ وَنِزَاعَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ وَاجْتِمَاعِيَّةٍ عَنِيفَةٍ بَيْنَ التَّيَّارَيْنِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْرَائِيلِيِّ، وَهُوَ الزِّلْزَالُ الَّذِي زَعْزَعَ أَسَاسَاتِ الْأَسَاطِيرِ الشَّعْبِيَّةِ الْمُتَوَارَثَةِ مِنْ جِيلٍ إِلَى آخَرَ.

حِينَئِذٍ، دُقَّ نَاقُوسُ الْخَطَرِ بِشَأْنِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَأَعْلَنَتِ الْأَوْقَافُ فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ الْحَرْبَ الْإِعْلَامِيَّةَ عَلَى مَا يُسَمَّى "خُرَافَةَ الْهَيْكَلِ الْمَزْعُومِ" مُنْذُ نَشْأَتِهَا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا.

حَتَّى بَاتَ مِنَ الْعَسِيرِ عَلَى الْأَجْيَالِ اللَّاحِقَةِ أَنْ تُمَيِّزَ بَيْنَ الْوَاقِعِ الْمُتَجَلِّي وَالْوَهْمِ الزَّائِفِ. وَكَانَتْ قِصَّةُ "خُرَافَةِ الْهَيْكَلِ الْمَزْعُوم" إِحْدَى تِلْكَ الرِّوَايَاتِ الْمَنْسُوجَةِ بِخُيُوطٍ عَنْكَبُوتِيَّةٍ وَاهِيَةٍ، لَمْ يَعْضُدْهَا دَلِيلٌ قَاطِعٌ يُلَامِسُ تُرَابَ الْوَاقِعِ.

لَكِنَّ التَّارِيخَ، كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ، لَا يَجْرُؤُ الْمَوْتُ عَلَى الِاقْتِرَابِ مِنْهُ. إِنَّهُ يَتَنَفَّسُ فِي مَسَامَاتِ صُخُورِ الْأَرْضِ، وَيَتَهَامَسُ فِي صَمْتِ الْأَطْلَالِ الْبَائِدَةِ، وَيَنْتَظِرُ بِصَبْرٍ الْفُرْصَةَ الْمُوَاتِيَةَ لِيُعْلِنَ عَنْ ذَاتِهِ بِلَا مُوَارَبَةٍ.

وَبَيْنَ ثَنَايَا التُّرَابِ الْمُتَكَدِّسِ وَرِمَالِ الزَّمَنِ الْمَنْسِيَّةِ، كُشِفَ السِّتَارُ عَنْ حِجَارَةٍ ضَخْمَةٍ، نَحَتَتْهَا الْأَيْدِي بِبَرَاعَةٍ فَائِقَةٍ، تَحْمِلُ عَلَى جَنَبَاتِهَا بَصَمَاتِ فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، الْعَصْرِ الْهِيرُودِسِيِّ. هَذِهِ الْحِجَارَةُ، الَّتِي عُرِفَتْ بِاسْمِ حِجَارَةِ "الْهَيْكَلِ الْمَفْقُودِ"، لَمْ تَكُنْ قِطَعًا صَمَّاءَ مِنْ أَحْجَارِ الْبِنَاءِ الْعَادِيَّةِ، بَلْ كَانَتْ شَوَاهِدَ نَاطِقَةً تَنْتَظِرُ لَحْظَةَ الْإِفْصَاحِ.

أَحْدَثَ ظُهُورُ هَذِهِ الْحِجَارَةِ زِلْزَالًا عَنِيفًا فِي أُسُسِ التَّارِيخِ الزَّائِفَةِ. لَمْ تَكُنْ شَهَادَتُهَا تُدْحَضُ، بَلْ كَانَتْ أَدِلَّةً مَادِّيَّةً صَارِخَةً أَمَامَ تُجَّارِ الظُّلْمِ، هَادِمَةً صُرُوحَ الْأَوْهَامِ الَّتِي

بُنِيَتْ عَلَى مَدَى قَرْنٍ مِنَ الزَّمَنِ، لِتُؤَكِّدَ أَنَّ التَّارِيخَ فِي جَوْهَرِهِ وَحَقَائِقِهِ الجَامِعَةِ لِأَحْدَاثِ المَاضِي، لَيْسَ مِلْكًا لِأَحَدٍ لِيُغَيِّرَهُ أَوْ يُخْفِيَهُ. إِنَّهُ مِيرَاثُ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ، وَسَوْفَ يَجِدُ دَائِمًا سَبِيلَهُ لِيُعْلِنَ عَنْ نَفْسِهِ، حَتَّى لَوِ اضْطُرَّ إِلَى الصُّرَاخِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ مِنْ قَلْبِ الصُّخُورِ الصَّمَّاءِ.

إِنَّ التَّأْرِيخَ لَيْسَ مُجَرَّدَ سَرْدٍ لِلْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَةِ، بَلْ هُوَ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ تَعْكِسُ أَوْجُهَ الْحَقِيقَةِ الْكَامِنَةِ فِي مَسَائِرِ الْأُمَمِ وَتَقَلُّبَاتِ الْجَمَاعَاتِ؛ وَمِنْ ثَمَّ، فَإِنَّ تَدْوِينَ التَّأْرِيخِ يَقْتَضِي مِنَ الْبَاحِثِ أَنْ يَتَجَرَّدَ مِنْ وَازِعِ الْأَهْوَاءِ وَنَوَازِعِ الِانْحِيَازَاتِ، مُسْتَمْسِكًا بِالْحِيَادِ الْمُطْلَقِ، رَاكِنًا إِلَى الْحَقَائِقِ الرَّاسِخَةِ وَالشَّوَاهِدِ الثَّابِتَةِ، الَّتِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا شَكٌّ وَلَا يَنَالُ مِنْ صِدْقِهَا مِرَاءٌ؛ إِذْ إِنَّ الْبِنَاءَ التَّارِيخِيَّ الْقَوِيمَ يَسْتَمِدُّ مَنَعَتَهُ وَرَصَانَتَهُ مِنْ رَكِيزَتَيْنِ أَسَاسِيَّتَيْنِ: الْمَوْضُوعِيَّةِ الَّتِي تَعْتَمِدُ عَلَى الدَّلِيلِ وَالْبُرْهَانِ، وَالْإِنْصَافِ الَّذِي يَجْعَلُ الْمُؤَرِّخَ يَكْتُبُ الْحَقِيقَةَ دُونَ أَنْ يَهْتَمَّ بِمَنْ يُحِبُّ وَمَنْ يُبْغِضُ.وَهَذَا الْمَنْهَجُ يَقُومُ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْأَسُسِ:

١. الْحِيَادُ وَالْإِنْصَافُ

يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ حَيَادِيًّا فِي عَمَلِهِ، مُنْصِفًا وَمُتَجَرِّدًا مِنْ الْأَحْكَامِ الْمُسْبَقَةِ؛ لِيَرَى الْحَقِيقَةَ، وَأَنْ لَا يَنْحَازَ لِأَيِّ طَرَفٍ، وَأَنْ لَا يُخْضِعَ التَّارِيخَ لِعَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ أَوْ سِيَاسِيَّةٍ. كَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ الْعَاطِفَةِ الَّتِي تُزَيِّفُ الْوَقَائِعَ لِأَجْلِ أَيِّ هَدَفٍ كَانَ، وَأَنْ يَبْتَعِدَ عَنْ عِصَابَةِ الْقُصُورِ وَالْأَهْوَاءِ.

٢. التَّحَرِّي وَالتَّدْقِيقُ

يَنْبَغِي لِلْكَاتِبِ أَنْ يَتَحَرَّى الدِّقَّةَ فِي كُلِّ مَعْلُومَةٍ وَأَنْ يُدَقِّقَ فِي مَصَادِرِهَا، وَيُرَكِّزَ عَلَى ضَرُورَةِ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَصَادِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَصَادِرِ الْأَصْلِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ الْمَصَادِرِ الثَّانَوِيَّةِ، وَأَنْ لَا يُسَلِّمَ بِأَيِّ مَعْلُومَةٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّتِهَا.

٣. النَّقْدُ وَالتَّمْيِيزُ

يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَسْتَقْصِيَ كُنْهَ كُلِّ أُثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ، وَأَنْ يَمْحَصَ الْمَصَادِرَ الْأَصْلِيَّةَ الْأُولَى بِعِنَايَةٍ تَفُوقُ الْتِفَاتَهُ إِلَى الْمَرَاجِعِ الثَّانَوِيَّةِ، مُعْمِلًا فِيهَا مَبَاضِعَ التَّحْلِيلِ الدَّقِيقِ، وَمُخْضِعًا إِيَّاهَا لِمِحَكِّ النَّقْدِ الصَّارِمِ قَبْلَ أَنْ يَمْنَحَهَا صَكَّ الْقَبُولِ وَالِاعْتِمَادِ.

٤. الِاعْتِمَادُ عَلَى الْوَقَائِعِ الْمَادِّيَّةِ

يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى الْمَصَادِرِ الْمَادِّيَّةِ وَالْأَثَرِيَّةِ، وَمِنْهَا النُّقُوشُ وَالْكِتَابَاتُ وَالْآثَارُ، وَكَذَلِكَ اللُّغَةُ الَّتِي تُعْتَبَرُ مَصْدَرًا مُهِمًّا لِلْكَاتِبِ، وَالَّتِي تُسَاعِدُهُ عَلَى فَهْمِ أَصْلِ الْكَلِمَاتِ وَتَطَوُّرِهَا، وَهَذَا يُسَاعِدُهُ عَلَى فَهْمِ الْأَحْدَاثِ.

مِنَ الْمُغَالَطَاتِ التَّارِيخِيَّةِ شَكْلٌ يُعْرَفُ بِالتَّارِيخِ الْبَدِيلِ؛ وَهُوَ تَخَيُّلُ مَا كَانَ سَيَحْدُثُ لَوْ تَغَيَّرَ مَسَارُ حَدَثٍ تَارِيخِيٍّ مُعَيَّنٍ، سَوَاءً كَانَ ذَلِكَ عَمْدًا أَوْ بِدُونِ قَصْدٍ، وَتَنْبَثِقُ هَذِهِ الْمُغَالَطَةُ جَرَّاءَ النُّكُوصِ عَنْ تَقَصِّي الْحَقَائِقِ فِي مَظَانِّهَا الْمَوْثُوقَةِ، وَالرُّكُونِ إِلَى مَعْلُومَاتٍ مُرْسَلَةٍ تَفْتَقِرُ إِلَى الضَّبْطِ، فَيَسْتَحِيلُ الِاهْتِمَامُ حِينَئِذٍ إِلَى "مَا كَانَ يُحْتَمَلُ وُقُوعُهُ" نَأْيًا عَنِ التَّثَبُّتِ مِمَّا "وَقَعَ فِعْلًا".

وَيُعَدُّ "**التَّجَاهُلُ الْمُتَعَمَّدُ**" لِبَعْضِ الْأَحْدَاثِ أَوْ الْجَوَانِبِ التَّارِيخِيَّةِ، الَّذِي يَنْتَهِجُهُ بَعْضُ الْكُتَّابِ لِمَآرِبَ سِيَاسِيَّةٍ أَوْ أَيْدِيُولُوجِيَّةٍ، مُغَالَطَةً جَسِيمَةً؛ لِكَوْنِهِ يَرْسُمُ صُورَةً مَسْخاً وَمُشَوَّهَةً عَنِ الْمَاضِي، وَمِنْ ثَمَّ فَإِنَّ سَبْرَ أَغْوَارِ الْمُغَالَطَاتِ التَّارِيخِيَّةِ يَكْتَسِي أَهَمِّيَّةً بَالِغَةً، إِذْ يُذْكِي مَلَكَةَ الْفَهْمِ النَّقْدِيِّ، وَيَمْنَحُنَا الْقُدْرَةَ عَلَى الْفَصْلِ بَيْنَ جَوْهَرِ الْحَقِيقَةِ وَعَرَضِ التَّأْوِيلِ، وُصُولاً إِلَى رُؤْيَةٍ حَضَارِيَّةٍ أَكْثَرَ شُمُولاً لِلْمَاضِي؛ وَبِنَاءً عَلَيْهِ، سَأَسْتَعْرِضُ نُمُوذَجاً مَعْرِفِيّاً يَسِيراً يُمَثِّلُ غَيْضاً مِنْ فَيْضِ الْمُغَالَطَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْمُتَرَاكِمَةِ.

كِتَابُ "**تَارِيخُ الْقُدْسِ**" لِعَارِفْ بَاشَا الْعَارِفِ، تَمَّ نَشْرُهُ فِي عَامِ **1951**م. اِقْتَبِسْ مُوجَزًا صَغِيرًا مِنْ بَعْضِ مُغَالَطَاتِهِ الَّتِي ابْتَدَأَهَا فِي كِتَابَتِهِ لِلتَّوْضِيحِ وَهِيَ كَالْآتِي:

قَدْ زَعَمَ فِي الصَّفْحَةِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ أَنَّ الْيَبُوسِيِّينَ هُمْ بَطْنٌ مِنْ بُطُونِ الْعَرَبِ الْأَوَائِلِ. نَشَأُوا فِي صَمِيمِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَتَرَعْرَعُوا فِي أَرْجَائِهَا ثُمَّ نَزَحُوا عَنْهَا مَعَ الْقَبَائِلِ الْكَنْعَانِيَّةِ. فَاسْتَوْطَنُوا هَذِهِ الدِّيَارَ. وَأَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّ ذَلِكَ حَدَثَ حَوَالَيْ عَامِ 3000 قَبْلَ الْمِيلَادِ. وَمَلْكُ صَادِقَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى مَدِينَةَ الْقُدْسِ.

الصَّوَابُ هُوَ أَنَّ لَا عَلَاقَةَ مُطْلَقَةً بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْيَبُوسِيِّينَ، لِأَنَّ اسْمَ عَرِبِيٌّ "الْعَرَبِ" إِشَارَةٌ إِلَى الْبَدْوِ الَّذِينَ كَانُوا قَاطِنِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَوِ الصَّحَارِي، وَالَّذِي ظَهَرَ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي النُّقُوشِ الْمِسْمَارِيَّةِ الْآشُورِيَّةِ لَا قَبْلَ ذَلِكَ. لَمْ تَكُنِ الْبَرِّيَّةُ أَوْ صَحْرَاءُ الْعَرَبِ مَعْلُومَةً فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، سَأُوَضِّحُ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ فِي الْكِتَابِ.

ثَانِيًا: مَلِكُ صَادِقَ لَمْ يَبْنِ مَدِينَةَ يَبُوسَ (سِلْوَانَ الْيَوْمَ) فِي مَطْلَعِ الْأَلْفِيَّةِ الثَّالِثَةِ قَبْلَ الْمِيلَادِ إِبَّانَ الْعَصْرِ الْبُرُنْزِيِّ الْمُبَكِّرِ، بَلْ عِيشَ فِي حِقْبَةِ إِبْرَاهِيمَ خِلَالَ الْعَصْرِ الْبُرُنْزِيِّ الْأَوْسَطِ، وَهِيَ فَتْرَةٌ زَمَنِيَّةٌ يَفْصِلُهَا عَنِ الْعَصْرِ السَّابِقِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِ عَامٍ مَّا ذُكِرَ فِي كِتَابِهِ.

ثَالِثًا: تُعَدُّ عِبَارَةُ" أَغْلَبُ الظَّنِّ "مِنْ سِمَاتِ الْأُسْلُوبِ الْقَائِمِ عَلَى تَخْمِينِ سَرْدِ الْوَقَائِعِ الْخَيَالِيَّةِ أَنَّهَا تَتَعَلَّقُ بِأَشْيَاءَ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْوَاقِعِ. أَمَّا الْعِبَارَاتُ مِثْلُ" عَلَى الْأَرْجَحِ " أَوْ" نَحْوَ التَّقْرِيبِ"، فَهِيَ تُفَضَّلُ فِي الْكِتَابَاتِ الْبَحْثِيَّةِ الدَّقِيقَةِ لِأَنَّهَا تُعَبِّرُ عَنِ التَّقْرِيبِ الْمَادِّيِّ أَوْ عَدَمِ الْيَقِينِ الْمُطْلَقِ بِشَكْلٍ أَكْثَرَ مُبَاشَرَةً، مِمَّا يُعْطِي النَّصَّ دَرَجَةً أَعْلَى مِنَ الدِّقَّةِ وَالْوُضُوحِ فِي الْعَرْضِ الْعِلْمِيِّ.

وَفِي الصَّفْحَتَيْنِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ وَالثَّالِثَةَ عَشْرَةَ تَوَهَّمَ الْكَاتِبُ أَنَّ فِي حُكْمِ " عَبْدِ هِيبَا" اسْتَغَلَّ الْعِبْرَانِيُّونَ الْفُرْصَةَ، فَرَاحُوا يَغْزُونَهُمْ وَكَادُوا يَقْتَحِمُونَ مَدِينَتَهُمْ. حِينَئِذٍ اسْتَمَدَّ حَاكِمُهَا الْعَوْنَ مِنْ فِرْعَوْنِ مِصْرَ أَحْمَسَ الْأَوَّلِ 1550 ق.م، فَرَكَضَ الْفَرَاعِنَةُ لِنُصْرَتِهِمْ. هَذَا مَا حَدَّثَتْنَا بِهِ أَلْوَاحُ تَلِّ الْعَمَارِنَةِ.

الْمَغْزَى مِنْ هَذِهِ الْمُغَالَطَةِ يَتَمَثَّلُ فِي التَّنَاقُضِ التَّارِيخِيِّ الزَّمَنِيِّ الْوَاضِحِ.حَيْثُ يَذْكُرُ أَنَّ الْعِبْرَانِيِّينَ كَانُوا يَقُومُونَ بِغَزْوِ الْيَبُوسِيِّينَ فِي حَوَالَيْ عَامِ 1550 قَبْلَ الْمِيلَادِ، ثُمَّ يَذْكُرُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ تَحَرَّرُوا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ فِي حَوَالَيْ عَامِ 1259 قَبْلَ

الْمِيلَادِ. وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ هُنَا هُوَ كَيْفَ حَارَبَ الْعِبْرَانِيِّينَ الْيَبُوسِيِّينَ وَهُمْ رَهْنُ عُبُودِيَّةِ الفَرَاعِنَةِ فِي فَتْرَةٍ لَا تَقِلُّ عَنْ أَرْبَعِمِائَةِ عَامٍ تَقْرِيباً؟.

إِنِّي أَتَسَاءَلُ: أَيْنَ الْمِصْدَاقِيَّةُ فِي نَقْلِ الْمَعْلُومَةِ، وَهَلْ كَانَ هَذَا الْعَامِلُ سَبَباً فِي غَسْلِ الْعُقُولِ؟ أَلَا تَعْتَقِدُ أَنَّ غَسْلَ الْعُقُولِ وَطَمْسَ الْحَقَائِقِ يَتَجَرَّدُ مِنْ مَنْطِقِ الْمَصْدَاقِيَّةِ، وَيَسْتَبْدِلُ بِهِ وَاقِعًا زَائِفًا يُشَكِّلُ عَلَى مَقَاسَاتٍ مُعَيَّنَةٍ؟ فَالْمَصْدَاقِيَّةُ هِيَ مِرْآةُ الْحَقِّ، الَّتِي تَعْكِسُ الْوَاقِعَ كَمَا هُوَ، وَبِدُونِهَا تَصْبَحُ الْأَشْيَاءُ مُشَوَّشَةً وَمُخْتَلِطَةً. فَهَلْ يَحِقُّ لَنَا أَنْ نَحْكُمَ عَلَى الْأَشْيَاءِ بِمَوْضُوعِيَّةٍ، أَمْ نَتَّبِعُ أَهْوَاءَنَا؟كَانَ يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَحَقَّقَ وَيَتَأَكَّدَ مِنَ الْمَعْلُومَةِ بِأَنَّ "عَبْدَ هِيبَا" طَلَبَ الْمُسَاعَدَةَ ضِدَّ "الْخَابِيرُو" وَهُمْ جَمَاعَاتٌ مِنَ الْمُرْتَزِقَةِ وَلَيْسُوا الْعِبْرَانِيِّينَ.

ثَانِيًا: الصَّوَابُ هُوَ أَنَّ أَحْمَسَ الْأَوَّلَ هُوَ مَنْ طَرَدَ الْهِكْسُوسَ الَّذِينَ بَسَطُوا سَيْطَرَتَهُمْ عَلَى شَمَالِ مِصْرَ قَبْلَ عَامِ **1550** قَبْلَ الْمِيلَادِ. وَقَدِ انْتَهَى حُكْمُهُمْ عَلَى يَدِهِ لِيَسْتَقِرُّوا بَعْدَئِذٍ بَيْنَ الشُّعُوبِ الكَنْعَانِيَّةِ القَاطِنَةِ فِي أَرَاضِي الهِلَالِ الخَصِيبِ الغَرْبِيِّ، عِنْدَ السُّهُولِ السَّاحِلِيَّةِ لِلْبَحْرِ. أَمَّا عَبْدِ هِيبَا، فَكَانَ حَاكِمًا لِيَبُوسَ (سِلْوَانَ الْحَالِيَّةِ) فِي القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ قَبْلَ المِيلَادِ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي رَسَائِلِ تَلِّ العَمَارِنَةِ؛ وَهِيَ أَلْوَاحٌ فَخَّارِيَّةٌ مَكْتُوبَةٌ بِالْخَطِّ الْأَكَّادِيِّ، الَّذِي مَثَّلَ لُغَةَ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ فِي ذَلِكَ العَصْرِ، طَالِبًا الحِمَايَةَ مِنَ الفِرْعَوْنِ، أَمَّا خُرُوجُ الْعِبْرَانِيِّينَ فَقَدْ وَقَعَ فِي الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ **1270 – 1250** قَبْلَ الْمِيلَادِ، فَهُنَاكَ فَارِقٌ زَمَنِيٌّ بَيْنَهُمَا يُقَدَّرُ بِثَلَاثِمِئَةِ عَامٍ تَقْرِيبًا.

وَفِي الصَّفْحَتَيْنِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ وَالْخَامِسَةَ عَشْرَةَ، زَعَمَ أَنَّهُ إِبَّانَ خُرُوجِ الْعِبْرَانِيِّينَ مِنْ أَرْضِ الْفَرَاعِنَةِ فِي عَهْدِ رَعْمَسِيسَ الثَّانِي **1259** ق.م. كَانَتْ يَبُوسُ قَبْلَ أَنْ يَحْتَلَّهَا الْعِبْرَانِيُّونَ، ذَاتَ حَضَارَةٍ وَمَنَازِلَ مُتْقَنَةٍ حَوَتِ الْكَثِيرَ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالرَّفَاهِيَةِ، وَكَانَ فِيهَا حُكُومَةٌ وَصِنَاعَةٌ وَتِجَارَةٌ وَدِيَانَةٌ، فَاسْتَقَى الْعِبْرَانِيُّونَ عَنَاصِرَ هَذِهِ الْحَضَارَةِ مِنْهُمْ، وَمِنْ سَائِرِ الْحَوَاضِرِ الْكَنْعَانِيَّةِ الَّتِي بَسَطُوا سَيْطَرَتَهُمْ عَلَيْهَا.

أَسْتَغْرِبُ مِنْ غَسِيلِ الْعَقْلِ الْمُتَأَثِّرِ بِالصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ تَارَةً أُخْرَى، حِينَ يُسْتَخْدَمُ مُصْطَلَحُ "الْفَتْحِ" بَدِيلًا عَنِ الْمَوْصُوفِ الْوَاقِعِيِّ لِلغَزَوَاتِ، الَّتِي تَعْنِي فِي جَوْهَرِهَا اقْتِحَامَ أَرْضٍ آمِنَةٍ بُغْيَةَ بَسْطِ السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا وَاسْتِبْدَادِ شَعْبِهَا بِالْقُوَّةِ؛ مُتَجَاهِلًا أَنَّ دَاوُدَ قَدْ نَاصَبَهُمْ حَرْبًا بَيْنَ جَيْشَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، بَعْدَمَا اسْتَهَانُوا بِبَأْسِهِ وَقُوَّتِهِ، وَظَنُّوا أَنَّ حِصْنَهُمْ بَلَغَ مِنَ الْمَنَعَةِ مَا يَجْعَلُهُ عَصِيًّا عَلَى كُلِّ هُجُومٍ، كَمَا أُغْفِلَ كَوْنُ دَاوُدَ قَدِ ابْتَاعَ الجَبَلَ بِأَكْمَلِهِ، مَا ضَمَّهُ مِنْ بَيَادِرَ وَحُقُولٍ شَمَالَ أَسْوَارِ المَدِينَةِ، فَلَمْ تَعُدِ الْأَرْضُ آنَذَاكَ "مُغْتَصَبَةً" بِحَيْثُ تُنَازِعُهُ مِلْكِيَّتَهَا، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرُهُ غَزْوًا بَلْ حَرْبًا.

وَالصَّوَابُ أَنَّهُ إِبَّانَ اسْتِيطَانِ الْعِبْرَانِيِّينَ الْأَرْضَ قَبْلَ حُرُوبِ دَاوُدَ، كَانَ الْيَبُوسِيُّونَ يَتَّسِمُونَ بِالْبَسَاطَةِ وَالِاعْتِمَادِ عَلَى الزِّرَاعَةِ وَالرَّعْيِ وَبَعْضِ الْحِرَفِ الْبِدَائِيَّةِ كَصِنَاعَةِ الْفَخَّارِ، كَمَا نَحَتُوا أَنْظِمَةً مِعْمَارِيَّةً فِي الصَّخْرِ الصَّلْدِ لِلنَّفَاذِ إِلَى نَبْعِ جِيحُونَ مِنْ دَاخِلِ حُدُودِ الْمَدِينَةِ، وَشَيَّدُوا مَعَاقِلَهُمْ بِأَسْوَارٍ شَاهِقَةٍ نُفِّذَتْ بِأُسْلُوبِ «الْبِنَاءِ الْمَوْسُوعِيِّ» الَّذِي يَعْتَمِدُ عَلَى رَصِّ الْكُتَلِ الصَّخْرِيَّةِ الْهَائِلَةِ فَوْقَ بَعْضِهَا، مِمَّا جَعَلَ اقْتِحَامَ دِيَارِهِمْ أَمْرًا مُتَعَذِّرًا وَفْقَ تِقْنِيَاتِ الْحُرُوبِ السَّائِدَةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَكَانَتْ تِجَارَتُهُمْ مَحْدُودَةً بَيْنَ الْمَنَاطِقِ الْمُتَجَاوِرَةِ مِثْلَ «تَلِّ الْفُلِّ»، وَهُوَ مَوْقِعٌ أَثَرِيٌّ يَقَعُ عَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ خَمْسَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ شَمَالَ يَبُوسَ، وَ«تَلِّ النَّصْبَةِ» الْوَاقِعِ شَمَالَ يَبُوسَ الْقَدِيمَةِ عَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ اثْنَيْ عَشَرَ كِيلُومِتْرًا، وَقَدْ تَمْتَدُّ أَحْيَانًا إِلَى «الْخَيْشِ» وَ«حَبْرُونَ»؛ وَهِيَ مَسَافَاتٌ كَانَتْ تَقْطَعُهَا الْقَوَافِلُ التِّجَارِيَّةُ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ خِلَالَ يَوْمٍ وَاحِدٍ أَوْ يَوْمَيْنِ مِنَ السَّيْرِ الْحَثِيثِ، وَفْقَ مَا تَفْرِضُهُ طَبِيعَةُ التَّضَارِيسِ.

بَيْنَمَا كَانَ الْعِبْرَانِيُّونَ يَمْتَازُونَ بِحِرَفٍ مُتَعَدِّدَةٍ إِلَى جَانِبِ تَرْبِيَةِ الْمَوَاشِي، وَذَلِكَ بِسَبَبِ إِقَامَتِهِمُ الطَّوِيلَةِ فِي مِصْرَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُكَلَّفِينَ بِالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ فِي الْبِنَاءِ وَصُنْعِ الطُّوبِ. وَبَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ الْفَرَاعِنَةِ مِصْرَ، أَظْهَرُوا مَهَارَاتٍ مُتَخَصِّصَةً فِي بِنَاءِ خَيْمَةِ الِاجْتِمَاعِ، الَّتِي تَطَلَّبَتْ صِيَاغَةَ الْمَعَادِنِ وَالْعَمَلَ بِالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ

وَصَقْلَ الذَّهَبِ، وَصُنْعَ الْأَثَاثِ وَأَلْوَاحِ الْخَيْمَةِ، وَحِيَاكَةَ السُّتُورِ وَالْمَلَابِسِ الْخَاصَّةِ، وَالْحِدَادَةَ وَصُنْعَ الْمُجَوْهَرَاتِ.

وَبِالْمُقَابِلِ، عِنْدَمَا بَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَيْشًا بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَحاصَرَ سُكَّانَ مَدِينَةِ إِلْيَا (الْقُدْسِ) الْبُسَطَاءِ.

لَمْ يَكُنْ فِيهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ؛ فَقَدْ كَانَتِ الْمَدِينَةُ بِالْأَسَاسِ مَرْكَزًا دِينِيًّا أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا حِصْنًا عَسْكَرِيًّا، فَمُنِعَ عَنْهُمُ الْمَاءُ وَالطَّعَامُ، وَقُتِلَ أُنَاسٌ مِنْ سُكَّانِهَا الْفُقَرَاءِ، تَحْتَ مَا يُسَمَّى بِالْفَتْحِ الْإِسْلَامِيّ.

الْخُلَاصَةُ: إِنَّ كِتَابَ عَارِف بَاشَا الْعَارِفِ التَّوْثِيقِيَّ قَدِ اعْتَمَدَ عَلَى مَنْهَجٍ مُزْدَوَجٍ لِتَأْرِيخِ السُّكَّانِ فِي عَصْرِهِ آنَذَاكَ. فَقَدِ اسْتَنَدَ مِنْ مَنْظُورٍ إِلَى الصُّحُفِ وَالْجَرَائِدِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ الَّتِي صَدَرَتْ خِلَالَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَمِنْهَا جَرِيدَةُ حُكُومَةِ فِلَسْطِينَ الرَّسْمِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تُطْبَعُ فِي مَطْبَعَةِ دَيْرِ الرُّومِ. كَانَتْ تِلْكَ الْمَصَادِرُ تَنْشُرُ بِاسْتِمْرَارٍ إِحْصَاءَاتٍ وَتَقَارِيرَ عَنِ الْأَحْدَاثِ وَالتَّطَوُّرَاتِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ، خَاصَّةً تِلْكَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِتَوْزِيعِ السُّكَّانِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ. وَقَدْ قَامَ الْعَارِفُ بِجَمَعِ وَتَبْوِيبِ هَذِهِ الْإِحْصَاءَاتِ لِيُقَدِّمَ صُورَةً شَامِلَةً عَنِ الْوَاقِعِ الدِّيمُغْرَافِيِّ لِلْبِلَادِ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ. وَلِتَعْزِيزِ رَصَانَةِ مَعْلُومَاتِهِ، اسْتَفَادَ الْعَارِفُ مِنْ عَمَلِهِ فِي الْجِهَازِ الْإِدَارِيِّ لِحُكُومَةِ الِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيّ كَمُحَافِظٍ لِلِوَاءِ بِئْرِ السَّبْعِ، وَمِنْ ثَمَّ رَئِيسًا لِبَلَدِيَّةِ الْقُدْسِ. لَقَدْ أَتَاحَ لَهُ ذَلِكَ الْوُصُولَ إِلَى الْوَثَائِقِ الرَّسْمِيَّةِ الْحُكُومِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَتَوَفَّرْ لِغَيْرِهِ، وَاسْتَخْدَمَهَا كَمُكَمِّلٍ لِإِحْصَاءَاتِ الصُّحُفِ، مِمَّا جَعَلَ أَرْقَامَهُ وَمَعْلُومَاتِهِ أَكْثَرَ دِقَّةً وَرَصَانَةً فِي تَأْرِيخِ الْمُدُنِ وَالْقُرَى. وَمِنْ زَاوِيَةٍ أُخْرَى، فَقَدِ اعْتَمَدَ فِي كِتَابَةِ الْكَثِيرِ عَلَى كِتَابِ "الْأُنْسِ الْجَلِيلِ بِتَارِيخِ الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ" لِمُجِيرِ الدِّينِ الْحَنْبَلِيِّ، الَّـــذِي تَمَحْوَرَ فِيهِ الْحَنْبَلِيُّ حَوْلَ وَصْفِ أَبْنِيَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي عَصْرِهِ.

وَيُمْكِنُ تَلْخِيصُ كِتَابِ «الْأُنْسِ الْجَلِيلِ» فِي نُقْطَتَيْنِ مِحْوَرِيَّتَيْنِ؛ هُمَا: الْجَمْعُ وَالْمَزْجُ بَيْنَ التَّارِيخِ الْجُغْرَافِيِّ وَالْعُمْرَانِيِّ لِلْمَدِينَتَيْنِ (الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ)، وَسَرْدُ الْمَرْوِيَّاتِ الدِّينِيَّةِ، لِتَأْكِيدِ قَدَاسَةِ وَأَصَالَةِ الْمَكَانِ الإِسْلامِيِّ مُنْذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ.

فَمِنْ مَرْوِيَّاتِهِ الْمِيثُولُوجِيَّةِ: "أُوحِيَ لِسُلَيْمَانَ بِبِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَجَمَعَ حُكَمَاءَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَعَفَارِيتَ الْأَرْضِ وَعُظَمَاءَ الشَّيَاطِينِ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ فَرِيقًا يَبْنُونَ.

وَلَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَنْبَتَ اللَّهُ شَجَرَتَيْنِ عِنْدَ بَابِ الرَّحْمَةِ، إِحْدَاهُمَا تُنْبِتُ الذَّهَبَ، وَالْأُخْرَى تُنْبِتُ الْفِضَّةَ، فَكَانَ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَنْزِعُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَتَيْ رِطْلٍ ذَهَبًا وَفِضَّةً.

وَفَرَشَ الْمَسْجِدَ بِلَاطَةً مِنْ ذَهَبٍ وَبِلَاطَةً مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ فِي الْأَرْضِ بَيْتٌ أَبْهَى وَلَا أَنْوَرُ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ، كَانَ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ.

وَكَانَتْ صَخْرَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَيَّامَ سُلَيْمَانَ ارْتِفَاعُهَا اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا. وَكَانَ الذِّرَاعُ ذِرَاعَ الْأَمَانِ ذِرَاعًا وَشِبْرًا وَقَبْضَةً. وَكَانَ ارْتِفَاعُ الْقُبَّةِ الَّتِي عَلَيْهَا ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِيلًا، وَرُوِيَ اثْنَا عَشَرَ مِيلًا. وَفَوْقَ الْقُبَّةِ غَزَالٌ مِنْ ذَهَبٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ دُرَّةٌ أَوْ يَاقُوتَةٌ حَمْرَاءُ، كَانَتْ تَغْزِلُ نِسَاءُ الْبَلْقَاءِ عَلَى ضَوْئِهَا بِاللَّيْلِ".

بَيْتِ الْمَقْدِسِ، الْمُشَارِ إِلَيْهِ بِالْهَيْكَلِ أَصْلُ الْكَلِمَةِ "بَيْتِ هَمِّقْدَاشِ _ **בֵּית הַמִּקְדָּשׁ**" فِي الْعِبْرِيَّةِ).

مِنْ غَرَائِبِ كِتَابِ "الْأُنُسِ الْجَلِيلِ بِتَارِيخِ الْقُدْسِ وَالْخَلِيلِ" ط. دِنْدِس 1 :259" ثُمَّ سَارَ بُخْتَنَصَّرُ بِالْجُيُوشِ، وَكَانَ مَعَهُ سِتُّمِائَةِ أَلْفِ رَايَةٍ، وَدَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَأَعَانَهُ عَلَى ذَلِكَ النَّصَارَى ". وَالسُّؤَالُ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ: أَحَقًّا وُجِدَتْ طَائِفَةُ النَّصَارَى فِي عَصْرِ بُخْتَنَصَّرَ (أَيِ الطَّائِفَةُ الْغَنُوصِيَّةُ النَّاصِرِيَّةُ) قَبْلَ مَجِيءِ الْمَسِيحِ بِقُرُونٍ!؟

وَمِنَ الْمُصْطَلَحَاتِ الَّتِي تُثِيرُ التَّسَاؤُلَ "الْعَالَمُ الْعَرَبِيُّ وَالْإِسْلَامِيُّ"، وَ"الْوَطَنُ الْعَرَبِيُّ"، وَ"الْأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ"، وَ"التَّارِيخُ الْعَرَبِيُّ"، وَ"ثَوَابِتُ الْأُمَّةِ"، وَ"الرَّابِطَةُ الْقَوْمِيَّةُ"، وَ"الرَّأْيُ الْعَامُّ الْعَرَبِيُّ"؛ حَيْثُ تَمْضِي هَذِهِ الْمَفَاهِيمُ مُتَجَاهِلَةً حَقِيقَةَ التَّكَتُّلَاتِ الْجُغْرَافِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ وَالِاجْتِمَاعِيَّةِ الْأَصِيلَةِ، كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي تَزْيِيفِ تَارِيخِ الشَّعْبِ الْأَمَازِيغِيِّ أَوْ "إِيمَازِيغِنَ"، السُّكَّانِ الْأَصْلِيِّينَ لِشَمَالِ أَفْرِيقْيَا، الَّذِينَ لَا يَزَالُ وُجُودُهُمْ نَابِضًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا بِفَضْلِ اتِّسَاعِ الرُّقْعَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ الَّتِي يَنْتَشِرُونَ فِيهَا فِي الْمَغْرِبِ وَتُونِسَ وَالْجَزَائِرِ، وَكَذَلِكَ الْأَقْبَاطِ خُصُوصًا فِي مِصْرَ، وَالسُّرْيَانِ فِي سُورِيَا وَالْعِرَاقِ، وَالْكَنْعَانِيِّينَ فِي لُبْنَانَ. كَمَا تَمْتَدُّ جُذُورُ الْمَسِيحِيِّينَ مِنْ أَرْثُوذُكْسٍ وَكَاثُولِيكَ وَسُرْيَانٍ كَأَقْدَمِ سُلَالَاتِ النَّسَبِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، إِذْ يَعُودُ أُصُولُهُمْ إِلَى بَقَايَا الْكَنْعَانِيِّينَ وَالسُّرْيَانِ "الْآرَامِيِّينَ" وَالسُّكَّانِ الرُّومِ الْقُدَامَى.

بالرَّغْمِ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ نُصُوصٍ إِسْلَامِيَّةٍ صَحِيحَةٍ تَنْفِي هَذِهِ الْقِصَّةَ حَرْفِيًّا، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ مَنْقُولَةٌ عَنْ مَنَاهِجِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ الْأَوَائِلِ، ثُمَّ قَامَ عُلَمَاءُ التَّفْسِيرِ وَالْوَعْظِ الْمُتَأَخِّرُونَ بِنَقْلِهَا وَتَدَاوُلِهَا كَقِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ عَنْ عَظَمَةِ مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْحَافِظِ أَبِي الْمَعَالِي الْمُشَرَّفُ بْنُ الْمُرَجَّى بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيُّ فِي كِتَابِهِ "فَضَائِلُ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ"، وَشَمْسُ الدِّينِ الْمِنْهَاجِيُّ السُّيُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ "إِتْحَافُ الْأَخِصَّا بِفَضَائِلِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى"، وَغَيْرُهُمَا.

إِنَّ هَذَا التَّدَاوُلَ يَعْكِسُ خَلْطًا مَفْهُومِيًّا بَيْنَ طَبِيعَةِ الْبِنَاءِ وَمَرْجِعِيَّتِهِ الْعَقَدِيَّةِ؛ فَبِنَاءُ سُلَيْمَانَ يُمَثِّلُ الْهَيْكَلَ فِي السِّيَاقِ الْيَهُودِيِّ، وَهُوَ بِنَاءٌ مَرْكَزِيٌّ فَرِيدٌ، مَحْصُورٌ فِي مَوْقِعٍ مُحَدَّدٍ (جَبَلِ الْمُورِيَا)، وَتَقُومُ وَظِيفَتُهُ عَلَى إِجْرَاءِ الطُّقُوسِ وَتَقْدِيمِ الْقَرَابِينِ الْحَيَوَانِيَّةِ، وَهِيَ طُقُوسٌ مُحْتَكَرَةٌ لِطَبَقَةِ الْكَهَنَةِ الْمُخْتَارِينَ وِرَاثِيًّا. فِي الْمُقَابِلِ، يَخْتَلِفُ مَفْهُومُ الْمَسْجِدِ فِي الْإِسْلَامِ اخْتِلَافًا جَوْهَرِيًّا؛ إِذْ هُوَ الْمَكَانُ الْمُخَصَّصُ لِصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ، وَلَا يَعْرِفُ أَيَّ وُجُودٍ لِطَبَقَةٍ كَهَنُوتِيَّةٍ مُتَخَصِّصَةٍ تَقُودُ الْعِبَادَةَ. بَلْ يُؤَهَّلُ أَيُّ فَرْدٍ مُسْلِمٍ مُسْتَوْفٍ لِلشُّرُوطِ الْفِقْهِيَّةِ لِأَدَاءِ دَوْرِ الْإِمَامَةِ، وَتَقُومُ الْعِبَادَةُ الْأَسَاسِيَّةُ فِيهِ (الصَّلَاةُ) عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالذِّكْرِ وَالْحَرَكَاتِ، الَّتِي يَتَصَدَّرُهَا الْمُتَعَبِّدُ.

لِذَلِكَ، فَالنَّقْدُ التَّارِيخِيُّ وَالْأَكَادِيمِيُّ يَلْزَمُ بِتَصْحِيحِ هَذَا الْخَلَلِ الْمُدَوَّنِ، بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمُحَدِّثِينَ وَالرُّوَاةَ أَخْطَأُوا فِي تَبَنِّي الْوَصْفِ الْوَارِدِ عَنِ الْهَيْكَلِ (فِي بَهَائِهِ الْمَادِّيِّ) وَنَسْبِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ، دُونَ التَّفْرِيقِ النَّصِّيِّ بَيْنَ الْخِدْمَةِ الطُّقُسِيَّةِ الْمُرْتَكِزَةِ عَلَى تَقْدِيمِ الْقَرَابِينِ فِي "الْهَيْكَلِ"، وَالْوَظِيفَةِ التَّعَبُّدِيَّةِ الْمُرْتَكِزَةِ عَلَى فِعْلِ السُّجُودِ فِي "الْمَسْجِدِ". فَكَانَ الْأَجْدَرُ أَنْ يُصَحَّحَ الْخَلَلُ الْمُدَوَّنُ (بِالنَّقْدِ النَّصِّيِّ) لَا أَنْ يُتَبَنَّى (بِالنَّقْلِ الْمُجَرَّدِ)؛ لِأَنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى هَيْكَلًا لَا مَسْجِدًا.

وَمِنْ مَنْظُورٍ آخَرَ، يَسْتَجْلِي مَظَاهِرَ التَّعَصُّبِ الدِّينِيِّ قَائِلًا:

"عِنْدَمَا زَارَتْ هَلِينَةُ مَدِينَةَ الْقُدْسِ فِي طَلَبِ خَشَبَةِ الْمَسِيحِ الَّتِي تَزْعُمُ النَّصَارَى أَنَّ الْمَسِيحَ صُلِبَ عَلَيْهَا، وَلَمَّا وَصَلَتْ إِلَى الْقُدْسِ، أَخْرَجَتْ خَشَبَةَ الصَّلِيبِ،وَأَقَامَتْ

لِذَلِكَ عِيدَ الصَّلِيبِ، وَبَنَتْ كَنِيسَةَ قُمَامَةَ عَلَى الْقَبْرِ الَّذِي تَزْعُمُ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى دُفِنَ فِيهِ، وَبَنَتْ الْمَكَانَ الْمُقَابِلَ لِقُمَامَةَ الْمَعْرُوفَ يَوْمَئِذٍ بِالدَّرْكَاهِ".

وَلِلْخُلَاصَةِ، أَوَدُّ أَنْ أُرَكِّزَ عَلَى عِبَارَتَيْنِ هَامَّتَيْنِ: الْأُولَى هِيَ "يَزْعُمُ النَّصَارَى أَنَّ عِيسَى" وَالثَّانِيَةُ هِيَ "كَنِيسَةَ قُمَامَةَ".

فَكَلِمَةُ الزَّعْمِ هُوَ تَصْرِيحٌ أَوْ إِفَادَةٌ يُطْلِقُهَا شَخْصٌ مَا غَيْرُ مَدْعُومَةٍ بِالدَّلِيلِ الْوَاضِحِ، بَلْ يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ("إِثْبَاتٍ خَارِجِيٍّ") لِيُصْبِحَ حَقِيقَةً مَقْبُولَةً، أَمَّا الْعَقِيدَةُ فَهِيَ إِثْبَاتٌ ذَاتِيٌّ مُدَعَّمٌ بِالْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ، غَيْرُ مَبْنِيَّةٍ عَلَى افْتِرَاضَاتٍ أَوْ ظُنُونٍ أَوْ تَخْمِينَاتٍ. وَالْعَقِيدَةُ هِيَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْقَنَاعَاتِ وَالْمَبَادِئِ الرَّاسِخَةِ الَّتِي تُشَكِّلُ إِطَارًا فِكْرِيًّا أَوْ دِينِيًّا لِحَيَاةِ الْفَرْدِ.

كَانَ الْأَجْدَرُ أَنْ يُكْتَبَ: عِنْدَمَا زَارَتْ هِيلَانَةُ مَدِينَةَ الْقُدْسِ بَحْثًا عَنْ خَشَبَةِ الصَّلِيبِ، الَّتِي هِيَ فِي مُعْتَقَدِ الْمَسِيحِيِّينَ الْأَدَاةُ الَّتِي صُلِبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ.

وَلَمَّا كَانَ التَّارِيخُ يَشْهَدُ بِوُجُودِ تَبَايُنٍ جَوْهَرِيٍّ بَيْنَ طَائِفَةِ الْيَهُودِ النَّاصِرِيِّينَ "النَّصَارَى" وَبَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ، فَكَانَ الأَجْدَرُ تَجَنُّبَ الْخَلْطِ بَيْنَ سِيرَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَسِيرَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ أُخْتِ مُوسَى وَهَارُونَ؛ إِذْ إِنَّ هَذَا التَّحْدِيدَ الْعَقَدِيَّ كَانَ لِيَكُونَ أَكْثَرَ دِقَّةً وَانْضِبَاطاً.

أَمَّا الْعِبَارَةُ الثَّانِيَةُ، وَهِيَ "كَنِيسَةُ قُمَامَةَ"، فَتُعَدُّ اسْتِخْفَافًا وَاسْتِهْزَاءً بِشَعَائِرِ الْمَسِيحِيِّينَ وَعَقَائِدِهِمْ. إِذْ يَنْبَعُ هَذَا النَّهْجُ مِنَ التَّعَصُّبِ الْعَقَدِيِّ الْأَعْمَى الَّذِي يَأْبَى تَقَبُّلَ الْآخَرِ وَيَسْعَى لِتَسْفِيهِ مُعْتَقَدَاتِهِ، وَهُوَ مَنْهَجٌ يَتَبَنَّاهُ مُعْظَمُ الْكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ فِي نَظْرَتِهِمْ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ، عَلَى غِرَارِ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

ذَكَرَ لَنَا الْمُؤَرِّخُ يُوسَابِيُوسُ (حَوَالَيْ 260–340 م) فِي كِتَابِهِ "تَارِيخُ الْكَنِيسَةِ": أَنَّ الْإِمْبَرَاطُور الرُّومَانِيَّ هَادْرِيَانَ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْمِيلَادِيِّ أَقَامَ مَعْبَدًا وَثَنِيًّا لِلْإِلَهَةِ الزُّهْرَةِ (أَفْرُودِيتَ) فَوْقَ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ وَالْجُلْجُثَةِ، بِهَدَفِ طَمْسِ وَإِخْفَاءِ الْمَعَالِمِ الْمَسِيحِيَّةِ وَإِجْبَارِ الْمَسِيحِيِّينَ عَلَى السُّجُودِ لِلْآلِهَةِ الْوَثَنِيَّةِ.

وَهَذَا مَا أَكَّدَهُ كُلٌّ مِنْ كِيرِلُّسَ الْأُورُشَلِيمِيّ أَحَدِ مَطَارِنَةِ الْقُدْسِ (حَوَالَيْ 313 – 386 م) وَالْعَلَّامَةِ جِيرُومَ (حَوَالَيْ 347 – 420 م) مُشِيرًا بِوُضُوحٍ فِي رَسَائِلِهِ إِلَى أَنَّ الْمَوْقِعَ كَانَ مُغَطًّى بِتِمْثَالٍ لِلْإِلَهِ جُوبِيتَرَ، وَعَلَى صَخْرَةِ الْقِيَامَةِ كَانَ هُنَاكَ تِمْثَالٌ رُخَامِيٌّ لِلزُّهْرَةِ، وَأَنَّ هَذَا التَّدْنِيسَ اسْتَمَرَّ قُرَابَةَ 180 عَامًا. دُونَ أَنْ يَرِدَ فِي ذِكْرِهِمَا أَنَّ المَوْقِعَ قَدْ أُهِينَ بِإِلْقَاءِ النِّفَايَاتِ فِيهِ. وَمُؤَدَّى ذَلِكَ أَنَّهُ عَقِبَ طَرْدِ اليَهُودِ مِنَ القُدْسِ عَامَ 135 م، حَوَّلَ الإِمْبَرَاطُورُ هَادْرِيَانُ المَدِينَةَ إِلَى مُسْتَعْمَرَةٍ وَثَنِيَّةٍ عُرِفَتْ بِاسْمِ "إِلِيَا كَابِيتُولِينَا– Αἰλία Καπιτωλίνα"، مُشِيداً فَوْقَ مَوْضِعِ الجُلْجُثَةِ مَعْبَدًا لِلْإِلَهِ جُوبِيتَرَ الْكَابِيتُولِيّ وَالْآلِهَةِ الرُّومَانِيَّةِ الْأُخْرَى.

يَا لَيْتَنَا نَسْتَيْقِظُ مِنْ سُبَاتِ أَنْهَارِ غَسْلِ الْعُقُولِ وَطَمْسِ الْحَقَائِقِ؛ لِأَنَّهُ لِلْأَسَفِ الشَّدِيدِ تَيَّارٌ لَا يَتَوَقَّفُ، يَجْرِي فِي شَرَايِينِ الزَّمَنِ، يَحْمِلُ مَعَهُ الْأَكَاذِيبَ الْمُزَخْرَفَةَ وَتَضْلِيلَ الْحَقَائِقِ. وَبِفِعْلِ جَرَيَانِهِ الدَّائِمِ، تَذُوبُ الْحَقِيقَةُ، وَتُطْمَسُ الْمَعَالِمُ، وَيَتَحَوَّلُ التَّارِيخُ إِلَى سَرْدٍ مُصْطَنَعٍ. إِنَّهَا مَعْرَكَةٌ لَا تُحَارَبُ بِالسُّيُوفِ، بَلْ بِمُجَابَهَةِ تِلْكَ الأَفْكَارِ المَسْمُومَةِ الَّتِي تَمْنَحُ البَاطِلَ حُلَّةَ الضِّيَاءِ وَتُشَوِّهُ جَوْهَرَ اليَقِينِ، وَهِيَ تِلكَ المَسِيرَةُ التَّضْلِيلِيَّةُ الَّتِي أَرْسَى دَعَائِمَهَا مُفْتِي القُدْسِ أَمِينُ الحُسَيْنِيُّ،"المُضْطَرِبُ الشَّخْصِيَّةِ"، عَبْرَ تَأْوِيلاتِهِ العَقَدِيَّةِ المُمَنْهَجَةِ ضِدَّ الشَّعْبِ الإِسْرَائِيلِيّ، بَاثّاً خِطَابَاتٍ أَيْدِيُولُوجِيَّةً أَحَالَتِ الوَاقِعَ إِلَى صِرَاعٍ مُحْتَدِمٍ يَلْتَبِسُ فِيهِ اليَقِينُ بِالخَيَالِ؛ فَأَخَذَ يُؤَجِّجُ فَتِيلَ الصِّدَامِ وَالعُنْفِ مُقَدِّماً نَفْسَهُ كَزَعِيمٍ قَوْمِيٍّ يَسْتَمِدُّ سَطْوَتَهُ مِنَ الدَّعْمِ الأَلْمَانِيّ، حِينَئِذٍ رَاجَتِ الأَسَاطِيرُ حَوْلَ مَشْرُوعٍ إِسْلَامِيٍّ لِهِتْلِرَ، وَزُعِمَ اعْتِنَاقُهُ لِلإِسْلَامِ مُتَّخِذاً لَقَبَ "حَيْدَرَ"، وَرُسِّخَتِ القَنَاعَاتُ بِأَنَّهُ "المُنْقِذُ" الآتِي لِتَخْلِيصِ العَرَبِ مِنَ اليَهُودِ، بَلْ وَنُسِبَ زُوراً إِلَى سُلَالَةِ نَبِيّ الإِسْلَامِ، مِمَّا دَفَعَ بِسَطَاءَ العَامَّةِ لِلنَّظَرِ إِلَيْهِ مِنْ مَنْظُورِ المَوْرُوثَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ.

يَشْتَمِلُ هَذَا الكِتَابُ، «الهَيْكَلُ المَفْقُودُ» فِي طَبْعَتِهِ الجَدِيدَةِ المُحَلَّاةِ بِالرُّسُومِ وَالصُّوَرِ وَالخَرَائِطِ، عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ؛ وَهُوَ مُخْتَصَرٌ لِتَارِيخِ أُورُشَلِيمَ القُدْسِ. يَسْتَهِلُّ الجُزْءُ الأَوَّلُ مِنْهَا بِسَرْدِ سِيرَةِ مَدِينَةِ القُدْسِ عَبْرَ رِحْلَةٍ زَمَنِيَّةٍ تَمْتَدُّ مِنْ فَجْرِ نَشْأَتِهَا

الأُولَى وُصُولًا إِلَى عَصْرِنَا الحَالِيّ؛ حَيْثُ يَضَعُ القَارِئَ فِي سِيَاقِ الإِقْلِيمِ الجُغْرَافِيّ لِلْمَدِينَةِ، وَطَبِيعَةَ الاِسْتِيطَانِ الْبَشَرِيّ فِيهِ، مُسْتَعْرِضَةً الجُذُورَ التَّارِيخِيَّةَ لِاسْمَيْ "فِلَسْطِينَ" وَ"كَنْعَانَ"، مَعَ تَحْلِيلِ الْمَعَالِمِ الجِيُوسِيَاسِيَّةِ لِمِنطَقَةِ الْهِلَالِ الْخَصِيبِ، ثُمَّ تَنْفَذُ إِلَى فَكِّ شِيفْرَةِ "الْبَلَشْتِيم" بِتَنَاوُلِ لُغَتِهِمْ وَتَارِيخ اسْتِقْرَارِهِمْ بِمُحَاذَاةِ إِقْلِيمِ يَهُوذَا، مُتَتَبِّعَةً مَسَارَهُمْ مُنْذُ النَّشْأَةِ الْأُولَى حَتَّى ظُهُورِ اِتِّفَاقِ أُوسْلُو. كَمَا تَرْصُدُ الْكَثَافَةَ السُّكَّانِيَّةَ وَمَعَالِمَ الْمَدِينَةِ الْجُغْرَافِيَّةَ وَمَهْدَهَا الْأَوَّلَ، ثُمَّ اتِّسَاعَ وِدْيَانِهَا وَتِلَالِهَا وَامْتِدَادَهَا نَحْوَ الشَّمَالِ خِلَالَ الْعَصْرَيْنِ الْبْرُونْزِيّ وَالْحَدِيدِيّ، يَلِيهِ اسْتِعْرَاضُ تَكْوِينِهَا الجِيُولُوجِيّ وَمَوَارِدِهَا الْمَائِيَّةِ وَمُنَاخِهَا، مَعَ الْإِضَاءَةِ عَلَى سُكَّانِهَا الْأَصْلِيِّينَ وَالشُّعُوبِ الْوَافِدَةِ إِلَيْهَا. وَتَسْرُدُ أَيْضاً تَوَارِيخَ الْمَدِينَةِ مِنْ حَقَبَةِ الْبِدَايَاتِ وَالْعَصْرِ الْحَجَرِيّ النُّحَاسِيّ وُصُولاً إِلَى مَطْلَعِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، مُرُوراً بِالْهَزَّاتِ الْأَكْثَرِ عُنْفاً فِي تَارِيخِهَا. وَيَتَطَرَّقُ الْكِتَابُ كَذَلِكَ إِلَى تَعَدُّدِ الْجِنْسِيَّاتِ وَالْهُوِيَّاتِ وَجُذُورِ أَهْلِهَا، لِيَنْتَقِلَ بَعْدَئِذٍ إِلَى تَفَاصِيلِ أَبْوَابِهَا وَأَسْوَارِهَا وَأَبْرَاجِهَا، مُسْتَعْرِضًا مَا تَحْتَضِنُهُ مِنْ أَسْوَاقٍ وَمَتَاحِفَ وَمَعَالِمَ أَثَرِيَّةٍ، وَبِنْيَتِهَا الْمُؤَسَّسَاتِيَّةِ وَالْأَمْنِيَّةِ، ثُمَّ يَعْرُجُ عَلَى آفَاقِ الرِّعَايَةِ الصِّحِّيَّةِ، وَمَدَارِسِهَا وَصِنَاعَاتِهَا وَزِرَاعَاتِهَا، رَاسِمًا بِدِقَّةٍ مَعَالِمَ شَوَارِعِهَا وَطُرُقَاتِهَا الْعَرِيقَةِ.

أَمَّا الجُزْءُ الثَّانِي، فَيَتَمَحْوَرُ حَوْلَ عُقُودِ المِلْكِيَّةِ وَالشَّوَاهِدِ التَّارِيخِيَّةِ، يَلِيهِ اسْتِعْرَاضٌ لِأُورُشَلِيمَ فِي عَصْرِ دَاوُدَ وَعَهْدِ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ زَمَنِ عَزِيَّا الأَوَّلِ وَحَزَقِيَّا، وُصُولًا إِلَى العَهْدِ الحَشْمُونائِيّ، ثُمَّ حِقْبَةِ هِيرُودُسَ الكَبِيرِ وَأَغْرِيبَاسَ الأَوَّلِ، تَتْلُوهُمَا فَتْرَتَا الإِمْبَرَاطُورَيْنِ هِدْرِيانَ وَقُسْطَنْطِينَ؛ وَبَعْدَ ذَلِكَ، يَمْضِي الكِتَابُ فِي جَوْلَةٍ خَاصَّةٍ بَيْنَ مَعَالِمِ أُورُشَلِيمَ قَبْلَ الثَّوْرَةِ الكُبْرَى، ثُمَّ يَنْتَقِلُ لِتَسْلِيطِ الضَّوْءِ عَلَى التَّخْرِيبِ المُتَعَمَّدِ لِمَعَالِمِ التَّارِيخِ وَمُحَاوَلَاتِ دَفْنِهِ، سَاعِيًا إِلَى كَشْفِ مَا طُمِسَ مِنَ المَوْجُودَاتِ الأَثَرِيَّةِ، وَأَبْرَزِ الاِكْتِشَافَاتِ الَّتِي صَرَخَتْ مِنْ جَوْفِ الحِجَارَةِ وَمِنْ غَيَاهِبِ بَاطِنِ الأَرْضِ جَرَّاءَ مُمَارَسَاتِ الأَوْقَافِ، لِيَخْتَتِمَ بِبَيَانِ عَوَامِلِ التَّرْمِيمَاتِ وَطُرُقِهَا.

وَيَتْلُو ذَلِكَ الجُزْءُ الثَّالِثُ، عارِضًا حُجَجَ الأَدِلَّةِ وَشَهَادَاتِ الآثَارِ وَنَتَائِجَ الحَفْرِيَّاتِ، مُبْتَدِئًا مِنْ صَخْرَةِ الهَيْكَلِ وَبِنَائِهِ، وَمَا يَحْوِيهِ مِنَ القَبْوَاتِ وَالمَمَرَّاتِ التَّحْتِيَّةِ، وَقَلْعَةِ أَنْطُونِيُوسَ، وَالجِدَارِ الشَّرْقِيِّ، وَقُبَّةِ مَهْدِ المَسِيحِ، مُوَضِّحًا مَا طَالَ حَفْرِيَّاتِ المَرْوَانِيِّ مِنْ خَرَابٍ، وَبَوَّابَةَ الرَّحْمَةِ، وَالأَعْمِدَةَ الهِيرُودُسِيَّةَ البَارِزَةَ فِيهِ. ثُمَّ يَتطَرَّقُ إِلَى الجِدَارِ الجَنُوبِيِّ وَبَوَّابَاتِهِ، كَالبَوَّابَةِ المُفْرَدَةِ، وَالتَّسْوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ، وَبَوَّابَتَيْ حُلْدَةَ، وَالبَازِيلِيكَا، وَأَرْوِقَةِ الهَيْكَلِ، وَأَنْفَاقِ الحَرَمِ، يَلِيهَا السُّورُ المَانِعُ. بَعْدَ ذَلِكَ يَنْتَقِلُ إِلَى الجِدَارِ الجَنُوبِيِّ الغَرْبِيِّ، وَالمُصَلَّى القِبْلِيِّ، وَمُصَلَّى الأَقْصَى القَدِيمِ، وَالمُتْحَفِ الإِسْلَامِيِّ، وَالزَّاوِيَةِ الفَخْرِيَّةِ؛ ثُمَّ يَسْتَعْرِضُ الجِدَارَ الغَرْبِيَّ، وَحَجَرَ البُوقِ "الشُّوفَارَ"، وَالشَّارِعَ وَالسُّوقَ الهِيرُودُسِيَّ، وَقَوْسَ وِيلْسُون، رَاصِدًا تَكَدُّسَ الطَّبَقَاتِ، وَنِظَامَ التَّدْفِئَةِ المَرْكَزِيَّةِ، وَالقَنَوَاتِ المَائِيَّةَ، وَ"المِكْفَاه"، وَالأُودِيُونَ، وَنَفَقَ الجِدَارِ الغَرْبِيِّ، وَبَابَ وَارِن، وَقَوْسَ رُوبِنْسُون، وَبَاب بُرْكلِي.

لِيَلِيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ الجُزْءُ الرَّابِعُ، مُسْتَعْرِضًا شَهَادَةَ الوَثَائِقِ وَالمَخْطُوطَاتِ الَّتِي لَمْ يُسَلَّطِ الضَّوْءُ عَلَيْهَا سَابِقًا؛ وَمِنْ أَبْرَزِهَا ثَلَاثُ مَخْطُوطَاتٍ تَعُودُ لِعَصْرِ فَيْلَقِ الأَحْرَارِ الأُورُوبِيِّ، وَحَجَرُ اليَدِ وَالقِيرَاطِ، وَحَجَرَا "الجِدَارِ المَانِعِ"، وَالآثَارُ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ أَرْضِيَّةِ الجَامِعِ القِبْلِيِّ، وَحُطَامُ أَجْمَلِ المَنْقُوشَاتِ الأَثَرِيَّةِ. كَمَا يَتنَاوَلُ صَنَادِيقَ القِطَعِ الأَثَرِيَّةِ، وَعَمَلِيَّةَ اسْتِبْدَالِ أَعْمِدَةٍ رُخَامِيَّةٍ بِأَعْمِدَةٍ حَجَرِيَّةٍ حَدِيثَةٍ، مُخْتَتِمًا بِوَثِيقَةٍ إِحْصَائِيَّةٍ لِلسُّكَّانِ الَّذِينَ لَمْ يَتَجَاوَزْ عَدَدُهُمْ 386,787 نَسَمَةٍ، شَكَّلَ ضِمْنَهُمُ الشَّعْبُ اليَهُودِيُّ مَا نِسْبَتُهُ 33.23% مِنَ السُّكَّانِ المَحَلِّيِّينَ.

صَمُوئِيلُ عَبْدُ الْمَسِيحِ

الجزءُ الأوَّلُ

الْإِقْلِيمِ الْجُغْرَافِيِّ

إنَّ أَقْصَى مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ قَارَّةُ آسْيَا غَرْبًا بِلَادٌ غَيْرُ مُنْتَظِمَةِ ٱلشَّكْلِ، تُحْدِقُ بِهَا ٱلْمِيَاهُ تَقْرِيبًا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا. فَيَحُدُّهَا شَمَالًا بَحْرُ هِرْكَانَ وَبَحْرُ زَالْبا، وَغَرْبًا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ وَبَحْرُ سُوفَ "يَمْ يُنْ تَا نِتْجِرْ"، بَيْنَمَا يَحُدُّهَا جَنُوباً وَشَرْقاً الْأُوقْيَانُوسُ الْهِنْدِيُّ وَبَحْرُ الْأَسْفَلِ.

وَمُعْظَمُ هَذِهِ الْبِلَادِ جِبَالٌ فِي الشَّمَالِ وَصَحَارٍ فِي الْجَنُوبِ. وَوَطَنُ الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ وَاقِعٌ بَيْنَ هَذِهِ ٱلصَّحَارِي وَتِلْكَ ٱلْجِبَالِ مُتَاخِمًا لَهَا، وَهُوَ أَرْضٌ هِلَالِيَّةُ ٱلشَّكْلِ صَالِحَةٌ لِلزِّرَاعَةِ، عَلَى جَانِبِهَا ٱلْوَاحِدِ جِبَالٌ، وَعَلَى ٱلْآخَرِ صَحَارٍ رَمْلِيَّةٌ. وَيُطْلَقُ عَلَيْهَا ٱسْمُ «ٱلْهِلَالِ ٱلْخَصِيبِ».

إنَّ مُقعَّرَ هَذِهِ الْأَرْضِ الْهِلَالِيَّةِ ٱلشَّكْلِ مُتَّجِهٌ نَحْوَ ٱلْجَنُوبِ. وَقَرْنُ ٱلْهِلَالِ الْغَرْبِيُّ هُوَ أَرْضُ ٱلْجَدْبِ، وَٱلْقَرْنُ ٱلشَّرْقِيُّ هُوَ بَحْرُ الْأَسْفَلِ، وَمَرْكَزُهُ إِلَى ٱلشَّمَالِ مِنْ بِلَادِ ٱلْقَفرِ. فَكَأَنَّهُ جَيْشٌ مُرَابِطٌ مُتَّجِهٌ إِلَى ٱلْجَنُوبِ، مَيْمَنَتُهُ آرَامُ وَكَنْعَانُ، وَمَيْسَرَتُهُ بَحْرُ الْأَسْفَلِ وَأَرْضُ بَابِلَ، وَقَلْبُهُ جِبَالُ زَاغْرُوسَ.

وَكَمَا آثَرَ بَعْضُ ٱلْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يُسَمِّيَ هَذِهِ الْأَرْضَ الْهِلَالِيَّةَ ٱلشَّكْلِ «بِالْهِلَالِ الْخَصِيبِ»، آثَرَ آخَرُونَ أَنْ يُسَمُّوا ٱلصَّحْرَاءَ ٱلرَّمْلِيَّةَ الَّتِي تُتَاخِمُهُ دَاخِلَةً فِيهِ «بِالْخَلِيجِ الْمُقْفِرِ»، لِأَنَّ شَكْلَهَا كَشَكْلِ الْخَلِيجِ، وَالرَّمْلُ فِيهَا يَنُوبُ مَنَابَ الْمَاءِ.[1]

إنَّ الْآثَارَ الَّتِي اكْتُشِفَتْ فِي الطَّبَقَاتِ السُّفْلَى لِتَلّ جازَرَ، تُطْلِعُنَا عَلَى أَقْدَمِ سُكَّانِ سَاحِلِ الْبَحْرِ، الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْأَرْجَحِ يَنْتَمُونَ إِلَى الْعَصْرِ الصَّوَّانِيّ (الْحَجَرِيّ) وَيَنْتَسِبُونَ لِسُلَالَةٍ غَيْرِ سَامِيَّةٍ. وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ الْعِظَامِ الَّتِي اكْتُشِفَتْ أَنَّهُمْ كَانُوا قِصَارَ الْقَامَةِ؛ إِذْ بَلَغَ مُعَدَّلُ طُولِهِمْ مِنْ خَمْسِ أَقْدَامٍ وَأَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَى خَمْسِ أَقْدَامٍ وَسَبْعِ أَصَابِعَ. وَأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ بَدَأُوا يَحْرُثُونَ الْأَرْضَ، وَيَصْنَعُونَ الْأَدَوَاتِ الصَّوَّانِيَّةَ الْبَسِيطَةَ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَنُونَ الْبَقَرَ وَالْخَنَازِيرَ وَالْغَنَمَ وَالْمَعْزَى.

وَقَدِ اكْتُشِفَ فِي بَعْضِ الْكُهُوفِ المَحْفُورَةِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ وَقَبْلَهُ أَنَّ السُّكَّانَ حَاوَلُوا أَنْ يُصَوِّرُوا تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ، وَكَانُوا يَصْنَعُونَ خَزَفَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ دُونَ دُولَابٍ، وَيُزَيِّنُونَهُ بِخُطُوطٍ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ. وَكَانَ يُحِيطُ بِمَدِينَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ سُورٌ تُرَابِيٌّ سُمْكُهُ عَشْرُ أَقْدَامٍ، وَجْهُهُ مِنَ الدَّاخِلِ وَالْخَارِجِ مَبْنِيٌّ مِنَ الْحَجَرِ.وَاخْتِيرَتْ جَازَرُ لِتَكُونَ مَوْضِعَ مَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ حَوْلَهَا عِدَّةُ كُهُوفٍ، هِيَ مَسَاكِنُ هَؤُلَاءِ السُّكَّانِ الْأَوَّلِينَ. وَكَانُوا يَعْبُدُونَ، حَسَبَ الظَّاهِرِ، آلِهَةً تَسْكُنُ تَحْتَ الْأَرْضِ لِعَلَاقَتِهَا بِالْكُهُوفِ الْمُقَدَّسَةِ. وَوُجِدَ خَارِجَ مَدْخَلِ هَذِهِ الْكُهُوفِ عِنْدَ جَازَرَ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِينَ نُقْرَةً عَلَى شَبَهِ الْكَأْسِ فِي الصَّخْرِ، كَانَتْ تُسْتَخْدَمُ عَلَى الْأَرْجَحِ لِلذَّبَائِحِ. [2]

سُكَّانُ الْأَرَاضِي الْمُنْخَفِضَةِ

إِنَّ الْوَثَائِقَ الْحَدِيثَةَ الَّتِي اكْتُشِفَتْ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فِي السَّنَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ قَبْلَ الْمِيلَادِ، كَانَتْ مُعْظَمُ الْمُدُنِ الْمَذْكُورَةِ فِي التَّارِيخِ الْقَدِيمِ الْعِبْرِيِّ مُشَيَّدَةً مِنْ قَبْلُ. وَإِنَّ الْبِلَادَ كَانَ مُعْظَمُهَا، إِنْ لَمْ يَكُنْ كُلُّهَا، مُكْتَظَّةً بِالسُّكَّانِ كَمَا فِي أَيَّامِ الْعِبْرَانِيِّينَ.

وَمِنْ مُدُنِ السَّاحِلِ الْفِينِيقِيَّةِ الْمُهِمَّةِ، كَانَتْ أَرْوَادُ فِي الشَّمَالِ، وَأُوغَارِيتُ، وَبَيْرِيتُ فِي الْوَسَطِ، وَصَيْدَا وَصُورُ وَعُكُّ فِي الْجَنُوبِ.وَالسُّهُولُ السَّاحِلِيَّةُ الْجَنُوبِيَّةُ الْمُشْتَمِلَةُ عَلَى مُدُنِ دُورَ وَجَازَرَ وَأَشْدُودَ وَأَلْتَكُوَ وَعَسْقَلُونَ وَجَتَّ وَغَزَّةَ، كَانَ يَسْتَوْطِنُهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ الْكِنَانِيُّونَ.

---

[2] يَبْعُدُ تَلُّ جَازَرَ حَوَالَيْ ثَمَانِيَةِ كِيلُومِتْرَاتٍ إِلَى الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ مَدِينَةِ الرَّمْلَةِ.

تَارِيخُ ٱلِٱسْمَيْنِ "فِلَسْطِينَ" وَ"كَنْعَانَ"

إِنَّ اسْمَ "فِلَسْطِينَ" كَانَ يُطْلَقُ فِي بَادِئِ الْأَمْرِ عَلَى مَوْطِنِ خُصُومِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ الْقُدَمَاءِ، وَهُمُ "الْبِلِشْتِيمُونَ/ פְּלִשְׁתִּים"، وَتَعْنِي كَلِمَتُهُمْ فِي اللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ "الْغُزَاةَ/الْمُحْتَلِّينَ"، ثُمَّ عَمَّمَ الْيُونَانُ هَذَا الِاسْمَ فَأَطْلَقُوهُ عَلَى سُورِيَا الْجَنُوبِيَّةِ مَا عَدَا فِينِيقِيَةَ. وَأَوَّلُ مَنِ ٱسْتَعْمَلَهُ بِهَذَا ٱلْمَعْنَى ٱلْمُتَّسِعِ هُوَ ٱلْمُؤَرِّخُ ٱلْيُونَانِيُّ هِيرُودُوتُسُ. كَمَا اسْتَخْدَمَ الرُّومَانُ اللَّفْظَةَ ذَاتَهَا تَقْرِيباً،وَبِوَاسِطَتِهِمْ شَاعَ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْعَالَمِ الْغَرْبِيّ لِدَلَالَةِ الْإِقْلِيمِ الَّذِي كَانَ يَقْطُنُهُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ وَجِيرَانُهُمُ الْأَقْرَبُونَ شَرْقاً وَغَرْباً. [3]

خَارِطَةُ الْهِلَالِ الْخَصِيبِ



---

[3] يُعْتَقَدُ أَنَّ هِيرُودُوتُسَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ ٱلِٱسْمَ ٱلْيُونَانِيَّ لِفِلَسْطِينَ (**Παλαιστίνη**)، حَيْثُ كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى مُشَاهَدَاتِهِ فِي رِحْلَاتِهِ وَعَلَى ٱلرِّوَايَاتِ ٱلْمَنْقُولَةِ شَفَوِيًّا. فَقَدِ ٱعْتَبَرَ فِلَسْطِينَ مُسَمًّى جُغْرَافِيًّا أَوْ إِقْلِيمِيًّا عَامًّا يَشْمَلُ جُزْءًا مِنْ سُورِيَا (بِمَعْنَاهَا ٱلْوَاسِعِ لِبِلَادِ ٱلشَّامِ)، مُتَجَاوِزًا أَوْ مُتَجَاهِلًا ذِكْرَ مُقَاطَعَةِ "يَهُودُ" ٱلصَّغِيرَةِ ٱلتَّابِعَةِ دَاخِلَ هَذَا ٱلْإِقْلِيمِ ٱلْأَوْسَعِ، دُونَ ٱلتَّرْكِيزِ عَلَى وُجُودِ ٱلْهَيْكَلِ أَوِ ٱلْيَهُودِ كَشَعْبٍ لَهُ سِيَادَةٌ، لِأَنَّ ٱلْمِنْطَقَةَ بِأَسْرِهَا كَانَتْ تَحْتَ ٱلسَّيْطَرَةِ ٱلْفَارِسِيَّةِ آنَذَاكَ.

تُشِيرُ المَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ وَالأَثَرِيَّةُ المَبْنِيَّةُ عَلَى النُّصُوصِ القَدِيمَةِ إِلَى أَنَّ أَرَاضِيَ الهِلَالِ الخَصِيبِ الغَرْبِيِّ، الوَاقِعَةَ عِنْدَ سُهُولِ البَحْرِ، كَانَتْ مَسْكُونَةً بِسَبْعَةِ شُعُوبٍ رَئِيسِيَّةٍ بَسَطَتْ نُفُوذَهَا عَلَى التَّضَارِيسِ المُتَنَوِّعَةِ لِلْمِنْطَقَةِ، وَهُمْ: الحِثِّيُّونَ، وَالجِرْجَاشِيُّونَ، وَالأَمُورِيُّونَ، وَالكَنْعَانِيُّونَ، وَالفِرِزِّيُّونَ، وَالحِوِّيُّونَ، وَاليَبُوسِيُّونَ؛ حَيْثُ تَنْحَدِرُ أَغْلَبِيَّتُهُمْ مِنْ سُلَالَةِ الكَنْعَانِيِّينَ "كَنَانَ". وَقَدْ شَكَّلَتْ هَذِهِ المَجْمُوعَاتُ، قُبَيْلَ وُصُولِ العِبْرَانِيِّينَ، تَحَالُفَاتٍ قَبَلِيَّةً وَمَمَالِكَ مُدُنٍ مُسْتَقِلَّةً[4]، صَاغَتِ المَشْهَدَ الجِيُوسِيَاسِيَّ بِبَسْطِ نُفُوذِهَا عَلَى التَّضَارِيسِ المُتَنَوِّعَةِ لِلْمِنْطَقَةِ؛ فَإِذَا كَانَ الحِثِّيُّونَ قَدْ مَسَكُوا زِمَامَ المَنَاطِقِ الشَّمَالِيَّةِ الجَبَلِيَّةِ، وَامْتَدَّ سُلْطَانُهُمْ فِي بِلَادِ آرامَ بَيْنَ الأَنَاضُولِ وَشَمَالِ سُورِيَةَ المُعَاصِرَةِ، فَإِنَّ مَجْمُوعَاتٍ مِنْهُمْ قَدِ اسْتَوْطَنَتْ كَذَلِكَ غَرْبَ عُمْقِ السَّدِيمِ، وَتَحْدِيداً فِي المُرْتَفَعَاتِ المُحِيطَةِ "بِحَبْرُونَ" (الخَلِيلِ).

هذا ما أَكَّدَهُ الدكتورُ سليمُ حَسَنٍ نَقْلًا عَنِ العَلَّامَةِ "جُورْج آدَم سِمِيث" الاسكُتلَنْدِيّ: «إِنَّ سُكَّانَ الأَرْضِ الَّتِي تَقَعُ مَا بَيْنَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ وَالبَحْرِ المُتَوَسِّطِ لَمْ تَكُنْ يَوْمًا مَا قَطُّ تَابِعَةً لِأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَمِنَ المُحْتَمَلِ أَنَّهَا لَنْ تَكُونَ قَطُّ بَعْدُ».

اسْمِ "كَنْعَانَ– כְּנַעַן" مُشْتَقٌّ مِنَ الجَذْرِ (ك–ن– ع)، وَالَّذِي يَحْمِلُ مَعْنَى "انْخَفَضَ" أَوْ "اتَّضَعَ"، مِمَّا يُشِيرُ إِلَى "الأَرْضِ المُنْخَفِضَةِ" أَوِ السُّهُولِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي تَقَعُ دُونَ مُسْتَوَى المُرْتَفَعاتِ المِيْنِيَّةِ أَوِ الجَبَلِيَّةِ المُتَاخِمَةِ لَهَا. وَيُعَزِّزُ هَذَا الطَّرْحَ أَنَّ التَّسْمِيَةَ اسْتُخْدِمَتْ تَارِيخِيًّا لِوَصْفِ الشَّرِيطِ السَّاحِلِيِّ وَالغَوْرِ، مِمَّا جَعَلَ صِفَةَ الِانْخِفَاضِ سِمَةً مُمَيِّزَةً لِلإِقْلِيمِ فِي المَفْهُومِ الجُغْرَافِيِّ القَدِيمِ، وَذَلِكَ تَمْيِيزًا لَهُ عَنْ نِجَادِ "آرَامَ" المُرْتَفِعَةِ.

بَرَزَ اسْمُ "عَرِيبِي" فِي النُّقُوشِ المِسْمَارِيَّةِ الآشُورِيَّةِ دَلالَةً عَلَى القَبَائِلِ البَدَوِيَّةِ الَّتِي اسْتَوْطَنَتِ شمال الصَّحْرَاءَ العَرَبِيَّةَ، قُرْبَ تُخُومِهَا. لَا بِلَادَ الشَّامِ وَالسَّاحِلَ الغَرْبِيَّ؛ حَيْثُ يُؤَرَّخُ ظُهُورُهُ الأَوَّلُ فِي السِّجِلَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ بِالقَرْنِ التَّاسِعِ قَبْلَ المِيلادِ، وتَحْدِيداً ضِمْنَ حَوْلِيَّاتِ المَلِكِ الآشُورِيِّ "شَلْمَنْصَرَ الثَّالِثِ" نَحْوَ عامِ **853** ق.م، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْدَمَ تَوْثِيقٍ تَارِيخِيّ يَرْصُدُ المَلَامِحَ الأُولَى لِلْهُوِيَّةِ العَرَبِيَّةِ إِبَّانَ عَصْرِ الحَدِيدِ الثَّانِي.

بَيْنَمَا تَمَرْكَزَ الأَمُورِيُّونَ فِي المُرْتَفَعَاتِ وَشَرْقِ "النَّهْرِ المُنْحَدِرِ" نَهْرِ الأُرْدُنِّ كَقُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ بَارِزَةٍ، وَهَيْمَنَ الكَنْعانِيُّونَ عَلَى السُّهُولِ السَّاحِلِيَّةِ وَأَوْدِيَةِ الأَنْهَارِ لِاشْتِغَالِهِمْ بِالتِّجَارَةِ البَحْرِيَّةِ، أَمَّا الفِرِزِّيُّونَ فَقَدْ أقامُوا فِي القُرَى غَيْرِ المُسَوَّرَةِ وَالمَناطِقِ الرِّيفِيَّةِ، فِي حِينِ اسْتَوْطَنَ الحِوِّيُّونَ مَناطِقَ لُبْنَانَ الحَالِيَّةِ وَجِبَالَ الشِّمَالِ، وَاتَّخَذَ اليَبُوسِيُّونَ مِن مَدِينَةِ "يَبُوسَ" (أُورُشَلِيمَ القَدِيمَةِ) مَعْقِلًا حَصِينًا لَهُمْ، بَيْنَمَا تَرَكَّزَ الجِرْجَاشِيُّونَ فِي الْمَنَاطِقِ الشَّرْقِيَّةِ عَلَى ضِفَافِ بَحْرِ "كِنَّارِتَ" (بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّا) وُصُولاً إِلَى مُنْحَدَرَاتِ هَضْبَةِ الجُولَانِ الحَالِيَّةِ؛ إِذْ بَسَطُوا نُفُوذَهُمْ عَلَى مَنَابِعِ الْمِيَاهِ وَالْمَرَاعِي الخَصْبَةِ فِي تِلْكَ الْبِقَاعِ فَالْتَصَقَ كِيَانُهُمْ بِتِلْكَ الأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ الوَفِيرَةِ، حَيْثُ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الشُّعُوبُ تَخْضَعُ لِحُكْمٍ مَرْكَزِيٍّ وَاحِدٍ، بَلْ كَانَتْ عِبَارَةً عَنْ كِيَانَاتٍ وَدُوَيْلَاتٍ مُجَزَّأَةٍ، تَتَنَافَسُ أَوْ تَتَحَالَفُ تَبْعاً لِلْمَصَالِحِ الْإِقْلِيمِيَّةِ وَالتَّهْدِيدَاتِ الخَارِجِيَّةِ، مِمَّا جَعَلَ مِنْهَا نَسِيجاً مُعَقَّداً مِنَ الْقُوَى الْمَحَلِّيَّةِ الَّتِي تُدِيرُ شُؤُونَهَا بِاسْتِقْلَالِيَّةٍ تَامَّةٍ عَنْ بَعْضِهَا بَعْضاً، وَقَدْ أَدَّى هَذَا التَّشَرْذُمُ السِّيَاسِيُّ إِلَى إِضْعَافِ جَبْهَتِهَا الدِّفَاعِيَّةِ أَمَامَ الزَّحْفِ الْمُتَلَاحِقِ لِلْقُوَى الْإِمْبرَاطُورِيَّةِ وَالْهَجَرَاتِ الْبَشَرِيَّةِ الْكُبْرَى الَّتِي اجْتَاحَتِ الْمِنْطَقَةَ عِنْدَ نِهَايَةِ الْعَصْرِ الْبُرُونْزِيِّ.

تَعُودُ جُذُورُ صِرَاعِ "الْبِلِشْتِيم" مَعَ سُكَّانِ السَّاحِلِ الغَرْبِيِّ لِلْهِلالِ الخَصِيبِ إِلَى نِهَايَةِ العَصْرِ البُرُونْزِيِّ، عَقِبَ زَحْفِ مَجْمُوعَاتٍ عُرِفَتْ فِي السِّجِلَّاتِ المِصْرِيَّةِ بِاسْمِ "شُعُوبِ البَحْرِ"؛ وَهِيَ هِجرَاتٌ كُبْرَى اسْتَهْدَفَتْ مَنَاطِقَ شَمَالِ أَفْرِيقِيَا وَسَوَاحِلَ الشَّرْقِ الأَدْنَى القَدِيمِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى صِدَامَاتٍ عَسْكَرِيَّةٍ عَنِيفَةٍ مَعَ القُوَى المَحَلِّيَّةِ وَالجُيُوشِ المِصْرِيَّةِ. وَتُؤَكِّدُ نُقُوشُ مَعْبَدِ "مَدِينَةِ هَابُو" أَنَّ فِرْعَوْنَ مِصْرَ رَمْسِيسَ الثَّالِثَ تَمَكَّنَ مِنْ صَدِّ هُجُومِهِمْ خِلَالَ السَّنَوَاتِ (**1194 – 1162** قَبْلَ الْمِيلَادِ)، حِينَ تَحَالَفَتْ خَمْسُ قَبَائِلَ رَئِيسِيَّةٍ فِي مَعَارِكَ مَصِيرِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ وَبَحْرِيَّةٍ، وَهِيَ: "الْبِلِشْتِيم" الَّذِينَ اسْتَقَرُّوا لَاحِقاً فِي السَّاحِلِ الجَنُوبِيِّ الغَرْبِيِّ لِلْهِلالِ الخَصِيبِ، وَ"تِيكَر"، وَ"شِيكْلِيش"، وَ"دَانِيَان"، وَ"وَيَاشِيش". وَقَدْ شَابَهَتْ طَرِيقَةُ قِتَالِ "الْبِلِشْتِيمِ" وَ"التِّيكَرِ" أَسَالِيبَ الحِثِّيِّينَ؛ إِذْ حَمَلَتْ عَرَبَاتُهُمُ الحَرْبِيَّةُ ثَلَاثَةَ أَفْرَادٍ بَيْنَمَا

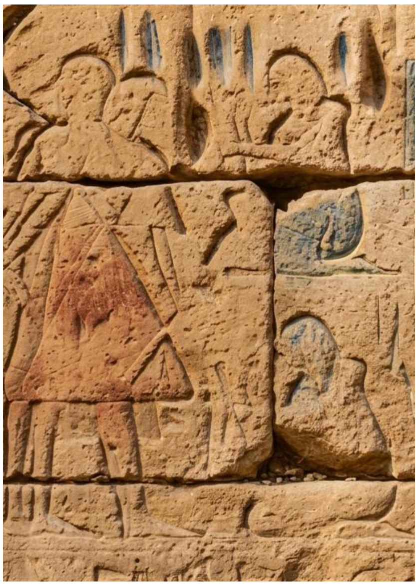
اقْتَصَرَتِ العَرَبَاتُ المِصْرِيَّةُ عَلَى شَخْصَيْنِ، فِي حِينِ كَشَفَتِ العَرَبَاتُ الخَشَبِيَّةُ الَّتِي تَجُرُّهَا الثِّيرَانُ وَتَحْمِلُ النِّسَاءَ وَالأَطْفَالَ أَنَّ هَذِهِ الحَرَكَةَ كَانَتْ غَزْواً بِقَصْدِ الِاسْتِيطَانِ الدَّائِمِ لَا مُجَرَّدَ غَارَاتٍ عَابِرَةٍ. وَتُظْهِرُ النُّقُوشُ المَقَاتِلِينَ بِأَقْبِيَةِ رُؤُوسٍ عَالِيَةٍ وَتَنَانِيرَ مُخَطَّطَةٍ، مِمَّا عَكَسَ هُوِيَّةً ثَقَافِيَّةً وَعَسْكَرِيَّةً مُتَمَايِزَةً سَعَتْ لِفَرْضِ وُجُودِهَا عَلَى تضاريسِ المِنْطَقَةِ بِقُوَّةِ السِّلَاحِ وَالِارْتِحَالِ الجَمَاعِيّ[5]. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الزَّحْفُ مُجَرَّدَ طُمُوحٍ عَسْكَرِيّ لِلسَّيْطَرَةِ، فَلَمَّا وَقَعَ جُلُّهُمْ فِي قَبْضَةِ فِرْعَوْنِ بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ، لَمْ تَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا قِلَّةٌ مِمَّنْ كَانُوا عَلَى مَتْنِ السُّفُنِ.

صُورَةٌ أُعِيدَ تَلْوِينُهَا لِنَقْشٍ أَثَرِيٍّ، يَظْهَرُ فِيهَا
أَسِـيرٌ مِنَ "الْبِلِشْتِيمِ" فِـي قَبْضَـةِ الفَرَاعِنَـةِ



تُؤَكِّدُ الشَّوَاهِدُ التَّارِيخِيَّةُ المُسْتَقَاةُ مِنْ تَحْلِيلِ نُقُوشِ "مَدِينَةِ هَابُو" أَنَّ تَعَامُلَ المَلِكِ رَمْسِيسَ الثَّالِثِ مَعَ أَسْرَى "الْبِلِشْتِيم" لَمْ يَكُنْ نَابِعًا مِنْ مِثَالِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ، بَلْ أَمْلَتْهُ بَرَاغْمَاتِيَّةٌ عَسْكَرِيَّةٌ صِرْفَةٌ كَانَتْ سَائِدَةً فِي العُصُورِ القَدِيمَةِ؛ حَيْثُ بَاشَرَ المَسْؤُولُونَ عَمَلِيَّةَ فَرْزِ الأَسْرَى وَكَوَوْا أَجْسَادَهُمْ بِأَخْتَامٍ مَعْدَنِيَّةٍ مُحْمَاةٍ لِتَأْكِيدِ تَبَعِيَّتِهِمْ لِلْعَرْشِ، إِذْ وُضِعَتْ غَالِبًا عَلَى الأَكْتَافِ أَوِ الأَذْرُعِ لِيُعْرَفُوا بِأَنَّهُمْ مِلْكٌ خَالِصٌ لِلْفِرْعَوْنِ[6]، ثُمَّ نُقِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ لِيُوَزَّعُوا عَلَى الحُصُونِ وَالقِلَاعِ الحُدُودِيَّةِ ذِيادًا عَنْ مَصَالِحِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ المِصْرِيَّةِ، مُحَوِّلًا إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ مِنْ أَعْدَاءٍ غُزَاةٍ إِلَى حَامِيَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ تَدِينُ بِالْوَلَاءِ لِلتَّاجِ وَتَعْمَلُ كَحَاجِزٍ دِفَاعِيٍّ صَلْبٍ ضِدَّ التَّهْدِيدَاتِ الخَارِجِيَّةِ، وَهِيَ السِّيَاسَةُ الَّتِي أَدَّتْ لَاحِقًا إِلَى اسْتِيطَانِهِمُ الدَّائِمِ وَتَطَوُّرِ كِيَانِهِمْ فِي تِلْكَ المَنْطِقَةِ، إِذْ كَانَ تَحْوِيلُ الأَسْرَى ذَوِي الخِبْرَةِ القِتَالِيَّةِ إِلَى فِرَقٍ مِنَ المُرْتَزِقَةِ خِيَارًا اسْتْرَاتِيجِيًّا لِتَعْزِيزِ صُفُوفِ الجَيْشِ، فَنُقِلَ هَؤُلَاءِ المُحَارِبُونَ مَعَ عَائِلَاتِهِمْ إِلَى حُصُونٍ مِصْرِيَّةٍ مَعْزُولَةٍ ضِمْنَ السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ الجَنُوبِيِّ المُطِلِّ عَلَى بَرِّيَّةِ "شُور"، مِمَّا مَهَّدَ لَهُمْ سَبِيلَ تَأْسِيسِ حَوَاضِرِهِمُ الخَاصَّةِ عَلَى رُقْعَةٍ مِنَ السَّاحِلِ بَعْدَ أَنْ شَغَلُوا لِحِقْبَةٍ طَوِيلَةٍ مَكَانَةَ الفِرَقِ المُرْتَزِقَةِ التَّابِعَةِ لِلإِمْبِرَاطُورِيَّةِ المِصْرِيَّةِ[7]، إِلَى أَنِ اسْتَقَرَّ بِهِمُ المَقَامُ فِي خَمْسِ مُدُنٍ رَئِيسِيَّةٍ شَكَّلَتْ نُوَاةَ حَضَارَتِهِمُ الجَدِيدَةِ عَلَى تُخُومِ المَوَاضِعِ الكَنْعَانِيَّةِ، وَهِيَ غَزَّةُ، وَأَشْدُودُ، وَأَشْقَلُونُ، وَجَتُّ، وَعَقْرُونُ، الَّتِي عُرِفَتْ بِالخُمَاسِيِّ الفَلَسْتِيِّ، وَذَلِكَ خِلَالَ حِقْبَةِ قُضَاةِ العِبْرَانِيِّينَ القُدَامَى المُتَمَرْكِزِينَ فِي الشَّمَالِ الشَّرْقِيِّ لِتِلْكَ المَدَائِنِ. وَقَدْ نَقَلَ هَؤُلَاءِ مَعَهُمْ تَقْنِيَّاتِ العَصْرِ الحَدِيدِيِّ الَّتِي كَانَتْ بِمَثَابَةِ ضَرْبَةٍ قَاصِمَةٍ لِلْمُدُنِ الكَنْعَانِيَّةِ "كَنَانَ"المُسْتَضْعَفَةِ عَلَى السَّوَاحِلِ الجَنُوبِيَّةِ؛ إِذْ أَفْضَى صِرَاعُهُمْ مَعَ "الْبِلِشْتِيم" (الْفِلِسْطِينِيُّونَ الأَوَائِلُ)، بِالتَّزَامُنِ مَعَ اضْطِرَابَاتِ نِهَايَةِ العَصْرِ البُرُونْزِيِّ إِلَى تَفَكُّكِ حَوَاضِرِهِمُ الرَّئِيسِيَّةِ وَتَقَوُّضِ نُظُمِهِمُ الحُكْمِيَّةِ.

يَظْهَرُ فِي النَّقْشِ الْمُلَوَّنِ مُوَظَّفٌ مَلَكِيٌّ يَقُومُ بِطَبْعِ خَتْمٍ مَعْدَنِيّ سَاخِنٍ عَلَى كَتِفِ الْأَسِيرِ أَوْ ذِرَاعِهِ[8]



لَمْ يَسْلُكِ الكَنْعَانِيُّونَ مَسَارَ هِجْرَةٍ مُنَظَّمَةٍ نَحْوَ الشَّمَالِ كَكِيَانٍ وَاحِدٍ، بَلْ تَفرَّقُوا طَرَائِقَ قِدَدًا؛ فَمِنْهُمْ مَنِ انْدَمَجَ فِي الشُّعُوبِ النَّاشِئَةِ، بَيْنَمَا حَافَظَتْ بَعْضُ حَوَاضِرِهِمُ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى طُولِ سَوَاحِلِ لُبْنَانَ وَسُورِيَا الحَالِيَّتَيْنِ عَلَى كِيَانِهَا، وَآلَ هَذَا التَّحَوُّلُ إِلَى نُشُوءِ مَا عُرِفَ لَاحِقًا بِالحَضَارَةِ الْكَنْعَانِيَّةِ الْفِينِيقِيَّةِ الَّتِي بَسَطَتْ نُفُوذَهَا التِّجَارِيَّ عَلَى حَوْضِ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ.

وَقَدْ وَثَّقَتْ لَنَا مِسَلَّةُ النَّصْرِ لِلْمَلِكِ "مَرْنبْتَاحَ"، المَنْقُوشَةُ عَلَى لَوْحٍ ضَخْمٍ مِنَ الجَرَانِيتِ الأَسْوَدِ يَرْبُو ارْتِفَاعُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْتَارٍ لِعَامِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَثَمَانِيَةٍ قَبْلَ المِيلَادِ، سِلْسِلَةً مِنَ الحَمَلَاتِ العَسْكَرِيَّةِ النَّاجِحَةِ؛ أَبْرَزُهَا الصِّدَامُ مَعَ القَبَائِلِ اللِّيْبِيَّةِ وَحُلَفَائِهِمْ مِنْ شُعُوبِ البَحْرِ الَّذِينَ هَدَّدُوا حُدُودَ الدَّلْتَا الغَرْبِيَّةَ، كَمَا سَرَدَتِ الاِنْتِصَارَاتِ الَّتِي أَحْرَزَهَا المَلِكُ فِي أَرْجَاءِ الكَنْعَانِيِّينَ رِتِنُو قَدِيمًا "كَنَانُ"؛ وَتَسْتَمِدُّ هَذِهِ المِسَلَّةُ أَهَمِّيَّتَهَا الاِسْتِثْنَائِيَّةَ فِي الدِّرَاسَاتِ الأَكَادِيمِيَّةِ العَالَمِيَّةِ مِنْ كَوْنِهَا تَحْتَوِي

عَلَى أَقْدَمِ ذِكْرٍ هِيْرُوغْلِيفِيٍّ مَعْرُوفٍ لِمَجْمُوعَةٍ تُدْعَى "إِسْرَائِيلَ"، حَيْثُ وُصِفَتْ فِي النَّصِّ كَمَجْمُوعَةٍ بَشَرِيَّةٍ أَوْ قَبِيلَةٍ رَحَّالَةٍ لَيْسَ لَهَا مَوْطِنٌ حَضَرِيٌّ مُسْتَقِرٌّ بَعْدُ [9]، مِمَّا جَعَلَ هَذِهِ الوَثِيقَةَ مَرْجِعاً مِحْوَرِيّاً لِفَهْمِ التَّرْكِيبَةِ السُّكَّانِيَّةِ وَالخَارِطَةِ الجِيُوبُولِيتِيكِيَّةِ لِسَوَاحِلِ الشَّرْقِ الهِلَالِ الخَصِيبِ فِي خَوَاتِيمِ العَصْرِ البُرُونْزِيِّ المُتَأَخِّرِ.

تَجَلَّى انْتِصَارُ "مَرْنبْتَاحَ" ضِمْنَ حَمْلَتِهِ عَلَى المَدَائِنِ الكَنْعَانِيَّةِ جَلِيًّا فِي السَّطْرِ السَّابِعِ وَالعِشْرِينَ، حَيْثُ نُقِشَ بِالخَطِّ الهِيرُوغْلِيفِيِّ "**دُمِّرَتْ يَزْرِيَارُ، وَلَمْ يَعُدْ لَهَا بَذْرٌ** "

أَوَّلُ ظُهُورٍ لِاسْمِ إِسْرَائِيلَ – يَزْرِيَارُ



مُسَلَّةُ مَرْنبْتَاحَ



المَعَالِمُ الجِيُوسِيَاسِيَّةُ لِلْهِلَالِ الخَصِيبِ

عَادَ الشَّعْبُ العِبْرَانِيُّ إِلَى دِيَارِ الآبَاءِ وَاسْتَقَرَّ بَيْنَ شُعُوبِ تِلْكَ الأَرْضِ فِي أَوَاسِطِ القَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ قَبْلَ المِيلَادِ تَقْرِيباً، وَتَحْدِيداً فِي الفَتْرَةِ المُمْتَدَّةِ بَيْنَ عَامَي (1270 – 1250 ق.م)، وَهُوَ مَا أَكَّدَتْهُ "لَوْحَةُ مَرْنِبْتَاحَ" لِعَامِ (1208 ق.م) الَّتِي شَهِدَتْ بِوُجُودِ "إِسْرَائِيلَ" كَكِيَانٍ سُكَّانِيٍّ قَائِمٍ بِالفِعْلِ فِي الأَرَاضِي الكَنْعَانِيَّةِ "رِتِنُو" كِنَانَ قَدِيمًا؛ وَقَدْ تَمَّ هَذَا الاِسْتِيطَانُ قَبْلَ وُصُولِ "البِلِشْتِيمِ" الَّذِينَ اسْتَوْطَنُوا السَّاحِلَ الجَنُوبِيَّ لِمُدُنِ سُكَّانِ الْأَرَاضِي الْمُنْخَفِضَةِ فِي مَوْجَاتٍ هِجْرِيَّةٍ كُبْرَى نَحْوَ عَامِ (1175 ق.م) خِلَالَ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنْ حُكْمِ رَمْسِيسَ الثَّالِثِ.

سَكَنَ العِبْرَانِيُّونَ فِي زَمَنِ القُضَاةِ المُرْتَفَعَاتِ الجَبَلِيَّةَ وَالوِدْيَانَ الدَّاخِلِيَّةَ، حَيْثُ جَاوَرُوا خَلِيطاً مِنَ الشُّعُوبِ الكَنْعَانِيَّةِ وَالحِثِّيَّةِ وَالأَمُورِيَّةِ وَالفَرِزِّيَّةِ وَالحِوِّيَّةِ وَاليَبُوسِيَّةِ، فَتَشَكَّلَتْ مَلَامِحُ الخَرِيطَةِ الجِيُوسِيَاسِيَّةِ لِلْمِنْطَقَةِ بِحُدُودٍ طَبِيعِيَّةٍ وَبَشَرِيَّةٍ مُعَقَّدَةٍ. فَمِنَ النَّاحِيَةِ الجَنُوبِيَّةِ، انْتَهَتْ نُقْطَةُ سِيَادَةِ هَذِهِ المَجْمُوعَاتِ عِنْدَ تُخُومِ "بَرِّيَّةِ زِين" (نَقْبِ عَرَادَ وَمِنْطَقَةِ بِئْرِ السَّبْعِ حَالِيّاً)، وَهِيَ البَوَّابَةُ الجَنُوبِيَّةُ الَّتِي تَتَوَقَّفُ عِنْدَهَا حُدُودُ السَّيْطَرَةِ المَرْكَزِيَّةِ، لِتَبْدَأَ بَعْدَهَا هَيْمَنَةُ الْعَمَالِيقِ الَّذِينَ بَسَطُوا نُفُوذَهُمْ عَلَى بَوَادِي النَّقْبِ الشَّاسِعَةِ. وَفِي الاِتِّجَاهِ الجَنُوبِيِّ الغَرْبِيِّ، وَصَلَتِ الحُدُودُ إِلَى وَادِي الحَسِيِّ وَمِنْطَقَةِ صِقْلَغَ، وَهِيَ مَنَاطِقُ شَهِدَتْ نِزَاعاً دَائِماً مَعَ "الْبِلِشْتِيم" (الفِلِسْطِينِيِّينَ الأَوَائِلِ)؛ حَيْثُ جَسَّدَتْ هَذِهِ الصِّرَاعَاتُ تَحَوُّلاً جَلِيّاً فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنْ عَصْرِ القُضَاةِ، أَيْ بَعْدَ مُضِيِّ مَا يُقَارِبُ مِائَةً وَسِتَّةً وَعِشْرِينَ إِلَى مِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ عَاماً مِنْ بَدْءِ اسْتِقْرَارِ العِبْرَانِيِّينَ. بَيْنَمَا شَكَّلَتْ بَرِّيَّةُ زِين وَمِنْطَقَةُ قَادِشَ بَرْنِيعَ المَعَالِمَ الجُغْرَافِيَّةَ النِّهَائِيَّةَ الَّتِي حَدَّتْ مِنَ التَّوَسُّعِ جَنُوباً، حَيْثُ تَبْدَأُ سِيَادَةُ الأَدُومِيِّينَ المُتَمَرْكِزِينَ فِي مُرْتَفَعَاتِ سَعِيرَ الشَّاهِقَةِ، وَهِيَ سِلْسِلَةٌ جَبَلِيَّةٌ وَعِرَةٌ مَالَتْ تَكْوِينَاتُهَا الصَّخْرِيَّةُ لِلْحُمْرَةِ، فَكَانَتْ لَهُمْ مَوْطِناً اسْتْرَاتِيجِيّاً وَسِيَاسِيّاً حَصِيناً خِلَالَ عَصْرِ القُضَاةِ.

أَمَّا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، فَقَدْ فَصَلَتِ التُّخُومُ بَيْنَ المُسْتَوْطَنَاتِ وَالوَحَدَاتِ السِّيَاسِيَّةِ عَبْرَ "**النَّهْرِ المُنْحَدِرِ**" (نَهْرِ الأُرْدُنِّ)، حَيْثُ اسْتَقَرَّ المُوآبِيُّونَ فِي الهِضَابِ الوَاقِعَةِ شَرْقَ "**عُمْقِ السَّدِيمِ**" (البَحْرِ المَيِّتِ)، بَيْنَمَا تَرَكَزَ العَمُّونِيُّونَ فِي المَنَاطِقِ الشِّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ المُتَاخِمَةِ لِلْبَادِيَةِ، مِمَّا أَذْكَى نِزَاعَاتٍ مُسْتَمِرَّةً حَوْلَ مَرَاعِي المِنْطَقَةِ. وَبِالِانْتِقَالِ إِلَى الجَبْهَةِ الجَنُوبِيَّةِ، امْتَدَّتْ أَرْضُ الأَدُومِيِّينَ فِي جِبَالِ سَعِيرَ الوَعِرَةِ الَّتِي بَلَغَتْ فِي مَدَاهَا خَلِيجَ أَيْلَةَ وَعِصْيُونَ جَابِرَ القَابِعَتَيْنِ عَلَى ضِفَافِ "**بَحْرِ سُوفَ**" (البَحْرِ الأَحْمَرِ)،فِي حِينِ جَابَ الْعَمَالِقَةُ بَرِّيَّةَ زِينٍ الَّتِي امْتَدَّتْ كَشَرِيطٍ عَرَضِيٍّ مِنَ "**العَرَبَةِ**" شَرْقاً (عِنْدَ تُخُومِ أَدُومَ) وُصُولاً إِلَى قَادِشَ بَرْنِيعَ فِي أَقَاصِي النَّقْبِ غَرْباً مُشَكِّلِينَ تَهْدِيداً دَائِماً لِلْمُجْتَمَعَاتِ المُسْتَقِرَّةِ فِي المُرْتَفَعَاتِ الوُسْطَى. وَفِي أَقْصَى الشِّمَالِ وَالشِّمَالِ الغَرْبِيِّ، تَرَكَّزَ نُفُوذُ الصِّيدُونِيِّينَ عَلَى الشَّرِيطِ السَّاحِلِيِّ الضَّيِّقِ، حَيْثُ أَحْكَمُوا قَبْضَتَهُمْ عَلَى المَوَانِئِ التِّجَارِيَّةِ فِي صِيدُونَا "**صَيْدَا الحَالِيَّةِ**" وَصُرِّي "**صُورَ اليَوْمِ**"، وَاحْتَمَوْا بِالتَّحْصِينَاتِ الجَبَلِيَّةِ المَنِيعَةِ عِنْدَ سُفُوحِ جِبَالِ لُبْنَانَ، تِلْكَ الَّتِي رَسَمَتْ طَبِيعَةَ عَلَاقَتِهِمْ بِالمَجْمُوعَاتِ القَاطِنَةِ فِي المُرْتَفَعَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ.

تَوَزَّعَتْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الِاثْنَا عَشَرَ بَيْنَ الشُّعُوبِ المَحَلِّيَّةِ الكَنْعَانِيَّةِ وَالحِثِّيَّةِ وَالأَمُورِيَّةِ وَالفَرِزِّيَّةِ وَالحِوِّيَّةِ وَاليَبُوسِيَّةِ؛ نَتِيجَةَ الفَرَاغِ السِّيَاسِيِّ وَعَدَمِ السَّيْطَرَةِ الكَامِلَةِ عَلَى الأَرَاضِي خِلَالَ عَصْرِ القُضَاةِ العِبْرَانِيِّينَ، حَيْثُ اسْتَوْطَنَ سِبْطُ أَشِيرَ بَيْنَ الصِّيدُونِيِّينَ فِي الشَّمَالِ السَّاحِلِيِّ، وَعَاشَ سِبْطُ نَفْتَالِي وَسِبْطُ زَبُولُونَ وَسِبْطُ يَسَّاكَرَ وَسْطَ الكَنْعَانِيِّينَ فِي "**سَهْلِ يِزْرَعِيلَ**" بِمَرْجِ ابْنِ عَامِرٍ وَ"**حَارُوشَةِ الأُمَمِ**" فِي الجَلِيلِ حَالِيّاً، بَيْنَمَا تَعَايَشَ سِبْطُ أَفْرَايِمَ وَسِبْطُ مَنَسَّى مَعَ جُيُوبِ الكَنْزِرِيِّينَ وَالعَمُورِيِّينَ الَّذِينَ بَقُوا فِي مُدُنِ السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ وَالمُرْتَفَعَاتِ الوُسْطَى وَالجِبَالِ الشَّرْقِيَّةِ.

وَفِي الجَنُوبِ، اخْتَلَطَ سِبْطُ يَهُوذَا وَسِبْطُ شِمْعُونَ بِقَبَائِلِ القَيْنِيِّينَ وَالقَنَزِيِّينَ الَّذِينَ انْدَمَجُوا مَعَهُمْ، بَيْنَمَا وَاجَهَ سِبْطُ دَانَ ضُغُوطاً هَائِلَةً مِنْ "**الْپِلِشْتِيمِ**" (الفِلِسْطِينِيِّينَ الأَوَائِلِ) الَّذِينَ اسْتَوْطَنُوا مُدُنَ الخُمَاسِيِّ الْفَلَسْتِيِّ، وَالعَمُورِيِّينَ فِي السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ،

مِمَّا دَفَعَ جُزْءاً مِنْهُمْ لِلرَّحِيلِ. أَمَّا شَرْقَ "النَّهْرِ الْمُنْحَدِرِ" (نَهْرِ الأُرْدُنِّ)، فَقَدْ جَاوَرَ سِبْطُ رَأُوبِينَ وَسِبْطُ جَادَ وَنِصْفُ سِبْطِ مَنَسَّى كُلّاً مِنَ الْمُوآبِيّينَ وَالعَمُّونِيّينَ وَالآرَامِيّينَ، فِي حِينِ ظَلَّ سِبْطُ بَنْيَامِينَ فِي صِرَاعٍ وَتَمَاسٍّ مُسْتَمِرٍّ مَعَ اليَبُوسِيِّينَ فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ (يَبُوسَ) الَّتِي لَمْ تُقْتَحَمْ آنَذَاكَ، وَبَقِيَ سِبْطُ لَاوِي مُتَفَرِّقاً كَأَقَلِّيَّةٍ دِينِيَّةٍ بَيْنَ جَمِيعِ هَذِهِ التَّجَمُّعَاتِ السُّكَّانِيَّةِ الْمُخْتَلِطَةِ.

شِيفْرَةُ الْپِلَشْتِيم

تَوَلَّى نُخْبَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ "مَعْهَدِ مَاكْس بَلَانك لِعُلُومِ التَّارِيخِ الْبَشَرِيّ" فِي أَلْمَانِيَا، بِالتَّعَاوُنِ مَعَ جَامِعَةِ "هَارْفَارْدَ"، إِجْرَاءَ دِرَاسَةٍ عِلْمِيَّةٍ رَصِينَةٍ اعْتَمَدَتْ فَحْصَ رُفَاتِ رُضَّعٍ وَبَالِغِينَ اسْتُخْرِجُوا مِنْ مَقْبَرَةِ "عَسْقَلَانَ" الْأَثَرِيَّةِ عَامَ 2016م؛ وَهِيَ الْمَقْبَرَةُ الْعَائِدَةُ لِلْفِلِسْطِينِيّينَ الْأَوَائِلِ (الْپِلَشْتِيم)، حَيْثُ كَشَفَتْ نَتَائِجُ التَّحْلِيلِ الْجِينِيّ عَنْ تَدَفُّقٍ عِرْقِيٍّ حِثِّيٍّ انْسَابَ مِنْ مَنَاطِقِ غَرْبِ الْأَنَاضُولِ، مُثْبِتَةً وُجُودَ مُكَوِّنٍ وِرَاثِيٍّ يَرْتَدُّ فِي أُصُولِهِ إِلَى جَنُوبِ أُورُوبَّا وَمَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِتُرْكِيَا وَالشَّمَالِ السُّورِيّ، إِذْ انْصَهَرَتْ بَقَايَا النُّخَبِ الْحِثِّيَّةِ مَعَ شُعُوبِ السَّاحِلِ السُّورِيِّ الْقَدِيمِ عَبْرَ مُصَاهَرَاتٍ مَعَ الْأَرْوَادِيّينَ وَالْحَمَاتِيّينَ مِنْ أَحْفَادِ الْكَنْعَانِيّينَ، حَامِلِينَ بَيْنَ جِينَاتِهِمْ جُذُوراً حِثِّيَّةً مَوْرُوثَةً عَبْرَ خُطُوطِ الْأُمُومَةِ تَارَةً، وَمِنْ خِلَالِ التَّحَالُفَاتِ الْقَبَلِيَّةِ الْغَابِرَةِ تَارَةً أُخْرَى[10].

لُغَةُ الْپِلَشْتِيم

تُشِيرُ الأَبْحَاثُ الأَثَرِيَّةُ وَالأَنْثُرُوبُولُوجِيَّةُ الحَدِيثَةُ، وَمِنْهَا دِرَاسَاتُ "بَعْثَةِ لِيُون لِيفِي الاسْتِكْشَافِيَّةِ" فِي عَسْقَلَانَ (Leon Levy Expedition)، إِلَى أَنَّ "الپِلِشْتِيم" هُمْ شُعُوبٌ هَاجَرَتْ مِنْ مِنْطَقَةِ "الأَخْضَرِ العَظِيمِ" (بَحْرِ إِيْجَةَ)[11]، حَامِلِينَ مَعَهُمْ فِي بِدَايَةِ اسْتِيطَانِهِمْ لُغَةً هِنْدُوأُورُوبِيَّةً بَدَائِيَّةً غَيْرَ سَامِيَّةٍ، تَقْتَرِبُ فِي خَصَائِصِهَا مِنَ المِينُوِيَّةِ

فِي نُصُوصٍ أُخْرَى أُشِيرَ إِلَى تِلْكَ الجُزُرِ بِوَصْفِ "تَانِي–تِيرُ" (Tany–Teru) أَيْ "أَرَاضِي الجُزُرِ".

وَالْمِيكِينِيَّةِ. وَعِنْدَ وُصُولِهِمْ نَحْوَ عَامِ أَلْفٍ وَمِائَةٍ وَخَمْسَةٍ وَسَبْعِينَ قَبْلَ المِيلَادِ، اسْتَخْدَمُوا تِلْكَ اللُّغَةَ الَّتِي عَثَرَ البَاحِثُونَ عَلَى شَوَاهِدَ لَهَا فِي نُقُوشٍ قَلِيلَةٍ فِي تَلِّ الصَّافِي، تَحْمِلُ أَسْمَاءً ذَاتَ أُصُولٍ هِنْدُوأُورُوبِيَّةٍ جَلِيَّةٍ. وَبَعْدَ بَسْطِ سَيْطَرَتِهِمْ عَلَى المُدُنِ الكَنْعَانِيَّةِ الخَمْسِ، وَنَتِيجَةً لِانْدِمَاجِهِمُ السَّرِيعِ، تَبَنَّوْا اللَّهَجَاتِ الكَنْعَانِيَّةَ المَحَلِّيَّةَ فِي غُضُونِ جِيلَيْنِ عَلَى الأَرْجَحِ، فَبِحُلُولِ القَرْنِ التَّاسِعِ قَبْلَ المِيلَادِ، أَضْحَتْ نُقُوشُهُمْ، كَنَقْشِ عَقْرُونَ، تُدَوَّنُ بِلُغَةٍ كَنْعَانِيَّةٍ مَحْضَةٍ قَرِيبَةٍ جِدّاً مِنَ الفِينِيقِيَّةِ والعِبْرِيَّةِ القَدِيمَةِ .

أَمَّا الأَمُورِيُّونَ فَقَدْ تَحَدَّثُوا "**اللُّغَةَ الأَمُورِيَّةَ**" الَّتِي تُمَثِّلُ طَوْرًا مِنَ الأَكَّادِيَّةِ البَدَائِيَّةِ، وَتُعَدُّ مِنَ الجُذُورِ الأُولَى لِلُّغَاتِ الكَنْعَانِيَّةِ، حَيْثُ تُصَنَّفُ لُغَةً حَامِيَّةً شَمَالِيَّةً غَرْبِيَّةً. وَرَغْمَ أَنَّهُمْ لَمْ يَتْرُكُوا نُصُوصًا مَكْتُوبَةً طَوِيلَةً بِلُغَتِهِمْ، إِلَّا أَنَّ مَلَامِحَهَا اللُّغَوِيَّةَ اسْتُنْبِطَتْ مِنْ خِلَالِ أَسْمَاءِ الأَعْلَامِ الوَارِدَةِ فِي الوَثَائِقِ الأَكَّادِيَّةِ. أَمَّا الكَنْعَانِيُّونَ فَقَدِ اتَّخَذُوا "**اللُّغَاتِ الكَنْعَانِيَّةَ**" (مِثْلَ الفِينِيقِيَّةِ وَالعِبْرِيَّةِ القَدِيمَةِ)، مَنْهَجًا لِلتَّوَاصُلِ، وَانْفَرَدُوا بِتَطْوِيرِ الأَبْجَدِيَّةِ الأُولَى فِي التَّارِيخِ، مِمَّا أَتَاحَ لِقَبَائِلِهِمُ المُتَعَدِّدَةِ قُدْرَةً فَائِقَةً عَلَى التَّفَاهُمِ المُتَبَادَلِ بِيُسْرٍ وَسَلَاسَةٍ.

وَفِي سِيَاقٍ مُتَّصِلٍ، تُشِيرُ الدِّرَاسَاتُ التَّارِيخِيَّةُ وَالأَثَرِيَّةُ إِلَى أَنَّ مَجْمُوعَاتِ اليَبُوسِيِّينَ، وَالحِوِّيِّينَ، وَالفِرِزِّيِّينَ، وَالجِرْجَاشِيِّينَ، غَالِبًا مَا كَانَتْ تَنْطَوِي تَحْتَ مِظَلَّةِ الشُّعُوبِ الحُورِيَّةِ أَوِ الهِنْدُوآرِيَّةِ الَّتِي انْدَمَجَتْ فِي النَّسِيجِ الكَنْعَانِيِّ؛ حَيْثُ تَحَدَّثُوا لَهَجَاتٍ كَنْعَانِيَّةً حَامِيَّةً. فَالْيَبُوسِيُّونَ مَثَلًا، رُبَّمَا كَانَتْ لُغَتُهُمْ ذَاتَ صِلَةٍ بِالحُورِيَّةِ (وَهِيَ لُغَةٌ مُنْعَزِلَةٌ غَيْرُ سَامِيَّةٍ)، قَبْلَ أَنْ يَتَبَنَّوُا الكَنْعَانِيَّةَ تَدْرِيجِيًّا بِحُكْمِ التَّدَاخُلِ وَالجِوَارِ.

رَغْمَ أَنَّ اللُّغَوِيَّ الأَلْمَانِيَّ أَغُوسْتْ لُودْوِيجْ فُونْ شْلُوتْسِرْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَاغَ مُصْطَلَحَ "اللُّغَاتِ السَّامِيَّةِ"، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَعْتَمِدِ التَّقْسِيمَ السُّلَالِيَّ بِحَذَافِيرِهِ؛ بَلْ جَمَعَ لُغَاتِ الشَّرْقِ الأَوْسَطِ المُشْتَرَكَةِ فِي خَصَائِصِهَا القَوَاعِدِيَّةِ كَالفِينِيقِيَّةِ وَالعِبْرِيَّةِ وَالآرَامِيَّةِ، لِذَا ظَلَّتِ الكَنْعَانِيَّةُ تُصَنَّفُ لُغَوِيًّا ضِمْنَ هَذِهِ المَجْمُوعَةِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ التَّصْنِيفَاتِ السُّلَالِيَّةِ الأُخْرَى.

إِنَّ اسْمَ "فِلَسْطِينَ" لَيْسَ عَلَمًا عَلَى مَفْهُومٍ مُطْلَقٍ أَوْ نِطَاقٍ ثَابِتٍ حُصِرَ فِي حِقْبَةٍ زَمَنِيَّةٍ عَيْنِهَا، بَلْ هُوَ مُصْطَلَحٌ تَارِيخِيٌّ جُغْرَافِيٌّ ضَارِبٌ فِي القِدَمِ، تَبَدَّلَتْ مَعَالِمُهُ وَتَطَوَّرَتْ أَبْعَادُهُ المَجَالِيَّةُ تَبَعًا لِتَعَاقُبِ القُوَى وَالسِّيَادَاتِ الَّتِي أَقَرَّتْهُ؛ فَفِي العُصُورِ الغَابِرَةِ، أُطْلِقَ لَقَبُ "الْبِلِشْتِيم" عَلَى إِحْدَى مَجْمُوعَاتِ شُعُوبِ البَحْرِ المُهَاجِرَةِ، قُبَيْلَ اسْتِيطَانِهِمْ بِالقِسْمِ الجَنُوبِيِّ مِنَ السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ لِلْمُدُنِ "رِتِنُو" كِنَانَ قَدِيمًا، عِنْدَ تِلْكَ البَوَّابَةِ الجَنُوبِيَّةِ الَّتِي مَثَّلَتْ قَصِيَّ حُدُودِ السَّيْطَرَةِ المَرْكَزِيَّةِ آنَذَاكَ، وَفِي القَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ قَبْلَ المِيلَادِ، اسْتَقَرَّ الفِلِسْطِينِيُّونَ "الْبِلِشْتِيم" فِيهَا عَقِبَ صِرَاعَاتٍ مَعَ "الكِينَانِيِّينَ" سُكَّانِ البِلَادِ الأَصْلِيِّينَ، حَيْثُ أَرْسَوْا دَعَائِمَهُمْ فِي خَمْسِ حَوَاضِرَ رَئِيسَةٍ هِيَ: غَزَّةُ وَأَشْدُودُ وَعَسْقَلَانُ وَجَتُّ وَعِقْرُونُ، لِتَبْقَى تُخُومُهُمْ مُتَاخِمَةً لِلْعِبْرَانِيِّينَ (شَعْبِ إِسْرَائِيلَ) مُنْذُ ذَلِكَ العَهْدِ وَحَتَّى عَامِ مِائَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ لِلْمِيلَادِ.

فِي القَرْنِ الثَّامِنِ قَبْلَ المِيلَادِ شَهِدَتْ تِلْكَ الحِقْبَةُ وَالْقَرْنُ الَّذِي تَلَاهُ تَصَاعُدَ القُوَّةِ الْآشُورِيَّةِ (الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْآشُورِيَّةِ الحَدِيثَةِ)، الَّتِي سَيْطَرَتْ عَلَى غَزَّةَ وَبِلَادِ الشَّامِ. فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ، كَانَتْ غَزَّةُ نُقْطَةَ اصْطِدَامٍ رَئِيسِيَّةٍ بَيْنَ الْآشُورِيِّينَ وَالفَرَاعِنَةِ المِصْرِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يُحَاوِلُونَ الحِفَاظَ عَلَى نُفُوذِهِمْ فِي المَنْطِقَةِ.

فِي القَرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ المِيلَادِ، سُبِيَ الفِلِسْطِينِيُّونَ مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَابِلَ، وَاسْتُبْدِلَ شَعْبُهَا بِقُوَّاتٍ أُخْرَى كَمَا فُعِلَ مَعَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ. خَضَعَتْ غَزَّةُ لِسَيْطَرَةِ البَابِلِيِّينَ (فِي عَهْدِ نَبُوخَذ نَصَّرَ)، وَذَلِكَ فِي فَتْرَةِ اسْتِيلَائِهِمْ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ.

فِي بَدَايَاتِ الرُّبْعِ الثَّالِثِ مِنَ الْقَرْنِ السَّادِسِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، بَدَأَتْ سَيْطَرَةُ الْفُرْسِ (الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْأَخْمِينِيَّةِ) عَلَى بِلَادِ الشَّامِ، فَأَخْضَعَتْ غَزَّةَ لِسُلْطَانِهَا زَمَناً طَوِيلاً قَبْلَ وُصُولِ الْإِسْكَنْدَرِ الْمَقْدُونِيّ.

وَفِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، دَخَلَ اسْمُهَا عَبْرَ التَّارِيخِ عَلَى يَدِ الرَّحَّالَةِ الْجُغْرَافِيّ هِيرُودُوتُس. حَيْثُ أَدْرَجَهَا ضِمْنَ قَائِمَةِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى الْحُدُودِ الْمُتَاخِمَةِ لِبِلَادِ الْعَرَبِ، وَالْمُحِيطَةِ بِمِنْطَقَةِ سُورِيَا (الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا بِاسْمِ بِلَادِ الشَّامِ).

فِي أَوَاخِرِ الرُّبْعِ الْأَوَّلِ مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ قَبْلَ الْمِيلَادِ، خَضَعَتْ غَزَّةُ لِلسَّيْطَرَةِ الهِلّينِيَّةِ، حَيْثُ دَخَلَتْ رَسْمِيًّا تَحْتَ حُكْمِ الْعَصْرِ الْهِلِنِيّ.

فِي النّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ الْأَوَّلِ قَبْلَ المِيلَادِ، وَبِالتَّحْدِيدِ فِي عَامِ **63** قَبْلَ المِيلَادِ، حَكَمَهَا الرُّومَانُ. وَبَقِيَتْ تَحْتَ حُكْمِهِمْ إِلَى القَرْنِ السَّابِعِ المِيلَادِيّ (عَامِ **634** م)، قُبَيْلَ ظُهُورِ الِاحْتِلَالِ الْإِسْلَامِيّ لِلْمَدِينَةِ.

فِي الْقَرْنِ الثَّانِي الْمِيلَادِيّ، بَعْدَ قَمْعِ الثَّوْرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الثَّانِيَةِ، قَرَّرَ الْإِمْبَرَاطُورُ الرُّومَانِيُّ هَادْرِيَانُ تَغْيِيرَ اسْمِ الْمُقَاطَعَةِ مِنْ "يُودَايَا" (يَهُوذَا) إِلَى "سُورِيَا بَالِسْتِينَا". كَانَ الْهَدَفُ سِيَاسِيًّا وَإِدَارِيًّا، حَيْثُ شَاعَ الِاسْمُ اللاتِينِيُّ "بَالِسْتِينَا" مُنْذُ ذَلِكَ الحِينِ لِيُطْلَقَ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ.

خَرِيطَةُ "بُومْبُونِيُوس مِيلَا" الجُغْرَافِيُّ الرُّومَانِيُّ الَّذِي عَاشَ فِي القَرْنِ الأَوَّلِ المِيلَادِيّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ بِجِوَارِ إِقْلِيمِ يَهُوذَا



عَقِبَ قَمْعِ ثَوْرَةِ بَارْ كُوخْبَا فِي سَنَةِ **135** م، قَامَ الإِمْبَرَاطُورُ هَادْرِيَانُ بِإِجْرَاءَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ لِمَحْوِ الهُوِيَّةِ اليَهُودِيَّةِ لِلْمِنْطَقَةِ. أَوَّلُهُمَا، أَنْ أَطْلَقَ عَلَى القُدْسِ اسْمًا جَدِيدًا هُوَ إِيلِيَا كَابِيتُولِينَا وَأَصْدَرَ مَرْسُومًا يَمْنَعُ اليَهُودَ مِنْ دُخُولِهَا. وَقَدْ جَاءَ اسْمُ إِيلِيَا مُشْتَقًّا مِنْ اسْمِهِ (بُوبْلِيُوسُ أَيْلِيُوسُ هَادْرِيَانُ)، بَيْنَمَا اشْتُقَّ اسْمُ كَابِيتُولِينَا مِنْ جُوبِيتِرَ كَابِيتُولِينُوسَ، أَعْظَمِ آلِهَةِ الرُّومَانِ، حَيْثُ بَنَى لَهُ مَعْبَدًا عَلَى مَوْقِعِ الهَيْكَلِ المُدَمَّرِ. أَمَّا ثَانِي الإِجْرَاءَيْنِ، فَكَانَ دَمْجَ إِقْلِيمِ يَهُودَا مَعَ سُورِيَا لِيُصْبِحَ مُقَاطَعَةً وَاحِدَةً بِاسْمِ سُورِيَا فِلَسْطِينَا.

العَهْدُ البِيزَنْطِيُّ

فِي العَهْدِ البِيزَنْطِيّ، وَفِي حُدُودِ عَامِ تِسْعِينَ وَثَلَاثِمِئَةٍ (390) مِيلَادِيَّةً تَقْرِيبًا (نِهَايَةُ القَرْنِ الرَّابِعِ المِيلَادِيّ)، أَعَادَتِ الإِدَارَةُ الرُّومَانِيَّةُ البِيزَنْطِيَّةُ تَنْظِيمَ المِنْطَقَةِ. وَقَدْ مَثَّلَ هَذَا التَّقْسِيمُ نُقْطَةَ البِدَايَةِ فِي تَغْيِيرِ وَتَوْسِيعِ الإِقْلِيمِ الجَدِيدِ لِفِلَسْطِينَ، الَّتِي كَانَتْ مُنْذُ نَشْأَتِهَا (مُنْذُ القَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ قَبْلَ المِيلَادِ) مُحَدَّدَةً فَقَطْ بِإِقْلِيمِ المُدُنِ الخَمْسِ الرَّئِيسَةِ "غَزَّةَ وَأَشْدُودَ، وَعَسْقَلُونَ /أَشْقَلُونَ، وَجَتَّ وَعِقْرُونَ". وَتَبَعًا لِهَذَا التَّقْسِيمِ، ضُمَّتْ عَكَّا إِلَى إِقْلِيمِ فِينِيقِيَا الأُولَى الَّذِي كَانَتْ عَاصِمَتُهُ صُورَ، بَيْنَمَا ضُمَّتْ نَابُلُسُ وَالقُدْسُ وَغَزَّةُ إِلَى إِقْلِيمِ فِلَسْطِينَ الأُولَى.

فِي القَرْنِ السَّابِعِ المِيلَادِيّ، عِنْدَمَا اسْتَوْطَنَ المُسْلِمُونَ بِلَادَ الشَّامِ فِي عَهْدِ الخِلَافَةِ الَّتِي بَدَأَتْ بِالخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَمِنْهُمْ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، وَتَلَتْهَا الدَّوْلَتَانِ الأُمَوِيَّةُ وَالعَبَّاسِيَّةُ؛ تَمَّ تَنْظِيمُ المَنَاطِقِ إِدَارِيًّا فِي عِدَّةِ مُقَاطَعَاتٍ عُرِفَتْ بِالجُنْدِ أَوْ الأَجْنَادِ. كَانَتْ إِحْدَى هَذِهِ الْمُقَاطَعَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ تُسَمَّى "جُنْدَ فِلَسْطِينَ" الَّتِي شَمِلَتْ نَابُلُسَ وَالْخَلِيلَ وَالْقُدْسَ وَغَزَّةَ وَبَيْتَ لَحْمٍ وَأَرِيحَا، بَيْنَمَا كَانَتْ طَبَرِيَّةُ وَعَكَّا وَحَيْفَا ضِمْنَ جُنْدِ الأُرْدُنّ. وَقَدْ ظَلَّ هَذَا التَّقْسِيمُ الإِدَارِيُّ سَارِيًا فِي بِلَادِ الشَّامِ طَوَالَ العُصُورِ الوُسْطَى.

الخِلَافَةِ الفَاطِمِيَّةِ وَالسَّلَاجِقَةِ

شَهِدَتِ المِنْطَقَةُ فِي تِلْكَ المَرْحَلَةِ صِرَاعًا عَلَى السَّيْطَرَةِ وَتَقْسِيمَاتٍ مُتَغَيِّرَةً، فَقَدْ تَنَاوَبَ الفَاطِمِيُّونَ وَالسَّلَاجِقَةُ عَلَيْهَا. وَأَحْيَانًا كَانَتِ المُدُنُ مُحَافَظَاتٍ مُسْتَقِلَّةً تَابِعَةً لِعَوَاصِمَ كُبْرَى كَالقَاهِرَةِ أَوْ دِمَشْقَ.وَبِشَكْلٍ عَامٍّ، فَإِنَّ المَنَاطِقَ القَرِيبَةَ مِنَ الحِجَازِ وَمِصْرَ (كَالقُدْسِ وَغَزَّةَ) كَانَتْ غَالِبًا فِي فَلَكِ القَاهِرَةِ الفَاطِمِيَّةِ، بَيْنَمَا المَنَاطِقُ الشَّمَالِيَّةُ وَالوُسْطَى (كَعَكَّا وَحَيْفَا وَمَا فَوْقَهُمَا) كَانَتْ تَخْضَعُ لِنُفُوذِ دِمَشْقَ (السَّلْجُوقِيَّةِ أَوِ الزِّنْكِيَّةِ لَاحِقًا)، مَعَ مُلَاحَظَةِ التَّقَلُّبَاتِ الشَّدِيدَةِ وَالحُرُوبِ الدَّائِمَةِ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ.

العَهْدُ المَمْلُوكِيُّ

فِي ظِلِّ الحُكْمِ المَمْلُوكِيِّ، كَانَ التَّقْسِيمُ الإِدَارِيُّ يَعْتَمِدُ عَلَى نِيَابَاتٍ (وِلَايَاتٍ). وَقَدْ شَكَّلَتْ نِيَابَةُ صَفَدَ إِحْدَى النِّيَابَاتِ الرَّئِيسِيَّةِ التَّابِعَةِ لِمَمْلَكَةِ دِمَشْقَ، وَكَانَتْ هَذِهِ النِّيَابَةُ تَضُمُّ مُدُنَ الجَلِيلِ وَسَاحِلَهُ كَعَكَّا، وَكَذَلِكَ بَعْضَ مَنَاطِقِ نَابُلُسَ الشَّمَالِيَّةِ أَوِ القَرِيبَةِ.

أَمَّا القُدْسُ وَالخَلِيلُ، فَنَظَرًا لِأَهَمِّيَّتِهِمَا الدِّينِيَّةِ، أَطْلَقَ المَمَالِيكُ عَلَيْهِمَا لَقَبَ "نِيَابَةِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ"، وَجُعِلَتَا مُقَاطَعَةً إِدَارِيَّةً مُسْتَقِلَّةً تَتْبَعُ مُبَاشَرَةً لِسُلْطَانِ المَمَالِيكِ فِي القَاهِرَةِ فِي أَغْلَبِ الفَتَرَاتِ.

الْعَهْدُ الْعُثْمَانِيُّ

فِي بِدَايَةِ العَهْدِ العُثْمَانِيِّ عَامَ ١٥٤٩ م، كَانَ التَّقْسِيمُ الْإِدَارِيُّ لِبِلَادِ الشَّامِ يَرْتَكِزُ عَلَى تَقْسِيمِ المِنْطَقَةِ إِلَى إِيَالَتَيْنِ رَئِيسِيَّتَيْنِ هُمَا إِيَالَةُ دِمَشْقَ وَإِيَالَةُ حَلَبَ، وَقَدْ ضَمَّتْ إِيَالَةُ دِمَشْقَ حِينَئِذٍ سَنَاجِقَ السَّاحِلِ الجَنُوبِيِّ وَدَاخِلَهُ، مِثْلَ سَنْجَقِ صَفَدَ وَسَنْجَقِ نَابُلُسَ، وَكَذَلِكَ مُدُنُ عَكَّا وَبَيْرُوتَ وَحَيْفَا وَالنَّاصِرَةِ وَإِقْلِيمَ الجْلِيلِ الَّتِي كَانَتْ تَابِعَةً إِدَارِيًّا لِأَيٍّ مِنْ تِلْكَ السَّنَاجِقِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي إِيَالَةِ دِمَشْقَ.

وَبِحُلُولِ عَامِ ١٥٧٩ م، تَمَّ تَعْقِيدُ التَّقْسِيمِ الإِدَارِيِّ، حَيْثُ اسْتُحْدِثَتْ إِيَالَةُ طَرَابُلُسَ الشَّامِ، وَالَّتِي ضَمَّتْ سَنَاجِقَ طَرَابُلُسَ وَاللَّاذِقِيَّةَ وَحَمَاةَ وَحِمْصَ. بَيْنَمَا ظَلَّتْ سَنَاجِقُ السَّاحِلِ وَالجَنُوبِ، كَنَابُلُسَ وَصَفَدَ وَبَيْرُوتَ وَعَكَّا، تَابِعَةً لِإِيَالَةِ دِمَشْقَ.

وَفِي وَقْتٍ لَاحِقٍ، عَامَ ١٨٨٨ م، تَمَّ فَصْلُ خَمْسَةِ سَنَاجِقَ (أَلْوِيَةٍ) رَئِيسِيَّةٍ، هِيَ: سَنْجَقُ بَيْرُوتَ، وَسَنْجَقُ طَرَابُلُسَ، وَسَنْجَقُ اللَّاذِقِيَّةِ، وَسَنْجَقُ عَكَّا، وَسَنْجَقُ نَابُلُسَ، عَنْ وِلَايَةِ سُورِيَا (دِمَشْقَ سَابِقًا)، لِتَشْكِيلِ وِلَايَةِ بَيْرُوتَ الجَدِيدَةِ.تَبِعَتْ كُلٌّ مِنْ حَيْفَا وَالنَّاصِرَةِ وَمِنْطَقَةُ الجْلِيلِ وِلَايَةَ بَيْرُوتَ مُنْذُ عَامِ ١٨٨٨ م، بِصِفَتِهَا أَجْزَاءً

إِدَارِيَّةً ضِمْنَ سَنْجَقِ عَكَّا الَّذِي كَانَ أَحَدَ الْأَلْوِيَةِ الَّتِي فُصِلَتْ عَنْ وِلَايَةِ سُورِيَا لِتَشْكِيلِ وِلَايَةِ بَيْرُوتَ الجَدِيدَةِ.

الِانْتِدَابُ الْبِرِيطَانِيُّ

بَعْدَ نِهَايَةِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى وَسُقُوطِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، أُعِيدَ تَرْسِيمُ الْخَرِيطَةِ السِّيَاسِيَّةِ لِبِلَادِ الشَّامِ بِمُوجَبِ اتِّفَاقِيَّةِ سَايْكِسْ-بِيكُو وَمُقَرَّرَاتِ مُؤْتَمَرِ سَانْ رِيمُو (١٩٢٠ م). وَبِذَلِكَ، تَمَّ تَقْسِيمُ الْمِنْطَقَةِ بَيْنَ قُوَّتَيِ الِانْتِدَابِ الرَّئِيسِيَّتَيْنِ فَرَنْسَا وَبرِيطَانِيَا. **وَقَدْ مَثَّلَ هَذَا التَّقْسِيمُ تَوْسِيعًا إِقْلِيمِيًّا لِلْكِيَانِ الْجَدِيدِ لِفِلَسْطِينَ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ عَبْرَ التَّارِيخِ مُنْذُ نَشْأَتِهَا، وَلِلْمَرَّةِ الْأُولَى مُنْذُ نِهَايَةِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ**، حَيْثُ تَمَّ تَرْسِيمُ الْحُدُودِ النِّهَائِيَّةِ بَيْنَ الْمَنْطِقَةِ الَّتِي خَضَعَتْ لِلِانْتِدَابِ الْفَرَنْسِيِّ (لُبْنَانَ وَسُورِيَا) وَالْمَنْطِقَةِ الَّتِي خَضَعَتْ لِلِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيِّ (فِلَسْطِينَ وَشَرْقِ الْأُرْدُنِّ) بِمُوجَبِ اتِّفَاقِيَّةِ بُولِيْت-نِيُوكُومْب عَامَ ١٩٢٣ م. هَذِهِ الِاتِّفَاقِيَّةُ رَسَّخَتْ خُرُوجَ الْجَلِيلِ وَمُدُنِهِ كَعَكَّا وَحَيْفَا وَالنَّاصِرَةِ مِنْ تَبَعِيَّةِ لُبْنَانَ، وَوَضَعَتْهَا جَمِيعَهَا ضِمْنَ حُدُودِ فِلَسْطِينَ.

قَرَارُ التَّقْسِيمِ الْأُمَمِيِّ

فِي عَامِ ١٩٤٧ م، صَدَرَ قَرَارُ جَمْعِيَّةِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ رَقْمُ ١٨١ (**خُطَّةُ التَّقْسِيمِ**) بِإِنْشَاءِ دَوْلَتَيْنِ مُسْتَقِلَّتَيْنِ (**عَرَبِيَّةٍ وَإِسْرَائِيلِيَّةٍ**)، رَسَمَتْ بِذَلِكَ حُدُودًا مُتَعَرِّجَةً لِكُلِّ دَوْلَةٍ.

وَقَدْ مَثَّلَتْ هَذِهِ الْخُطَّةُ تَقْسِيمًا إِقْلِيمِيًّا لِلْكِيَانِ الْجَدِيدِ لِفِلَسْطِينَ لِلْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ عَبْرَ التَّارِيخِ مُنْذُ نَشْأَتِهَا. غَيْرَ أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ بَقِيَ نَظَرِيًّا تَقْرِيبًا، إِذْ لَمْ يُنَفَّذْ فِعْلِيًّا عَلَى الْأَرْضِ؛ لِأَنَّ الْقِيَادَاتِ الْإِسْلَامِيَّةَ رَفَضَتِ الْخُطَّةَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، مِمَّا جَعَلَ أَيَّ تَنْفِيذٍ سِلْمِيٍّ لَهَا مُسْتَحِيلًا. وَهَكَذَا، دَخَلَتِ الْقُوَّاتُ فِي الْحَرْبِ مُبَاشَرَةً بَعْدَ إِنْهَاءِ الِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيِّ.

مَلَامِحُ خَارِطَةِ التَّقْسِيم

تُبَيِّنُ خَارِطَةُ التَّقْسِيمِ فِي الْقَرَارِ ١٨١ أَنَّ الْقَرَارَ قَسَّمَ الْأَرْضَ إِلَى قِطَاعَاتٍ ثَلَاثٍ مُتَعَرِّجَةٍ:شَمِلَ إِقْلِيمُ الدَّوْلَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ الْجَلِيلَ الشَّرْقِيَّ بِمَا فِي ذَلِكَ بُحَيْرَةُ طَبَرِيَّا، وَالسَّهْلَ السَّاحِلِيَّ مِنْ حَيْفَا حَتَّى جَنُوبِ تَلْ أَبِيبَ، وَالنَّقَبَ كَامِلًا إِلَى إِيلَاتَ فِي الْمُقَابِلِ، شَمِلَ الْإِقْلِيمُ الْإِسْلَامِيُّ (الْمُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْقَرَارِ بِالْعَرَبِيّ) الْجَلِيلَ الْغَرْبِيَّ بِمَا فِي ذَلِكَ عَكَّا، وَالضَّفَّةَ الْغَرْبِيَّةَ الْجَبَلِيَّةَ مِثْلَ نَابُلُسَ وَجَنِينَ وَالْخَلِيلِ، وَمِنْطَقَةَ غَزَّةَ وَبِئْرِ السَّبْعِ. أَمَّا الْقُدْسُ، فَبَقِيَتْ مِنْطَقَةً خَاصَّةً مُنْفَصِلَةً عَنِ الدَّوْلَتَيْنِ تَحْتَ وَصَايَةٍ دَوْلِيَّةٍ. وَلَكِنْ، نَتِيجَةَ حَرْبِ عَامِ أَلْفٍ وَتِسْعِ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ خَضَعَتْ مُدُنُ الضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ وِفْقًا لِمَا يُعْرَفُ بِاتِّفَاقِيَّةِ خُطُوطِ الْهُدْنَةِ لِإِدَارَةِ الْأُرْدُنِّ الَّتِي ضَمَّتْهَا عَامَ أَلْفٍ وَتِسْعِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ، وَخَضَعَ قِطَاعُ غَزَّةَ لِإِدَارَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ مِنْ قِبَلِ الْمَمْلَكَةِ الْمِصْرِيَّةِ ثُمَّ جُمْهُورِيَّةِ مِصْرَ دُونَ ضَمٍّ رَسْمِيٍّ.

اِتِّفَاقُ أُوسْلُو أَيْلُولُ 1993م

إِنَّ خُلَاصَةَ اِتِّفَاقِ أُوسْلُو فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِحَلِّ الدَّوْلَتَيْنِ تَتَمَحْوَرُ حَوْلَ مَرْحَلَةٍ انْتِقَالِيَّةٍ تُؤَدِّي إِلَى تَسْوِيَةٍ نِهَائِيَّةٍ دَائِمَةٍ،وَهِيَ تَتَلَخَّصُ فِي المَبَادِئِ التَّالِيَةِ:

- ☑ اعْتَرَفَتْ المُنَظَّمَةُ الفِلَسْطِينِيَّةِ بِدَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ، واعْتَرَفَتْ إِسْرَائِيلُ بِالْمُنَظَّمَةِ مُمَثِّلًا شَرْعِيًّا لِلشَّعْبِ الفِلَسْطِينِيِّ فَقَطْ، دُونَ اِعْتِرَافٍ بِدَوْلَةٍ.
- ☑ تَمَّ الاِتِّفَاقُ عَلَى إِنْشَاءِ سُلْطَةِ حُكْمٍ ذَاتِيٍّ مُؤَقَّتٍ لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ، وَهِيَ مَا عُرِفَتْ لاَحِقًا بِالسُّلْطَةِ الوَطَنِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ.
- ☑ بَدْءُ اِنْسِحَابِ الجَيْشِ الإِسْرَائِيلِيِّ مِنْ قِطَاعِ غَزَّةَ وَمِنْطَقَةِ أَرِيحَا فِي الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وَنَقْلُ مَسْؤُولِيَّةِ الحُكْمِ المَدَنِيِّ لَهُمَا.

تَعَثَّرَتْ مُفَاوَضَاتُ الوَضْعِ النِّهَائِيِّ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ، خَاصَّةً بَعْدَ مُحَاوَلَتَيْ كَمْب دَيْفِيد وَطَابَا. وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، زَادَتْ مُعَارَضَةُ حَرَكَةِ حَمَاسَ لِاِتِّفَاقِ أُوسْلُو، وَانْشِقَاقُهَا

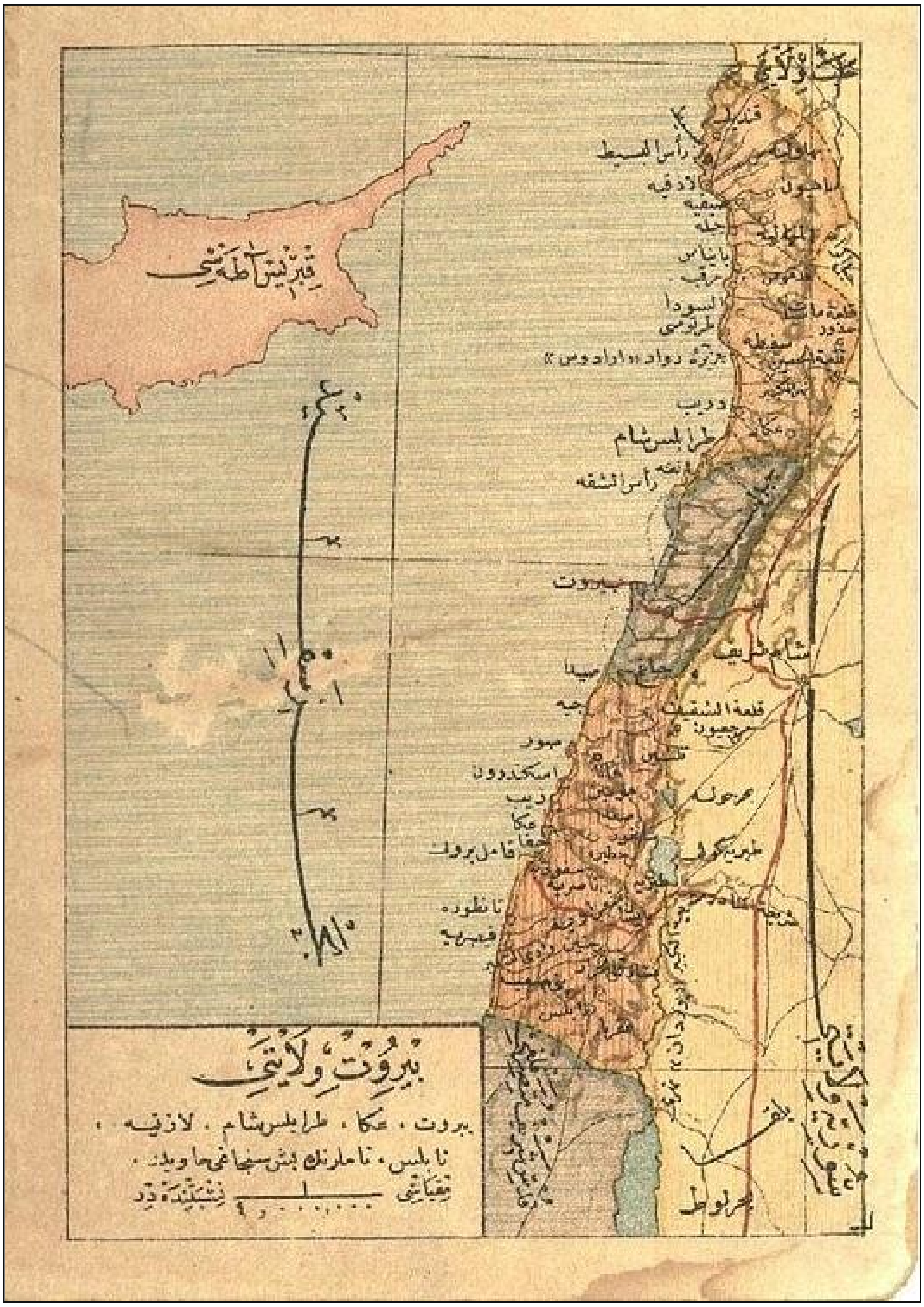
عَنْ مَسَارِ الْمُنَظَّمَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَقُودُهَا يَاسِرُ عَرَفَاتُ، نَابِعَةً مِنْ أَسْبَابٍ عَقَائِدِيَّةٍ عَمِيقَةٍ قَبْلَ السِّيَاسِيَّةِ. وَهِيَ:

أَوَّلاً: تَرْفُضُ حَمَاسُ مُبْدَئِيًّا الاِعْتِرَافَ بِدَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ أَوِ التَّنَازُلَ عَنْ أَيِّ جُزْءٍ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ الاِنْتِدَابِيَّةِ الَّتِي رُسِمَتْ بِمُوجَبِ اِتِّفَاقِيَّةِ بُولِيْت–نِيُوكُومْب عَامَ ١٩٢٣م.

ثَانِياً: اِعْتَبَرَتْ حَمَاسُ أَنَّ اتِّفَاقَ أُوسْلُو سَكَتَ عَمْداً عَنْ ذِكْرِ الدَّوْلَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ مُبَاشَرَةً، وَاكْتَفَى بِتَأْسِيسِ حُكْمٍ ذَاتِيٍّ مُؤَقَّتٍ مَحْدُودِ السُّلْطَةِ وَالسَّيَادَةِ، وَهُوَ مَا يَعْنِي تَرْسِيخاً لِقِيَامِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ بِشَكْلٍ آخَرَ. مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ التَّارِيخُ مُنْذُ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ إِلَى يَوْمِنَا الْحَالِيِّ قِيَامَ دَوْلَةٍ اسْمُهَا فِلَسْطِينُ كَكَيَانٍ سِيَاسِيٍّ مُسْتَقِلٍّ ذِي سِيَادَةٍ كَامِلَةٍ بِمَفْهُومِ الدَّوْلَةِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ، لَهُ حُدُودٌ وَحُكُومَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ وَجَيْشٌ خَاصٌّ.

مُنْذُ أَنِ احْتَلَّ الْمُسْلِمُونَ أَرْضَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْمِيلَادِيِّ وَحَتَّى نِهَايَةِ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ، لَمْ يَشْهَدِ التَّارِيخُ ظُهُورَ أَيِّ حَرَكَةٍ أَوْ فَرْدٍ طَالَبَ بِالِانْفِصَالِ عَنِ الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ لِتَأْسِيسِ دَوْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ بِمُسَمَّى فِلَسْطِينَ؛ إِذْ كَانَ الْوَلَاءُ السِّيَاسِيُّ قَائِماً عَلَى الِانْتِمَاءِ لِدَوْلَةِ الْخِلَافَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ بِمُخْتَلِفِ سُلَالَاتِهَا. وَلَمْ تَبْدَأْ مَلَامِحُ تَبَلْوُرِ الْمَفْهُومِ السِّيَاسِيِّ لِلْمُقَاوَمَةِ وَمَا يُسَمَّى الْهُوِيَّةُ الْقَوْمِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ إِلَّا مَعَ بِدَايَاتِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ وَفَتْرَةِ الِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيِّ، حَيْثُ تَزَامَنَ هَذَا التَّحَوُّلُ مَعَ انْطِلَاقِ الِاكْتِشَافَاتِ الْأَثَرِيَّةِ وَإِعَادَةِ قِرَاءَةِ التَّارِخِ الدِّينِيِّ لِلْمِنْطَقَةِ. وَفِي خِضَمِّ هَذِهِ الْمُتَغَيِّرَاتِ، بَرَزَ دَوْرُ مُفْتِي الْقُدْسِ آنَذَاكَ الْحَاجِّ أَمِينِ الْحُسَيْنِيِّ الَّذِي وَظَّفَ الرَّمْزِيَّةَ الدِّينِيَّةَ تَحْتَ مُسَمَّى «أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ وَثَالِثُ الْحَرَمَيْنِ»، حِينَئِذٍ صَاغَ فَتَاوَى وَمَوَاقِفَ سِيَاسِيَّةٍ لِمُوَاجَهَةِ السُّلْطَاتِ الِانْتِدَابِيَّةِ، خُصُوصاً خِلَالَ حَمَلَاتِ تَرْمِيمِ الْمَسْجِدِ وَأَحْدَاثِ حَائِطِ الْبُرَاقِ عَامَ 1929، ذَرِيعَةً لِلدَّعْمِ السِّيَاسِيِّ وَالْمَالِيِّ مِنَ الْحُكَّامِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعْبِئَةِ الْمَشَاعِرِ الْعَامَّةِ وَتَأْسِيسِ مَفْهُومِ الصِّرَاعِ الْحَدِيثِ الْمُوَجَّهِ ضِدَّ السُّلْطَةِ الْجَدِيدَةِ.

خَرِيطَةُ وِلَايَةِ بَيْرُوتَ تَعُودُ لِعَامِ 1890م



مَعَالِمُ القُدْسِ الجُغْرَافِيَّةُ

مَهْدُ المَدِينَةِ

إِنَّ ظَهْرَ الصُّخُورِ الْمُسْتَدِيرَةِ بَيْنَ وَادِي تِيرُوبِيُونَ وَوَادِي قَدْرُونَ كَانَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مَوْضِعَ أُورَشَلِيمَ الْأَصْلِيَّ.وَهُوَ الْمُسَمَّى أُوفَلَ، الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْحِصْنُ الْيَبُوسِيُّ الْقَدِيمُ، الَّذِي يُسَمَّى اليَوْمَ "مَدِينَةَ دَاوُدَ" عَلَى تَلَّةِ سِلْوَانَ، المُحَاذِيَةِ لِتَلَّةِ أَوْ جَبَلِ المُرْيَا. وَالطَّرَفُ الجَنُوبِيُّ يَرْتَفِعُ بِسُرْعَةٍ مِنَ الوَادِي فِي الأَسْفَلِ حَيْثُ يَتَّصِلُ تِيرُوبِيُونُ بِقَدْرُونَ، وَطَرَفُ التَّلِّ الشَّمَالِيُّ تَلُّ الْمُرَيَّا. حَيْثُ تَمْتَدُّ كُتْلَةٌ صَخْرِيَّةٌ مِنْ وَادِي تِيرُوبِيُونَ غَرْبًا إِلَى وَادِي قَدْرُونَ شَرْقًا، مُشَكِّلَةً جُرُفًا بَارِزًا مِنَ الصَّخْرِ الْأَصْلِيِّ. يَتَرَاوَحُ ارْتِفَاعُهُ مَا بَيْنَ 131 إِلَى 197 قَدَمًا عَنْ قَاعِ وَادِي قَدْرُونَ، وَيُقَارِبُ 66 إِلَى 98 قَدَمًا عَنْ وَادِي تِيرُوبِيُونَ الَّذِي رُدِمَتْ أَجْزَاءٌ كَبِيرَةٌ مِنْهُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ.

كَانَتْ تُحِيطُ بِالمَدِينَةِ وَادِيَانِ؛ وَادِي قَدْرُونَ شَرْقًا، وَوَادِي تِيرُوبِيُونَ غَرْبًا عَلَى مِنْطَقَةِ الْالْتِقَاءِ مَعَ وَادِي هَنُّومَ وَوَادِي قَدْرُونَ فِي الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ لِلْمَدِينَةِ. هذة الأَوْدِيَةُ الْمُنْحَدِرَةُ كَانَ يَتَرَاوَحُ عُمْقُهَا مِنْ مِئَةِ قَدَمٍ إِلَى ثَلَاثِ مِئَةٍ. تَحْتَتْهَا تَمَامًا عَيْنٌ صَيْفِيَّةٌ كَانَتْ ضَرُورِيَّةً لِحَيَاةِ سُكَّانِ المَدِينَةِ الأَوَّلِينَ، وَلِذَلِكَ يُمْكِنُنَا أَنْ نَفْهَمَ لِمَاذَا اعْتَبَرَ اليَبُوسِيُّونَ أَنَّ مَدِينَتَهُمْ يَسْتَحِيلُ اقْتِحَامُهَا.

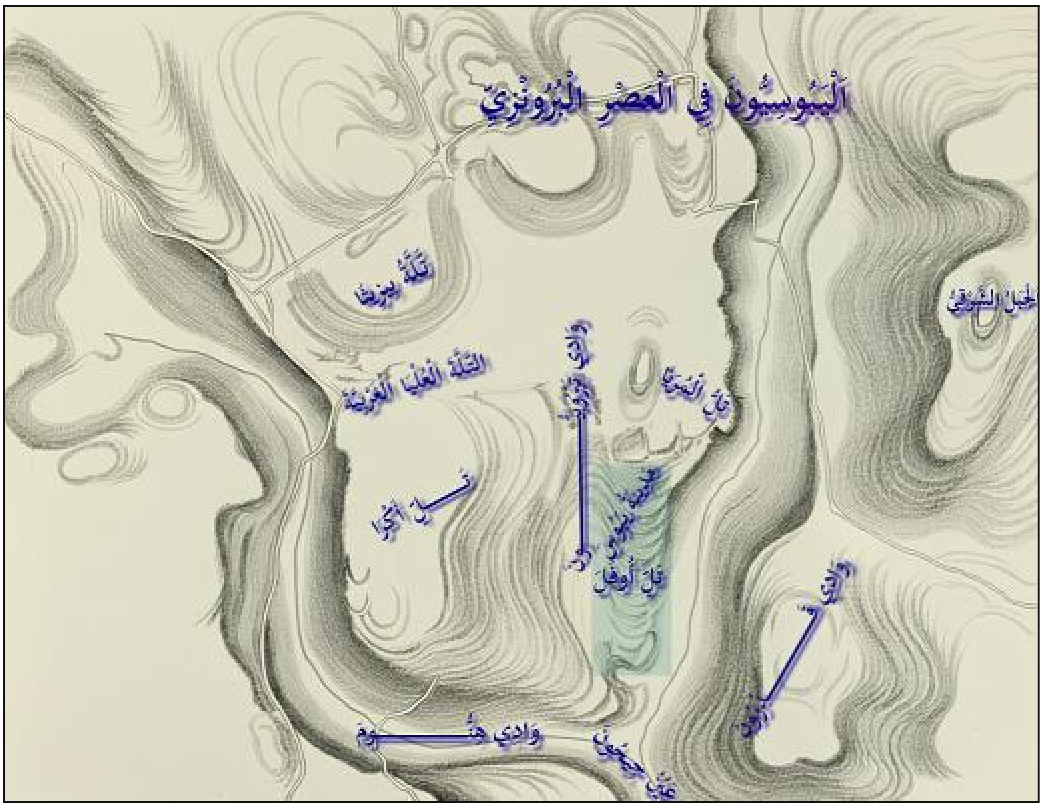
اتِّسَاعُهَا

إِنَّ مِسَاحَةَ تَلِّ عَوْفَلَ كَانَتْ تَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ اثْنَيْ عَشَرَ إِلَى خَمْسَةَ عَشَرَ دُونَمًا تَقْرِيبًا (أَيْ نَحْوُ ثَلَاثَةِ فَدَادِينَ إِلَى أَرْبَعَةِ فَدَادِينَ)، وَهِيَ مِسَاحَةٌ كَانَتْ تُعَدُّ كَافِيَةً لِمَدِينَةٍ كَثِيفَةِ السُّكَّانِ فِي الْعُصُورِ الْقَدِيمَةِ، قَبْلَ أَنْ تَمْتَدَّ عَلَى الْأَرْجَحِ لِتَبْلُغَ مُسْتَوَى الْوَادِي فِي الْجَنُوبِ بِالْقُرْبِ مِنْ بِرْكَةِ سِلْوَانَ الْحَالِيَّةِ، عِلْمًا أَنَّ الطَّرَفَ الشَّمَالِيَّ الْيَوْمَ لِتَلِّ عَوْفَلَ أَعْلَى مِنَ الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ، حَيْثُ يَتَصَاعَدُ تَدْرِيجِيًّا كُلَّمَا امْتَدَّ شَمَالًا عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى تُخُومِ تَلِّ الْمُرَيَّا، لِيَبْلُغَ عُلُوُّهُ نَحْوَ أَلْفَيْنِ وَمِائَةٍ وَاثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ قَدَمًا فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ.

خِلَالَ الْعَصْرِ الْبْرُونْزِيّ

يُظْهِرُ مَوْضِعُ سَالِيمَ القَدِيمَةِ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ كَوْنَهُ مِنْ أَعْظَمِ المَوَاضِعِ غَيْرِ الْمُوَافِقَةِ فِي كُلِّ بِقَاعِ المِنْطَقَةِ لِيَكُونَ مَوْضِعَ قَصَبَةٍ؛ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ قَائِمَةً أَوَّلًا عَلَى تَلِّ أُوفَلَ المُنْخَفِضِ، النَّاشِزِ مِنَ الامْتِدَادِ غَيْرِ المُنْتَظِمِ. الَّذِي يَمْتَدُّ جَنُوبًا مِنْ جَبَلِ يَهُوذَا المُتَوَسِّطِ، تُظَلِّلُهَا التِّلَالُ العَالِيَةُ بِقُرْبِهَا، وَلَيْسَ فِيهَا مُرْتَفَعَاتٌ تَصْلُحُ لِأَنْ تَكُونَ قِلَاعًا. وَتَحُدُّهَا شَرْقًا بَرِّيَّةُ اليَهُودِيَّةِ، وَالجِبَالُ وَالأَوْدِيَةُ حَوْلَهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهَا صَخْرِيَّةٌ وَجَرْدَاءُ. وَسَبَبُ بِنَاءِ تِلْكَ المَدِينَةِ أَصْلًا فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ غَيْرِ المُوَافِقِ هُوَ وُجُودُ عَيْنِ جِيحُونَ هُنَاكَ، يُقَالُ لَهَا اليَوْمَ عَيْنُ سِلْوَانَ، عَلَى جَانِبِ وَادِي قَدْرُونَ، جَنُوبَ شَرْقِ أُورَشَلِيمَ الحَالِيَّةِ. وَهَذِهِ العَيْنُ هِيَ العَيْنُ الوَحِيدَةُ الصَّيْفِيَّةُ فِي ذَلِكَ الصَّقْعِ، الَّتِي اسْتَوْجَبَتْ بِنَاءَ مَدِينَةٍ بِقُرْبِهَا قَبْلَ زَمَنِ العِبْرَانِيِّينَ، فِي عَصْرِ اليَبُوسِيِّينَ.

الْيَبُوسِيُّونَ فِي الْعَصْرِ الْبْرُونْزِيِّ



بِدَايَةِ الْعَصْرِ الْحَدِيدِيّ الثَّانِي

تَمَيَّزَتْ حُدُودُ أُورُشَلِيمَ الْقَدِيمَةِ الشَّمَالِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ بِاخْتِلَافٍ عَنْ حُدُودِهَا فِي الْجِهَاتِ الْأُخْرَى. فَبَيْنَمَا شَكَّلَتِ الْأَوْدِيَةُ الطَّبِيعِيَّةُ حُدُودَهَا الشَّرْقِيَّةَ وَالْجَنُوبِيَّةَ وَالْغَرْبِيَّةَ، لَمْ تَحْظَ بِأَيِّ حَدٍّ طَبِيعِيٍّ وَاضِحٍ فِي الشَّمَالِ. إِلَى أَنْ جَاءَ دَاوُدُ الْمَلِكُ وَوَسَّعَ الْمَدِينَةَ وَبَنَى فِيهَا حِصْنَهُ الَّذِي عُرِفَ آنَذَاكَ بِاسْمِ مَدِينَةِ دَاوُدَ، فَأَفْرَزَهَا عَنْ أُورُشَلِيمَ الْأَصْلِيَّةِ. ثُمَّ خَلَفَهُ ابْنُهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ فَأَكْمَلَ تَوْسِيعَ تُخُومِ الْمَدِينَةِ فِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، تَحْدِيدًا عَلَى جَبَلِ الْمُرَيَّا. وَفِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ، وَمَعَ ازْدِيَادِ عَدَدِ السُّكَّانِ، بَدَأَ مُلُوكُ يَهُوذَا فِي تَوْسِيعِ الْمَدِينَةِ بِاتِّجَاهِ التَّلَّةِ الْغَرْبِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْهُولَةً، وَذَلِكَ لِمَوْقِعِهَا الْمُرْتَفِعِ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنَ الْمَدِينَةِ، مُقَابِلَ تَلَّةِ الْمُرَيَّا، الَّتِي سُمِّيَتْ "**التَّلَّةَ الْعُلْيَا الْغَرْبِيَّةَ**". وَبَنَوْا عَلَيْهَا الْأَحْيَاءَ وَالْمَنَازِلَ، حَتَّى أَصْبَحَتْ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنَ الْمَدِينَةِ، الَّتِي عُرِفَتْ بِاسْمِ "**الْمَدِينَةِ الْعُلْيَا**"، لِتَمْيِيزِهَا عَنِ الْمَدِينَةِ السُّفْلَى الْمُنْخَفِضَةِ.

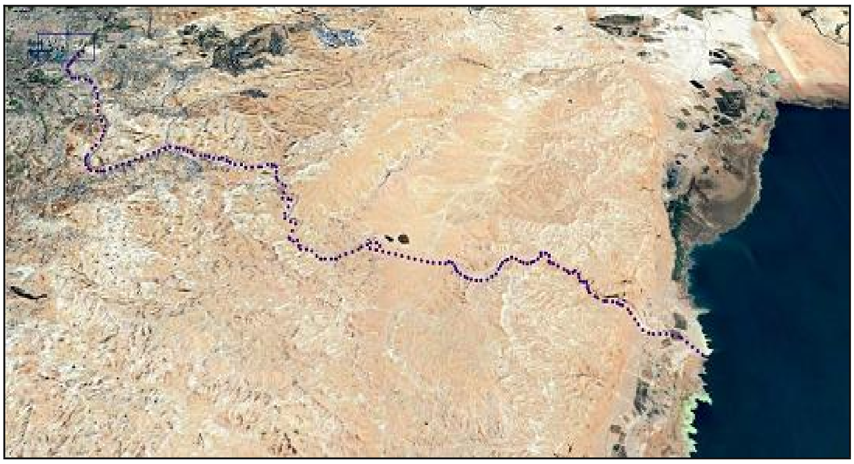
وَادِي قَدْرُونَ

تَبْدَأُ نُقْطَةُ بِدَايَةِ مَسَارِهِ مِنْ"مُنْخَفَضِ مَقَابِرِ السَّلَاطِينِ" أَوْ مَا يُعْرَفُ بِأَعَالِي وَادِي الجَوْزِ فِي الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِلْبَلْدَةِ القَدِيمَةِ، حَيْثُ يَنْحدِرُ الوَادِي هُبُوطاً نَحْوَ الجَنُوبِ لِيَشُقَّ طَرِيقَهُ بَيْنَ المُنْحَدَرَاتِ الشَّرْقِيَّةِ لِأَسْوَارِ المَدِينَةِ وَجَبَلِ الزَّيْتُونِ، ثُمَّ يَنْعَطِفُ تَدْرِيجِيّاً بَعْدَ ذَلِكَ نَحْوَ الجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ، مُتَابِعاً مَسِيرَتَهُ الطَّوِيلَةَ وَالشَّاقَّةَ عَبْرَ شِعَابِ صَحْرَاءِ جُوذْيَا، حَتَّى يَصُبَّ فِي نِهَايَةِ مَطَافِهِ عِنْدَ سَوَاحِلِ البَحْرِ المَيِّتِ، بِيَدِ أَنَّ عَرْضَهُ يَبْلُغُ نَحْوَ خَمْسِينَ مِتْراً، بَيْنَمَا تُرِفُّ عَلَى جَوَانِبِهِ التِّلَالُ الَّتِي تَرْتَفِعُ مِنْ كِلَا الجَانِبَيْنِ.

وَفِي مَوْسِمَي الشِّتَاءِ وَالرَّبِيعِ، يَنْسَابُ فِي جَوْفِ هَذَا الوَادِي جَدْوَلٌ مَائِيٌّ، لَكِنَّهُ سَرْعَانَ مَا يَجِفُّ مَعَ حُلُولِ الصَّيْفِ، وَرَغْمَ هَذَا الجَفَافِ، فَإِنَّ أَشْجَارَ السِّنْدِيَانِ وَالزَّيْتُونِ تَسْتَمِدُّ رُطُوبَةً كَافِيَةً لِنَمَائِهَا فِي عُمْقِ المَجْرَى وَعَلَى ضِفَافِهِ، حَيْثُ يَتَّصِلُ

بِقَدْرُونَ عِنْدَ طَرَفِهِ الجَنُوبِيِّ وَادِي هِنُّومَ، الَّذِي يَمْتَدُّ غَرْباً نَحْوَ نِصْفِ مِيلٍ، وَمِنْ ثَمَّ يَنْعَطِفُ شَمَالاً، لِيُشَكِّلَا مَعًا إِحَاطَةً ثُلَاثِيَّةً تَحْصُرُ بَيْنَ جَنَبَاتِهَا هَنْدَسَةً تَتَمَوَّجُ بَيْنَ شِبْهِ المُرَبَّعِ وَالمُسْتَطِيلِ قَائِمِ الزَّوَايَا، يَتَرَاوَحُ عَرْضُهُ بَيْنَ بِضْعَةِ أَمْتَارٍ وَأَقْصَاهُ، بَيْنَمَا يَمْتَدُّ مَجْرَى وَادِي قِدْرُونَ بَعْدَئِذٍ لِيَصُبَّ عِنْدَ مِنْطَقَةِ أَفْنَات الَّتِي تَبْعُدُ ثَمَانِيَةَ كِيلُومِتْرَاتٍ وَثَمَانِمِائَةِ مِتْرٍ عَنْ خِرْبَةِ قُمْرَانَ.

صُورَةٌ تُوَضِّحُ مَسَارَ وَمَصَبَّ وَادِي قِدْرُونَ



وَادِي تِيرُوبِيُونَ

وَادِي صَانِعِي الجُبْنِ؛ إِنَّ الأَكَامَ الجَنُوبِيَّةَ المُحَاطَةَ كَانَتْ يَخْتَرِقُهَا قَدِيمًا وَادٍ غَيْرُ عَمِيقٍ، هُوَ وَادِي تِيرُوبِيُونَ، الَّذِي يَمْتَدُّ صَاعِدًا نَحْوَ الشَّمَالِ مِنْ وَادِي هِنُّومَ، لِيَفْصِلَ المُرَبَّعَ المُسْتَطِيلَ قَائِمَ الزَّوَايَا إِلَى قِسْمَيْنِ غَيْرِ مُتَسَاوِيَيْنِ، وَلَمَّا كَانَتِ المَدِينَةُ قَدْ حُوصِرَتْ مِرَارًا وَدُكَّتْ حَتَّى الأَسَاسِ، طَمَسَتِ الأَنْقَاضُ العَظِيمَةُ المُنْتَشِرَةُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَعَالِمَهَا الأَصْلِيَّةَ، وَلَا سِيَّمَا فِي وَادِي تِيرُوبِيُونَ، حَيْثُ تَقَعُ الصُّخُورُ فِي مَوَاضِعَ مُتَعَدِّدَةٍ عَلَى ارْتِفَاعٍ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَتِسْعٍ وَعِشْرِينَ قَدَمًا وَأَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ قَدَمًا فَوْقَ سَطْحِ البَحْرِ.

سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ قَدِيمًا "يَبُوسَ" نِسْبَةً إِلَى اسْمِ سُكَّانِهَا الْيَبُوسِيِّينَ قَبْلَ أَنْ تُعْرَفَ بِأُورَشَلِيمَ.

يُشَكِّلُ هَذَا الوَادِي الَّذِي يَمُرُّ فِي وَسَطِ أُورَشَلِيمَ المِفْتَاحَ الأَسَاسِيَّ لِمَعْرِفَةِ طَبُوغْرَافْيَا المَدِينَةِ القَدِيمَةِ، إِذْ يَمْتَدُّ طُولُهُ مِنَ المَوْقِعِ الَّذِي يَلْتَقِي فِيهِ بِوَادِي قَدْرُونَ وَوَادِي هِنُّومَ فِي الجَنُوبِ، وُصُولًا إِلَى طَرَفِهِ الشَّمَالِيِّ خَارِجَ بَابِ السَّمَكِ المَعْرُوفِ "**بِبَابِ العَمُودِ**".

تَعْلُو الأَكَامُ عَلَى كِلَا جَانِبَيْهِ بِمِقْدَارٍ يَتَرَاوَحُ بَيْنَ مِئَةِ قَدَمٍ وَمِئَةٍ وَخَمْسِينَ قَدَمًا عَنْ قَاعِ الوَادِي، الَّذِي يَعْرُضُ وَيَقِلُّ غَوْرُهُ كُلَّمَا اتَّجَهَ نَحْوَ الشَّمَالِ. وَأَمَامَ سَاحَةِ الهَيْكَلِ الحَالِيِّ، يَمْتَدُّ فَرْعٌ غَرْبِيٌّ لِلْوَادِي بِنَحْوِ تِسْعِمِائَةِ قَدَمٍ، لِيَفْصِلَ تَقْرِيبًا التَّلَّ الجَنُوبِيَّ الغَرْبِيَّ عَنِ النَّجْدِ الشَّمَالِيِّ لِلْمَدِينَةِ الأَصْلِيَّةِ [12].

التَّل الغَرْبِي:

كَانَ هَذَا التَّلُّ قَبْلَ الْبِنَاءِ لِتَوْسِيعِ الْمَدِينَةِ يَنْحَدِرُ بِسُرْعَةٍ جَنُوبًا وَغَرْبًا إِلَى وَادِي هِنُّومَ، وَإِلَى الشَّرْقِ نَحْوَ وَادِي تِيرُوبِيُونَ، بَيْنَمَا يَتَّصِلُ فِي الشَّمَالِ عَبْرَ لِسَانٍ ضَيِّقٍ مِنَ الصَّخْرِ بِتَلِّ أُورَشَلِيمَ الشَّمَالِيِّ.

يَبْلُغُ طُولُهُ مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الجَنُوبِ نَحْوَ أَلْفَيْنِ وَمِئَةِ قَدَمٍ، وَعَرْضُهُ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الغَرْبِ أَلْفًا وَمِئَتَيْ قَدَمٍ، كَمَا أَنَّهُ أَكْثَرُ ارْتِفَاعًا فِي جِهَتِهِ الغَرْبِيَّةِ، حَيْثُ يَصِلُ عُلُوُّهُ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافٍ خَمْسِمَائَةٍ وَثَلَاثِينَ قَدَمًا فَوْقَ سَطْحِ البَحْرِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ أَعْلَى مِنْ سَاحَةِ الهَيْكَلِ الوَاقِعَةِ فِي الشَّرْقِ بِنَحْوِ ثَمَانِينَ قَدَمًا، أَيْ مَا يُعَادِلُ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ مِتْرًا وَثَمَانِيَةٍ وَثَلَاثِينَ فِي المِئَةِ مِنَ المِتْرِ.

امْتِدَادُ المَدِينَةِ الشَّمَالِيُّ

بِمَا أَنَّ المَدِينَةَ نَمَتْ فِي الأَزْمِنَةِ المُتَأَخِّرَةِ، فَقَدِ امْتَدَّتْ طَبِيعِيًّا نَحْوَ الشَّمَالِ، لِتَضُمَّ إِلَيْهَا ذَلِكَ التَّلَّ الصَّغِيرَ الْوَاقِعَ شَمَالَ التَّلِّ الغَرْبِيِّ، الَّذِي اتَّصَلَتْ بِهِ عَبْرَ لِسَانٍ مِنَ الصَّخْرِ الْمَمْدُودِ، حَيْثُ يَحُدُّ هَذَا التَّلَّ الشَّمَالِيَّ مِنَ جِهَةِ الغَرْبِ مُنْخَفَضٌ يَنْحَدِرُ مِنْ وَادِي هِنُّومَ، وَمِنَ الجَنُوبِ وَالشَّرْقِ وَادِي تِيرُوبِيُونَ الأَعْلَى. وَلَمْ يَكُنْ لِلمَدِينَةِ مِنْ الشَّمَالِ حِصْنٌ طَبِيعِيٌّ، حَيْثُ كَانَ أَعْلَى مَوْضِعٍ فِيهِ يَرْتَفِعُ أَلْفَانِ وَأَرْبَعُمِائَةٍ

وَتِسْعُونَ قَدَمًا، كَمَا كَانَتْ مِسَاحَةُ التَّلِّ مُسَاوِيَةً تَقْرِيبًا لِمِسَاحَةِ سَطْحِ الْهَيْكَلِ. وَيَتَضَمَّنُ طَرَفُ الْمَدِينَةِ الشَّمَالِيُّ قِسْمًا آخَرَ مِنَ الظَّهْرِ الصَّخْرِيِّ الَّذِي يَمْتَدُّ شَمَالاً مِنْ سَاحَةِ الْهَيْكَلِ مُوَازِياً لِوَادِي قَدْرُونَ.

وَقَدْ حُفِرَ خَدَقٌ عُمْقُهُ عِشْرُونَ قَدَمًا فِي هَذَا الظَّهْرِ مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ، لِيُصْبِحَ الْيَوْمَ حَدَّ الْمَدِينَةِ الشَّمَالِيَّ الشَّرْقِيَّ، فِي حِينِ تَسَلَّقَتِ الْمَدِينَةُ الْحَدِيثَةُ النَّجْدَ نَحْوَ الشَّمَالِ، بِخِلَافِ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ تَمْتَدُّ جَنُوبًا نَحْوَ الْوَادِي[13].

وَادِي تِيرُوبِيُونَ

انْظُرْ إِلَى وَادِي تِيرُوبِيُونَ فِي وَسَطِ الصُّورَةِ، الَّذِي يَفْصِلُ الْمَدِينَةَ إِلَى شَطْرَيْنِ، تَلُّ الْمُرِيَّا مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى، وَالتَّلُّ الْغَرْبِيُّ مِنَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى، بَيْنَمَا يَتَمَثَّلُ الْجُزْءُ الْأَخِيرُ مِنَ الْمِنْطَقَةِ الْوُسْطَى فِي قَرْيَةِ رَأْسِ الْعَمُودِ الْجَاثِمَةِ عَلَى رَأْسِ الْجَبَلِ وَالْمُمْتَدَّةِ فَوْقَ تُخُومِ سِلْوَان.



يُوسُفُ بْنُ مَتَّتْيَاهُو

إِنَّ يُوسِيفُوسَ فَلَافِيُوسَ الْمُؤَرِّخَ الْيَهُودِيَّ قَدْ وَصَفَ لَنَا مَوْضِعَ أُورَشَلِيمَ وَصْفًا دَقِيقًا وَاضِحًا مَفْهُومًا. حَيْثُ قَالَ: إِنَّ مَدِينَةَ أُورَشَلِيمَ كَانَتْ مُحَصَّنَةً بِثَلَاثَةِ أَسْوَارٍ، وَأَمَّا فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تُحِيطُ بِهَا الْأَوْدِيَةُ الْوَعِرَةُ غَيْرُ الْمَسْلُوكَةِ، فَقَدْ كَانَ السُّورُ فِيهَا وَاحِدًا. إِنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى تَلَّيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ، يَشْطُرُهُمَا وَادٍ يَمُرُّ بَيْنَهُمَا. وَكَانَتِ الْبُيُوتُ تَتَقَابَلُ نُزُولًا عَلَى طَرَفَيْ هَذَيْنِ التَّلَّيْنِ. وَالتَّلُّ الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ

الْقِسْمُ الْعُلْوِيُّ مِنَ الْمَدِينَةِ هُوَ أَعْلَى مِنَ التَّلِّ الْآخَرِ وَأَشَدُّ امْتِدَادًا وَاسْتِقَامَةً فِي طُولِهِ. وَالتَّلُّ الْآخَرُ الْمُسَمَّى «أَكْرَا» قَدْ قَامَ عَلَيْهِ قِسْمُ الْمَدِينَةِ السُّفْلِيُّ، وَهُوَ مُقَوَّسٌ فِي شَكْلِهِ كَالْهِلَالِ. وَفَوْقَ هَذَا وَمُقَابِلَهُ يَرْتَفِعُ تَلٌّ ثَالِثٌ، وَلَكِنَّهُ أَخْفَضُ طَبِيعِيًّا مِنْ تَلِّ أَكْرَا، حَيْثُ يَفْصِلُهُ عَنِ التَّلِّ الْآخَرِ وَادٍ عَرِيضٌ. وَالْمَكَّابِيُّونَ فِي زَمَنِ تَسَلُّطِهِمْ رَدَمُوا هَذَا الْوَادِيَ بِالتُّرَابِ، إِذْ كَانَ قَصْدُهُمْ أَنْ يَصِلُوا مَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالْهَيْكَلِ. وَحِينَئِذٍ أَزَالُوا جُزْءًا مِنْ مُرْتَفَعِ أَكْرَا وَجَعَلُوهُ أَكْثَرَ انْخِفَاضًا عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، حَتَّى يَكُونَ الْهَيْكَلُ أَعْلَى مِنْهُ وَمُشْرِفًا عَلَيْهِ.

وَأَمَّا وَادِي بَاعَةِ الْجُبْنِ «التِّيرُوبِيُونُ» كَمَا كَانَ يُدْعَى آنَذَاكَ، الَّذِي يَفْصِلُ تَلَّ الْمَدِينَةِ الْعُلْيَا عَنْ تَلِّ الْمَدِينَةِ السُّفْلَى، فَإِنَّهُ يَمْتَدُّ نُزُولًا إِلَى شِيلُوحَ الَّتِي تَنْبَعُ فِيهَا عَيْنُ مَاءٍ غَزِيرٍ وَعَذْبٍ تَحْمِلُ الِاسْمَ نَفْسَهُ. وَتِلْكَ التِّلَالُ جَمِيعُهَا تَكْتَنِفُهَا مِنَ الْخَارِجِ أَوْدِيَةٌ سَحِيقَةٌ، تَجْعَلُ اخْتِرَاقَهَا أَوِ الْوُصُولَ إِلَيْهَا مِنْ كِلَا الْجَانِبَيْنِ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا بِسَبَبِ وَعُورَةِ التَّضَارِيسِ الْمُحِيطَةِ بِهَا.

تَكْوِينُهَا الْجِيُولُوجِيُّ

إِنَّ التَّكْوِينَ الْجِيُولُوجِيَّ لِأَكَامِ أُورَشَلِيمَ يُوَضِّحُ تَارِيخَهَا تَمَامَ الْإِيضَاحِ. وَطَبِيعَةُ وَسَطِهَا مَائِلَةٌ نَحْوَ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ بِمُعَدَّلٍ بَيْنَ عَشْرِ دَرَجَاتٍ وَاثْنَتَيْ عَشْرَةَ دَرَجَةً، وَيَتَمَيَّزُ الصَّخْرُ السَّطْحِيُّ فِيهَا بِأَنَّهُ كِلْسِيٌّ رَمْلِيٌّ قَاسٍ، تَتَخَلَّلُهُ بَعْضُ تَشَكُّلَاتِ الصَّوَّانِ.وَهَذَا التَّكْوِينُ يَبْدُو ظَاهِرًا عِيَانًا عَلَى رَأْسِ جَبَلِ الْهَيْكَلِ عِنْدَ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِوَادِي قَدْرُونَ، وَكَذَلِكَ فِي الْمَقَالِعِ الْوَاقِعَةِ شَمَالَ الْمَدِينَةِ. أَمَّا فِي الطَّبَقَاتِ السُّفْلِيَّةِ فَيُوجَدُ حَجَرٌ كِلْسِيٌّ أَبْيَضُ لَيِّنٌ، يَمْتَازُ بِأَنَّهُ سَهْلُ النَّحْتِ وَصَالِحٌ جِدًّا لِلْبِنَاءِ؛ لِأَنَّهُ يَكْتَسِبُ صَلَابَةً وَيَقْسُو كُلَّمَا تَعَرَّضَ لِلْهَوَاءِ الْخَارِجِيِّ.

تَلُّ أَكْرَا، أَوْ قَلْعَةُ عَكْرَا، كَانَ مَوْقِعًا حَصِينًا شُيِّدَ فِي الْقُدْسِ. يُعْتَقَدُ أَنَّ السَّلُوقِيَّ أَنْطِيُوخُوسَ الرَّابِعُ أَبِيفَانِيسُ شَيَّدَهَا بَعْدَ نَهْبِ الْمَدِينَةِ عَامَ 168 قَبْلَ الْمِيلَادِ. كَانَتْ فِي الْجُزْءِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ، أَسْفَلَ جَنُوبِ جَبَلِ الْهَيْكَلِ، فِيمَا يُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمَدِينَةِ دَاوُدَ فِي عَهْدِ يُوسِيفُوسَ.

وَنَظَرًا لِوُجودِ هَذَا الصَّخْرِ فِي الْأَعْمَاقِ، تَمَكَّنَ الْأَهَالِي مِنْ حَفْرِ الْحِيَاضِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَنْفَاقِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَمْلَأُ جَوْفَ أُورَشَلِيمَ، وَالَّتِي كَانَ لَهَا شَأْنٌ عَظِيمٌ فِي تَارِيخِ الْمَدِينَةِ الْمَحْزُونِ. وَتَقْبَعُ تَحْتَ هَذِهِ الطَّبَقَةِ صُخُورٌ كِلْسِيَّةٌ صَلْبَةٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ كَرْبُونَاتِ الْكِلْسِ وَالْمَغْنِسْيُومِ، بَيْضَاءُ اللَّوْنِ مُوَشَّحَةٌ بِخُطُوطٍ حَمْرَاءَ، وَتُعْرَفُ مَحَلِّيًّا بِاسْمِ «شَحْمٍ بِلَحْمٍ».

وَبِمَا أَنَّ طَبَقَاتِ الصَّخْرِ الْعُلْيَا ذَاتُ مَسَامَّ نَافِذَةٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الطَّبَقَةَ السُّفْلِيَّةَ تَعْمَلُ عَلَى حَبْسِ الْمِيَاهِ وَمَنْعِ تَسَرُّبِهَا، وَالنَّتِيجَةُ أَنَّهُ عِنْدَ تَكَشُّفِ هَذَا الصَّخْرِ فِي وَادِي قَدْرُونَ الْأَسْفَلِ تَنْبَعُ عَيْنُ مَاءٍ، كَمَا أَنَّ انْحِدَارَ هَذِهِ الصُّخُورِ الصَّلْبَةِ نَحْوَ الْجَنُوبِ يَجْرِفُ مَعَهُ مِيَاهَ الْمَدِينَةِ الْعَادِمَةَ إِلَى الْجَنُوبِ حَيْثُ يَلْتَقِي وَادِي قَدْرُونَ بِوَادِي هِنُّومَ[13].

مَاؤُهَا

إِنَّ أُورَشَلِيمَ شَحِيحَةُ الْمِيَاهِ وَقَلِيلَةُ الْعُيُونِ، وَإِنَّ عَيْنَ شِيلُوحَ الَّتِي يُرَجَّحُ أَنَّهَا عَيْنُ جِيحُونَ الْقَدِيمَةُ هِيَ عَيْنٌ دَوْرِيَّةٌ مُتَقَطِّعَةٌ، إِذْ تَنْدَفِعُ مِيَاهُهَا مِنْ مَمَصٍّ طَبِيعِيٍّ فِي جَوْفِ الصَّخْرِ، فَتَفِيضُ تَبَعًا لِمُعَدَّلِ هُطُولِ الْأَمْطَارِ الْمَحَلِّيَّةِ لِمُدَّةِ سَاعَةٍ أَوْ أَكْثَرَ، وَأَحْيَانًا لِتَبْقَى دَافِقَةً لِبِضْعَةِ أَيَّامٍ. وَيَهْبِطُ إِلَى هَذِهِ الْعَيْنِ عَبْرَ دَرَجَاتٍ صَخْرِيَّةٍ تُفْضِي إِلَى كَهْفٍ طَبِيعِيٍّ يَقَعُ عِنْدَ مُنْتَصَفِ جَانِبِ وَادِي قَدْرُونَ. وَكَانَتِ الْمِيَاهُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْغَابِرَةِ تَنْسَابُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ فِي وَسَطِ التَّلِّ الصَّخْرِيِّ عَبْرَ نَفَقٍ هَنْدَسِيٍّ يُعَدُّ مِنْ أَعْجَبِ صَنَائِعِ الْهَنْدَسَةِ الْقَدِيمَةِ. وَمِنْ هُنَاكَ كَانَتِ الْمِيَاهُ تُقَادُ إِلَى مَوْقِعٍ عِنْدَ الطَّرَفِ الْجَنُوبِيِّ لِوَادِي التِّيرُوبِيُونَ حَيْثُ كَانَتْ تَقَعُ بِرْكَةً الَّتِي عُرِفَتْ فِي الْعُصُورِ الْحَدِيثَةِ بِبِرْكَةِ سِلْوَانَ، الَّتِي يُرَجَّحُ أَنَّهَا كَانَتْ طَوِيقَةً دَاخِلَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ.

شِيلُوحُ هِيَ عَيْنُ الْمَاءِ الَّتِي تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِاسْمِ «عَيْنِ سِلْوَانَ» الْوَاقِعَةِ فِي قَرْيَةِ سِلْوَانَ.

وَفِي هَذَا الْمَوْضِعِ عَيْنِهِ أُقِيمَ لَاحِقًا حَوْضٌ ضَخْمٌ تَبْلُغُ مِسَاحَتُهُ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ قَدَمًا، وَمِنْهُ كَانَ يَرْتَوِي سُكَّانُ الْمَدِينَةِ وَيَسْتَقُونَ مَاءَهُمْ. وَتَمْتَدُّ قَنَاةٌ أُخْرَى لِتَحْمِلَ فَيَاضَ هَذِهِ الْبِرْكَةِ نَحْوَ بِئْرِ أَيُّوبَ، الَّتِي تَبْعُدُ مَسَافَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ قَدَمًا إِلَى الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ حَيْثُ يَلْتَقِي وَادِي قَدْرُونَ بِوَادِي هِنُّومَ. وَكَانَتْ تَقَعُ فِي الْقَدِيمِ، عَلَى مَا يَبْدُو، جِهَةَ الْغَرْبِ مِنْ سَاحَةِ الْهَيْكَلِ بِرْكَةٌ تَسْتَمِدُّ مِيَاهَهَا مِنْ أَعَالِي مَجْرَى وَادِي التِّيرُوبِيُونَ.

مُنَاخُهَا

يَتَمَيَّزُ مُنَاخُ مَدِينَةِ الْقُدْسِ بِصَيْفٍ حَارٍّ وَجَافٍّ وَمُشْمِسٍ، يَمْتَدُّ مِنْ شَهْرِ حَزِيرَانَ إِلَى أَيْلُولَ، حَيْثُ تَنْخَفِضُ فِيهِ نِسَبُ الرُّطُوبَةِ تَمَامًا وَبِشَكْلٍ كَبِيرٍ، مِمَّا يَجْعَلُ دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ الْمُرْتَفِعَةَ أَكْثَرَ تَحَمُّلًا مُقَارَنَةً بِالْمَنَاطِقِ السَّاحِلِيَّةِ، بَيْنَمَا تَهُبُّ فِي اللَّيْلِ نَسَمَاتٌ بَارِدَةٌ تُلَطِّفُ الْأَجْوَاءَ.

وَفِي الْمُقَابِلِ، يَتَّسِمُ فَصْلُ الشِّتَاءِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ شَهْرِ كَانُونِ الْأَوَّلِ وَيَمْتَدُّ حَتَّى شُبَاطَ بِالْبُرُودَةِ وَالْأَمْطَارِ الَّتِي تَهْطُلُ بِشَكْلٍ مُتَوَاصِلٍ أَحْيَانًا، مَصْحُوبَةً بِانْخِفَاضٍ حَادٍّ فِي دَرَجَاتِ الْحَرَارَةِ يَهْبِطُ بِهَا إِلَى مَا دُونَ الصِّفْرِ الْمِئَوِيِّ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي شَدِيدَةِ الْبُرُودَةِ، مَعَ نَشَاطٍ لِلرِّيَاحِ الْعَاصِفَةِ الْقَوِيَّةِ خَاصَّةً فِي الْأَيَّامِ الْمَاطِرَةِ. وَرَغْمَ أَنَّ هُطُولَ الثُّلُوجِ يُعَدُّ ظَاهِرَةً نَادِرَةً لَا تَدُومُ طَوِيلًا عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ، إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَتَسَاقَطُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ دُونَ أَنْ تَبْقَى مُتَرَاكِمَةً لِفَتْرَةٍ مُمْتَدَّةٍ، لِيَعْقُبَ ذَلِكَ فَصْلَا الرَّبِيعِ وَالْخَرِيفِ اللَّذَانِ يَمْتَازَانِ بِأَجْوَاءٍ مُعْتَدِلَةٍ وَلَطِيفَةٍ طِيلَةَ أَيَّامِهِمَا.

سُكَّانُهَا الْأَصْلِيُّونَ

فِي الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الثَّلَاثِينَ وَالتَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ قَبْلَ الْمِيلَادِ، كَانَ سُكَّانُ الْمِنْطَقَةِ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ شَكَّلُوا مَعًا الْحَضَارَةَ الْكَنْعَانِيَّةَ "رِتِنُو" كِنَانَ قَدِيمًا، الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي بِلَادِ إِسْرَائِيلَ وَفِلَسْطِينَ، وَلُبْنَانَ، وَأَجْزَاءٍ مِنْ سُورِيَا وَالْأُرْدُنِّ، حَيْثُ

يُعْتَبَرُونَ مِنْ نَسْلِ كَنْعَانَ الِابْنِ الرَّابِعِ لِحَامٍ، وَقَدْ اسْتَوْطَنَتْ ذُرِّيَّتُهُ الَّتِي تَضُمُّ صَيْدُونَ الِابْنَ الْبِكْرَ، وَحِثًّا، وَالْيَبُوسِيَّ، وَالْأَمُورِيَّ، وَالْجِرْجَاشِيَّ تِلْكَ الْأَرَاضِيَ، لِتَمْتَدَّ تُخُومُ أَرْضِهِمْ مِنْ صَيْدُونَ شَمَالًا نُزُولًا بِاتِّجَاهِ جَرَارَ وَغَزَّةَ، وَمِنْ ثَمَّ حِينَ تَتَّجِهُ نَحْوَ سَدُومَ وَعَمُورَةَ وَأَدْمَةَ وَصَبُويِيمَ وُصُولًا إِلَى لَاشَعَ.

الصُّورَةُ الْكَامِلَةُ لِشُعُوبٍ أُخْرَى

فِي الْعُصُورِ الْأُولَى، وَتَحْدِيدًا فِي الْقَرْنَيْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالثَّامِنَ عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ، كَانَتِ الْمِنْطَقَةُ الْمُمْتَدَّةُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْبَحْرِ يَسْكُنُهَا عِدَّةُ مُلُوكٍ مَحَلِّيِّينَ، مِنْهُمُ الْيَبُوسِيُّونَ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ "يَبُوسَ"، وَالْحِثِّيُّونَ سُكَّانُ حَبْرُونَ وَالْمِنْطَقَةِ الْجَبَلِيَّةِ جَنُوبَ الْأَرْضِ، وَالْحِوِّيُّونَ سُكَّانُ شَكِيمَ وَجِبْعُونَ. أَمَّا الْأَمُورِيُّونَ فَقَدْ كَانُوا أَقْوِيَاءَ جِدًّا، وَامْتَدَّ نُفُوذُهُمْ قَدِيمًا مِنْ بَابِلَ حَتَّى كِنَانٍ، بَيْنَمَا سَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ مُدُنَ السَّاحِلِ وَالدَّاخِلِ، وَهُمْ لَيْسُوا الْفِلِسْطِينِيِّينَ الَّذِينَ لَمْ يَسْكُنُوا الْمِنْطَقَةَ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ. كَمَا اسْتَوْطَنَ الْجِرْجَاشِيُّونَ فِي الشَّمَالِ قُرْبَ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَا، وَكَانَ الْفِرْزِيُّونَ مِنْ سُكَّانِ الرِّيفِ الَّذِينَ يَعِيشُونَ فِي الْقُرَى الصَّغِيرَةِ غَيْرِ الْمُحَصَّنَةِ، فِي حِينِ شَكَّلَ الْقَيْنِيُّونَ وَالْقِنِزِّيُّونَ وَالْقَدْمُونِيُّونَ شُعُوبًا بَدَوِيَّةً أَوْ شِبْهَ بَدَوِيَّةٍ اسْتَقَرَّتْ فِي جَنُوبِ الْأَرْضِ وَصَحْرَاءِ النَّقَبِ.

لِكُلِّ مَدِينَةٍ كَانَ مَلِكُهَا الْخَاصُّ، إِذْ لَمْ تَكُنْ آنَذَاكَ دَوْلَةٌ مُوَحَّدَةٌ، فَكَانَتِ الْأَرْضُ مُقَسَّمَةً إِلَى مُدُنٍ–مَمَالِكَ. وَكُلُّ مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ مُحَصَّنَةٍ كَانَ يَحْكُمُهَا مَلِكٌ، مِثْلُ أُورُشَلِيمَ "يَبُوسَ"، وَشَكِيمَ، وَجَرَارَ، وَغَزَّةَ، وَحَبْرُونَ، وَجِبْعُونَ، وَسَدُومَ، وَعَمُورَةَ، وَأَدْمَةَ، وَصَبُويِيمَ، وَبَالِعَ.

الْفِلَسْطِينِيُّونَ لَمْ يَكُونُوا قَدِ اسْتَقَرُّوا بَعْدُ فِي الْأَرْضِ آنَذَاكَ، بَلْ ظَهَرُوا بَعْدَ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ بِنَحْوِ سَبْعَةِ قُرُونٍ تَقْرِيبًا، فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ، حَيْثُ اسْتَقَرُّوا فِي غَزَّةَ، وَأَشْدُودَ، وَعَسْقَلَانَ، وَجَتَّ، وَعَقْرُونَ، وَعَاشُوا بِجِوَارِ الْكَنْعَانِيِّينَ الَّذِينَ تُعَدُّ سُلَالَتُهُمُ اللُّبْنَانِيُّونَ، وَالْإِسْرَائِيلِيِّينَ لَاحِقًا.

وَعِلْمُ الْآثَارِ يُؤَكِّدُ أَنَّ الْأَرْضَ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ كَانَتْ مُقَسَّمَةً إِلَى عَشَرَاتِ الْمَمَالِكِ الصَّغِيرَةِ. وَلَمْ يَكُنْ عَدَدُ الْمُلُوكِ الَّذِينَ سَكَنُوا الْأَرْضَ مُحَدَّدًا بِدِقَّةٍ، لَكِنْ يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ بِنَحْوِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ إِلَى خَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مَلِكًا مَحَلِّيًّا فِي الْأَرْضِ نَفْسِهَا مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْبَحْرِ.

تَوَارِيخُ الْمَدِينَةِ

1. القُدْسُ نَحْوَ العَصْرِ الحَجَرِيِّ النُّحَاسِيّ

شَهِدَتِ الْمَدِينَةُ فِي الْبِدَايَاتِ حَتَّى العَصْرِ الحَجَرِيِّ النُّحَاسِيّ اسْتِقْرَاراً بَشَرِيّاً، حَيْثُ سَكَنَهَا فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ الحَامِيُّونَ الأَوَائِلُ الَّذِينَ اسْتَقَرُّوا شَرْقَ عُمْقِ سُدُومَ (البَحْرِ المَيِّتِ) وَالأَخْضَرِ الكَبِيرِ (البَحْرِ المُتَوَسِّطِ)، وَكَانُوا سُكَّاناً مَحَلِّيِّينَ زِرَاعِيِّينَ، لُغَتُهُمُ اللُّغَةُ الهِنْدُوأُورُوبِيَّةُ البِدَائِيَّةُ الَّتِي هِيَ أَسَاسُ وَأَصْلُ اللُّغَةِ الكَنْعَانِيَّةِ البِدَائِيَّةِ، حَيْثُ صَنَعُوا بُيُوتَهُمْ مِنَ اللَّبِنِ وَالطِّينِ، وَكَانَتِ القُبُورُ عِبَارَةً عَنْ كُهُوفٍ صَخْرِيَّةٍ مَحْفُورَةٍ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مُبَاشَرَةً، وَمُنْذُ الأَلْفِ الثَّالِثِ قَبْلَ المِيلَادِ، ظَهَرَ الكَنْعَانِيُّونَ وَاليَبُوسِيُّونَ بِاسْمٍ وَاضِحٍ.

2. العَصْرُ البُرُونْزِيُّ المُبَكِّرُ

اِسْتَوْطَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ الْأَوَائِلُ تَلَّ عُوفَلَ، وَهُمْ شُعُوبٌ حَامِيَّةٌ بَنَوْا تَحْصِينَاتِهِمُ الْأَوَّلِيَّةَ مِنَ الطِّينِ وَالْحَجَرِ حَوْلَ مَدِينَتِهِمُ الصَّغِيرَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى تَلٍّ مُرْتَفِعٍ قَرِيبٍ مِنْ عَيْنِ جِيحُونَ،"عَيْنِ سِلْوَانَ الْيَوْمَ"، وَتَكَلَّمُوا بِلَهْجَةٍ كَنْعَانِيَّةٍ مُبَكِّرَةٍ.

3. فِي غَيَاهِبِ العَصْرِ البُرُونْزِيِّ الوَسِيطِ، شَقَّ إِبْرَاهِيمُ الخَلِيلُ وَابْنُهُ إِسْحَاقُ طَرِيقَهُمَا نَحْوَ ذُرْوَةِ جَبَلِ المُرِيَّا الحَالِي، ذَلِكَ المُرْتَفَعِ الشَّامِخِ الجَاثِمِ فَوْقَ تَلِّ عُوفَلَ؛ حَيْثُ كَانَتْ تَرْبِضُ مَدِينَةُ اليَبُوسِيِّينَ القَدِيمَةُ.

4. فِي العَصْرِ البُرُونْزِيِّ الوَسِيطِ

تَحَرَّكَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ "حَبْرُونَ" (الخَلِيلِ) لِإِنْقَاذِ لُوطٍ، وَبَعْدَ انْتِصَارِهِ عَلَى كَدَرْلَعَوْمَرَ مَلِكِ عِيلَامَ، الَّذِي دَامَ حُكْمُهُ مُدَّةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، كَانَ طَرِيقُ عَوْدَتِهِ يَمُرُّ

الحَاشِيَةُ: إِنَّ بَعْضَ أَحْفَادِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالسَّامِيِّينَ نَزَحُوا إِلَى الجَنُوبِ وَاسْتَوْطَنُوا أَجْزَاءً مِنَ السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ مَا بَيْنَ الْعَصْرَيْنِ الْبُرُونْزِيِّ الْقَدِيمِ وَالْأَوْسَطِ، لَا الْعَكْسَ.

"بِوَادِي شَوَى" الَّذِي يُعْرَفُ بِوَادِي المَلِكِ، وَهُوَ الوَادِي المُحِيطُ بِالقُدْسِ، حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُ مَلْكِي صَادِقُ"𐤌𐤋𐤊𐤉𐤑𐤃𐤒"، كَاهِنُ مَدِينَةِ شَالِيمَ.

5. فِي بِدَايَاتِ الْعَصْرِ الْبُرُونْزِيِّ الْمُتَأَخِّرِ نَحْوَ عَامِ 1550 ق.م.

كَانَ نُفُوذُ (نسُوتِ كِيمِيتَ) عَلَى مَدِينَةِ «يَبُوسَ» قَدْ تَجَذَّرَ فِعْلِيّاً فِي تِلْكَ الحِقْبَةِ الَّتِي بَدَأَتْ مُبَكِّراً مُنْذُ عَهْدِ سِنُوسِرْتَ الثَّالِثِ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ ق.م عَلَى شَكْلِ تَبَعِيَّةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ. وَفِي مَرْحَلَةٍ لَاحِقَةٍ، اسْتَنْجَدَ حَاكِمُهَا «عَبْدِي–هِيبَا» بِرِ عَا طَالِباً مِنْهُ الدَّعْمَ ضِدَّ غَزَوَاتِ «الْخَابِيرُو»؛ وَهُمْ مَجْمُوعَاتٌ مِنَ الْمُحَارِبِينَ وَالْقَبَائِلِ الْبَدَوِيَّةِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ شَرْقَ الْأُرْدُنِّ وَهَدَّدَتِ الحَوَاضِرَ الْكَنْعَانِيَّةَ. وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الصِّرَاعَاتِ، اسْتَعَادَتْ «كِيمِيتُ» مِصْرُ سَيْطَرَتَهَا الْمُبَاشِرَةَ عَلَى الْمَدِينَةِ مُجَدَّداً فِي عَهْدِ سِيتِي الْأَوَّلِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ ق.م. مِمَّا كَانَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَدِينَةَ كَانَتْ مُحَصَّنَةً بِسُورٍ وَبُرْجٍ قُرْبَ الْعَيْنِ، حَيْثُ كَانَتْ مِسَاحَتُهَا صَغِيرَةً تَتَرَاوَحُ مَا بَيْنَ اثْنَيْ عَشَرَ إِلَى خَمْسَةَ عَشَرَ دُونَمًا تَقْرِيبًا.

6. فِي العَصْرِ البُرُونْزِيِّ المُتَأَخِّرِ

فِي تِلْكَ الحِقْبَةِ اسْتَقَلَّتِ الْمُدُنُ الْكَنْعَانِيَّةُ بَعْدَ أَنْ تَرَاجَعَ النُّفُوذُ النِّسُوتِيُّ، وَأَصْبَحَتِ الْمَدِينَةُ الصَّغِيرَةُ مُحَصَّنَةً بِيَدِ الْيَبُوسِيِّينَ، إِلَى أَنْ جَاءَ الْعِبْرَانِيُّونَ وَظَهَرُوا فِي الْأَرْضِ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ يَدِ "نِسُوتِ كِيمِيتَ" مَلِكِ مِصْرَ، وَاسْتَوْطَنُوا شَمَالَ الْبِلَادِ وَجَنُوبَهَا، مِنْ شَرْقِ النَّهْرِ فِي عُمْقِ سَدِيمَ إِلَى

كَانَتْ "أَرْضُ الْحَامِيِّينَ" الْمُشَارُ إِلَيْهَا (الَّتِي تُعْرَفُ تَارِيخِيًّا بِكَنَانَ، وَسَكَنَتْهَا شُعُوبٌ حَامِيَّةٌ) مَسْرَحًا لِصِرَاعِ الْقُوَى الْعُظْمَى فِي الشَّرْقِ الْأَدْنَى الْقَدِيمِ لِقُرُونٍ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ "حَاكِمٌ وَاحِدٌ" اسْتَعْبَدَهَا مُبَاشَرَةً قَبْلَ دُخُولِ الْعِبْرَانِيِّينَ، بَلْ كَانَتْ سِلْسِلَةٌ مِنَ الْقُوَى الْإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الَّتِي سَيْطَرَتْ عَلَى مَمَالِكِ الْمُدُنِ الْكَنَانِيَّةِ الْمَحَلِّيَّةِ. عَسْكَرِيًّا وَلَوْجِسْتِيًّا، لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ قُوَّةٍ غَازِيَةٍ عُظْمَى تَعْبُرُ الْمِنْطَقَةَ أَنْ تَتَجَاهَلَ حُكَّامَ الْمُدُنِ الْحَاضِرَةِ عَلَى الطَّرِيقِ، وَخَاصَّةً الْمُدُنَ الْمُحَصَّنَةَ مِثْلِ مَدِينَةِ يَبُوسَ (قَرْيَةِ سِلْوَانَ الْيَوْمَ)، دُونَ إِخْضَاعِهِمْ لِفَرْضِ الْجِزْيَةِ لِتَأْمِينِ الْخَطِّ الْخَلْفِيِّ.

الْبَحْرِ الْأَخْضَرِ الْكَبِيرِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمُتَوَسِّطُ، بَيْنَمَا بَقِيَتْ تَلُّ عُوفِلَ مَدِينَةُ يَبُوسَ بِأَيْدِي الْيَبُوسِيِّينَ حَتَّى زَمَنِ دَاوُدَ.

7. فِي العَصْرِ البُرُونْزِيِّ المُتَأَخِّرِ

هُزِمَ الْمَلِكُ "أَدُونِي صَادِقَ" وَحُلَفَاؤُهُ فِي مَعْرَكَةٍ مِفْصَلِيَّةٍ، حَشَدَتْ مُلُوكَ حَبْرُونَ، وَيَرْمُوتَ، وَلَخِيشَ، وَعَجْلُونَ لِلتَّصَدِّي لِقُوَّاتِ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ، حَيْثُ اسْتَعَرَتِ الْمُوَاجَهَةُ الْمَيْدَانِيَّةُ فِي "جِبْعُونَ" قَبْلَ أَنْ تَرْتَدَّ خُطُوطُهَا إِلَى "مُنْحَدَرِ بَيْتِ حُورُونَ"، وَفِي هَذَا الْمُنْعَطَفِ تَمَّ سَحْقُ قُوَّاتِ "أَدُونِي صَادِقَ" مِمَّا دَفَعَهُ لِلِالْتِجَاءِ مَعَ أَحْلَافِهِ إِلَى مَغَارَةٍ فِي "مَقِّيدَةَ"، حَيْثُ قُبِضَ عَلَيْهِمْ وَقُتِلُوا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السَّيْطَرَةَ الْمَيْدَانِيَّةَ لِيَشُوعَ لَمْ تَمْتَدَّ لِتَشْمَلَ مَدِينَةَ "يَبُوسَ" (الْقُدْسَ قَدِيمًا).

8. فِي ذُرْوَةِ العَصْرِ البُرُونْزِيِّ المُتَأَخِّرِ

أَدُونِي بَازَقَ "سَيِّدُ مَدِينَةِ بَازَقَ"؛ عُرِفَ بِكَوْنِهِ مَلِكًا مُحَارِبًا وَقَاسِيًا جِدًّا، حَيْثُ تَذْكُرُ النُّصُوصُ التَّارِيخِيَّةُ أَنَّهُ كَسَرَ شَوْكَةَ سَبْعِينَ مَلِكًا كَنْعَانِيًّا قَبْلَهُ، وَكَانَ يَقْطَعُ أَبَاهِيمَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِمْ كَإِذْلَالٍ لَهُمْ، وَمَنْعًا لَهُمْ مِنْ حَمْلِ السَّيْفِ مُجَدَّدًا. شَنَّ سِبْطُ يَهُوذَا هُجُومًا عَلَى مَدِينَةِ بَازَقَ وَهَزَمُوا جَيْشَهُ، فَهَرَبَ "أَدُونِي بَازَقَ" مِنَ الْمَعْرَكَةِ وَدَخَلَ مَدِينَةَ يَبُوسَ "أُورُوسَالِمَ"؛ حِينَهَا حَارَبَ بَنُو يَهُوذَا يَبُوسَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَشْعَلُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ.

الشَّعْبُ الْكَنْعَانِيُّ يُعْتَبَرُ شَعْبًا حَامِيًّا قَدِيمًا، سَكَنُوا مُنْذُ الْأَلْفِ الثَّالِثِ قَبْلَ الْمِيلَادِ فِي مِنْطَقَةٍ وَاسِعَةٍ تَشْمَلُ الْبِلَادَ غَرْبَ الْأُرْدُنِّ، وَلُبْنَانَ، وَالسَّاحِلَ السُّورِيَّ، لَكِنْ مَعَ مُرُورِ الزَّمَنِ أَصْبَحَ اسْمُ الْفِينِقِيِّينَ يُطْلَقُ عَلَى الْكَنْعَانِيِّينَ الشَّمَالِيِّينَ، الَّذِينَ سَكَنُوا مُدُنَ السَّاحِلِ اللُّبْنَانِيِّ مِثْلَ صُورَ وَصَيْدَا وَمَا جَاوَرَهُمَا. وَالْكَنْعَانِيُّونَ عَبَدُوا الْإِلَهَ " عيل"، الشَّبِيهَ بِكَلِمَةِ "إِيلَ"، وَهُوَ أَبُو الْآلِهَةِ الْكَنْعَانِيَّةِ وَرَئِيسِهِمْ الْأَعْلَى، وَيَرْتَبِطُ بِالْخَلْقِ وَالْحِكْمَةِ وَالنِّظَامِ الْكَوْنِيِّ، أَمَّا الْإِلَهُ بَعْلٌ فَهُوَ إِلَهُ الْخُصُوبَةِ وَالْأَمْطَارِ وَالْعَوَاصِفِ، وَكَانَتْ عَشْتَارُوتُ هِيَ إِلَهَةَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ وَالْحَرْبِ.

وَعُوقِبَ أَدُونِي بَازَقَ بِذَاتِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانَ يُعَاقِبُ بِهَا الْمُلُوكَ الآخَرِينَ، حَيْثُ قُطِعَتْ أَبَاهِيمُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَمَاتَ هُنَاكَ.

9. العَصْرِ البُرُونْزِيّ الْمُتَأَخِّرِ

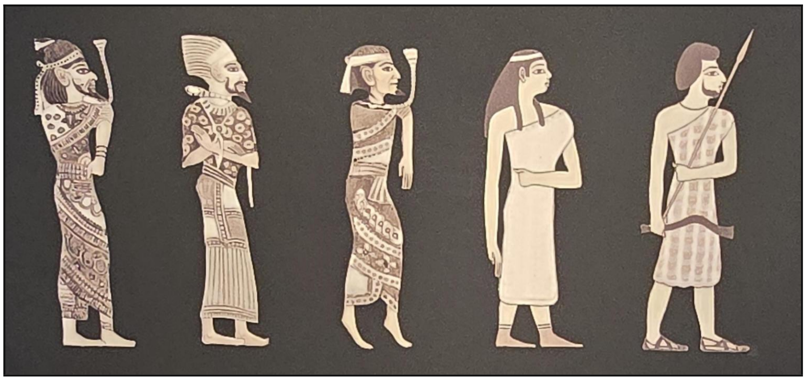
فِي الفَتْرَةِ مَا بَيْنَ عَامَي 1390 وَ1360 قَبْلَ المِيلَادِ، سَكَنَ بَنُو بِنْيَامِينَ مَعَ اليَبُوسِيِّينَ، بَعْدَ أَنْ ضَرَبُوا مَدِينَتَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ وَأَشْعَلُوهَا بِالنَّارِ؛ فَاتَّخَذُوا الْمُرْتَفَعَاتِ الشَّمَالِيَّةَ الْمُلَاصِقَةَ لِحِصْنِهِمْ "تَلَّ العُوفَلِ" الَّتِي تُطِلُّ عَلَيْهِ وَتُلَاصِقُهُ، إِذْ كَانَتِ الأَرْضُ وَعِرَةً وَمُنْفَصِلَةً عَنِ الحِصْنِ اليَبُوسِيّ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ. كَانَتْ (يَبُوسُ) تَقَعُ عَلَى خَطِّ التَّمَاسِ بَيْنَ سِبْطِ "يَهُوذَا" جَنُوبًا وَسِبْطِ "بِنْيَامِينَ" شَمَالًا؛ فَمِنْ جِهَةِ الجَنُوبِ (الْمُنْحَدَرَاتِ الْمُؤَدِّيَةِ لِلْوِدْيَانِ) كَانَتْ مَنْطِقَةُ نُفُوذِ يَهُوذَا الَّتِي لَمْ تَكْتَمِلِ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهَا، وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ كَانَتْ حِصَّةُ بِنْيَامِينَ الَّتِي اسْتَوْطَنُوا مُرْتَفَعَاتِهَا. وَبِمَا أَنَّ "يَهُوذَا" لَمْ يَسْتَطِعْ طَرْدَهُمْ، بَقِيَتِ الْمَدِينَةُ تَقْنِيًّا ضِمْنَ حِصَّةِ بِنْيَامِينَ، مِمَّا جَعَلَ الْمَدِينَةَ "يَبُوسِيَّةً–بِنْيَامِينِيَّةً" فِي تِلْكَ الحِقْبَةِ (عَصْرِ القُضَاةِ) حَتَّى مَجِيءِ عَصْرِ الْمَلَكِيَّةِ.

10. العَصْرُ البُرُونْزِيُّ الْمُتَأَخِّرُ

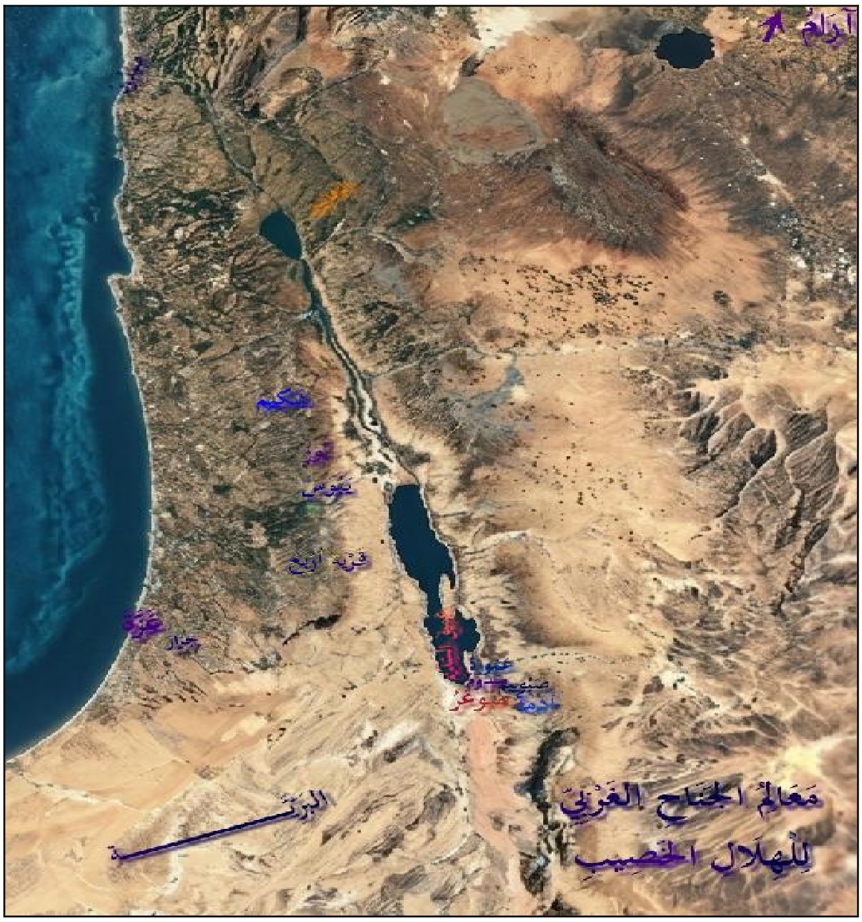
فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ، كَانَ بَنُو بِنْيَامِينَ السَّاكِنُونَ فِي "العُوفَلِ" يَعِيشُونَ حَالَةً مِنَ "التَّعَايُشِ" مَعَ اليَبُوسِيِّينَ حَوْلَ مَدِينَتِهِمُ الْمُحَصَّنَةِ، وَكَانَتْ لَدَيْهِمُ "الجِبْعَةُ" مَدِينَةً رَئِيسِيَّةً شَمَالًا، تَبْعُدُ عَنِ "العُوفَلِ" وَ"يَبُوسَ" نَحْوَ خَمْسَةِ إِلَى سِتَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ فَقَطْ. وَبَعْدَ أَنْ أَحْرَقَ بَنُو إِسْرَائِيلَ "الجِبْعَةَ" وَالقُرَى التَّابِعَةَ لَهَا إِثْرَ الحَادِثَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى الحَرْبِ، لَمْ يَعُدْ لِسِبْطِ بِنْيَامِينَ بَعْدَ تِلْكَ الْمَذْبَحَةِ الكَثَافَةُ العَدَدِيَّةُ الَّتِي تُمَكِّنُهُمْ مِنْ ضَبْطِ الْمَدِينَةِ؛ فَاسْتَغَلَّ اليَبُوسِيُّونَ انْسِحَابَ جُيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لِلْحَرْبِ فِي مَنَاطِقَ أُخْرَى، وَخَرَجُوا مِنْ مَكْمَنِهِمْ فِي الحِصْنِ لِيُعِيدُوا بِنَاءَ مَدِينَتِهِمُ السَّكَنِيَّةِ، مُسْتَفِيدِينَ مِنْ غِيَابِ الْمُنَافِسِ القَوِيّ الَّذِي انْكَسَرَ فِي

الجِبْعَةِ؛ فَعَادَتِ المَدِينَةُ لِتَكُونَ "يَبُوسِيَّةً" بِالكَامِلِ حَتَّى مَجِيءِ المَلِكِ دَاوُدَ بَعْدَ ذَلِكَ بِقُرُونٍ.

الشَّعْبُ الْكَنْعَانِيُّ فِي العَصْرُ البُرُونْزِيُّ الوَسِيطُ



مَعَالِمُ الْجَنُوبِ الْغَرْبِيّ لِلْهِلَالِ الْخَصِيبِ



11. مَمْلَكَةُ دَاوُدَ حَوَالِي 1012 إِلَى 970 ق.م

عِنْدَمَا تَوَلَّى دَاوُدُ الْمُلْكَ حاصَرَ مَدِينَةَ يَبُوسَ "أُورُوسَالِمَ" الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سَيْطَرَةِ الْيَبُوسِيِّينَ وَأَخَذَهَا مِنْهُمْ، وَبَنَى فِيهَا حِصْنَ صِهْيَوْنَ الَّذِي أَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ مَدِينَةِ دَاوُدَ، فَأَفْرَزَهَا عِوَضًا عَنْ أُورُشَلِيمَ الْأَصْلِيَّةِ، وَجعَلَهَا عَاصِمَةً لِمَمْلَكَتِهِ الْمُوَحَّدَة . نَقَلَ إِلَيْهَا تَابُوتَ العَهْدِ، وَوَسَّعَ تَحْصِينَاتِهَا المَنِيعَةَ، وَمَعَ اكْتِمَالِ بِنَاءِ هَذَا الحِصْنِ وَتَمَدُّدِ أَسْوَارِ المَدِينَةِ صَوْبَ الشَّمَالِ، انْبَثَقَتْ أُورُشَلِيمُ كَمَحْوَرٍ اسْتْرَاتِيجِيّ لِلْعَالَمِ القَدِيمِ؛ فَمِنْ قَلْبِ مَخَادِعِهَا رُسِمَتْ خَرَائِطُ التَّوَسُّعِ العَسْكَرِيّ، حَتَّى بَسَطَتِ المَمْلَكَةُ نُفُوذَهَا مِنْ مَشَارِفِ مِصْرَ عِنْدَ "جِرَارَ" جَنُوباً، وُصُولاً إِلَى ضِفَافِ نَهْرِ الفُرَاتِ شَمَالاً بَعْدَ دَحْرِ مُلُوكِ آرَامَ.

12. ثَوْرَةُ أَبْشَالُومَ عَلَى دَاوُدَ 985 – 979 ق.م

تَمَرَّدَ أَبْشَالُومُ عَلَى أَبِيهِ دَاوُدَ بَعْدَ أَنْ مَنعَهُ المَلِكُ مِنْ رُؤْيَةِ وَجْهِهِ؛ عِقَاباً لَهُ عَلَى أَفْعَالِهِ الشَّنِيعَةِ، وَمِنْهَا قَتْلُ أَخِيهِ «أَمْنُونَ». اسْتَمَالَ أَبْشَالُومُ قُلُوبَ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ بِالمَكْرِ لِيَخْلَفَ أَبَاهُ، مِمَّا اضْطَرَّ دَاوُدَ لِلْهَرَبِ نَجَاةً بِنَفْسِهِ. وَبَعْدَ زَمَنٍ يَسِيرٍ، عَادَ دَاوُدُ وَكَسَرَ شَوْكَةَ أَبْشَالُومَ، حَيْثُ قُتِلَ مِنْ جَيْشِهِ عِشْرُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَاسْتَرَدَّ المَلِكُ عَرْشَهُ.

إِنَّ هَذِهِ الحَقِيقَةَ الجُغْرَافِيَّةَ الدَّامِغَةَ تَقْطَعُ دَابِرَ كُلِّ مَزْعُومٍ يَرْبِطُ الفِلِسْطِينِيِّينَ بِأُورُشَلِيمَ؛ فَقَدْ كَانُوا دَوْماً غُرَبَاءَ عَنْ جِبَالِهَا الوَعِرَةِ وَتَضَارِيسِهَا السَّامِقَةِ. وَمَا مَسَاعِي زَجِّهِمْ فِي تَارِيخِ المَدِينَةِ إِلَّا تَزْيِيفٌ مَحْضٌ، يَتَحَطَّمُ أَمَامَ شُمُوخِ «جَبَلِ المُرَيَّا»؛ ذَلِكَ الشَّاهِدِ الصَّلْبُ الَّذِي احْتَضَنَ نُسُغَ اليَبُوسِيِّينَ، ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ، بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عَنْ رِمَالِ السَّاحِلِ الفِلِسْطِينِيِّ، إِضَافَةً إِلَى أَنَّ دَاوُدَ أَخْضَعَ المُدُنَ الخَمْسَ الفِلِسْطِينِيَّةَ بَعْدَ سِلْسِلَةٍ مِنَ الصِّرَاعَاتِ العَسْكَرِيَّةِ، فَكَسَرَ شَوْكَةَ الفِلِسْطِينِيِّينَ فِي الغَرْبِ وَأَنْهَى هَيْمَنَتَهُمْ، مُحَوِّلاً إِيَّاهُمْ مِنْ قُوَّةٍ غَازِيَةٍ إِلَى كِيَانٍ خَاضِعٍ وَمَهْزُومٍ عَسْكَرِيّاً.

13. سُلَيْمَانُ المَلِكُ، فِي حَوَالِي عَامِ 970 ق.م

فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِاعْتِلَائِهِ العَرْشَ، شَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي تَحْقِيقِ رُؤْيَا وَالِدِهِ دَاوُدَ؛ فَبَعْدَ أَنْ وَسَّعَ نِطَاقَ المَدِينَةِ نَحْوَ الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ، وَرَدَمَ مَا بَيْنَ القِلَاعِ، أَمَرَ بِحَشْدِ الآلَافِ مِنَ البَنَّائِينَ وَالنَّحَّاتِينَ. وَعَلَى ذُرْوَةِ «جَبَلِ المُرَيَّا» الشَّامِخَةِ، حَيْثُ التَّقَى المُقَدَّسُ بِالتَّارِيخِ، ارْتَفَعَتْ أَعْمِدَةُ الهَيْكَلِ لِتُعَانِقَ السَّمَاءَ؛ تَمَاماً فَوْقَ صَخْرَةِ المُرَيَّا ذَاتِهَا. فِي ذَلِكَ المَوْضِعِ الَّذِي اسْتَغْرَقَ بِنَاؤُهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ مِنَ الإِعْجَازِ العِمَارِيِّ، انْبَثَقَتْ أُورُشَلِيمُ كَمِحْوَرٍ لِلْعَالَمِ القَدِيمِ، وَهُوَ ذَاتُ المَوْضِعِ الَّذِي تَقُومُ عَلَيْهِ اليَوْمَ بَاحَاتُ المَسْجِدِ الأَقْصَى. إِنَّهَا الحَقِيقَةُ الجُغْرَافِيَّةُ الَّتِي لَا تَقْبَلُ التَّزْيِيفَ "أُورُشَلِيمُ" لَمْ تَكُنْ يَوْماً فِلِسْطِينِيَّةً فِي مَنْشَئِهَا بَلْ يَبُوسِيَّةً "كِنَانِيَّةً" الْأَصْلِ، إِسْرَائِيلِيَّةَ البِنَاءِ وَالعَرْشِ لَقَدْ حَوَّلَ ذَلِكَ العَمَلُ الدَّؤُوبُ الجَبَلَ الخَالِيَ إِلَى صَرْحٍ لَا يَغِيبُ عَنْهُ المَجْدُ، وَبِاتِّصَالِهِ بِأَسْوَارِ المَدِينَةِ، أَضْحَتْ أُورُشَلِيمُ فِي حُلَّتِهَا الجَدِيدَةِ عَاصِمَةً لِلرُّوحِ وَالقُوَّةِ.

14. عَامِ 945 ق.م

وَبَعْدَ عِشْرِينَ عَاماً مِنَ البِنَاءِ المُعْجِزِ لِلهَيْكَلِ وَالقَصْرِ المَلَكِيِّ، بَلَغَتْ أُورُشَلِيمُ ذُرْوَةَ مَجْدِهَا العَالَمِيِّ؛ حَتَّى شَدَّتْ مَلِكَةُ سَبَأَ رِحَالَهَا مِنْ أَقْصَى الجَنُوبِ "سَبَأَ" لِتَقِفَ مَذْهُولَةً أَمَامَ عَظَمَةِ البِنَاءِ وَفَيْضِ الحِكْمَةِ. لَقَدْ رَأَتْ بِعَيْنَيْهَا كَيْفَ اسْتَحَالَتِ المَدِينَةُ إِلَى صَرْحٍ لَا يَغِيبُ عَنْهُ المَجْدُ، حَيْثُ يَخْتَلِطُ ضِيَاءُ الذَّهَبِ بِأَرْزِ لُبْنَانَ، وَتَصِيرُ الفِضَّةُ فِيهَا كَالحِجَارَةِ مِنْ كَثْرَتِهَا، فَنَادَتْ بِبَرَكَةِ هَذَا العَرْشِ الَّذِي وَحَّدَ الأَرْضَ بِالسَّمَاءِ.

بَقِيَتِ ٱلْمَدِينَةُ حَامِلَةً لِلَقَبِ "مَدِينَةِ دَاوُدَ" بِجَانِبِ أُورَشَلِيمَ إِلَى عَامِ 740 قَبْلَ ٱلْمِيلَادِ تَقْرِيبًا.

15. اَلِانْقِسَامُ وَالضَّعْفُ 930–722 ق.م

بَعْدَ وَفَاةِ المَلِكِ سُلَيْمَانَ، اِنْقَسَمَتِ المَمْلَكَةُ إِلَى قِسْمَيْنِ: مَمْلَكَةِ يَهُوذَا الجَنُوبِيَّةِ وَعَاصِمَتِهَا أُورُشَلِيمَ، وَمَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلَ الشِّمَالِيَّةِ وَعَاصِمَتِهَا السَّامِرَةُ.

تَعَرَّضَتْ مَدِينَةُ أُورُشَلِيمَ لِغَزَوَاتٍ مُتَكَرِّرَةٍ مِنْ مِصْرَايِمَ وَآشُورَ، كَحَمْلَةِ الْفِرْعَوْنِ شِيشَقَ/شُوشَنَقَ عَلَى مُدُنِ يَهُوذَا نَحْوَ تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسٍ وَعِشْرِينَ قَبْلَ الْمِيلَادِ .

16. رَحُبْعَام بْنُ سُلَيْمَان 930 – 913 ق.م

انْقَسَمَتْ فِي عَهْدِهِ الْمَمْلَكَةُ، فَحَافَظَ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَحَصَّنَ مُدُنَ يَهُوذَا لِمُوَاجَهَةِ هَجَمَاتِ «شِيشَقَ» مَلِكِ مِصْرَايِمَ. وَفِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ لِمُلْكِهِ، اسْتَغَلَّ شِيشَقُ هَذَا التَّفَكُّكَ لِبَسْطِ نُفُوذِ مِصْرَايِمَ مُجَدَّدًا وَتَأْمِينِ الطُّرُقِ التِّجَارِيَّةِ؛ فَصَعِدَ بِجَيْشِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ. وَأَمَامَ هَذَا الْحِصَارِ وَتَفَوُّقِ الْقُوَّةِ الْمِصْرَايِمِيَّةِ، "مِصْرَ الْحَالِيَّةِ"، أَدْرَكَ رَحُبْعَامُ أَنَّ الْمُوَاجَهَةَ الْعَسْكَرِيَّةَ تَعْنِي دَمَارَ الْعَاصِمَةِ، فَخَضَعَ لِشُرُوطِ شِيشَقَ وَقَدَّمَ لَهُ جِزْيَةً ضَخْمَةً لِافْتِدَاءِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْهَلَاكِ. وَكَانَ مِنْ أَبْرَزِهَا خَزَائِنُ الْهَيْكَلِ وَأَتْرَاسُ الذَّهَبِ الَّتِي صَنَعَهَا سُلَيْمَانُ رَمْزًا لِعَظَمَةِ مُلْكِهِ؛ مِمَّا اضْطَرَّ رَحُبْعَامَ لِصُنْعِ أَتْرَاسٍ مِنْ نُحَاسٍ بَدَلًا مِنْهَا لِيَسْتَخْدِمَهَا الْحُرَّاسُ.

17. أَبِيَّام 913 – 910 ق.م

تَوَلَّى أَبِيَّامُ الحُكْمَ خَلَفاً لِأَبِيهِ رَحُبْعَامَ، وَرَغْمَ قِصَرِ مُدَّةِ حُكْمِهِ الَّتِي لَمْ تَتَجَاوَزْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ مَرْحَلَةً حَاسِمَةً فِي تَثْبِيتِ أَرْكَانِ مَمْلَكَةِ يَهُوذَا. لَمْ يَقْبَلْ أَبِيَّامُ بِالوَاقِعِ الَّذِي فَرَضَهُ الانْقِسَامُ، فَخَاضَ حُرُوباً ضَارِيَةً لِاسْتِعَادَةِ النُّفُوذِ عَلَى الْمُرْتَفَعَاتِ الجَبَلِيَّةِ المُحِيطَةِ أُورُشَلِيمَ، وَالَّتِي كَانَتْ تُمَثِّلُ عُمْقاً اسْتْرَاتِيجِيّاً لِحِمَايَةِ العَاصِمَةِ مِنْ تَهْدِيدَاتِ المَمْلَكَةِ الشَّمَالِيَّةِ.

وَتُعَدُّ مَعْرَكَةُ «جَبَلِ صَمَارَايِمَ» الْوَاقِعَةِ قُرْبَ تُخُومِ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، الَّتِي كَانَتْ تَبْعُدُ عَنْ أُورُشَلِيمَ مَسَافَةً تُقَدَّرُ بِمَا بَيْنَ 12 إِلَى 18 مِيلاً فِي الْمَوْقِعِ الَّذِي

يُشَكِّلُ الْيَوْمَ جُزْءًا مِنْ سِلْسِلَةِ جِبَالِ رَامَ اللهِ فِي الضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، أَبْرَزَ مَحَطَّاتِ عَهْدِهِ؛ حَيْثُ وَاجَهَ فِيهَا جَيْشَ «يَرُبْعَامَ بْنِ نَبَاطَ» مَلِكِ إِسْرَائِيلَ.

وَرَغْمَ أَنَّ أَبِيَّامَ كَانَ مَحْصُورًا بَيْنَ جَيْشَيْنِ (كَمِينٍ مِنْ خَلْفِهِ وَآخَرَ مِنْ أَمَامِهِ)، إِلَّا أَنَّهُ انْتَصَرَ انْتِصَارًا كَبِيرًا مَكَّنَهُ مِنْ بَسْطِ سَيْطَرَتِهِ عَلَى مُدُنٍ حُدُودِيَّةٍ هَامَّةٍ؛ مِثْلِ «بَيْتِ إِيلَ» قَرْيَةِ بِيتِينَ الْيَوْمَ شَمَالَ رَامَ اللهِ، وَ«يَشَانَةَ» عَيْنِ سِينِيَا الْحَالِيَّةِ، وَ«عَفْرُونَ» بَلْدَةِ الطَّيِّبَةِ الْحَالِيَّةِ بِمُرْتَفَعَاتِهَا الَّتِي تُشْرِفُ بِوُضُوحٍ عَلَى أَغْوَارِ أَرِيحَا وَالْبَحْرِ الْمَيِّتِ، لِيُؤَمِّنَ بِذَلِكَ حُدُودَ مَمْلَكَتِهِ الشَّمَالِيَّةَ، وَيُعِيدَ لِأُورُشَلِيمَ هَيْبَتَهَا الْعَسْكَرِيَّةَ بَعْدَ انْكِسَارِهَا أَمَامَ شِيشَقَ مَلِكِ مِصْرَايِمَ.

18. آسَا 910 – 869 ق.م

يُعَدُّ عَهْدُ المَلِكِ آسَا نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ جَوْهَرِيَّةٍ فِي مَسَارِ مَمْلَكَةِ يَهُودَا؛ حَيْثُ تَمَيَّزَ بِطُولِ فَتْرَةِ حُكْمِهِ الَّتِي امْتَدَّتْ لِوَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ عَاماً، اتَّسَمَتْ فِي مُسْتَهَلِّهَا بِالِاسْتِقْرَارِ وَالنَّهْضَةِ. بَدَأَ آسَا عَهْدَهُ بِثَوْرَةٍ إِصْلَاحِيَّةٍ شَامِلَةٍ؛ حَيْثُ طَهَّرَ المَدِينَةَ مِنَ الأَوْثَانِ، وَأَزَالَ المَذَابِحَ الغَرِيبَةَ الَّتِي دَخَلَتِ البِلَادَ، مُعِيداً لِلْمَمْلَكَةِ نَقَاءَهَا الدِّينِيَّ. وَفِي خِضَمِّ هَذِهِ الإِصْلَاحَاتِ، وَاجَهَ آسَا تَهْدِيداً مَصِيرِيّاً عِنْدَمَا غَزَا «زَارَحُ الكُوشِيُّ» (قَائِدُ الغُزَاةِ مِنَ الفَرَاعِنَةِ الإِثْيُوبِيِّينَ) البِلَادَ بِجَيْشٍ لَجِبٍ قِوَامُهُ أَلْفُ أَلْفِ مُقَاتِلٍ؛ فَانْتَفَضَ آسَا لِمُوَاجَهَتِهِ فِي مَعْرَكَةِ «مَرِيشَةَ» العَنِيفَةِ. وَيَقَعُ مَوْقِعُ هَذِهِ المَعْرَكَةِ اليَوْمَ عِنْدَ «تَلِّ مَرِيشَةَ» الأَثَرِيِّ المُجَاوِرِ لِكِيبُوتْسِ «بِيت غُوفْرِين» فِي مِنْطَقَةِ لَاخِيشَ، وَذَلِكَ إِلَى الغَرْبِ مِنْ مَوْقِعِ قَرْيَةِ بَيْتِ جِبْرِينَ القَدِيمَةِ، وَعَلَى بُعْدِ نَحْوِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ كِيلُومِتْراً شَرْقَ مَدِينَةِ «كِرْيَات غَات» الحَالِيَّةِ.

وَرَغْمَ الفَارِقِ العَدَدِيِّ الهَائِلِ، اسْتَطَاعَ آسَا بِفَضْلِ تَنْظِيمِهِ الدِّفَاعِيِّ وَثَبَاتِ جَيْشِهِ أَنْ يَهْزِمَ الغُزَاةَ هَزِيمَةً سَاحِقَةً، مِمَّا مَكَّنَهُ لَاحِقاً مِنْ تَرْمِيمِ خَزَائِنِ الهَيْكَلِ،

وَتَعْزِيزِ اسْتِقْرَارِ يَهُودَا لِعُقُودٍ طَوِيلَةٍ؛ فَبَاتَتْ مَمْلَكَةً قَوِيَّةً مَنِيعَةً، حَصَّنَ مُدُنَهَا وَأَمَّنَ حُدُودَهَا.

19. يَهُوشَافَاط 872 – 848 ق.م

تَوَلَّى يَهُوشَافَاطُ العَرْشَ خَلَفاً لِأَبِيهِ آسَا، لِيَسْتَهِلَّ عَهْداً عُرِفَ بِالِاسْتِقْرَارِ العَمِيقِ وَالِازْدِهَارِ الشَّامِلِ فِي مَمْلَكَةِ يَهُودَا. لَمْ يَكْتَفِ يَهُوشَافَاطُ بِتَعْزِيزِ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ، بَلْ صَبَّ اهْتِمَامَهُ عَلَى إِرْسَاءِ دَعَائِمِ العَدْلِ؛ فَأَصْلَحَ النِّظَامَ القَضَائِيَّ بِتَعْيِينِ قُضَاةٍ فِي كُلِّ مُدُنِ يَهُودَا الحَصِينَةِ، مُوصِياً إِيَّاهُمْ بِالنَّزَاهَةِ وَمَخَافَةِ اللهِ. وَمِنْ نَاحِيَةِ التَّطْوِيرِ العُمْرَانِيِّ، قَوَّى يَهُوشَافَاطُ حُصُونَ أُورُشَلِيمَ وَبَنَى قِلَاعاً وَمُدُنَ مَخَازِنَ لِتَكُونَ دِرْعاً مَنِيعاً لِلْعَاصِمَةِ. وَلِأَنَّ طُمُوحَهُ امْتَدَّ لِتَعْزِيزِ الِاقْتِصَادِ البَحْرِيِّ، أَنْشَأَ أُسْطُولاً تِجَارِيّاً ضَخْماً فِي «عِصْيُونَ جَابِرَ» الَّتِي تَقَعُ أَطْلَالُهَا اليَوْمَ بَيْنَ مَدِينَتَيِ إِيلَاتَ وَالعَقَبَةِ؛ لِجَلْبِ الذَّهَبِ مِنْ بِلَادِ «أُوفِيرَ»، الَّتِي تَقَعُ فِي المُرْتَفَعَاتِ الشَّمَالِيَّةِ المُحَاذِيَةِ لِمَمْلَكَةِ سَبَأَ قَدِيماً؛ إِحْيَاءً لِأَمْجَادِ المَلِكِ سُلَيْمَانَ.

20. يَهُورَام 848 – 841 ق.م

تَوَلَّى يَهُورَامُ الحُكْمَ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ يَهوشَافَاطَ، إِلَّا أَنَّ عَهْدَهُ لَمْ يَكُنِ امْتِدَاداً لِلاسْتِقْرَارِ؛ بَلْ كَانَ حِقْبَةً مَشُوبَةً بِالدِّمَاءِ وَالِاضْطِرَابِ. فَقَدِ اسْتَهَلَّ مُلْكَهُ بِخُطْوَةٍ دَمَوِيَّةٍ حَيْثُ قَتَلَ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ لِيُثَبِّتَ أَرْكَانَ عَرْشِهِ، مِمَّا أَفْقَدَهُ السَّنَدَ الدَّاخِلِيَّ. وَلَعِبَ زَوَاجُهُ مِنْ «عَثَلْيَا» بِنْتِ أَخْآبَ (مَلِكِ إِسْرَائِيلَ) دَوْراً مِحْوَرِيّاً فِي تَغْيِيرِ هُوِيَّةِ المَمْلَكَةِ؛ حَيْثُ أَدْخَلَتْ عِبَادَةَ «البَعْلِ» إِلَى أُورُشَلِيمَ، مِمَّا أَثَارَ سَخَطَ الشَّعْبِ وَتَسَبَّبَ فِي انْقِسَامٍ دِينِيٍّ حَادٍ.

وَعَلَى الصَّعِيدِ العَسْكَرِيِّ، ضَعُفَتْ قَبْضَةُ يَهُودَا فِي عَهْدِهِ؛ فَانْتَفَضَتْ «أَدُومُ» (الوَاقِعَةُ جَنُوبَ البَحْرِ المَيِّتِ) وَتَحَرَّرَتْ مِنْ سَيْطَرَتِهِ، كَمَا ثَارَتْ مَدِينَةُ «لِبْنَةَ» (فِي سُهُولِ يَهُودَا الغَرْبِيَّةِ) ضِدَّ حُكْمِهِ. وَبَلَغَ تَدَهْوُرُ الأَوْضَاعِ

ذِرْوَتَهُ عِنْدَمَا غَزَا الفِلِسْطِيُّونَ وَالعَرَبُ الذِينَ بِمُحَاذَاةِ الكُوشِيِّينَ المَمْلَكَةَ وَاقْتَحَمُوهَا؛ فَنَهَبُوا كُلَّ مَالِ بَيْتِ المَلِكِ، وَسَبَوْا بَنِيهِ وَنِسَاءَهُ، فَلَمْ يَبْقَ لَهُ سِوَى ابْنِهِ الأَصْغَرِ. وَانْتَهَتْ حَيَاةُ يَهُورَامَ بِنِهَايَةٍ مَأْسَاوِيَّةٍ؛ حَيْثُ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ مِعَوِيٍّ عُضَالٍ اسْتَمَرَّ عَامَيْنِ، حَتَّى خَرَجَتْ أَمْعَاؤُهُ بِسَبَبِ شِدَّةِ السَّقَمِ، فَمَاتَ بِآلَامٍ مُبَرِّحَةٍ دُونَ أَنْ يَتَأَسَّفَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، وَلَمْ يُدْفَنْ فِي قُبُورِ المُلُوكِ؛ لِيَكُونَ خِتَامُهُ شَاهِداً عَلَى حِقْبَةٍ مِنَ الاِنْكِسَارِ وَالضَّلَالِ.

21. أَخَزْيَا 841 ق.م

تَوَلَّى أَخَزْيَا (المَعْرُوفُ أَيْضاً بِاسْمِ يَهُوآخَاز) عَرْش يَهُودَا وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ وَالعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ، لِيَكُونَ خَلَفاً لِأَبِيهِ بَعْدَ تِلْكَ الاِضْطِرَابَاتِ الدَّامِيَةِ. وَرَغْمَ أَنَّ مُدَّةَ حُكْمِهِ لَمْ تَتَجَاوَزْ عاماً وَاحِداً، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ مَشْحُونَةً بِالتَّبَعِيَّةِ لِبَيْتِ أَخْآب؛ إِذْ كَانَتْ أُمُّهُ «عَثَلْيَا» بِنْتُ إِيزَابِلَ الكَنْعَانِيَّةِ هِيَ الَّتِي تُوَجِّهُ سِيَاسَاتِهِ، فَانْقَادَ لِمَشُورَتِهَا الشِّرِّيرَةِ الَّتِي أَبْعَدَتِ المَمْلَكَةَ عَنْ تَقَالِيدِ آبَائِهَا.

تَحَالَفَ أَخَزْيَا مَعَ خَالِهِ «يُورَامَ» مَلِكِ إِسْرَائِيلَ فِي حَرْبٍ ضِدَّ «حَزَائِيلَ» مَلِكِ أَرَامَ دِمَشْقَ فِي سُورِيَا الحَالِيَّةِ عِنْدَ «رَامُوت جِلْعَادَ» (مَدِينَةَ إِرْبِدَ الأُرْدُنِيَّةِ اليَوْمَ)؛ وَهُنَاكَ أُصِيبَ يُورَامُ فِي المَعْرَكَةِ، فَانْطَلَقَ أَخَزْيَا لِزِيَارَتِهِ فِي «يَزْرَعِيلَ» بِمَرْجِ ابْنِ عَامِرٍ. وَفِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ، كَانَ «يَاهُو بْنُ نِمْشِي» قَدْ بَدَأَ ثَوْرَتَهُ المَصِيرِيَّةَ لِإِبَادَةِ نَسْلِ أَخْآب وَتَطْهِيرِ البِلَادِ مِنَ الوَثَنِيَّةِ. لَمْ يَسْلَمْ أَخَزْيَا مِنْ هَذِهِ الثَّوْرَةِ العَارِمَةِ؛ فَقَدْ أَدْرَكَهُ رِجَالُ يَاهُو وَهُوَ هَارِبٌ فِي اتِّجَاهِ «مَجِدُّو» الوَاقِعَةِ بِالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ أُمِّ الفَحْمِ شَمَالَ إِسْرَائِيلَ اليَوْمَ، حَيْثُ أُصِيبَ بِجِرَاحٍ قَاتِلَةٍ وَمَاتَ هُنَاكَ. وَرَغْمَ نِهَايَتِهِ الحَزِينَةِ، أُخِذَ جُثْمَانُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَدُفِنَ فِي قُبُورِ آبَائِهِ، وَبِمَوْتِهِ انْفَتَحَ البَابُ أَمَامَ أُمِّهِ «عَثَلْيَا» لِتَسْتَوْلِيَ عَلَى العَرْشِ، لِتَبْدَأَ وَاحِدَةً مِنْ أَحْلَكِ لَحَظَاتِ التَّارِيخِ فِي مَمْلَكَةِ يَهُودَا.

22. عَثَلْيَا 841 – 835 ق.م

كَانَتْ عَثَلْيَا ابْنَةَ المَلِكِ «أَخْآبَ» (مَلِكِ إِسْرَائِيلَ الشَّمَالِيَّةِ) وَزَوْجَةَ «يَهُورَامَ» مَلِكِ يَهُودَا. وَبَعْدَ مَقْتَلِ ابْنِهَا المَلِكِ «أَخَزْيَا» فِي مَعْرَكَةٍ خَارِجِيَّةٍ، رَأَتْ فُرْصَةً لِإِحْكَامِ قَبْضَتِهَا عَلَى أُورُشَلِيمَ. وَلِكَيْ تَمْنَعَ أَيَّ مُطَالِبٍ شَرْعِيٍّ مِنَ الجُلُوسِ عَلَى العَرْشِ، قَامَتْ بِخُطْوَةٍ دَمَوِيَّةٍ بَشِعَةٍ؛ حَيْثُ أَمَرَتْ بِتَصْفِيَةِ كُلِّ «النَّسْلِ المَلَكِيِّ» لِبَيْتِ دَاوُدَ، بِمَا فِيهِمْ أَحْفَادُهَا وَأَبْنَاءُ عُمُومَتِهِمْ، لِتَكُونَ هِيَ الحَاكِمَةَ الوَحِيدَةَ المُسْتَبِدَّةَ بِالسُّلْطَةِ. لَمْ يَنْجُ مِنْ مَجْزَرَتِهَا سِوَى حَفِيدِهَا الطِّفْلِ «يَهُوآشَ»، الَّذِي خَبَّأَتْهُ عَمَّتُهُ «يَهُوشَبَعُ» فِي الهَيْكَلِ. فَقَدْ حَكَمَتِ المَمْلَكَةَ بِقَبْضَةٍ صَارِمَةٍ لِمُدَّةِ سِتِّ سَنَوَاتٍ، عَمِلَتْ فِيهَا عَلَى تَرْسِيخِ وَنَشْرِ عِبَادَةِ أَوْثَانِ الإِلَهِ الكَنْعَانِيِّ «بَعْلٍ» فِي أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَتْ لَهُ مَعَابِدَ وَكَهَنَةً. وَقَدِ امْتَدَّ طُغْيَانُهَا لِيَطَالَ هَيْكَلَ سُلَيْمَانَ نَفْسَهُ، حَيْثُ نَهَبَتْ جَمِيعَ مُقَدَّسَاتِهِ وَأَوَانِيهِ الثَّمِينَةَ لِتَقْدِيمِهَا قَرَابِينَ لِأَوْثَانِ البَعْلِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَعْطِيلِ الشَّعَائِرِ التَّقْلِيدِيَّةِ وَتَخْرِيبِ أَجْزَاءٍ مِنَ المَبْنَى. وَلَمْ تَنْتَهِ هَذِهِ الحِقْبَةُ المُظْلِمَةُ إِلَّا فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ حُكْمِهَا، عِنْدَمَا قَادَ الكَاهِنُ الأَعْظَمُ «يَهُويَادَاعُ» تَحَرُّكاً سِرِّيّاً حَاسِماً، حَيْثُ حَشَدَ لَاوِيِّي المَمْلَكَةِ وَرُؤَسَاءَ المِئَاتِ وَالحُرَّاسَ، وَأَخْرَجَ النَّاجِيَ الوَحِيدَ «يَهُوآشَ» لِيُتَوِّجَهُ مَلِكاً شَرْعِيّاً أَمَامَ الشَّعْبِ فِي فِنَاءِ الهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا سَمِعَتْ عَثَلْيَا جَلَبَةَ الهُتَافِ وَتَصْفِيقَ الحُشُودِ، سَارَعَتْ إِلَى المَكَانِ وَأَخَذَتْ تَصْرُخُ: «خِيَانَةٌ! خِيَانَةٌ!»، لَكِنَّ أَوَامِرَ الكَاهِنِ صَدَرَتْ بِعَدَمِ سَفْكِ دَمِهَا دَاخِلَ الحَرَمِ المُقَدَّسِ؛ فَأُخْرِجَتْ عَبْرَ مَدْخَلِ الخَيْلِ إِلَى القَصْرِ المَلَكِيِّ، وَهُنَاكَ قُتِلَتْ بِالسَّيْفِ، لِتَنْتَهِيَ بِذَلِكَ سُلَالَةُ أَخْآبَ فِي يَهُودَا، وَيَعُودَ العَرْشُ إِلَى نَسْلِ دَاوُدَ وَتُهْدَمَ مَعَابِدُ البَعْلِ فِي كُلِّ أَنْحَاءِ البِلَادِ.

23. يَهُوآش 835 – 796 ق.م

اعْتَلَى العَرْشَ طِفْلًا بَعْدَ نَجَاتِهِ مِنَ المَذْبَحَةِ، وَقَادَ فِي مَطْلَعِ حُكْمِهِ أَعْظَمَ مَشْرُوعٍ لِإِعَادَةِ بَهَاءِ «هَيْكَلِ سُلَيْمَانَ»، مُنَظِّمًا أَوَّلَ صُنْدُوقٍ لِلتَّبَرُّعَاتِ فِي التَّارِيخِ لِأَجْلِ

صِيَانَةِ الأَقْدَاسِ. إِلَّا أَنَّ خَاتِمَةَ عَهْدِهِ شَهِدَتْ تَرَاجُعًا دَرَامَاتِيكِيًّا؛ حَيْثُ نَسِيَ فَضْلَ مُنْقِذِهِ «**يَهُويَادَاعَ الكَاهِنِ**»، وَأَمَرَ بِرَجْمِ ابْنِهِ «**زَكَرِيَّا الكَاهِنِ**» فِي سَاحَةِ الهَيْكَلِ.

24. أَمَصْيَا 796 – 767 ق.م

بَدَأَ عَهْدَهُ بِانْتِصَارٍ مَجِيدٍ عَلَى الأَدُومِيِّينَ فِي «**وَادِي المِلْحِ**»، وَاسْتَعَادَ السَّيْطَرَةَ عَلَى «**سَالِعَ**» (البَتْرَاءِ اليَوْمَ) وَدَعَا اسْمَهَا «**يَقْتَئِيلَ**»، لَكِنَّ زَهْوَ القُوَّةِ قَادَهُ إِلَى نِزَاعٍ مَأْسَاوِيٍّ مَعَ مَمْلَكَةِ إِسْرَائِيلَ الشَّمَالِيَّةِ؛ انْتَهَى بِانْكِسَارِ جَيْشِهِ، وَهَدْمِ جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنْ سُورِ أُورُشَلِيمَ، وَنَهْبِ كُنُوزِ الهَيْكَلِ وَالقَصْرِ المَلَكِيِّ، لِيَكُونَ عَهْدُهُ دَرْساً قَاسِياً فِي عَاقِبَةِ الغُرُورِ السِّيَاسِيِّ.

25. عُزِّيَّا (عَزَرْيَا) 767 – 740 ق.م

يُعَدُّ عَهْدُهُ عَصْراً ذَهَبِيّاً ثَانِيًا لِلسِّيَادَةِ (بَعْدَ عَهْدِ سُلَيْمَانَ)؛ حَيْثُ خَرَجَ بِجَيْشِهِ لِيَدُكَّ حُصُونَ الفِلِسْطِينِيِّينَ، فَهَدَمَ أَسْوَارَهُمُ الحَصِينَةَ فِي جَتَّ وَيَبْنَةَ وَأَشْدُودَ، وَبَنَى مُدُنًا فِي أَرَاضِيهِمْ لِتَكُونَ مَرَاكِزَ لِحُكْمِهِ. كَمَا انْتَصَرَ عَلَى العَرَبِ المُقِيمِينَ فِي «**جُورِ بَعْلَ**» (وَهِيَ مِنْطَقَةُ النَّقَبِ المُمْتَدَّةُ نَحْوَ سِينَاءَ)، وَأَخْضَعَ العَمُّونِيِّينَ (سُكَّانَ مَمْلَكَةِ عَمُّونَ "عَمَّانَ اليَوْمَ")، حَتَّى قَدَّمُوا لَهُ الجِزْيَةَ وَخَضَعُوا لِسُلْطَانِهِ، وَطَارَ صِيتُهُ إِلَى مَدَاخِلِ مِصْرَ مِنْ فَرْطِ قُوَّتِهِ. وَفِي أُورُشَلِيمَ، بَنَى أَبْرَاجًا حَصِينَةً عِنْدَ بَابِ الزَّاوِيَةِ وَبَابِ الوَادِي، وَزَوَّدَهَا بِمَجَانِيقَ وَآلَاتٍ حَرْبِيَّةٍ مُبْتَكَرَةٍ لِرَشْقِ السِّهَامِ، بَيْنَمَا ازْدَهَرَتِ الزِّرَاعَةُ فِي عَهْدِهِ حَتَّى اسْتَحَالَتِ القِفَارُ جَنَّاتٍ نَاضِرَةً.

26. يُوثَام 740 – 732 ق.م

سَارَ عَلَى نَهْجِ أَبِيهِ فِي الاسْتِقَامَةِ وَالبِنَاءِ، لَكِنَّهُ تَفَادَى سَقْطَتَهُ؛ فَلَمْ يَدْخُلْ هَيْكَلَ الرَّبِّ مُتَعَدِّياً. انْصَبَّ جُلُّ اهْتِمَامِهِ عَلَى تَعْزِيزِ مَنَاعَةِ أُورُشَلِيمَ، فَبَنَى «**البَابَ الأَعْلَى**» لِلهَيْكَلِ، وَأَكْمَلَ تَحْصِينَاتِ سُورِ «**الأُوفَلِ**»؛ وَهُوَ الحَيُّ المَلَكِيُّ الحَصِينُ الَّذِي يَرْبِطُ بَيْنَ مَدِينَةِ دَاوُدَ وَجَبَلِ الهَيْكَلِ، لِيَضْمَنَ حِمَايَةَ

القُصُورِ وَمَرَاكِزِ الحُكْمِ، مِمَّا جَعَلَ أُورُشَلِيمَ كُتْلَةً عَسْكَرِيَّةً وَاحِدَةً لَا يُمْكِنُ اخْتِرَاقُهَا. وَلَمْ تَقْتَصِرْ أَمْجَادُهُ عَلَى العِمَارَةِ، بَلْ كَانَ جَبَّارَ بَأْسٍ فِي الحُرُوبِ؛ حَيْثُ حَارَبَ مَلِكَ العَمُّونِيِّينَ (سُكَّانَ عَمَّانَ اليَوْمَ) وَقَهَرَهُمْ، فَأَجْبَرَهُمْ عَلَى دَفْعِ جِزْيَةٍ هَائِلَةٍ لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ مُتَتَالِيَةٍ، شَمَلَتْ مِئَةَ وَزْنَةٍ مِنَ الفِضَّةِ، وَعَشَرَةَ آلَافِ كُرِّ حِنْطَةٍ، وَعَشَرَةَ آلَافِ كُرِّ شَعِيرٍ. فَصَارَتْ يَهُوذَا فِي عَهْدِهِ قَلْعَةً حَصِينَةً وَخَزِينَةً عَامِرَةً.

27. آحَاز 732 – 716 ق.م

شَهِدَ عَهْدُهُ تَحَوُّلاً جِيوُسِيَاسِيًّا خَطِيرًا؛ حَيْثُ حَاصَرَتْ أُورُشَلِيمَ جُيُوشُ حِلْفِ «بيتِ حَزائيلَ» (عَاصِمَةِ أَرَامَ دِمَشْقَ اليَوْمَ)، وَالسَّامِرَةِ (عَاصِمَةِ إِسْرَائِيلَ الشَّمَالِيَّةِ). وَلِتَأْمِينِ بَقَائِهِ، اسْتَجْدَى آحَازُ تَدَخُّلَ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الآشُورِيَّةِ (وَمَرْكَزُهَا العِرَاقُ)، عَارِضاً التَّبَعِيَّةَ وَدَافِعاً جِزْيَةً ضَخْمَةً مِنْ ذَهَبِ الهَيْكَلِ وَقَصْرِ الأُوفَلِ. وَبِفِعْلِ هَذَا الضَّعْفِ، انْكَمَشَتْ حُدُودُهُ جُغْرَافِيًّا؛ حَيْثُ انْتَزَعَ الأَدُومِيُّونَ (سُكَّانُ جَنُوبِ الأُرْدُنِّ) مِينَاءَ «أَيْلَةَ» (إِيلَاتَ الحَالِيَّةِ) عَلَى البَحْرِ الأَحْمَرِ، لِيَنْتَهِيَ عَهْدُهُ وَأُورُشَلِيمُ مُجَرَّدُ وِلَايَةٍ تَابِعَةٍ لِأَشُّورَ، بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ سِيَادَتَهَا وَمَوَارِدَهَا الاقْتِصَادِيَّةَ.

28. حَزَقِيَّا 716 – 687 ق.م

فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ لِلْمَلِكِ حَزَقِيَّا مَلِكِ يَهُوذَا، صَعِدَ سَنْحَارِيبُ مَلِكُ أَشُّورَ عَلَى مُدُنِ يَهُوذَا الْحَصِينَةِ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا، فَفَرَضَ عَلَى حَزَقِيَّا جِزْيَةً بَاهِظَةً قَدْرُهَا ثَلَاثُ مِئَةِ وَزْنَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَثَلَاثُونَ وَزْنَةً مِنَ الذَّهَبِ، فَمَا كَانَ مِنَ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ دَفَعَ كُلَّ مَا وُجِدَ مِنْ فِضَّةٍ فِي بَيْتِ الرَّبِّ وَخَزَائِنِ الْقَصْرِ، بَلْ وَقَشَّرَ ذَهَبَ الْأَبْوَابِ لِيُسَدِّدَ لِأَشُّورَ مَطَالِبَهَا. وَبَيْنَمَا كَانَ حَزَقِيَّا يُدِيرُ الْأَزْمَةَ دِبْلُومَاسِيًّا، شَرَعَ فِي تَدْبِيرٍ عَسْكَرِيٍّ عَبْقَرِيٍّ؛ فَحَفَرَ نَفَقاً صَخْرِيّاً يَمْتَدُّ نَحْوَ خَمْسِ مِئَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَثَلَاثِينَ مِتْراً، رَابِطاً بَيْنَ نَبْعِ جِيحُونَ الْوَاقِعَةِ خَارِجَ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ وَبِرْكَةِ سِلْوَانَ الْوَاقِعَةِ

دَاخِلَ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ، لِيَحْرِمَ الْغُزَاةَ مِنَ الْمَاءِ وَيُؤَمِّنَهُ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَقَدِ الْتَقَى الْحَفَّارُونَ فِي مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ بِدِقَّةٍ هَنْدَسِيَّةٍ نَادِرَةٍ خَلَّدَهَا "نَقْشُ سِلْوَانَ" الْأَثَرِيُّ. وَرَغْمَ تِلْكَ الْجِزْيَةِ، لَمْ يَكُفَّ سَنْحَارِيبُ عَنْ طَمَعِهِ، فَحَاصَرَ أُورُشَلِيمَ بِجَيْشٍ جَرَّارٍ، وَأَطْلَقَ قَادَتُهُ خِطَاباً مَمْلُوءاً بِالتَّعْيِيرِ وَالْإِهَانَةِ لِلْمَلِكِ وَلِإِلَهِهِ، لَكِنَّ الْمَصَادِرَ التَّارِيخِيَّةَ وَالْأَثَرِيَّةَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ جَيْشَ سَنْحَارِيبَ أُصِيبَ بِوَبَاءٍ مُفَاجِئٍ قَاتِلٍ، يُرَجِّحُ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ كَانَ الطَّاعُونَ أَوِ الْكُولِيرَا النَّاجِمَةَ عَنِ الْمِيَاهِ الْمُلَوَّثَةِ عَنْ طَرِيقِ جُرْذَانِ الْحَقْلِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى هَلَاكِ مِئَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ. وَتَرَتَّبَ عَلَى هَذَا الْمَوْتِ الْجَمَاعِيِّ الْفَوْضَوِيِّ فِي مُعَسْكَرِ الْآشُورِيِّينَ أَنْ رَفَعَ سَنْحَارِيبُ الْحِصَارَ مُضْطَرّاً، وَعَادَ بِمَنْ تَبَقَّى مَعَهُ إِلَى أَشُّورَ دُونَ أَنْ يَتَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِ أُورُشَلِيمَ أَوْ تَدْمِيرِهَا، وَهُوَ مَا خَلَّدَهُ سَنْحَارِيبُ نَفْسُهُ فِي "مَوْشُورِ سَنْحَارِيبَ" مُتَفَاخِراً بِأَنَّهُ حَاصَرَ حَزَقِيَّا كَطَائِرٍ فِي قَفَصٍ، لَكِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ اقْتَحَمَ الْمَدِينَةَ، مِمَّا يُؤَكِّدُ فَشَلَ الْحَمْلَةِ فِي تَحْقِيقِ هَدَفِهَا النِّهَائِيِّ قَبْلَ أَنْ يَلْقَى حَتْفَهُ غَدْراً عَلَى يَدِ ابْنَيْهِ.

29. مَنَسَّى 687 – 642 ق.م

خَلَفَ مَنَسَّى أَبَاهُ حَزَقِيَّا عَلَى عَرْشِ يَهُوذَا وَهُوَ ابْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، لِيُسَجِّلَ عَهْدُهُ أَطْوَلَ فَتْرَةِ حُكْمٍ فِي تَارِيخِ أُورُشَلِيمَ بَلَغَتْ خَمْساً وَخَمْسِينَ سَنَةً، كَانَتْ حَافِلَةً بِالتَّقَلُّبَاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْحَادَّةِ. وَمَعَ تَعَاظُمِ الْهَيْمَنَةِ الْأَشُّورِيَّةِ تَعَرَّضَ مَنَسَّى لِلْأَسْرِ وَسِيقَ بِقُيُودٍ نُحَاسِيَّةٍ إِلَى بَابِلَ. وَذَلِكَ حَوَالِي 652–648 ق.م، قَبْلَ أَنْ يُعَادَ إِلَى عَرْشِهِ ضَمَاناً لِاسْتِقْرَارِ الْحُدُودِ السَّاحِلِيَّةِ وَتَأْمِيناً لِمَصَالِحِ أَشُّورَ ضِدَّ مِصْرَ. وَمِنَ النَّاحِيَةِ الْعُمْرَانِيَّةِ، انْصَبَّ جُهْدُهُ عَلَى تَقْوِيَةِ تَحْصِينَاتِ أُورُشَلِيمَ؛ فَأَنْشَأَ سُوراً خَارِجِيّاً لِمَدِينَةِ دَاوُدَ غَرْبِيَّ جِيحُونَ، وَهُوَ تَدْبِيرٌ دِفَاعِيٌّ تَقَاطَعَ مَعَ بَدْءِ تَوَارِي النُّفُوذِ الْأَشُّورِيِّ وَبُرُوزِ الْقُوَى الْبَابِلِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ الصَّاعِدَةِ، لِيَنْتَهِيَ حُكْمُهُ عَامَ 642 ق.م تَارِكاً مَمْلَكَةً مُزْدَهِرَةً اقْتِصَادِيّاً لَكِنَّهَا مُرْتَهَنَةُ السِّيَادَةِ لِلْقُوَى الْعُظْمَى.

30. آمُون 642 – 640 ق.م

اعْتَلَى المَلِكُ آمُون عَرْشَ أُورُشَلِيمَ وَهُوَ فِي الثَّانِيَةِ وَالعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ، لِيَجِدَ نَفْسَهُ أَمَامَ تَرِكَةٍ سِيَاسِيَّةٍ مُثْقَلَةٍ بِالتَّبَعِيَّةِ لِلإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الآشُورِيَّةِ، الَّتِي بَدأَتْ تَتَبَدَّى عَلَيْهَا عَلَامَاتُ التَّصَدُّعِ وَالوَهَنِ الإِدَارِيّ. لَكِنَّهُ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ، أَجَّجَ جَذْوَةَ الِاحْتِقَانِ لَدَى قُـوَى دَاخِلِيَّةٍ كَانَتْ تَطْمَحُ لِاسْتِرْدَادِ الِاسْتِقْلَالِ السِّيَاسِيّ وَالمُكْتَسَبَاتِ الِاقْتِصَادِيَّةِ، الَّتِي اسْتَنْزَفَتْهَا الجِزْيَاتُ المَفْرُوضَةُ مِنْ نِينَوَى؛ فَانْتَهَى بِهِ المَطَافُ مَقْتُولاً دَاخِلَ حَرَمِ قَصْرِهِ فِي اغْتِيَالٍ دَمَوِيّ طَوَى عَهْدَهُ سَرِيعاً. غَيْرَ أَنَّ هَذَا الِانْقِلَابَ جَابَهَ رَدَّ فِعْلٍ غَيْرَ مُتَوَقَّعٍ مِنْ طَبَقَةِ «شَعْبِ الأَرْضِ» وَهُمْ كِبَارُ مُلَّاكِ الأَرَاضِي وَالأَعْيَانِ فِي الأَقَالِيمِ الَّذِينَ رَفَضُوا الفَوْضَى السِّيَاسِيَّةَ، وَعَمَدُوا إِلَى تَصْفِيَةِ المُتَآمِرِينَ عَسْكَرِيّاً لِإِعَادَةِ الشَّرْعِيَّةِ لِبَيْتِ دَاوُدَ. وَبِذَلِكَ انْقَضَتْ حِقْبَةُ آمُون بِتَنْصِيبِ ابْنِهِ الطِّفْلِ يُوشِيَّا، لِتَتَحَوَّلَ فَتْرَتُهُ فِي السِّجِلَّاتِ التَّارِيخِيَّةِ مِنْ مُجَرَّدِ حُكْمٍ عَابِرٍ إِلَى نُقْطَةِ ارْتِكَازٍ فَصَلَتْ بَيْنَ مَرْحَلَةِ الإِذْعَانِ التَّامّ لِلْقُوَى العُظْمَى، وَمَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنْ مَسَاعِي الِاسْتِقْلَالِ وَإِعَادَةِ هَيْكَلَةِ الدَّوْلَةِ.

عَيْنُ جِيحُونَ، وَهِيَ الْمَصْدَرُ الْمَائِيُّ الرَّئِيسِيُّ لِأُورُشَلِيمَ الْقَدِيمَةِ، تَقَعُ فِي الْجُزْءِ الشَّرْقِيِّ مِنْ وَادِي قِدْرُونَ، وَهَذَا النَّبْعُ كَانَتْ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ حَيَوِيَّةٌ لِأَنَّهُ أَمَّنَ الْمَاءَ لِسُكَّانِ الْمَدِينَةِ، وَلِذَلِكَ قَامَ الْيَبُوسِيُّونَ وَبَعْدَهُمْ مَلِكُ يَهُوذَا حِزْقِيَّا بِحَفْرِ أَنْفَاقٍ لِجَلْبِ الْمَاءِ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ وَحِمَايَتِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ.

عَيْنُ رُوجَلَ تَقَعُ فِي الجِهَةِ الجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ القُدْسِ، عِنْدَ الْتِقَاءِ وَادِي قَدْرُونَ وَوَادِي هِنُّومَ، بِالقُرْبِ مِنْ سَلْوَانَ.

31. يُوشِيَّا 640 – 609 ق.م

تَوَلَّى مَقَالِيدَ الحُكْمِ فِي أُورُشَلِيمَ وَهُوَ لَا يَزَالُ طِفْلًا فِي الثَّامِنَةِ مِنْ عُمُرِهِ، لِيَكُونَ ثَمَرَةَ الِانْتِفَاضَةِ الَّتِي قَادَهَا «**شَعْبُ الأَرْضِ**» ضِدَّ قَتَلَةِ وَالِدِهِ. وَقَدْ شَهِدَ عَهْدُهُ الطَّوِيلُ، الَّذِي امْتَدَّ لِواحدٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا، أَكْبَرَ حَرَكَةِ تَحَوُّلٍ فِي تَارِيخِ المَمْلَكَةِ، حَيْثُ اسْتَغَلَّ يَقَظَةَ الحِسِّ القَوْمِيِّ وَتَرَاجُعَ نُفُوذِ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الآشُورِيَّةِ لِيُدَشِّنَ مَشْرُوعاً إِصْلَاحِيّاً شَامِلاً. فَعَلَى الصَّعِيدِ الدَّاخِلِيِّ، عَمِدَ إِلَى تَنْفِيذِ خُطَّةٍ إِدَارِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ أَعَادَتْ تَنْظِيمَ هُوِيَّةِ الدَّوْلَةِ، وَأَلْغَى التَّبَعِيَّةَ الثَّقَافِيَّةَ لِلْقُوَى الْمُجَاوِرَةِ.كَمَا شَرَعَ فِي تَرْمِيمِ المَرَافِقِ الحَيَوِيَّةِ وَعَلَى رَأْسِهَا «**الهَيْكَلُ**»، مَعَ تَعْزِيزِ النُّفُوذِ المَرْكَزِيِّ لِلْعَاصِمَةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى انْتِعَاشٍ اقْتِصَادِيٍّ وَسِيَاسِيٍّ لَمْ تَشْهَدْهُ المَمْلَكَةُ مُنْذُ عُقُودٍ. أَمَّا عَلَى الصَّعِيدِ الخَارِجِيِّ، فَقَدْ طَمَحَ يُوشِيَّا لِتَوْسِيعِ حُدُودِهِ مُسْتَفِيداً مِنْ سُقُوطِ نِينَوَى الَّتِي تَقَعُ أَطْلَالُهَا اليَوْمَ ضِمْنَ مَدِينَةِ المَوْصِلِ شَمَالِيَّ العِرَاقِ ظَانّاً أَنَّ انْهِيَارَ هَذَا القُطْبِ العَالَمِيِّ سَيُفْسِحُ لَهُ المَجَالَ لِلسِّيَادَةِ الإِقْلِيمِيَّةِ. لَكِنَّ طُمُوحَهُ اصْطَدَمَ بِتَغَيُّرِ الخَرِيطَةِ الدَّوْلِيَّةِ وَبُرُوزِ القُوَّةِ المِصْرِيَّةِ وَالبَابِلِيَّةِ. وَانْتَهَتْ حَيَاتُهُ بِشَكْلٍ تَرَاجِيدِيٍّ فِي مَعْرَكَةِ «**مَجِدُّو**» الَّتِي تُشْرِفُ مُبَاشَرَةً عَلَى مَرْجِ ابْنِ عَامِرٍ، وَالْوَاقِعَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ أُمِّ الْفَحْمِ شَمَالِيَّ إِسْرَائِيلَ الْيَوْمَ، حِينَ حَاوَلَ التَّصَدِّيَ لِزَحْفِ الجَيْشِ المِصْرِيِّ بِقِيَادَةِ نَخْو الثَّانِي، لِيَسْقُطَ قَتِيلاً وَيَتْرُكَ خَلْفَهُ إِرْثاً سِيَاسِيّاً وَثَقَافِيّاً قَبْلَ الِانْهِيَارِ الكَبِيرِ لِلمَمْلَكَةِ.

32. يَهُوآحَاز 609 ق.م

تَوَلَّى يَهُوآحَازُ مَقَالِيدَ الحُكْمِ فِي أُورُشَلِيمَ بِاخْتِيَارٍ شَعْبِيٍّ بَعْدَ مَقْتَلِ المُفَاجِئِ لِوَالِدِهِ يُوشِيَّا فِي مَعْرَكَةِ مَجِدُّو. وَرَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الِابْنَ الأَكْبَرَ، إِلَّا أَنَّ "شَعْبَ الأَرْضِ" نَصَّبُوهُ مَلِكاً لِمَا رَأَوْا فِيهِ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى اسْتِكْمَالِ نَهْجِ وَالِدِهِ القَوْمِيِّ. لَكِنَّ طُمُوحَهُ لَمْ يَدُمْ طَوِيلاً، إِذْ لَمْ يَتَجَاوَزْ حُكْمُهُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ فَقَطْ. فَخِلَالَ هَذِهِ الفَتْرَةِ الوَجِيزَةِ، كَانَتِ المِنْطَقَةُ تَرْزَحُ تَحْتَ وَطْأَةِ النُّفُوذِ المِصْرِيِّ الصَّاعِدِ بَعْدَ

المَعْرَكَةِ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْفِرْعَوْنُ نَخُوُ الثَّانِي إِلَى مِنْطَقَةِ «رِبْلَةَ» التَّابِعَةِ لِمُحَافَظَةِ حِمْصَ فِي سُورْيَا الحَالِيَّةِ قُرْبَ الحُدُودِ اللُّبْنَانِيَّةِ، قَامَ بِاسْتِدْعَاءِ يَهُوآحَازَ وَعَزَلَهُ عَنِ العَرْشِ بَعْدَ أَنْ فَرَضَ جِزْيَةً بَاهِظَةً عَلَى المَمْلَكَةِ. وَانْتَهَتْ رِحْلَتُهُ السِّيَاسِيَّةُ بِشَكْلٍ مَأْسَاوِيٍّ حِينَ اقْتِيدَ مَأْسُوراً إِلَى مِصْرَ، لِيَمُوتَ هُنَاكَ بَعِيداً عَنْ عَرْشِهِ،وَعَيَّنَ الفِرْعَوْنُ أَخَاهُ "أَلِيَاقِيمَ" مَلِكاً مَكَانَهُ بَعْدَ أَنْ غَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى يَهُويَاقِيمَ.

33. يَهُويَاقِيم 609 – 598 ق.م

تَوَلَّى مَقَالِيدَ الحُكْمِ فِي أُورُشَلِيمَ بِتَعْيِينٍ مُبَاشِرٍ مِنَ الفِرْعَوْنِ نَخُو الثَّانِي، الَّذِي غَيَّرَ اسْمَهُ مِنْ «أَلِيَاقِيم» إِلَى «يَهُويَاقِيم» لِيُؤَكِّدَ سِيَادَتَهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ وُجِدَ المَلِكُ الجَدِيدُ نَفْسَهُ مُضْطَرّاً لِجِبَايَةِ ضَرَائِبَ قَاسِيَةٍ مِنْ سُكَّانِ المَمْلَكَةِ لِتَسْدِيدِ الجِزْيَةِ البَاهِظَةِ الَّتِي فَرَضَتْهَا مِصْرُ.لكِنَّ الْمَشْهَدَ السِّيَاسِيَّ انْقَلَبَ جِذْرِيًّا بَعْدَ هَزِيمَةِ الْمِصْرِيِّينَ فِي مَعْرَكَةِ «كَرْكَمِيشَ» الَّتِي تَقَعُ أَطْلَالُهَا الْيَوْمَ عَلَى الحُدُودِ التُّرْكِيَّةِ جِهَةَ الشَّمَالِ الْغَرْبِيِّ قُرْبَ حُدُودِ سُورْيَا عَلَى يَدِ الْبَابِلِيِّينَ بِقِيَادَةِ نَبُوخَذْنَصَّرَ الثَّانِي. وَبِهَذَا التَّحَوُّلِ، اضْطُرَّ يَهُويَاقِيمُ لِتَحْوِيلِ وَلَائِهِ إِلَى بَابِلَ وَصَارَ خَاضِعاً لَهَا لِمُدَّةِ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ. غَيْرَ أَنَّهُ عَادَ وَتَمَرَّدَ عَلَى سُلْطَةِ بَابِلَ مُعْتَمِداً عَلَى وُعُودٍ مِصْرِيَّةٍ بِالدَّعْمِ، مِمَّا دَفَعَ نَبُوخَذْنَصَّرَ إِلَى إِرْسَالِ جُيُوشِهِ لِمُحَاصَرَةِ أُورُشَلِيمَ. وَانْتَهَى عَهْدُهُ المُضْطَرِبُ بِوَفَاتِهِ فِي ظُرُوفٍ غَامِضَةٍ أَثْنَاءَ الحِصَارِ، لِيَتْرُكَ المَمْلَكَةَ عَلَى شَفَا انْهِيَارٍ كَامِلٍ وَمُوَاجَهَةٍ مَصِيرِيَّةٍ مَعَ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ البَابِلِيَّةِ الصَّاعِدَةِ.

34. يَهُويَاكِين 598 – 597 ق.م

تَوَلَّى مَقَالِيدَ الحُكْمِ وَهُوَ فِي الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمُرِهِ، لِيَجِدَ نَفْسَهُ مُطَوَّقاً بِتَبِعَاتِ تَمَرُّدِ وَالِدِهِ ضِدَّ البَابِلِيِّينَ. لَمْ يَدُمْ حُكْمُهُ سِوَى ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ وَعَشَرَةِ أَيَّامٍ، حَيْثُ أَطْبَقَ نَبُوخَذْنَصَّرُ حِصَارَهُ عَلَى العَاصِمَةِ بِقُوَّةٍ لَا قِبَلَ لِلْمَدِينَةِ بِهَا. وَأَمَامَ هَذَا الضَّغْطِ العَسْكَرِيِّ الهَائِلِ، اضْطُرَّ المَلِكُ الشَّابُّ لِلِاسْتِسْلَامِ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، فَخَرَجَ مَعَ عَائِلَتِهِ وَرِجَالِ بَلَاطِهِ لِيُسَلِّمَ نَفْسَهُ لِلْبَابِلِيِّينَ. وَبِذَلِكَ شَهِدَ عَهْدُهُ

بِدَايَةَ المَأْسَاةِ الكُبْرَى، حَيْثُ نَفَاهُ البَابِلِيُّونَ إِلَى بَابِلَ مَعَ نُخْبَةِ المُجْتَمَعِ مِنَ الصُّنَّاعِ وَالقَادَةِ وَالكَهَنَةِ، فِيمَا عُرِفَ تَارِيخِيّاً بِالسَّبْيِ البَابِلِيِّ الأَوَّلِ. وَبَيْنَمَا بَقِيَ يَهُويَاكِينُ أَسِيراً فِي القُصُورِ البَابِلِيَّةِ لِعُقُودٍ طَوِيلَةٍ، عَيَّنَ نَبُوخَذْنَصَّرُ عَمَّهُ «مَتَّنِيَّا» مَلِكاً مَكَانَهُ، وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى صِدْقِيَّا، لِيَكُونَ آخِرَ المُلُوكِ الَّذِينَ جَلَسُوا عَلَى عَرْشِ دَاوُدَ قَبْلَ الدَّمَارِ النِّهَائِيِّ.

35. صِدْقِيَّا 597 – 586 ق.م

تَوَلَّى مَقَالِيدَ الحُكْمِ فِي أُورُشَلِيمَ بِتَعْيِينٍ مِنْ نَبُوخَذْنَصَّرَ بَعْدَ أَنْ غَيَّرَ اسْمَهُ مِنْ «مَتَّنِيَّا» إِلَى «صِدْقِيَّا». وَرَغْمَ أَنَّهُ أَقْسَمَ يَمِينَ الوَلَاءِ لِبَابِلَ، إِلَّا أَنَّهُ خَضَعَ فِي نِهَايَةِ المَطَافِ لِضُغُوطِ القَادَةِ العَسْكَرِيِّينَ وَوُعُودِ المِصْرِيِّينَ، فَقَامَ بِالتَّمَرُّدِ عَلَى السَّيْطَرَةِ البَابِلِيَّةِ. أَدَّى هَذَا القَرَارُ إِلَى رَدِّ فِعْلٍ عَنِيفٍ، حَيْثُ عَادَ نَبُوخَذْنَصَّرُ وَأَحْكَمَ حِصَاراً خَانِقاً عَلَى أُورُشَلِيمَ اسْتَمَرَّ لِأَكْثَرَ مِنْ عَامٍ حَتَّى تَفَشَّى الجُوعُ وَالوَبَاءُ. وَفِي نِهَايَةِ المَطَافِ، تَمَّ اخْتِرَاقُ أَسْوَارِ المَدِينَةِ، فَحَاوَلَ صِدْقِيَّا الفِرَارَ لَيْلًا، لَكِنَّ الجَيْشَ البَابِلِيَّ أَدْرَكَهُ عِنْدَ بَرَارِي أَرِيحَا. وَانْتَهَتْ حَيَاتُهُ السِّيَاسِيَّةُ بِنِهَايَةٍ مَأْسَاوِيَّةٍ فِي «رَبْلَةَ» الَّتِي تَقَعُ أَطْلَالُهَا اليَوْمَ فِي مُحَافَظَةِ حِمْصَ بِسُورِيَا بِالقُرْبِ مِنَ الحُدُودِ اللُّبْنَانِيَّةِ، حَيْثُ شَهِدَ مَقْتَلَ أَبْنَائِهِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ قَبْلَ أَنْ تُفْقَأَ عَيْنَاهُ وَيُقْتَادَ بِسَلَاسِلَ إِلَى بَابِلَ. وَبِسُقُوطِهِ، أُحْرِقَ الهَيْكَلُ وَدُمِّرَتْ أَسْوَارُ المَدِينَةِ، لِيُسْدَلَ السِّتَارُ نِهَائِيّاً عَلَى مَمْلَكَةِ يَهُوذَا وَتَبْدَأَ حِقْبَةُ السَّبْيِ الكَبِيرِ.

36. ٱلسَّبْيُ ٱلْبَابِلِيُّ 597 – 586 ق.م

حَاصَرَ ٱلْمَلِكُ ٱلْبَابِلِيُّ نَبُوخَذْنَصَّرُ أُورَشَلِيمَ ثَانِيَةً فِي عَامِ 586 ق.م، وَقَامَ بِتَدْمِيرِهَا نِهَائِيًّا، وَأَحْرَقَ ٱلْهَيْكَلَ ٱلْأَوَّلَ ٱلَّذِي بَنَاهُ ٱلْمَلِكُ سُلَيْمَانُ، وَسَبَى مُعْظَمَ سُكَّانِهَا ٱلْإِسْرَائِيلِيِّينَ وَٱلْقَبَائِلَ ٱلْمُجَاوِرَةَ فِي ٱلْمَنَاطِقِ ٱلْحُدُودِيَّةِ لِمَمْلَكَةِ يَهُوذَا، إِذْ شَمِلَتِ ٱلْحَمَلَاتُ ٱلْعَسْكَرِيَّةُ ٱلْبَابِلِيَّةُ كُلَّ ٱلْمَنَاطِقِ ٱلْمُجَاوِرَةِ، فَأَصْبَحَتِ ٱلْمَدِينَةُ خَرَابًا لِعُقُودٍ.

37. ٱلْعَصْرِ الْفَارِسِيُّ 539 – 330 ق.م

بَعْدَ سُقُوطِ بَابِلَ عَلَى يَدِ المَلِكِ كُورُشَ الفَارِسِيّ، أَصْدَرَ فِي مَطْلَعِ حُكْمِهِ مَرْسُومًا يَسْمَحُ بِمُوجَبِهِ لِلْمَسْبِيِّينَ اليَهُودِ بِالعَوْدَةِ إِلَى دِيَارِهِمْ فِي أُورُشَلِيمَ، لِإِعَادَةِ بِنَاءِ المَدِينَةِ وَتَرْمِيمِ الهَيْكَلِ مِنْ جَدِيدٍ. وَقَدْ مَثَّلَتْ هَذِهِ العَوْدَةُ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ جَذْرِيَّةٍ، حَيْثُ قَادَ «زَرُبَّابِلُ» مَشْرُوعَ إِعَادَةِ بِنَاءِ الهَيْكَلِ حَتَّى اكْتِمَالِهِ.

وَتَبِعَهُ «عَزْرَا» الَّذِي رَسَّخَ التَّعَالِيمَ الدِّينِيَّةَ، بَيْنَمَا تَوَلَّى «نَحَمْيَا» مُهِمَّةَ تَرْمِيمِ الأَسْوَارِ المَنِيعَةِ. وَبِفَضْلِ جُهُودِ هَؤُلَاءِ القَادَةِ، بَرَزَتْ أُورُشَلِيمُ كَمَرْكَزٍ دِينِيّ مُحَصَّنٍ تَحْتَ السِّيَادَةِ الفَارِسِيَّةِ، الَّتِي كَانَتْ تَتَّخِذُ مِنْ مَدِينَةِ « شُوشَنَ» الوَاقِعَةِ فِي إِقْلِيمِ خُوزِسْتَانَ بِإِيرَانَ الحَالِيَّةِ مَقَرّاً لِحُكْمِهَا، مِمَّا أَعَادَ لِلْمَدِينَةِ مَكَانَتَهَا المِحْوَرِيَّةَ فِي المِنْطَقَةِ.

38. ٱنْتِهَاءُ تَدْشِينِ ٱلْهَيْكَلِ فِي عَامِ 516 ق.م.

فِي ذَلِكَ العَامِ، تَمَّ ٱلِانْتِهَاءُ مِنْ إِعَادَةِ بِنَاءِ ٱلْهَيْكَلِ ٱلثَّانِي وَتَدْشِينِهِ بَعْدَ ٱلسَّبْيِ ٱلْبَابِلِيِّ، وَذَلِكَ بَعْدَ نَحْوِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ عَاماً مِنْ عَوْدَةِ اليَهُودِ إِلَى أُورُشَلِيمَ بِمَرْسُومِ المَلِكِ كُورُشَ الكَبِيرِ. وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الإِنْجَازُ بِمُتَابَعَةٍ حَثِيثَةٍ مِنَ الوَالِي زَرُبَّابِلَ، بَعْدَ أَنْ صَدَّقَ المَلِكُ «دَارِيُوسُ» عَلَى اسْتِكْمَالِ العَمَلِ الَّذِي كَانَ قَدْ بَدَأَهُ زَرُبَّابِلُ وَرِفَاقُهُ فِي أُورُشَلِيمَ.

كَانَتْ غَزَّةُ تُعْتَبَرُ نُقْطَةً حَيَوِيَّةً وَاسْتِرَاتِيجِيَّةً عَلَى الطَّرِيقِ التِّجَارِيِّ السَّاحِلِيِّ الْهَامِّ الْمَعْرُوفِ بِطَرِيقِ الْبَحْرِ، وَكَانَتْ تَقَعُ بَيْنَ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْبَابِلِيَّةِ وَمِصْرَ. وَمِنْ أَجْلِ السَّيْطَرَةِ الْكَامِلَةِ عَلَى الْمِنْطَقَةِ وَإِضْعَافِ قُوَّةِ مِصْرَ،كَانَ لِزَامًا عَلَى نَبُوخَذْنَصَّرَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى هَذِهِ ٱلْمَدِينَةِ ٱلْمُهِمَّةِ وَيُدَمِّرَهَا وَيَجْعَلَهَا تَحْتَ ٱلنُّفُوذِ ٱلْبَابِلِيِّ، وَيَضَعَ عَلَيْهَا مُشْرِفِينَ مَالِيِّينَ وَإِدَارِيِّينَ لِضَمَانِ ٱلدَّخْلِ وَطَرِيقِ ٱلتِّجَارَةِ. وَعِنْدَمَا ٱسْتَوْلَى عَلَيْهَا بُومْبِيُوسُ فِي عَامِ 63 ق.م، أَصْبَحَ سُكَّانُ غَزَّةَ مَزِيجًا مِنَ ٱلْيُونَانِيِّينَ، وَٱلْيَهُودِ، وَبَعْضِ ٱلسُّكَّانِ ٱلْمَحَلِّيِّينَ ٱلْفُقَرَاءِ وَٱلضُّعَفَاءِ، إِضَافَةً إِلَى ٱلرُّومَانِ ٱلَّذِينَ ٱسْتَوْطَنُوهَا كَجُنُودٍ وَتُجَّارٍ وَإِدَارِيِّينَ. وَهَكَذَا، أَصْبَحَتْ غَزَّةُ مَدِينَةً مُتَعَدِّدَةَ ٱلْأَعْرَاقِ وَٱلثَّقَافَاتِ.

وَبِصِفَتِهِ حَاكِمَ المَدِينَةِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، اسْتَطَاعَ زَرُبَّابِلُ أَنْ يُعِيدَ لَهَا كِيَانَهَا الرُّوحِيَّ بَعْدَ طُولِ غِيَابٍ.

39. نَحَمْيَا 445 _ 432 ق.م

بَعْدَ عُقُودٍ مِنْ بِنَاءِ الهَيْكَلِ، عَيَّنَ المَلِكُ الفَارِسِيُّ «نَحَمْيَا» وَالِياً عَلَى أُورُشَلِيمَ. وَقَدْ تَمَيَّزَ عَهْدُهُ بِتَحْوِيلِ المَدِينَةِ إِلَى حِصْنٍ مَنِيعٍ، حَيْثُ قَادَ حَمْلَةً لِإِعَادَةِ بِنَاءِ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ المَهْدُومَةِ وَتَرْمِيمِ أَبْوَابِهَا فِي وَقْتٍ قِيَاسِيٍّ. وَبِصِفَتِهِ حَاكِمًا، لَمْ يَقْتَصِرْ دَوْرُهُ عَلَى البِنَاءِ العِمْرَانِيِّ، بَلْ سَعَى لِتَحْقِيقِ الاِسْتِقْرَارِ الاِجْتِمَاعِيِّ وَحِمَايَةِ المَدِينَةِ مِنْ تَهْدِيدَاتِ الأَعْدَاءِ المُحِيطِينَ بِهَا، لِتُصْبِحَ أُورُشَلِيمُ فِي عَهْدِهِ مَرْكَزًا آمِنًا وَمُحَصَّنًا .

أُورُشَلِيمُ حَوَالِي 430 قَبْلَ المِيلَادِ



40. عَهْدُ الكَهَنَةِ 432 _ 332 ق.م

بَعْدَ أَنْ أَتَمَّ نَحَمْيَا بِنَاءَ الأَسْوَارِ وَثَبَّتَ دَعَائِمَ الحُكْمِ فِي أُورُشَلِيمَ حَوَالِي عَامَ 445 ق.م، ظَلَّتِ المَدِينَةُ خَاضِعَةً لِلسِّيَادَةِ الفَارِسِيَّةِ ضِمْنَ وِلَايَةِ «يَهُوذَا». وَمَعَ مُرُورِ الوَقْتِ، انْتَقَلَتِ السُّلْطَةُ الإِدَارِيَّةُ وَالرُّوحِيَّةُ لِتَتَرَكَّزَ فِي يَدِ «رُؤَسَاءِ

الكَهَنَةِ»، الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِمُوَافَقَةِ الوُلَاةِ الفُرْسِ. وَقَدْ تَعَاقَبَ عَلَى قِيَادَةِ الشَّعْبِ كَهَنَةٌ بَارِزُونَ، مِنْهُمْ «يُوحَنَانُ» ثُمَّ «يَدُّوعُ»؛ وَهِيَ فَتْرَةٌ اتَّسَمَتْ بِالِاسْتِقْرَارِ النِّسْبِيِّ وَالِابْتِعَادِ عَنِ الحُرُوبِ الكُبْرَى، حَيْثُ حَافَظَ السُّكَّانُ عَلَى وَلَائِهِمْ لِلْفُرْسِ حَتَّى بَدَأَتْ زَلَازِلُ التَّغْيِيرِ تَعْصِفُ بِالمِنْطَقَةِ مَعَ زَحْفِ جُيُوشِ الإِسْكَنْدَرِ المَقْدُونِيِّ نَحْوَ الشَّرْقِ.

41. ٱلْعَصْرُ ٱلْيُونَانِيُّ ٱلْهَيْلِنِسْتِيُّ 332 – 164 ق.م

حِينَ أَسْقَطَ الإِسْكَنْدَرُ المَقْدُونِيُّ مَدِينَةَ صُورَ المَنِيعَةَ عَامَ 332 قَبْلَ المِيلادِ، لَمْ يَكُنْ زَحْفُهُ نَحْوَ الجَنُوبِ مُجَرَّدَ تَوَسُّعٍ عَسْكَرِيٍّ، بَلْ كَانَ زِلْزَالاً هَزَّ أَرْكَانَ المَمَالِكِ الصَّغِيرَةِ، وَمِنْهَا أُورُشَلِيمُ الَّتِي خَضَعَتْ آنَذَاكَ لِلسِّيَادَةِ الفَارِسِيَّةِ. وَقَدْ آثَرَتِ المَدِينَةُ الاسْتِسْلامَ لِلإِسْكَنْدَرِ سِلْمِيًّا عَبْرَ بَعْثَةٍ أَوْفَدَهَا كَهَنَةُ الهَيْكَلِ إِلَى مُعَسْكَرِهِ فِي السَّهْلِ السَّاحِلِيِّ "مِنْطَقَةِ غَزَّةَ وَعَسْقَلَانَ حَالِيًّا"، حَيْثُ كَانَ يُدِيرُ عَمَلِيَّاتِهِ العَسْكَرِيَّةَ لِتَأْمِينِ الطَّرِيقِ نَحْوَ مِصْرَ. هُنَاكَ، قَدَّمُوا لَهُ فُرُوضَ الوَلَاءِ وَالطَّاعَةِ مُقَابِلَ الحِفَاظِ عَلَى اسْتِقْلَالِهِمُ الدِّينِيِّ؛ وَهُوَ مَا يُفَسِّرُ بَقَاءَ المَدِينَةِ سَلِيمَةً مِنَ الدَّمَارِ. وَفِي مُقَابِلِ ذَلِكَ، مَنَحَ الفَاتِحُ المَقْدُونِيُّ اليَهُودَ امْتِيَازَاتٍ لَمْ تَبْلُغْهَا طُمُوحَاتُهُمْ، شَمِلَتْ حُرِّيَّةَ العِبَادَةِ وَالإِعْفَاءَ مِنَ الضَّرَائِبِ فِي السَّنَوَاتِ السَّبْتِيَّةِ الَّتِي لَا يُفْلِحُونَ فِيهَا أَرْضَهُمْ، لِيَسْتَحِيلَ ذَلِكَ الصِّدَامُ الوَشِيكُ إِلَى تَحَالُفٍ تَارِيخِيٍّ فَرِيدٍ، صَبَغَ المِنْطَقَةَ بِالصِّبْغَةِ الهِلِنِسْتِيَّةِ لِقُرُونٍ طَوِيلَةٍ.

وَبَعْدَ وَفَاتِهِ حَكَمَ خُلَفَاؤُهُ ٱلْبَطَالِمَةُ فِي مِصْرَ نَحْوَ 301 ق.م. ثُمَّ ٱلسُّلُوقِيُّونَ فِي بِلَادِ ٱلشَّامِ وَآسِيَا ٱلصُّغْرَى نَحْوَ 200 ق.م. وَحَصَلَ فِيهَا صِرَاعٌ دِينِيٌّ ثَقَافِيٌّ بَيْنَ ٱلْهَيْلِينِيَّةِ وَٱلْيَهُودِيَّةِ بِسَبَبِ إِدْخَالِ ٱلنُّظُمِ ٱلْهَيْلِينِيَّةِ. وَقَدْ شَارَكَ بَعْضُ رُؤَسَاءِ ٱلْكَهَنَةِ فِي أُورَشَلِيمَ فِعْلًا فِي تَعْزِيزِ ٱلْهَيْلِينِيَّةِ وَإِقَامَةِ مُؤَسَّسَاتٍ تَرْوِيجِيَّةٍ لَهَا، مِمَّا أَثَارَ غَضَبَ ٱلْمُحَافِظِينَ وَأَدَّى إِلَى صِرَاعٍ دَاخِلِيٍّ فِي فَتْرَةِ حُكْمِ أَنْطِيُوخُسَ ٱلرَّابِعِ.

42. رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الهَيْكَلِ فِي العَصْرِ الهِلِنِسْتِيِّ 332 – 164 ق.م

يَدُّوا 332 – 310 ق.م

هُوَ الكَاهِنُ الَّذِي عَاصَرَ الإِسْكَنْدَرَ المَقْدُونِيَّ؛ وَإِلَيْهِ يُعْزَى الفَضْلُ فِي تَأْمِينِ بَقَاءِ أُورُشَلِيمَ، وَصَوْنِ اسْتِقْلَالِهَا الدِّينِيِّ فِي لَحْظَةِ التَّحَوُّلِ الحَرِجَةِ مِنَ الحُكْمِ الفَارِسِيِّ إِلَى المَقْدُونِيِّ. كَمَا يُعَدُّ رَمْزاً لِلحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ الفَذَّةِ الَّتِي حَمَتِ "الهَيْكَلَ" مِنْ غَطْرَسَةِ الغَازِينَ، وَجَنَّبَتِ المَدِينَةَ وَيْلَاتِ الدَّمَارِ الَّذِي حَلَّ بِالحَوَاضِرِ المُقَاوِمَةِ.

أُونِيَا الأَوَّلُ 310 – 280 ق.م

تَبَوَّأَ المَنْصِبَ فِي حِقْبَةِ النِّزَاعَاتِ الكُبْرَى الَّتِي أَعْقَبَتْ مَوْتَ الإِسْكَنْدَرِ؛ حَيْثُ بَاتَتْ أُورُشَلِيمُ تَتَرَجَّحُ بَيْنَ مَطَامِعِ الغُزَاةِ البَطَالِمَةِ وَالسَّلُوقِيِّينَ.

شِمْعُونُ البَارُّ 280 – 270 ق.م

يُعَدُّ شِمْعُونُ البَارُّ الذُّرْوَةَ الَّتِي انْتَهَتْ إِلَيْهَا الهَيْبَةُ الكَهَنُوتِيَّةُ فِي ذَلِكَ العَصْرِ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ سَادِنٍ لِلْهَيْكَلِ، بَلْ قَائِداً مَيْدَانِيًّا قَامَ بِتَحْصِينِ أُورُشَلِيمَ وَتَرْمِيمِ مَا ثَلَمَهُ الغُزَاةُ فِي أَسْوَارِهَا، لِيَصِيرَ فِي الوِجْدَانِ التَّارِيخِيِّ المِعْيَارَ الأَسْمَى لِلرَّجُلِ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ القِيَادَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالحَزْمِ السِّيَاسِيِّ .

أَلِيعَازَرُ 270– 245 ق.م

شَهِدَ عَهْدُهُ التَّغَلْغُلَ الثَّقَافِيَّ اليُونَانِيَّ الَّذِي بَلَغَ مَدَاهُ حِينَ أَوْفَدَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ عَالِماً إِلَى الإِسْكَنْدَرِيَّةِ؛ لِإِخْضَاعِ النَّصِّ التَّوْرَاتِيِّ لِلُغَةِ الغُزَاةِ ضِمْنَ مَا عُرِفَ "بِالتَّرْجَمَةِ السَّبْعِينِيَّةِ"، وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِمَطْلَبِ المَلِكِ بَطْلِيمُوسَ الثَّانِي فِيلَادِلْفُوسَ، فِيمَا كَانَ بِمَثَابَةِ جِسْرٍ لِعَبُورِ الفِكْرِ الهِلِنِسْتِيِّ إِلَى عُمْقِ الوِجْدَانِ الدِّينِيِّ.

مَنَسَّى 245 – 220 ق.م

خَلَفَ أَلِيعَازَرَ فِي سُدَّةِ الكَهَنُوتِ، وَاتَّسَمَ عَهْدُهُ بِقِصَرِ المَدَى وَهُدُوءٍ ظَاهِرٍ، حَافَظَ خِلَالَهُ عَلَى تَوَازُنٍ قَلِقٍ بَيْنَ مَهَامِّ السَّلْطَنَةِ الدِّينِيَّةِ وَمُقْتَضَيَاتِ التَّبَعِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ لِغُزَاةِ مِصْرَ البَطَالِمَةِ؛ فَلَمْ يَشْهَدْ عَصْرُهُ صِدَاماً مُعْلَناً مَعَ القُوى المُهَيْمِنَةِ.

أُونِيَا الثَّانِي 220 – 198 ق.م

شَهِدَ عَهْدُهُ احْتِدَاماً سِيَاسِيّاً حَادّاً مَعَ غُزَاةِ مِصْرَ البَطَالِمَةِ؛ إِذْ أَعْلَنَ تَمَرُّدَهُ عَلَى مَرَاسِيمِ الجِزْيَةِ، رَافِضاً سَدَادَ الضَّرَائِبِ السَّنَوِيَّةِ المَفْرُوضَةِ لِلْمَلِكِ بَطْلِيمُوسَ الثَّالِثِ، مِمَّا وَضَعَ أُورُشَلِيمَ فِي مَهَبِّ الانْتِقَامِ العَسْكَرِيِّ، وَفَتَحَ البَابَ لِتَغَوُّلِ النُّفُوذِ العِلْمَانِيِّ لِعَائِلَةِ طُوبْيَا عَلَى صَلَاحِيَّاتِ الهَيْكَلِ.

شِمْعُونُ الثَّانِي 198 – 192 ق.م

تَبَوَّأَ المَنْصِبَ خَلَفاً لِأَبِيهِ أُونِيَا الثَّانِي، وَعَاصَرَ لَحْظَةً فَارِقَةً فِي التَّارِيخِ؛ حَيْثُ انْكَسَرَتْ سَطْوَةُ غُزَاةِ مِصْرَ (البَطَالِمَةِ) أَمَامَ زَحْفِ السَّلُوقِيِّينَ (غُزَاةِ الشَّامِ) بَعْدَ مَعْرَكَةِ "بَانِيُومَ" بَانِيَاسَ اليَوْمَ. وَقَدْ عُرِفَ بِمَوْقِفِهِ الدَّاعِمِ لِلسَّلُوقِيِّينَ ظَنّاً مِنْهُ أَنَّهُمْ سَيَحْتَرِمُونَ قَدَاسَةَ المَدِينَةِ، مِمَّا دَفَعَ المَلِكَ "أَنْطِيُوخُوسَ الثَّالِثَ" لِمَنْحِ أُورُشَلِيمَ مَرَاسِيمَ تُؤَمِّنُ لَهَا اسْتِقْلَالاً دِينِيًّا مُؤَقَّتاً.

أُونِيَا الثَّالِثُ 192 – 175 ق.م

يُجَسِّدُ عَهْدُهُ "آخِرَ حِقَبِ العَصْرِ الذَّهَبِيِّ" لِلْكَهَنُوتِ الشَّرْعِيِّ؛ حَيْثُ كَانَ رَجُلاً وَرِعاً تَمَسَّكَ بِثَوَابِتِ الشَّرِيعَةِ، وَوَقَفَ سَدّاً مَنِيعاً أَمَامَ التَّغَلْغُلِ الثَّقَافِيِّ لِلْغُزَاةِ الهَلْيَنَةِ. غَيْرَ أَنَّ صَلَابَتَهُ قُوبِلَتْ بِمُؤَامَرَةٍ دَنِيئَةٍ حَاكَهَا الخُصُومُ مَعَ السَّلْطَةِ السَّلُوقِيَّةِ، أَفْضَتْ إِلَى عَزْلِهِ قَسْراً؛ لِيُسْدَلَ بِذَلِكَ السِّتَارُ عَلَى نَزَاهَةِ المَنْصِبِ، وَتَبْدَأَ مَرْحَلَةٌ مُظْلِمَةٌ قِوَامُهَا شِرَاءُ الذِّمَمِ وَبَيْعُ المَنَاصِبِ الكَهَنُوتِيَّةِ بِالمَالِ.

🕮 يَاسُونُ 175 – 172 ق.م

يُعَدُّ يَاسُونُ "وَاسْمُهُ العِبْرِيُّ يَشُوعُ" العُنْوَانَ الأَبْرَزَ لِفَسَادِ الكَهَنُوتِ فِي العَصْرِ السَّلُوقِيّ؛ إِذْ لَمْ يَبْلُغْ مَنصِبَهُ عَبْرَ الشَّرْعِيَّةِ الوِرَاثِيَّةِ، بَلْ عَبْرَ رِشْوَةٍ مَالِيَّةٍ ضَخْمَةٍ قَدَّمَهَا لِأَنْطِيُوخُوسَ الرَّابِعِ "إِبِيفَانِيسَ" لِيَعْزِلَ أَخَاهُ الأَكْبَرَ أُونِيَا الثَّالِثَ. وَفِي عَهْدِهِ، انْغَمَسَتْ أُورُشَلِيمُ فِي لُجَّةِ "الهَلْيَنَةِ" القَسْرِيَّةِ؛ حَيْثُ أَقَامَ نَادِيًا لِلرِّيَاضَاتِ اليُونَانِيَّةِ "جِمْنَازْيُوم" عِنْدَ أَسْوَارِ الهَيْكَلِ، وَسَعَى لِتَحْوِيلِ المَدِينَةِ المُقَدَّسَةِ إِلَى حَاضِرَةٍ إِغْرِيقِيَّةٍ، نَاكِراً هُوِيَّتَهَا الضَّارِبَةَ فِي القِدَمِ، لِيَسْقُطَ فِي النِّهَايَةِ ضَحِيَّةً لِذَاتِ الغَدْرِ الَّذِي مَارَسَهُ، حِينَ أَطَاحَ بِهِ "مِينِيلَاوسُ" بِرِشْوَةٍ أَكْبَرَ.

🕮 مِينِيلَاوسُ 172 – 162 ق.م

اعْتَلَى مِينِيلَاوسُ سُدَّةَ الكَهَنُوتِ عَبْرَ نَهْجٍ أَكْثَرَ فَسَاداً مِنْ سَلَفِهِ يَاسُونَ؛ إِذْ قَدَّمَ لِأَنْطِيُوخُوسَ الرَّابِعِ رِشْوَةً مَالِيَّةً بَلَغَتْ ثَلَاثَمِائَةِ قِنْطَارٍ "مَوْهِبَةٍ" مِنَ الفِضَّةِ. وَتَكْمُنُ خُطُورَةُ عَهْدِهِ فِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَسْلِ "صَادُوقَ" الكَهَنُوتِيّ، مِمَّا جَعَلَ تَرَأُّسَهُ لِلْهَيْكَلِ جَرِيمَةً شَرْعِيَّةً بِنَظَرِ التَّقَالِيدِ المَوْرُوثَةِ. وَقَدْ بَلَغَ طُغْيَانُهُ ذُرْوَتَهُ حِينَ سَهَّلَ لِلْقُوَّاتِ السَّلُوقِيَّةِ نَهْبَ كُنُوزِ الهَيْكَلِ وَتَدْنِيسَ مَقَادِسِهِ، مِمَّا أَذْكَى نِيرَانَ السُّخْطِ الشَّعْبِيِّ الَّتِي مَهَّدَتْ لِلثَّوْرَةِ المَكَّابِيَّةِ.

43. أَنْطِيُوخُوسُ عَامِ 169_ 167ق.م

انْقَضَّ أَنْطِيُوخُوسُ السَّلُوقِيُّ مَدْفُوعاً بِحَنَقِ الهَزِيمَةِ، بَعْدَ انْكِسَارِ طُمُوحَاتِهِ فِي مِصْرَ أَمَامَ الرُّومَانِ. فَبِإِرْشَادٍ خَسِيسٍ مِنَ المَأْجُورِ مِينِيلَاوسَ، الَّذِي افْتَقَرَ لِأَيِّ غَيْرَةٍ عَلَى مَقَادِسِهِ، اسْتَبَاحَ المَلِكُ حُرْمَةَ المَدِينَةِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؛ مُسْتَغِلاً تَمَسُّكَ الشَّعْبِ بِسَكِينَةِ الشَّرِيعَةِ وَامْتِنَاعَهُمْ عَنِ القِتَالِ لِيُعْمِلَ فِيهِمُ السَّيْفَ تَنْكِيلاً. فَارْتَكَبَ مَجْزَرَةً مَرُوعَةً حَصَدَتْ فِي ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَرْبَعِينَ أَلْفَ نَفْسٍ قَتْلاً بِالسَّيْفِ.

حَيْثُ اقْتَحَمَ الجُنُودُ البُيُوتَ لِذَبْحِ الشُّيُوخِ وَالأَطْفَالِ فِي أَحْضَانِ أُمَّهَاتِهِمْ دُونَ اسْتِبْقَاءِ أَحَدٍ.

لَمْ تَكُنْ هَذِهِ المَذْبَحَةُ عَبَثِيَّةً، بَلْ كَانَتْ تَمْهِيداً لِسِيَاسَةِ "الأَرْضِ المَحْرُوقَةِ" وَفَرْضِ "الهَلْيَنَةِ القَسْرِيَّةِ"؛ إِذْ حَوَّلَ هَيْكَلَ اللهِ إِلَى مَعْبَدٍ وَثَنِيّ، وَكَرَّسَهُ لِعِبَادَةِ "زِيُوسَ الأُولِمْبِيّ"، وَنَصَبَ فَوْقَ مَذْبَحِ المُحْرَقَةِ العَظِيمِ مَذْبَحاً وَثَنِيّاً (بُومُوسَ) وَأَصْنَاماً لِلسُّجُودِ لَهَا. وَكَانَ لِلْخَائِنِ مِينِيلَاوسَ وَأَتْبَاعِهِ مِنْ عَائِلَةِ "طُوبِيَّا" الدَّوْرُ الأَقْذَرُ؛ إِذْ لَمْ يَكْتَفُوا بِالسُّجُودِ لِلأَوْثَانِ، بَلْ كَانُوا أَدِلاَّءَ لِلْغُزَاةِ عَلَى بُيُوتِ المُتَدَيِّنِينَ الرَّافِضِينَ. وَبَلَغَ الطُّغْيَانُ ذُرْوَتَهُ بِنَحْرِ خِنْزِيرٍ عَلَى المَذْبَحِ وَسَكْبِ دَمِهِ دَاخِلَ "قُدْسِ الأَقْدَاسِ" وَعَلَى لَفَائِفِ الشَّرِيعَةِ لِتَنْجِيسِهَا وَإِبْطَالِ قَدَاسَتِهَا. كَمَا أَمَرَ المَلِكُ بِإِقَامَةِ المَذَابِحِ فِي كُلِّ قُرَى يَهُودَا، مُجْبِراً النَّاسَ عَلَى السُّجُودِ لِلأَصْنَامِ وَأَكْلِ لُحُومِ الخَنَازِيرِ النَّجِسَةِ. وَفِي ظِلِّ هَذَا العَهْدِ الدَّامِي، بَرَزَتْ مَأْسَاةُ الأُمِّ وَأَبْنَائِهَا السَّبْعَةِ الَّذِينَ قُتِلُوا بِوَحْشِيَّةٍ أَمَامَ عَيْنَيْهَا لِثَبَاتِهِمْ عَلَى الوَحْدَانِيَّةِ، بَيْنَمَا كَانَ مِينِيلَاوسُ يُشَاهِدُ تِلْكَ الأَهْوَالَ بِدَمٍ بَارِدٍ لِيُثْبِتَ وَلَاءَهُ لِأَنْطَاكِيَةَ. وَلَمْ يَنْتَهِ نَهَمُهُ عِنْدَ هَذَا الحَدِّ، بَلْ أَرْشَدَ المَلِكَ إِلَى مَخَازِنِ الهَيْكَلِ السِّرِّيَّةِ لِيَسْلُبَ ذَهَبَهَا وَيُوَفِّيَ رِشْوَةَ مَنْصِبِهِ البَالِغَةَ ثَلَاثَمِائَةِ قِنْطَارٍ مِنَ الفِضَّةِ[14].

44. فَجْرُ المَكَابِيِّينَ ١٦٧ ق.م

بَعْدَ أَنْ أَصْدَرَ أَنْطِيُوخُسُ مَرَاسِيمَهُ الجَائِرَةَ بِحَظْرِ الخِتَانِ، وَمَنْعِ حِفْظِ السَّبْتِ، وَتَحْرِيمِ قِرَاءَةِ التَّوْرَاةِ، آمِراً بِتَقْدِيمِ الذَّبَائِحِ لِلأَوْثَانِ، وَمُحَوِّلاً هَيْكَلَ أُورُشَلِيمَ إِلَى مَعْبَدٍ لِلإِلَهِ "زِيُوسَ"؛ وَقَفَ المَنْدُوبُ السَّلُوقِيُّ فِي سَاحَةِ "مُودِيعِينَ" –القَابِعَةِ بَيْنَ القُدْسِ وَتَلِّ أَبِيبَ الحَالِيَّةِ– وَلَمْ يَكُنْ يُدْرِكُ أَنَّهُ يَخُطُّ مَصْرَعَهُ بِيَدِهِ، فَنَصَبَ المَذْبَحَ وَحَشَدَ النَّاسَ، ظَانّاً أَنَّ كَسْرَ إِرَادَةِ الشَّيْخِ "مَاتِيَاسَ الحَشْمُونِيّ" سَيَعْنِي رُكُوعَ القَرْيَةِ بِأَكْمَلِهَا.

تَقَدَّمَ المَنْدُوبُ نَحْوَ "مَاتِيَاسَ" مُمَنِّياً إِيَّاهُ بِالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَصَدَاقَةِ المَلِكِ، مُقَابِلَ أَنْ يَخْطُوَ خُطْوَةً وَاحِدَةً لِيَذْبَحَ لِلْوَثَنِ، لَكِنَّ "مَاتِيَاسَ" جَأَرَ بِصَوْتٍ هَزَّ أَرْكَانَ السَّاحَةِ مُعْلِناً رَفْضَهُ المُطْلَقَ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الحَرِجَةِ، انْبَرَى رَجُلٌ مِنَ العَامَّةِ خَانِعاً لِرَهْبَةِ السَّلُوقِيِّينَ، وَاقْتَرَبَ مِنَ المَذْبَحِ لِيُقَدِّمَ الذَّبِيحَةَ الوَثَنِيَّةَ، فَاشْتَعَلَتْ فِي قَلْبِ الشَّيْخِ غَيْرَةٌ دِينِيَّةٌ لَمْ تُطْفِئْهَا سِنُوهُ، فَانْدَفَعَ نَحْوَ الخَائِنِ وَاسْتَلَّ سَيْفَهُ سَافِحاً دَمَهُ فَوْقَ المَذْبَحِ الَّذِي أَرَادَ تَدْنِيسَهُ، ثُمَّ فِي حَرَكَةٍ خَاطِفَةٍ، وَقَبْلَ أَنْ يَفِيقَ الحُرَّاسُ مِنْ صَدْمَتِهِمْ، انْقَضَّ عَلَى المَنْدُوبِ السَّلُوقِيِّ نَفْسِهِ فَأَرْدَاهُ قَتِيلاً بِجَانِبِ وَثَنِهِ.

لَمْ يَكْتَفِ "مَاتِيَاسُ" بِذَلِكَ، بَلْ هَجَمَ مَعَ أَبْنَائِهِ عَلَى المَذْبَحِ الوَثَنِيِّ فَهَدَمُوهُ وَسَوَّوْهُ بِالأَرْضِ، ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَتَهُ الَّتِي دَوَّتْ فِي الجِبَالِ: "**كُلُّ مَنْ يَغَارُ لِلشَّرِيعَةِ وَيَتَمَسَّكُ بِالعَهْدِ فَلْيَتْبَعْنِي!**"، ثُمَّ تَرَكَ خَلْفَهُ كُلَّ نَفِيسٍ فِي "مُودِيعِينَ"، وَفَرَّ مَعَ أَبْنَائِهِ الخَمْسَةِ إِلَى الكُهُوفِ وَالشِّعَابِ الوَعِرَةِ، لِتَتَحَوَّلَ تِلْكَ اللَّحْظَةُ مِنْ مُجَرَّدِ صِدَامٍ مَحَلِّيٍّ إِلَى حَرْبٍ شَامِلَةٍ؛ حَيْثُ انْضَمَّ إِلَيْهِ تَيَارُ "الحَسِيدِيم" الأَتْقِيَاءِ، فَنَظَّمُوا صُفُوفَهُمْ لِشَنِّ حَرْبِ عِصَابَاتٍ لَمْ تَهْدَأْ نَارُهَا إِلا بِدُخُولِهِمْ أُورُشَلِيمَ ظَافِرِينَ، وَتَطْهِيرِ الهَيْكَلِ مِنْ دَنَسِ الوَثَنِيَّةِ[14].

45. الثَّوْرَةُ المكَابِيَّةُ 164 ق.م

بَعْدَ ثَلاثِ سَنَوَاتٍ عَجِيفَةٍ مِنَ الكِفَاحِ المَرِيرِ فِي الجِبَالِ وَالوِدْيَانِ، تَمَكَّنَ يَهُوذَا المكَابِيُّ "الَّذِي خَلَفَ وَالِدَهُ مَاتِيَاسَ فِي قِيَادَةِ الحَرَكَةِ" مِنْ تَحْقِيقِ انْتِصَارَاتٍ حَاسِمَةٍ عَلَى القُوَّاتِ السَّلُوقِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَقَلُّصِ النُّفُوذِ المَلَكِيِّ فِي رِيفِ اليَهُودِيَّةِ وَفَتْحِ المَسَارِ العَسْكَرِيِّ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ، حَيْثُ نَجَحَ مُقَاتِلُوهُ فِي بَسْطِ سَيْطَرَتِهِمْ عَلَى المَدِينَةِ. وَكَانَ الهَدَفُ المَرْكَزِيُّ لِهَذِهِ الحَمْلَةِ هُوَ اسْتِعَادَةَ الهَيْكَلِ بِاعْتِبَارِهِ الرَّمْزَ السِّيَادِيَّ وَالثَّقَافِيَّ لِلأُمَّةِ.

وَعِنْدَ وُصُولِ القُوَّاتِ إِلَى مَوْقِعِ المَقْدِسِ، لَمْ تَكُنْ مَشَاعِرُ النَّصْرِ هِيَ الطَّاغِيَةَ، بَلْ غَلَبَهُمُ الأَسَى وَانْهَمَرَتْ دُمُوعُهُمْ حِينَ أَبْصَرُوا المَقْدِسَ خَرَاباً؛ فَقَدْ وَجَدُوا المَذْبَحَ المُقَدَّسَ قَدْ دُنِّسَ بِرِجْسِ الخِنْزِيرِ وَذَبَائِحِ الأَوْثَانِ، وَرَأَوْا أَبْوَابَ الهَيْكَلِ مُحْرَقَةً بِالنَّارِ، وَالنَّبَاتَاتِ وَالأَعْشَابَ البَرِّيَّةَ قَدْ نَبَتَتْ فِي السَّاحَاتِ وَكَأَنَّهَا غَابَةٌ مَهْجُورَةٌ، وَالغُرُفَ الجَانِبِيَّةَ مُهَدَّمَةً، كَمَا فُقِدَتِ المُمْتَلَكَاتُ الثَّمِينَةُ وَالأَدَوَاتُ الطُّقُوسِيَّةُ، بِمَا فِيهَا المَنَارَةُ الذَّهَبِيَّةُ وَمَائِدَةُ خُبْزِ الوُجُوهِ وَمَذْبَحُ البَخُورِ.

وَبِنَاءً عَلَى هَذَا الوَاقِعِ، اتَّخَذَتِ القِيَادَةُ المَكَابِيَّةُ قَرَاراً بِإِعَادَةِ تَأْهِيلِ المَوْقِعِ وَتَطْهِيرِهِ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ الشَّرِيعَةِ المَحَلِّيَّةِ، فَكَلَّفَ يَهُوذَا مَجْمُوعَةً مِنَ الكَهَنَةِ الَّذِينَ لَمْ يَنْخَرِطُوا فِي النِّظَامِ السَّلُوقِيِّ لِإِزَالَةِ العَنَاصِرِ الوَثَنِيَّةِ المُسْتَحْدَثَةِ، فَأَزَالُوا حِجَارَةَ الدَّنَسِ وَأَلْقَوْهَا فِي مَكَانٍ نَجِسٍ، وَهَدَمُوا المَذْبَحَ المُدَنَّسَ وَخَزَنُوا حِجَارَتَهُ فِي مَوْضِعٍ لَائِقٍ لِبَتِّ أَمْرِهَا مُسْتَقْبَلاً، ثُمَّ شَرَعُوا فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ مَذْبَحٍ جَدِيدٍ وَفْقاً لِلمَعَايِيرِ التَّارِيخِيَّةِ، وَتَجْهِيزِ أَوَانٍ وَسُرُجٍ بَدِيلَةٍ لِتَفْعِيلِ النِّظَامِ الشَّعَائِرِيِّ مَرَّةً أُخْرَى، وَأَعَادُوا نَصْبَ المَنَارَةِ وَوَضَعُوا البَخُورَ وَأَشْعَلُوا السُّرُجَ لِتُضِيءَ القُدْسَ مِنْ جَدِيدٍ.

وَفِي اليَوْمِ الخَامِسِ وَالعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ التَّاسِعِ " شَهْرِ كِسْلُو" مِنْ عَامِ مِئَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَسِتِّينَ قَبْلَ المِيلادِ، أُعْلِنَ رَسْمِيّاً عَنْ تَدْشِينِ الهَيْكَلِ وَاسْتِئْنَافِ التَّقْدِمَاتِ، وَاسْتَمَرَّتِ المَرَاسِمُ لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ رَافِعِينَ أَغْصَانَ الآسِ وَالسَّعَفَ وَالأَغْصَانَ النَّضِرَةَ وَهَاتِفِينَ بِالتَّسْبِيحِ وَسَطَ مَظَاهِرَ احْتِفَالِيَّةٍ شَعْبِيَّةٍ، وَهُوَ الحَدَثُ الَّذِي صَارَ يُعْرَفُ تَارِيخِيّاً بِعِيدِ "تَدْشِينِ المَذْبَحِ" أَوْ "عِيدِ الأَنْوَارِ"، لِيُوثِّقَ نِهَايَةَ حِقْبَةٍ مِنَ القَمْعِ الثَّقَافِيِّ وَبِدَايَةَ مَرْحَلَةٍ جَدِيدَةٍ مِنَ الحُكْمِ الذَّاتِيِّ لِلسُّلالَةِ الحَشْمُونِيَّةِ[14].

46. يوناثان 160 – 142 ق.م

تَوَلَّى يُونَاثَانُ أَفُّوسُ مَقَالِيدَ القِيَادَةِ فِي مَرْحَلَةٍ انْتِقَالِيَّةٍ حَرِجَةٍ مِنَ التَّارِيخِ الحَشْمُونِيِّ، حَيْثُ امْتَدَّتْ فَتْرَةُ حُكْمِهِ وَتَأْثِيرِهِ لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَاماً، تَدَرَّجَ خِلَالَهَا فِي مَنَاصِبِ السُّلْطَةِ نَتِيجَةَ دَهَائِهِ السِّيَاسِيِّ حَتَّى نَالَ مَنْصِبَ الكَاهِنِ الأَعْظَمِ رَسْمِيّاً فِي عَامِ مِئَةٍ وَاثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ قَبْلَ المِيلادِ، وَظَلَّ مُسْتَحْوِذاً عَلَى القِيَادَتَيْنِ الدِّينِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ حَتَّى وُقُوعِهِ فِي الأَسْرِ عَلَى يَدِ القَائِدِ السَّلُوقِيِّ تْرِيفُونَ الَّذِي اسْتَدْرَجَهُ إِلَى مَدِينَةِ بَتْلِمَايِسَ (عَكَّا) بِمَكِيدَةٍ دِبْلُومَاسِيَّةٍ تَحْتَ ذَرِيعَةِ التَّفَاوُضِ، قَبْلَ أَنْ يَعْتَقِلَهُ غَدْراً وَيُجْهِزَ عَلَيْهِ، لِيَسْدِلَ بِذَلِكَ السِّتَارَ عَلَى حَقْبَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ مِنَ التَّمْكِينِ الحَشْمُونِيِّ فِي أُورُشَلِيمَ.

47. سِمْعَانُ الحَشْمُونِيُّ 142 – 135 ق.م

تَوَلَّى سِمْعَانُ الحَشْمُونِيُّ، آخِرُ أَبْنَاءِ مَاتِيَاسَ، مَقَالِيدَ الحُكْمِ عَقِبَ غِيَابِ شَقِيقِهِ يُونَاثَانَ فِي الأَسْرِ ثُمَّ مَقْتَلِهِ، حَيْثُ امْتَدَّتْ فَتْرَةُ قِيَادَتِهِ لِمُدَّةِ ثَمَانِيَةِ أَعْوَامٍ، وَتُعْتَبَرُ سَنَةُ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ قَبْلَ المِيْلادِ نُقْطَةَ التَّحَوُّلِ التَّارِيخِيَّةِ؛ إِذْ فِيهَا حَصَلَ سِمْعَانُ عَلَى بَرَاءَةِ ذِمَّةٍ مِنَ الجِزْيَةِ لِيَهُودَا بِمُوجِبِ اتِّفَاقٍ مَعَ دِيمِتْرِيُوسَ الثَّانِي، مِمَّا جَعَلَ هَذَا العَامَ بِمَثَابَةِ "سَنَةِ الاِسْتِقْلَالِ" الَّتِي بَدَأَ فِيهَا الحَشْمُونِيُّونَ يُؤَرِّخُونَ وَثَائِقَهُمْ وَعُقُودَهُمْ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَمِنْ هَذِهِ المُنْطَلَقَاتِ السِّيَاسِيَّةِ انْتَقَلَتِ السِّيَاسَةُ الحَشْمُونِيَّةُ نَحْوَ الحَسْمِ النِّهَائِيِّ لِلسِّيَادَةِ، فَكَانَ الإِنْجَازُ العَسْكَرِيُّ وَالإِدَارِيُّ الأَبْرَزُ هُوَ إِجْلَاءُ الحَامِيَةِ السَّلُوقِيَّةِ المُرَابِطَةِ فِي قَلْعَةِ "الأَكْرَا" بِأُورُشَلِيمَ سِلْوَانَ اليَوْمِ. عَامَ مِئَةٍ وَإِحْدَى وَأَرْبَعِينَ قَبْلَ المِيلادِ، تِلْكَ القَلْعَةُ الَّتِي ظَلَّتْ لِعُقُودٍ خِنْجَراً فِي خَاصِرَةِ المَدِينَةِ وَرَمْزاً لِلإِشْرَافِ الأَجْنَبِيِّ، وَبِسُقُوطِهَا دَخَلَ سِمْعَانُ وَجَيْشُهُ إِلَيْهَا وَسَطَ مَظَاهِرَ احْتِفَالِيَّةٍ نَادِرَةٍ شَمِلَتْ رَفْعَ سَعَفِ النَّخِيلِ وَتَرْتِيلَ الأَنَاشِيدِ، لِيُعْلِنَ ذَلِكَ اليَوْمَ عِيداً سَنَوِيّاً لِتَحْرِيرِ العَاصِمَةِ، وَلَمْ يَتَوَقَّفْ طُمُوحُ سِمْعَانَ عِنْدَ الحَسْمِ العَسْكَرِيِّ، بَلْ سَعَى لِتَشْرِيعِ حُكْمِ سُلالَتِهِ مَدَنِيّاً، فَعَقَدَ

مَجْمَعاً كَبِيراً لِلكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ وَرُؤَسَاءِ الأُمَّةِ قَرَّرُوا فِيهِ تَنْصِيبَهُ رَئِيساً لِلأُمَّةِ وَكَاهِناً أَعْظَمَ وَقَائِداً لِلْجَيْشِ "إِلَى أَنْ يَقُومَ نَبِيٌّ أَمِينٌ". وَاسْتَمَرَّ سِمْعَانُ فِي رِيَاسَتِهِ لِلأُمَّةِ وَمَنْصِبِ الكَاهِنِ الأَعْظَمِ حَتَّى بَلَغَ نِهَايَتَهُ المَأْسَاوِيَّةَ بِالقُرْبِ مِنْ مَدِينَةِ أَرِيحَا، حِينَ قُتِلَ غَدْراً عَلَى يَدِ صِهْرِهِ بَطْلِيمُوسَ فِي مَطْلَعِ عَامِ مِئَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلاثِينَ قَبْلَ المِيلادِ، لِيَخْلُفَهُ فِي الحُكْمِ ابْنُهُ يُوحَنَّا هِيرْكَانُوسُ [14].

48. يُوحَنَّا هِيرْكَانُوسُ 135 – 104 ق.م

تَوَلَّى يُوحَنَّا هِيرْكَانُوسُ الأَوَّلُ مَقَالِيدَ الحُكْمِ فِي مَرْحَلَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ عَقِبَ مَقْتَلِ وَالِدِهِ سِمْعَانَ فِي أَرِيحَا عَامَ مِئَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ قَبْلَ المِيلادِ، حَيْثُ نَجَحَ بِذَكَاءٍ فِي الإِفْلَاتِ مِنْ مَكِيدَةِ بَطْلِيمُوسَ وَالتَّوَجُّهِ سَرِيعاً إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُعْلِنَ نَفْسَهُ كَاهِناً أَعْظَمَ وَحَاكِماً لِلأُمَّةِ، وَقَدِ اسْتَهَلَّ عَهْدَهُ بِمُوَاجَهَةِ أَصْعَبِ التَّحَدِّيَاتِ العَسْكَرِيَّةِ حِينَ حَاصَرَ المَلِكُ السَّلُوقِيُّ أَنْطِيُوخُسُ السَّابِعُ (سِيْدِيْتِسُ) مَدِينَةَ أُورُشَلِيمَ، وَبَعْدَ مَفَاوَضَاتٍ شَاقَّةٍ وَدَفْعِ جِزْيَةٍ كَبِيرَةٍ، اسْتَطَاعَ هِيرْكَانُوسُ تَأْمِينَ الِاسْتِقْلَالِ الذَّاتِيِّ لِبِلَادِهِ، وَبِمَوْتِ أَنْطِيُوخُسَ السَّابِعِ عَامَ مِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ، اسْتَغَلَّ هِيرْكَانُوسُ تَفَكُّكَ الدَّوْلَةِ السَّلُوقِيَّةِ لِيَبْدَأَ حَمَلَاتٍ تَوَسُّعِيَّةً غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ أَعَادَتْ صِيَاغَةَ خَرِيطَةِ المِنْطَقَةِ، فَضَمَّ أَرْضَ أَدُومْيَا التَّابِعَةَ لِمَمْلَكَةِ يَهُوذَا القَدِيمَةِ الَّتِي تَقَعُ فِي الجَنُوبِ وَأَلْزَمَ سُكَّانَهَا بِالتَّهَوُّدِ. ثُمَّ اتَّجَهَ شَمَالاً نَحْوَ السَّامِرَةِ حَيْثُ هَدَمَ الهَيْكَلَ السَّامِرِيَّ عَلَى جَبَلِ جَرِيزِيمَ وَدَمَّرَ مَدِينَةَ السَّامِرَةِ بَعْدَ حِصَارٍ طَوِيلٍ، مِمَّا حَوَّلَ حُكْمَهُ مِنْ مُجَرَّدِ زَعَامَةٍ مَحَلِّيَّةٍ إِلَى مَمْلَكَةٍ إِقْلِيمِيَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَمَعَ هَذَا التَّعَاظُمِ فِي القُوَّةِ المَادِّيَّةِ، شَهِدَ عَهْدُهُ أَيْضاً بِدَايَةَ الانْقِسَامَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ الحَادَّةِ بَيْنَ الفَرِّيسِيِّينَ وَالصَّدُّوقِيِّينَ، حَيْثُ انْحَازَ فِي نِهَايَةِ مَطَافِهِ إِلَى طَائِفَةِ الصَّدُّوقِيِّينَ عَقِبَ خِلَافٍ مَعَ قَادَةِ الفَرِّيسِيِّينَ، لِيَتْرُكَ عِنْدَ وَفَاتِهِ عَامَ مِئَةٍ وَأَرْبَعَةٍ قَبْلَ المِيلادِ إِرْثاً سِيَاسِيّاً ضَخْماً مَهَّدَ الطَّرِيقَ لِأَبْنَائِهِ لِيُطَالِبُوا بِلَقَبِ "المَلِكِ" رَسْمِيّاً.

49. أَرِسْتُوبُولُوسُ 104 – 103 ق.م

خَلَفَهُ فِي سُدَّةِ الحُكْمِ ابْنُهُ الأَكْبَرُ أَرِسْتُوبُولُوسُ الأَوَّلُ، الَّذِي لَمْ يَدُمْ حُكْمُهُ سِوَى عَامٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَاماً مَفْصِلِيّاً فِي تَارِيخِ السُّلالَةِ؛ إِذْ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَوَجَّ نَفْسَهُ رَسْمِيّاً بِلَقَبِ "المَلِكِ" إِلَى جَانِبِ مَنْصِبِ الكَاهِنِ الأَعْظَمِ، مُحَوِّلاً بِذَلِكَ نِظَامَ الحُكْمِ مِنْ مَشْيَخَةٍ دِينِيَّةٍ إِلَى مَلَكِيَّةٍ صَرِيحَةٍ. حَيْثُ أَخْضَعَ مِنْطَقَةَ الجَلِيلِ وَأَلْزَمَ سُكَّانَهَا "الإِيطُورِيِّينَ" بِالتَّهَوُّدِ، لِيَضُمَّ بِذَلِكَ إِقْلِيمَ الجَلِيلِ بِرُمَّتِهِ إِلَى حُدُودِ المَمْلَكَةِ الحَشْمُونِيَّةِ، وَرَغْمَ إِنْجَازَاتِهِ العَسْكَرِيَّةِ، فَقَدْ اتَّسَمَ عَهْدُهُ بِالقَسْوَةِ وَالاِضْطِرَابَاتِ العَائِلِيَّةِ، حَيْثُ زَجَّ بِأُمِّهِ وَإِخْوَتِهِ فِي السِّجْنِ لِيَنْفَرِدَ بِالسُّلْطَةِ، قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بَعْدَ صِرَاعٍ مَعَ المَرَضِ وَتَأْنِيبِ الضَّمِيرِ، لِيَنْتَقِلَ الحُكْمُ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى أَخِيهِ الأَكْثَرِ شُهْرَةً وَطُمُوحاً أَلِكْسَنْدَر جَانِيُوسَ.

50. أَلِكْسَنْدَر جَانِيُوس 103 – 76 ق.م

يُعَدُّ عَهْدُهُ الذُّرْوَةَ العَسْكَرِيَّةَ وَالجُغْرَافِيَّةَ لِلدَّوْلَةِ الحَشْمُونِيَّةِ،حَيْثُ جَمَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ سُلْطَةَ المَلِكِ وَمَقَامَ الكَاهِنِ الأَعْظَمِ، مُنْتَهِجاً اسْتِرَاتِيجِيَّةً هُجُومِيَّةً صَارِمَةً أَسْفَرَتْ عَنْ بَسْطِ نُفُوذِهِ عَلَى كَامِلِ المُدُنِ السَّاحِلِيَّةِ لِبَحْرِ الرُّومِ –بِاسْتِثْنَاءِ عَسْقَلَانَ– كَمَا أَخْضَعَ مَنَاطِقَ شَاسِعَةً مِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ وَأَرْضِ الجَوْلَانِ، لِيُحَوِّلَ المَمْلَكَةَ إِلَى قُوَّةٍ إِقْلِيمِيَّةٍ مَمْدُودَةِ الأَطْرَافِ، تَمْتَدُّ مِنْ تُخُومِ مِصْرَ جَنُوباً إِلَى أَقَاصِي حُدُودِ الشَّمَالِ، مِمَّا جَعَلَ خَرِيطَةَ دَوْلَتِهِ تُحَاكِي فِي سَعَتِهَا مَجْدَ المَمْلَكَةِ المَوْرُوثَةِ قَدِيماً.

وَرَغْمَ هَذِهِ التَّوَسُّعَاتِ، فَقَدِ اتَّسَمَ عَهْدُهُ بِصِرَاعَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ دَمَوِيَّةٍ مَعَ الفَرِّيسِيِّينَ وَصَلَتْ إِلَى حَدِّ الحَرْبِ الأَهْلِيَّةِ، مِمَّا أَضْعَفَ التَّمَاسُكَ الاِجْتِمَاعِيَّ لِلْمَمْلَكَةِ، وَعِنْدَ وَفَاتِهِ، انْتَقَلَتِ السُّلْطَةُ إِلَى زَوْجَتِهِ المَلِكَةِ سَالُومِي أَلِكْسَنْدَرَا، الَّتِي حَكَمَتْ بَيْنَ عَامَي 76 – 67 ق.م، وَشَهِدَتْ تِلْكَ المَرْحَلَةُ نَوْعاً مِنَ الاِسْتِقْرَارِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ الفَرِّيسِيِّينَ، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتِ الهُدُوءَ الَّذِي سَبَقَ العَاصِفَةَ،

حَيْثُ انْفَجَرَ الصِّرَاعُ بَيْنَ أَبْنَائِهَا أَرِسْتُوبُولُوسَ الثَّانِي وَهِيرْكَانُوسَ الثَّانِي فَوْرَ وَفَاتِهَا، مِمَّا مَهَّدَ الطَّرِيقَ لِلتَّدَخُّلِ الرُّومَانِيّ بِقِيَادَةِ بُومْبِيُوسَ عَامَ 63 ق.م.

51. سُقُوطُ الِاسْتِقْلَالِ الحَشْمُونِيّ 63 ق.م

بَدَأَ الأَمْرُ بِصِرَاعٍ عَلَى السُّلْطَةِ بَيْنَ الأَخَوَيْنِ الحَشْمُونِيَّيْنِ "هِيرْكَانُوسَ الثَّانِي" وَ"أَرِيسْتُوبُولُوسَ الثَّانِي". وَقَدِ اسْتَغَلَّ القَائِدُ الرُّومَانِيُّ " بُومْبِي الكَبِيرِ" هَذَا النِّزَاعَ، فَاقْتَحَمَ أُورْشَلِيمَ بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

52. ٱلْعَصْرُ ٱلرُّومَانِيُّ 63 _ 68 ق.م

فِي عَامِ 63 ق.م. ٱسْتَوْلَى ٱلْقَائِدُ ٱلرُّومَانِيُّ بُومْبِيُوسُ عَلَى يَهُوذَا وَدَخَلَ حَرَمَ ٱلْهَيْكَلِ فِي مَدِينَةِ أُورَشَلِيمَ وَدَنَّسَ حُرْمَتَهُ. وَقَدْ تَمَّ الِاسْتِيلَاءُ عَلَى الْهَيْكَلِ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ مِنَ الْحِصَارِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى سُقُوطِ آلَافِ الْقَتْلَى مِنَ الْيَهُودِ الْمُدَافِعِينَ، خَاصَّةً فِي مَنْطِقَةِ الْهَيْكَلِ وَمَا حَوْلَهَا. حَيْثُ جَرَّدَ الْقَائِدُ الرُّومَانِيُّ الْحَاكِمَ الْحَشْمُونِيَّ مِنْ سُلْطَتِهِ الْمَلَكِيَّةِ، وَأَبْقَى هُرْكَانُوسَ الثَّانِي فَقَطْ فِي مَنْصِبِ رَئِيسِ الكَهَنَةِ وَحَاكِمٍ دِينِيٍّ دُونَ سُلْطَةٍ سِيَاسِيَّةٍ فِعْلِيَّةٍ، لِيَبْدَأَ بِذَلِكَ الْعَهْدُ الرُّومَانِيُّ عَلَى يَهُوذَا .

53. هِيرْكَانُوسُ الثَّانِي 63 – 47 ق.م

ثَبَّتَ بُومْبِي هِيرْكَانُوسَ الثَّانِي فِي مَنْصِبِ "رَئِيسِ الكَهَنَةِ" دُونَ المُلْكِ؛ لِيُجَرِّدَهُ مِنْ سَطْوَةِ السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ. وَفِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ، بَرَزَتْ شَخْصِيَّةُ أَنْتِيبَاتِرَ الأَدُومِيّ "وَالِدِ هِيرُودُسَ الكَبِيرِ"، الَّذِي كَانَ مُسْتَشَاراً مُقَرَّباً لِهِيرْكَانُوسَ وَمُوَالِياً لِرُومَا. فَأَصْبَحَ أَنْتِيبَاتِرُ هُوَ المُحَرِّكَ الفِعْلِيَّ لِلأَحْدَاثِ، وَالحَاكِمَ الحَقِيقِيَّ مِنْ وَرَاءِ السِّتَارِ، حَيْثُ نَالَ ثِقَةَ الرُّومَانِ، لَا سِيَّمَا بَعْدَ مُؤَازَرَتِهِ لِيُولْيُوسَ قَيْصَرَ.

54. أَنْتِيبَاتِرُ الأَدُومِيُّ 47 – 43 ق.م.

بَرَزَ أَنْتِيبَاتِرُ كَأَقْوَى رَجُلٍ فِي المِنْطَقَةِ مُنْذُ دُخُولِ الرُّومَانِ عَامَ 63 ق.م، حَيْثُ أَدَارَ شُؤُونَ المَمْلَكَةِ مِنْ خَلْفِ سِتَارِ ضَعْفِ هِيرْكَانُوسَ الثَّانِي. وَفِي عَامِ 47

ق.م، نَالَ الِاعْتِرَافَ الرَّسْمِيَّ مِنْ يُولْيُوسَ قَيْصَرَ كَحَاكِمٍ لِيَهُودَا، فَعَمَدَ إِلَى تَرْسِيخِ نُفُوذِ عَائِلَتِهِ بِتَعْيِينِ ابْنَيْهِ فِي مَنَاصِبَ قِيَادِيَّةٍ؛ حَيْثُ جَعَلَ ابْنَهُ الأَكْبَرَ "فِيلُو" المَشْهُورَ بِفَصَايِلَ حَاكِماً عَلَى أُورْشَلِيمَ، وَعَيَّنَ هِيرُودُسَ حَاكِماً عَلَى الجَلِيلِ وَهُوَ فِي الخَامِسَةِ وَالعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ.

وَخِلَالَ تِلْكَ الحُقْبَةِ، أَبْدَى هِيرُودُسُ كَفَاءَةً عَسْكَرِيَّةً مَشُوبَةً بِالقَسْوَةِ فِي صَدِّ الثَّوْرَاتِ المَحَلِّيَّةِ، مِمَّا نَالَ اسْتِحْسَانَ الحُكَّامِ الرُّومَانِ فِي سُورِيَا، غَيْرَ أَنَّهُ أَثَارَ سَخَطَ النُّخْبَةِ اليَهُودِيَّةِ وَالحَشْمُونِيِّينَ الَّذِينَ رَأَوْا فِيهِ "أَدُومِيّاً" دَخِيلاً يَغْتَصِبُ مَقَالِيدَ سُلْطَتِهِمْ. وَفِي عَامِ 43 ق.م، قُتِلَ أَنْتِيبَاتِرُ مَسْمُوماً بِتَدْبِيرِ أَحَدِ خُصُومِهِ، مِمَّا دَفَعَ هِيرُودُسَ لِلضَّرْبِ بِيَدٍ مِنْ حَدِيدٍ لِتَثْبِيتِ أَرْكَانِ حُكْمِهِ وَتَصْفِيَةِ مُنَاوِئِيهِ[15].

55. أَنْتِيجُونُوسَ الحَشْمُونِيّ 43_ 37 ق.م

شَهِدَتْ أُورْشَلِيمُ بَيْنَ عَامَيْ 43 و37 قَبْلَ المِيلَادِ مَرْحَلَةً عَصِيبَةً مَلِيئَةً بِالدَّسَائِسِ وَالحُرُوبِ، فَبَعْدَ مَقْتَلِ أَنْتِيبَاتِرَ مَسْمُوماً غَرِقَتِ المَدِينَةُ فِي دَوَامَةٍ مِنَ الفَوْضَى، حَيْثُ حَاوَلَ خُصُومُهُ الإِطَاحَةَ بِأَبْنَائِهِ، إِلَّا أَنَّ التَّحَوُّلَ الأَكْبَرَ حَدَثَ فِي عَامِ 40 ق.م حِينَ اجْتَاحَ البَارْثِيُّونَ (الفُرْسُ) أُورْشَلِيمَ بِتَحَالُفٍ مَعَ أَنْتِيجُونُوسَ الحَشْمُونِيّ، مِمَّا أَدَّى إِلَى سُقُوطِ المَدِينَةِ وَأَسْرِ هِيرْكَانُوسَ الثَّانِي وَتَشْوِيهِهِ لِإِسْقَاطِ أَهْلِيَّتِهِ الدِّينِيَّةِ، بَيْنَمَا انْتَحَرَ فِيلُو أَخُو هِيرُودُسَ فِي مَحْبَسِهِ، وَفِي خِضَمّ هَذَا الِانْكِسَارِ فَرَّ هِيرُودُسُ إِلَى رُومَا حَيْثُ اسْتَصْدَرَ قَرَاراً مِنْ مَجْلِسِ الشُّيُوخِ بِتَنْصِيبِهِ مَلِكاً، ثُمَّ عَادَ بَعْدَهَا لِيَشُنَّ حَرْباً ضَرُوساً اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ انْتَهَتْ بِحِصَارٍ خَانِقٍ لِأُورْشَلِيمَ عَامَ 37 ق.م، حَيْثُ اقْتَحَمَهَا بِمُسَاعَدَةِ الفَيَالِقِ الرُّومَانِيَّةِ وَارْتَكَبَ مَجَازِرَ مُرَوِّعَةً بِحَقِّ سُكَّانِهَا، ثُمَّ أَعْدَمَ خَصْمَهُ أَنْتِيجُونُوسَ لِيَطْوِيَ صَفْحَةَ الحُكْمِ الحَشْمُونِيّ نِهَائِيّاً وَيَتَرَبَّعَ عَلَى عَرْشِ المَدِينَةِ حَاكِماً فِعْلِيّاً وَمُطْلَقاً[15].

56. هِيرُودُسُ ٱلْكَبِيرِ

نُصِّبَ هِيرُودُسُ ٱلْكَبِيرِ (37–4 ق.م) مَلِكًا تَابِعًا لِلْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ ٱلرُّومَانِيَّةِ، وَفِي عَهْدِهِ فِي عَامِ 19 ق.م. أَعَادَ تَدْشِينَ بِنَاءِ ٱلْهَيْكَلِ ٱلثَّانِي فِي أُورَشَلِيمَ ٱلَّتِي بَلَغَتْ مِسَاحَتُهَا نَحْوَ 144,000 م². كَانَ هَذَا ٱلْمَشْرُوعُ ٱلضَّخْمُ ٱلْعِمْلَاقُ يَفُوقُ كَثِيرًا مَا بُنِيَ فِي رُومَا نَفْسِهَا فِي تِلْكَ ٱلْفَتْرَةِ، فَقَدْ كَانَ ٱلْمَبْنَى يَلْمَعُ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلرُّخَامِ ٱلْأَبْيَضِ بِحَيْثُ يُبْهِرُ ٱلنَّاظِرَ مِنْ بَعِيدٍ. كَمَا بَنَى عِنْدَ ٱلرُّكْنِ ٱلشَّمَالِيِّ ٱلْغَرْبِيِّ لِحَرَمِ ٱلْهَيْكَلِ قَلْعَةَ أَنْطُونِيَا ٱلْمَشْهُورَةَ، وَأَقَامَ ٱلشَّوَارِعَ ٱلْمَرْصُوفَةَ وَٱلْكَارْدُوَ "ٱلدِّيكُومَانُوسَ" لَاحِقًا، وَمَسْرَحًا وَقُصُورًا وَبِرَكًا.

خَرِيطَةٌ طُوبُوغْرَافِيَّةٌ لِبِنَاءِ الْهَيْكَلِ عَلَى جَبَلِ الْمُورِيَّا



سَخَّرَ هِيرُودُسُ الْكَبِيرُ لِبِنَاءِ هَيْكَلِ أُورْشَلِيمَ، الَّذِي عُرِفَ بِعَظَمَتِهِ الْمِعْمَارِيَّةِ الْفَائِقَةِ، إِمْكَانَاتٍ لُوجِسْتِيَّةً وَمَوَادَّ إِنْشَائِيَّةً غَيْرَ مَسْبُوقَةٍ اسْتَقَاهَا مِنْ أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ؛ حَيْثُ يَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُ يُوسِفُوسُ فَلَافِيُوسُ أَنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَدَّخِرْ جُهْدًا فِي جَلْبِ أَضْخَمِ الْحِجَارَةِ الْكِلْسِيَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّلْبَةِ مِنْ مَقَالِعِ "الْمَسْكُوبِيِّ" الْقَرِيبَةِ وَمِنْ مَغَارَةِ الْكَتَّانِ، وَهِيَ حِجَارَةٌ ضَخْمَةٌ جِدًّا وَصَلَ طُولُ بَعْضِهَا إِلَى خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهَا ثَمَانِيَةَ أَذْرُعٍ، وَقَدْ نُحِتَتْ بِدِقَّةٍ مُتَنَاهِيَةٍ لِتَتَطَابَقَ فِي تَرْكِيبِهَا دُونَ حَاجَةٍ لِمِلَاطٍ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ، كَمَا اسْتُخْدِمَتْ مَادَّةُ

الرَّصَاصِ الْمُذَابِ وَالْحَدِيدُ لِرَبْطِ الْكُتَلِ الْحَجَرِيَّةِ الْعِمْلَاقَةِ بِبَعْضِهَا الْبَعْضِ لِضَمَانِ ثَبَاتِهَا أَمَامَ الزَّلَازِلِ. وَلِإِتْمَامِ هَذَا الْعَمَلِ الْجَبَّارِ، وَظَّفَ هِيرُودُسُ جَيْشًا مِنَ الْعُمَّالِ الْمَهَرَةِ وَالْحِرَفِيِّينَ قُدِّرَ عَدَدُهُمْ بِعَشَرَةِ آلَافِ عَامِلٍ، بَيْنَهُمْ أَلْفُ كَاهِنٍ تَمَّ تَدْرِيبُهُمْ خِصِّيصًا عَلَى أَعْمَالِ الْبِنَاءِ وَالنَّحْتِ وَالنِّجَارَةِ لِيَتَسَنَّى لَهُمُ الْعَمَلُ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي يُحْظَرُ عَلَى غَيْرِ الْكَهَنَةِ دُخُولُهَا، وَقَدْ جُهِّزَتْ لِهَذِهِ الْغَايَةِ أَلْفُ عَرَبَةٍ لِجَرِّ الْحِجَارَةِ الضَّخْمَةِ. أَمَّا فِي الدَّاخِلِ فَقَدِ اسْتُخْدِمَتْ أَجْوَدُ أَنْوَاعِ أَخْشَابِ الْأَرْزِ الْمَجْلُوبَةِ مِنْ لُبْنَانَ لِتَسْقِيفِ الْأَرْوِقَةِ وَتَغْطِيَةِ الْجُدْرَانِ، مَعَ تَطْعِيمِهَا بِصَفَائِحِ الذَّهَبِ الْخَالِصِ الَّتِي كَانَتْ تُغَطِّي وَاجِهَةَ الْهَيْكَلِ بِالْكَامِلِ حَتَّى إِنَّهَا كَانَتْ تَعْكِسُ ضَوْءَ الشَّمْسِ بِقُوَّةٍ تَعْشِي بَصَرَ النَّاظِرِ إِلَيْهَا، كَمَا اسْتُخْدِمَ الرُّخَامُ الْمُلَوَّنُ الْمُوَشَّى بِالْأَزْرَقِ وَالْأَحْمَرِ فِي رَصْفِ الْأَرْضِيَّاتِ وَالسَّاحَاتِ الشَّاسِعَةِ، وَاسْتُورِدَتِ الصَّنَائِعُ الدَّقِيقَةُ مِنْ بُرُونْزِ كُورِنْثُوسَ الْفَاخِرِ لِصِنَاعَةِ الْأَبْوَابِ الضَّخْمَةِ، خَاصَّةً "**بَابَ نِكَانُورَ**" الَّذِي كَانَ يَفُوقُ الْأَبْوَابَ الْمُذَهَّبَةَ قِيمَةً لِجَمَالِ سَبَائِكِهِ. وَلَمْ يَغْفَلْ هِيرُودُسُ عَنِ اسْتِخْدَامِ الْحِجَارَةِ الْمُرَبَّعَةِ الضَّخْمَةِ فِي بِنَاءِ "**الِاسْتُوَا الْمَلَكِيِّ**" الَّذِي كَانَ يُعَدُّ مِنْ أَضْخَمِ الْأَبْنِيَةِ الْمَسْقُوفَةِ فِي الْعَالَمِ الْقَدِيمِ، حَيْثُ ارْتَكَزَ عَلَى أَعْمِدَةٍ رُخَامِيَّةٍ ضَخْمَةٍ كَانَ يَحْتَاجُ كُلُّ عَمُودٍ مِنْهَا لِثَلَاثَةِ رِجَالٍ لِكَيْ يُحِيطُوا بِهِ بِأَذْرُعِهِمْ؛ وَهَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الْإِنْشَائِيَّةُ الْمُتَكَامِلَةُ مِنْ آلَاتِ رَفْعٍ حَجَرِيَّةٍ بَدَائِيَّةٍ لَكِنَّهَا عَبْقَرِيَّةٌ، وَفُنُونِ النَّقْشِ الْيُونَانِيَّةِ الْمَمْزُوجَةِ بِالتَّقَالِيدِ الْهَيْكَلِيَّةِ، جَعَلَتْ مِنْ هَذَا الصَّرْحِ مُعْجِزَةً هَنْدَسِيَّةً اسْتَمَرَّ الْعَمَلُ فِي تَفَاصِيلِهَا وَعِمَارَةِ أَرْوِقَتِهَا الْخَارِجِيَّةِ لِعِدَّةِ عُقُودٍ مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى بَعْدَ وَفَاةِ هِيرُودُسَ نَفْسِهِ. وَقَدْ تَجَلَّتْ عَبْقَرِيَّةُ التَّصْمِيمِ فِي هَذَا الْبِنَاءِ مِنْ خِلَالِ نِظَامٍ هَنْدَسِيٍّ دَقِيقٍ يَعْتَمِدُ التَّدَرُّجَ فِي الْقَدَاسَةِ؛ حَيْثُ تَبْدَأُ الرِّحْلَةُ مِنْ "**رِوَاقِ الْأُمَمِ**" الْفَسِيحِ الَّذِي يُحِيطُ بِالْمُقَدَّسَاتِ كَمَيْدَانٍ عَالَمِيٍّ تَحُفُّهُ أَعْمِدَةٌ رُخَامِيَّةٌ شَاهِقَةٌ، وَيَنْفَصِلُ هَذَا الرِّوَاقُ عَنِ الْبِنَاءِ الدَّاخِلِيِّ بِحَاجِزٍ حَجَرِيٍّ يُسَمَّى "**السُّورِيجَ**" يَحْمِلُ نُقُوشًا تَحْذِيرِيَّةً بِاللُّغَاتِ الْقَدِيمَةِ، ثُمَّ يَلِيهِ نَحْوَ الشَّرْقِ "**سَاحَةُ**

النِّسَاءِ" الَّتِي كَانَتْ مَرْكَزًا لِلاجْتِمَاعَاتِ الدِّينِيَّةِ وَتَضُمُّ خَزَائِنَ التَّبَرُّعَاتِ، وَمِنْهَا يَرْتَقِي الْمَرْءُ عَبْرَ "بَابِ نِكَانُورَ" المَصْنُوعَ مِنْ أَجْوَدِ أَنْوَاعِ النُّحَاسِ لِيَدْخُلَ إِلَى "سَاحَةِ إِسْرَائِيلَ" الضَّيِّقَةِ الْمُخَصَّصَةِ لِلرِّجَالِ، وَالَّتِي تُطِلُّ مُبَاشَرَةً عَلَى "سَاحَةِ الْكَهَنَةِ" حَيْثُ يَقَعُ الْمَذْبَحُ الْعَظِيمُ وَمِرْحَضَةُ التَّطْهِيرِ. وَفِي قَلْبِ هَذِهِ السَّاحَةِ يَنْتَصِبُ مَبْنَى "الْقُدْسِ" بِشُمُوخٍ طَاغٍ، وَهُوَ بِنَاءٌ مُغَطًّى بِصَفَائِحِ الذَّهَبِ يَحْوِي فِي قِسْمِهِ الْأَوَّلِ الْمَنَارَةَ وَمَائِدَةَ الْخُبْزِ وَمَذْبَحَ الْبَخُورِ، ثُمَّ يَنْفَصِلُ بِحِجَابٍ مَنْسُوجٍ عَنْ "قُدْسِ الْأَقْدَاسِ" الَّذِي يُمَثِّلُ الذِّرْوَةَ اللَّاهُوتِيَّةَ لِلْمَكَانِ بِصَمْتِهِ وَخَلَائِهِ التَّامِّ. كُلُّ هَذَا كَانَ يُتَوَّجُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ "بِالرِّوَاقِ الْمَلَكِيِّ" الَّذِي وَصَفَهُ يُوسِفُوسُ بِأَنَّهُ أَعْظَمُ بِنَاءٍ تَحْتَ السَّمَاءِ؛ حَيْثُ تَتَرَاصُّ فِيهِ مِائَةٌ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ عَمُودًا ضَخْمًا فِي أَرْبَعَةِ صُفُوفٍ، لِتُشَكِّلَ مَسَارَاتٍ مَهِيبَةً تَنْبَثِقُ عَنْهَا تِيجَانٌ كُورِنْثِيَّةٌ مَنْحُوتَةٌ بِبَرَاعَةٍ نَادِرَةٍ تَحْمِلُ سُقُوفًا خَشَبِيَّةً مُزَيَّنَةً بِأَشْكَالٍ هَنْدَسِيَّةٍ غَايَةٍ فِي التَّعْقِيدِ[16].

57. أَرْخِيلاَوُسُ 4 ق.م – 6 م

وُلِدَ هِيرُودُسُ أَرْخِيلاَوُسُ نَحْوَ عَامِ ثَلاَثَةٍ وَعِشْرِينَ قَبْلَ الْمِيلاَدِ، وَهُوَ ابْنُ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ الْكَبِيرِ مِنْ زَوْجَتِهِ السَّامِرِيَّةِ مَالْثَاكِي. تَلَقَّى تَعْلِيمَهُ فِي رُومَا لِيَكُونَ مُهَيَّأً لِلإِدَارَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَفْقَ الْمَنْظُورِ الرُّومَانِيِّ، وَبَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ فِي عَامِ أَرْبَعَةٍ قَبْلَ الْمِيلاَدِ، وَجَدَ نَفْسَهُ فِي خِضَمِّ صِرَاعٍ مَرِيرٍ عَلَى السُّلْطَةِ مَعَ إِخْوَتِهِ. وَرَغْمَ أَنَّ وَصِيَّةَ وَالِدِهِ الأَخِيرَةَ مَنَحَتْهُ الْعَرْشَ، إِلاَّ أَنَّ الإِمْبِرَاطُورَ أَغُسْطُسَ قَيْصَرَ لَمْ يَمْنَحْهُ لَقَبَ "المَلِكِ"، بَلْ نَصَّبَهُ "رَئِيسَ رُبْعٍ" عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَأَدُومِيَا. اسْتَهَلَّ أَرْخِيلاَوُسُ حُكْمَهُ بِمَجْزَرَةٍ مُرَوِّعَةٍ فِي سَاحَاتِ الْهَيْكَلِ خِلاَلَ عِيدِ الْفِصْحِ، حَيْثُ فَتَكَ جُنُودُهُ بِثَلاَثَةِ آلاَفِ شَخْصٍ لِقَمْعِ اضْطِرَابَاتٍ شَعْبِيَّةٍ طَالَبَتْ بِتَخْفِيفِ الضَّرَائِبِ وَإِطْلاَقِ سَرَاحِ السُّجَنَاءِ، مِمَّا وَلَّدَ عَدَاءً مُسْتَحْكِمًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّعِيَّةِ مُنْذُ اللَّحْظَةِ الأُولَى. وَفِيمَا يَخُصُّ مُنْجَزَاتِهِ الْعُمْرَانِيَّةَ فِي أُورُشَلِيمَ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ

بِنَاءَ بَعْضِ الْمَرَافِقِ فِي الْهَيْكَلِ الَّتِي بَدَأَهَا وَالِدُهُ، وَأَعَادَ تَرْمِيمَ الْقَصْرِ الْمَلَكِيِّ الْفَاخِرِ بِأُسْلُوبٍ يُضَاهِي الْعَظَمَةَ الرُّومَانِيَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي مُمَارَسَةِ سِيَاسَةٍ اسْتِبْدَادِيَّةٍ عَنِيفَةٍ تُجَاهَ مُعَارِضِيهِ، مِمَّا دَفَعَ أَعْيَانَ الْيَهُودِ وَالسَّامِرِيِّينَ إِلَى التَّكَتُّلِ ضِدَّهُ وَإِرْسَالِ وَفْدٍ إِلَى رُومَا لِلشَّكْوَى مِنْ طُغْيَانِهِ. وَفِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، اسْتَجَابَ أَغُسْطُسُ قَيْصَرُ لِهَذِهِ الاسْتِغَاثَاتِ، فَاسْتَدْعَاهُ إِلَى رُومَا فِي عَامِ سِتَّةٍ مِيلَادِيَّةٍ، حَيْثُ جُرِّدَ مِنْ أَمْلَاكِهِ وَنُفِيَ إِلَى مِنْطَقَةِ "فِيِينَ" فِي بِلَادِ الْغَالِ، لِتَنْتَهِيَ بِذَلِكَ فَتْرَةُ حُكْمِهِ الْقَصِيرَةُ الْمُضْطَرِبَةُ، وَتَتَحَوَّلَ مَنَاطِقُ حُكْمِهِ إِلَى وِلَايَةٍ رُومَانِيَّةٍ مُبَاشِرَةٍ تَحْتَ إِدَارَةِ وُلَاةٍ رُومَانٍ، كَانَ أَشْهَرَهُمْ لَاحِقًا بِيلَاطُسُ الْبُنْطِيُّ[17].

58. بِيلَاطُسُ الْبُنْطِيُّ

عَامَ 26 – 36 م حَكَمَ بِيلَاطُسُ الْبُنْطِيُّ "الْحَاكِمِ الرُّومَانِيّ"، مُقَاطَعَةَ الْيَهُودِيَّةِ بِمَا فِيهَا أُورُشَلِيمُ[17].

59. صَلْبُ مَلِكِ اليَهُودِ.

فِي عَامِ 27م تَنَبَّأَ يَسُوعُ المَسِيحُ بِدَمَارِ الهَيْكَلِ وَأُورُشَلِيمَ[18]. وَقَبْلَ عَشِيَّةِ عِيدِ الفِصْحِ اليَهُودِيّ، حَكَمَ بِيلاطُسُ البُنْطِيُّ عَلَى صَلْبِهِ[17] بِتُهْمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ بِوَصْفِهِ مُنَافِسًا لِلسُّلْطَةِ الرُّومَانِيَّةِ، فَوُضِعَتْ لَافِتَةٌ فَوْقَ رَأْسِهِ عَلَى الصَّلِيبِ "يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ" ؛ وَذَلِكَ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ المُوافِقِ لِلْحَادِيَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ نِيسَانَ لِعَامِ 27 مِيلَادِيًّا، المُوافِقِ لِلسَّادِسِ عَشَرَ مِنْ "نِيسَانَ/ ניסן" لِعَامِ 3787 عِبْرِيًّا. أَمَّا مِنْ جِهَةِ اليَهُودِ، فَقَدْ كَانَتِ التُّهْمَةُ أَنَّهُ مُجَدِّفٌ؛ وَذَلِكَ حِينَمَا سَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ "أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟"، فَأَجَابَ يَسُوعُ: "أَنَا هُوَ"؛ مُؤَكِّدًا بِذَلِكَ أَنَّهُ ابْنُ اللهِ، وَعَلَيْهِ كَانَ رَدُّ اليَهُودِ عَلَى بِيلاطُسَ الْبُنْطِيِّ "لَنَا نَامُوسٌ، وَحَسَبَ نَامُوسِنَا يَجِبُ أَنْ يَمُوتَ، لِأَنَّهُ جَعَلَ نَفْسَهُ ابْنَ اللهِ".

60. فِي عَامِ 29 م، تَمَّ نَقْلُ مَقَرِّ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى "السَّنْهَدْرِين" مِنْ أُورَشَلِيمَ إِلَى مَدِينَةِ اللُّد. وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُبْطِلَتِ الذَّبَائِحُ الشَّرْعِيَّةُ فِي جَبَلِ الْهَيْكَلِ.

61. مَجْمَعُ السَّنْهَدْرِينِ

عَامَ 30 م كَانَ مَوْقِعُ الْمَحْكَمَةِ الْعُلْيَا الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ 71 شَيْخًا، دَاخِلَ حُجْرَةٍ مَنْحُوتَةٍ مِنْ حِجَارَةِ الْهَيْكَلِ "قُبَّةِ الصَّخْرَةِ الْيَوْمَ"، إِلَى جَانِبِ ذَلِكَ عُقِدَ مَجْلِسَانِ صَغِيرَانِ آخَرَانِ "لِلسَّنْهَدْرِين" يَتَأَلَّفُ كُلٌّ مِنْهُمَا مِنْ 23 شَيْخًا، مَجْلِسٌ عِنْدَ بَابِ شُوشَانَ "الرَّحْمَةِ" وَالثَّانِي عِنْدَ مَدْخَلِ حَرَمِ الْهَيْكَلِ أُورَشَلِيمَ. وَقَبْلَ 40 سَنَةً مِنْ دَمَارِ الْهَيْكَلِ الثَّانِي نُقِلَ مَقَرُّ الْمَجْلِسِ الْأَعْلَى لِلسَّنْهَدْرِينِ مِنْ مَكَانِهِ الْأَصْلِيِّ إِلَى الْمِنْطَقَةِ الْخَارِجِيَّةِ لِجَبَلِ الْهَيْكَلِ، وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ أُوقِفَ تَنْفِيذُ الْأَحْكَامِ بِالْإِعْدَامِ عَلَى الْمُجْرِمِينَ، بِسَبَبِ عَدَمِ صَلَاحِيَّةِ الْمَحَاكِمِ فِي أَنْ تَفْرِضَ عُقُوبَةَ الْإِعْدَامِ خَارِجَ الْهَيْكَلِ.

62. مَوْتُ بِيلاطُسَ الْبُنْطِيّ

فِي زَمَانِ أَغْرِيبَاسَ الملك، مَاتَ طِيبَارِيُوسُ قَيْصَرُ عَامَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ لِلْمِيلَادِ بَعْدَ أَنْ دَامَ حُكْمُهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً وَشَهْرًا، وَمَلَكَ بَعْدَهُ غَايُوسُ قَيْصَرُ الْمَعْرُوفُ شَعْبِيًّا بِاسْمِ "كَالِيغُولَا"، أَرْبَعَ سِنِينَ وَثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ. وَكَانَ غَايُوسُ رَجُلًا وَحْشِيًّا، مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، كَثِيرَ الصَّلَفِ، فَأَشْخَصَ بِيلَاطِسَ إِلَى رُومِيَةَ وَقَتَلَهُ[17].

63. أَغْرِيبَاسُ الْأَوَّلُ 37 م – 44 م

وُلِدَ هِيرُودُسُ أَغْرِيبَاسُ الْأَوَّلُ نَحْوَ عَامَ عَشْرٍ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَهُوَ ابْنُ أَرِسْطُوبُولُوسَ وَحَفِيدُ هِيرُودُسَ الْكَبِيرِ. عَاشَ طُفُولَةً وَشَبَابًا مُضْطَرِبَيْنِ فِي رُومَا، حَيْثُ نَشَأَ فِي كَنَفِ الْبَلَاطِ الإِمْبِرَاطُورِيّ، وَنَسَجَ عَلَاقَاتِ صَدَاقَةٍ وَطِيدَةً مَعَ أُمَرَاءِ الْعَائِلَةِ الْحَاكِمَةِ مِثْلَ كَالِيغُولاَ وَكُلُودِيُوسَ. وَرَغْمَ انْغِمَاسِهِ فِي

حَيَاةِ الْبَذَخِ وَتَرَاكُمِ الدُّيُونِ عَلَيْهِ فِي مَقْتَبَلِ عُمْرِهِ، إلاَّ أَنَّ ارْتِقَاءَ صَدِيقِهِ كَالِيغُولاَ عَرْشَ الإِمْبرَاطُورِيَّةِ عَامَ سَبْعٍ وَثَلاَثِينَ مِيلاَدِيًّا غَيَّرَ مَجْرَى حَيَاتِهِ؛ إِذْ مَنَحَهُ حُكْمَ الْمَنَاطِقِ الَّتِي كَانَتْ خَاضِعَةً لِعَمِّهِ فِيلِبُّس، ثُمَّ ضَمَّ إِلَيْهَا لاَحِقًا أَعْمَالَ هِيرُودُس أَنْتِيبَاس بَعْدَ نَفْيِهِ. وَعِنْدَمَا تَبَوَّأَ كُلُودِيُوسُ سُدَّةَ الإِمْبرَاطُورِيَّةِ عَامَ وَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلاَدِيًّا، كَافَأَ أَغْرِيبَاسَ عَلَى إِخْلاَصِهِ بِبَسْطِ سُلْطَانِهِ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ، لِيُعِيدَ بِذَلِكَ تَوْحِيدَ مَمْلَكَةِ جَدِّهِ هِيرُودُسَ الْكَبِيرِ تَحْتَ لِوَائِهِ. وَعَلَى نَقِيضِ أَسْلاَفِهِ، حَرَصَ أَغْرِيبَاسُ عَلَى اسْتِمَالَةِ قُلُوبِ الْيَهُودِ بِتَمَسُّكِهِ الظَّاهِرِيّ بِالشَّرِيعَةِ وَالطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ، فَاتَّخَذَ مِنْ أُورُشَلِيمَ مَقَرًّا لِحُكْمِهِ، وَشَرَعَ فِي تَشْيِيدِ "السُّورِ الثَّالِثِ" لِتَحْصِينِ الْمَدِينَةِ وَتَوْسِيعِ رُقْعَتِهَا، وَهُوَ السُّورُ الَّذِي كَانَ سَيَجْعَلُ أُورُشَلِيمَ قَلْعَةً حَصِينَةً لَوْلاَ تَدَخُّلُ الرُّومَانِ لِكَفِّ يَدِهِ عَنْ إِتْمَامِهِ تَخَوُّفًا مِنْ تَنَامِي نُفُوذِهِ. وَفِي سَبِيلِ تَوْطِيدِ حُظْوَتِهِ عِنْدَ الْقِيَادَاتِ الدِّينِيَّةِ، بَدَأَ بِمُلاحَقَةِ الْكَنِيسَةِ النَّاشِئَةِ، فَقَتَلَ يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي سَيْفًا وَاعْتَقَلَ بُطْرُسَ الرَّسُولَ. وَقَدْ خَلَّدَ التَّارِيخُ نِهَايَتَهُ الدَّرَامِيَّةَ الْمُفَاجِئَةَ عَامَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلاَدِيًّا إِبَّانَ احْتِفَالاتِ قَيْصَرِيَّةِ مَارِيتِيمَا،حَيْثُ ظَهَرَ بِحُلَّةٍ مَنْسُوجَةٍ مِنَ الْفِضَّةِ خَطَفَتِ الأَبْصَارَ، فَلَمَّا هَتَفَ لَهُ الْجَمْعُ مَادِحِينَ، وَأَسْبَغُوا عَلَيْهِ صِفَاتِ الأُلُوهِيَّةِ؛ دَهَمَتْهُ آلاَمٌ مَبْرِحَةٌ فِي أَمْعَائِهِ، وَتَفَشَّى فِي جَسَدِهِ الدُّودُ حَتَّى أَكَلَهُ وَهُوَ بَعْدُ حَيٌّ، ثُمَّ لَفَظَ أَنْفَاسَهُ الأَخِيرَةَ صَرِيعَ هَذَا الدَّاءِ العُضَالِ، وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهِ.

64. أَغْرِيبَاسُ الثَّانِي 50 م – 66 م.

وُلِدَ هِيرُودُسُ أَغْرِيبَاسُ الثَّانِي فِي رُومَا نَحْوَ عَامَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ مِيلاَدِيًّا، وَنَشَأَ فِي بَلاَطِ الإِمْبرَاطُورِ كُلُودِيُوسَ، وَعِنْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ عَامَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلاَدِيًّا، لَمْ يَتَسَلَّمْ عَرْشَ أُورُشَلِيمَ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ، بَلْ بَقِيَ فِي رُومَا حَتَّى مَنَحَهُ الإِمْبرَاطُورُ نَحْوَ عَامَ خَمْسِينَ مِيلاَدِيًّا مَمْلَكَةَ "تَشَلْكِيسَ" الَّتِي تَقَعُ طَبُوغْرَافِيًّا فِي وَادِي

الْبِقَاعِ اللُّبْنَانِيِّ الْحَالِيِّ، ثُمَّ أَبْدَلَهَا لاَحِقًا بِمَنَاطِقَ أَوْسَعَ فِي الشِّمَالِ وَالشَّرْقِ، وَرغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَمْلِكْ سُلْطَةً سِيَاسِيَّةً مُبَاشِرَةً عَلَى وِلاَيَةِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي ظَلَّتْ تَحْتَ إِدَارَةِ الْوُلاَةِ الرُّومَانِ، إِلاَّ أَنَّهُ مُنِحَ حَقَّ الإِشْرَافِ عَلَى الْهَيْكَلِ وَتَعْيِينِ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ، فَعَاشَ مُمَزَّقًا بَيْنَ أَصْلِهِ الْيَهُودِيِّ وَوَلائِهِ الْمُطْلَقِ لِرُومَا، وَفِي عَهْدِهِ، وَبِالتَّحْدِيدِ قُبَيْلَ انْدِلاَعِ الثَّوْرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْكُبْرَى، جَرَى اكْتَمَلَ بِنَاءِ "السُّورِ الثَّالِثِ" الَّذِي كَانَ قَدْ بَدَأَهُ وَالِدُهُ وَتَوَقَّفَ بِأَمْرٍ رُومَانِيٍّ، حَيْثُ سَاهَمَ أَغْرِيبَاسُ فِي بَعْضِ التَّحْسِينَاتِ الْعُمْرَانِيَّةِ، لَكِنَّ الثُّوَّارَ الْيَهُودَ هُمْ مَنْ أَتَمُّوا تَحْصِينَهُ عَلَى عَجَلٍ لِمُوَاجَهَةِ الْجُيُوشِ الرُّومَانِيَّةِ، وَقَدْ أَدَّى بِنَاءُ هَذَا السُّورِ إِلَى تَوسِيعِ مِسَاحَةِ أُورُشَلِيمَ بِشَكْلٍ هَائِلٍ، إِذْ ضَمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ ضَاحِيَةَ "بيزيتا" الشِّمَالِيَّةَ، لِتَمْتَدَّ الْمَدِينَةُ عَلَى مِسَاحَةٍ تُقَدَّرُ بِنَحْوِ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ فَدَّانًا أَيْ مَا يُعَادِلُ تَقْرِيبًا مِلْيُونَ مِتْرٍ مُرَبَّعٍ، مِمَّا جَعَلَهَا وَاحِدَةً مِنْ أَعْظَمِ حَوَاضِرِ الشَّرْقِ تَحْصِينًا وَاتِّسَاعًا، وَكَانَ أَغْرِيبَاسُ الثَّانِي قَدْ حَاوَلَ ثَنْيَ الْيَهُودِ عَنِ الثَّوْرَةِ بِخِطَابٍ شَهِيرٍ حَذَّرَهُمْ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ رُومَا الَّتِي لاَ تُقْهَرُ، لَكِنَّ مَسَاعِيَهُ بَاءَتْ بِالْفَشَلِ، فَانْحَازَ إِلَى جَانِبِ الْقَائِدِ الرُّومَانِيِّ "تِيتُوسَ" أَثْنَاءَ حِصَارِ أُورُشَلِيمَ عَامَ سَبْعِينَ مِيلَادِيًّا، وَشَاهَدَ بِنَفْسِهِ دَمَارَ الْمَدِينَةِ وَاحْتِرَاقَ الْهَيْكَلِ وَتَهَدُّمَ الأَسْوَارِ الَّتِي بَنَتْهَا أُسْرَتُهُ، ثُمَّ انْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ لِيَعِيشَ بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ فِي رُومَا حَتَّى وَفَاتِهِ نَحْوَ عَامِ مِائَةٍ لِلْمِيلَادِ، لِيُسْدَلَ بِذَلِكَ السِّتَارُ نِهَائِيًّا عَلَى سُلاَلَةِ هِيرُودُسَ بَعْدَ أَنْ شَهِدَ آخِرُ مُلُوكِهَا ضَيَاعَ كُلِّ مَا بَنَاهُ أَجْدَادُهُ.

65. الثَّوْرَةُ الْكُبْرَى

فِي عَامِ 66 م، ابْتَدَأَتِ الثَّوْرَةُ الْيَهُودِيَّةُ الْكُبْرَى لِسَبَبِ الِاحْتِقَانِ السِّيَاسِيِّ وَالِاقْتِصَادِيِّ، الَّتِي انْتَهَتْ بِدَمَارِ الْهَيْكَلِ فِي أُورَشَلِيمَ سَنَةَ 70 م عَلَى يَدِ

الْقَائِدِ الرُّومَانِيّ تِيطُسَ عِنْدَمَا أَحْرَقَ الْهَيْكَلَ الثَّانِيَ؛ حَيْثُ قُتِلَ وَسُبِيَ الْعَدِيدُ مِنَ الْيَهُودِ.

66. يُوسِيفُوسُ فَلَافْيُوسُ

فِي عَامِ 79 م أَنْهَى الْمُؤَرِّخُ الْيَهُودِيُّ يُوسُفُ بْنُ مَتَّتْيَهُو"יוֹסֵף בֶּן מַתִּתְיָהוּ" الْمُلَقَّبُ بِيُوسِيفُوسَ فَلَافْيُوسَ كِتَابَهُ "تَارِيخُ الْحَرْبِ الْيَهُودِيَّةِ مَعَ الرُّومَانِ".

أَبْرَزُ مَا جَاءَ فِيهِ: "وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي، طَرَدَ الرُّومَانُ اللُّصُوصَ مِنَ الْمَدِينَةِ السُّفْلَى وَأَضْرَمُوا النَّارَ فِيهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا سُعَدَاءَ بِرُؤْيَةِ الْمَدِينَةِ الْمُحْتَرِقَةِ، إِلَّا أَنَّ مُحَاوَلَاتِهِمْ بَاءَتْ بِالْفَشَلِ بُغْيَةَ الْحُصُولِ عَلَى الْغَنَائِمِ، لِأَنَّ الثُّوَّارَ قَدْ تَمَكَّنُوا بِالْفِعْلِ مِنْ نَزْعِ الْمُمْتَلَكَاتِ وَخَرَجُوا مَعَ الصَّقْرِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْعُلْيَا. وَعَلَى مَرْأًى مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُحْتَرِقَةِ، أَدْرَكَ الثُّوَّارُ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ إِنَّ مَوْتَهُمْ سَيَحِلُّ بِهِمْ هَذِهِ الْمَرَّةَ بَعْدَ أَنْ هَلَكَ كُلُّ أَهْلِ أُورَشَلِيمَ وَدُمِّرَ كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا وَأُحْرِقَ الْهَيْكَلُ وَالْمَدِينَةُ بِالنَّارِ، وَلَمْ يَتْرُكُوا شَيْئًا لِأَعْدَائِهِمْ"[19].

تَذْكُرُ لَنَا الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ مِثْلِ الْمُؤَرِّخِ الرُّومَانِيّ تَاسِيتُوسَ أَنَّ عَدَدَ الْقَتْلَى قَدْ بَلَغَ مَا يُقَارِبُ سِتِّمِائَةِ أَلْفِ نَسَمَةٍ، مِنْهُمْ حَوَالَيْ أَحَدَ عَشَرَ أَلْفًا هَلَكُوا جُوعًا خِلَالَ الْحِصَارِ.

67. ثَوْرَةُ بَارْ كُوخْبَا

عَامَ 132م اِنْدَلَعَتِ الثَّوْرَةُ الْيَهُودِيَّةُ الثَّانِيَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّةِ فِي عَهْدِ الْإِمْبَرَاطُورِ هَادْرِيَانَ، فَادَّعَى رَجُلٌ مِنْ كُوزِيبَا اِسْمُهُ شِمْعُونُ بْنُ كُوسِيبَا (שִׁמְעוֹן בַּר כּוֹסִיבָא) أَنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ الْمَوْعُودُ الَّذِي جَاءَ لِتَحْرِيرِ الْيَهُودِ مِنَ الرُّومَانِ، فَأَطْلَقَ عَلَيْهِ الْحَاخَامُ عَقِيبَا لَقَبَ " بَارْ كُوخْبَا" ابْنَ النَّجْمِ إِشَارَةً إِلَى نُبُوءَةٍ تَوْرَاتِيَّةٍ عَنِ الْمَسِيحِ الْمُنْتَظَرِ. فَلَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ "شِيعَةُ

النَّاصِرِيِّينَ" بِسَبَبِ هَذَا الِادِّعَاءِ، وَهُوَ مَا أَثَارَ حَفِيظَتَهُ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَهُمْ عُرْضَةً لِلاِضْطِهَادِ، فَذَبَحَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ عَدَدًا كَبِيرًا [20].

لَكِنْ بَعْدَ هَزِيمَةِ الثَّوْرَةِ وَمَقْتَلِ مِئَاتِ الآلَافِ مِنَ اليَهُودِ، يُقَالُ مَا يَقْرُبُ مِنْ خَمْسِمِائَةٍ وَثَمَانِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ، وَدَمَارِ قُرًى عَدِيدَةٍ، بَدَأَ بَعْضُ الحَاخَامَاتِ يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ اِسْمَ بِنْ كُوزْفَا "בֶּן כּוֹזְבָא" أَيْ اِبْنُ الكَذِبِ، إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ خَيَّبَ آمَالَ الأُمَّةِ اليَهُودِيَّةِ، حَيْثُ قُتِلَ عَلَى الأَرْجَحِ فِي سَنَةِ 135م أَثْنَاءَ سُقُوطِ الحِصْنِ اليَهُودِيِّ الأَخِيرِ فِي بَيْتَارَ "בֵּיתָר" جَنُوبَ غَرْبِيِّ القُدْسِ.

68. الإِمْبَرَاطُورُ هَادْرِيَانُ

عَامَ 135م، دَمَّرَهَا الإِمْبَرَاطُورُ هَادْرِيَانُ كُلِّيًّا مَا تَبَقَّى مِنْ مَدِينَةِ أُورْشَلِيمَ، وَبَنَى مَدِينَةً جَدِيدَةً بِاسْمِ "إِلْيَا كَابِيتُولِينَا" نِسْبَةً إِلَى "إِيلْيُوسْ هَادْرِيَانُسْ قَيْصَرَ"، وَأَقَامَ مَعْبَدًا لِلْإِلَهِ جُوبِيتَرَ مَكَانَ الهَيْكَلِ وَنَصَبَ لَهُ تِمْثَالًا دَاخِلَ المَعْبَدِ، وَحَرَّمَ دُخُولَ اليَهُودِ إِلَيْهَا.

وَفِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ ذَلِكَ، أَعَادَ هَادْرِيَانُ تَخْطِيطَ الْمَدِينَةِ وَفْقَ نِظَامِ "الْكَارْدُو"، وَهُوَ نِظَامُ الشَّوَارِعِ الْمُسْتَقِيمَةِ الْمُتَقَاطِعَةِ، وَشَيَّدَ فِيهَا الْمَسَارِحَ وَالْحَمَّامَاتِ الرُّومَانِيَّةَ وَالأَسْوَاقَ الضَّخْمَةَ. وَفِي خُطْوَةٍ رَامِيَةٍ لِطَمْسِ الْمَعَالِمِ الْمَسِيحِيَّةِ الْمُبَكِّرَةِ، حَوَّلَ جَبَلَ الْجُلْجُثَةِ وَمَوْقِعَ الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ إِلَى مَعْبَدٍ لِلإِلَهَةِ فِينُوسَ. وَبِذَلِكَ، لَمْ تَعُدْ أُورُشَلِيمُ مَدِينَةً مُدَمَّرَةً مَهْجُورَةً، بَلِ اسْتَحَالَتْ حَاضِرَةً رُومَانِيَّةً حَدِيثَةَ الطِّرَازِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، بَيْدَ أَنَّهَا غَدَتْ مُجَرَّدَةً تَمَاماً مِنْ قُدْسِيَّتِهَا وَإِرْثِهَا الضَّارِبِ فِي الْقِدَمِ، وَظَلَّتْ تَحْمِلُ اسْمَ "إِلْيَا كَابِيتُولِينَا" لأَكْثَر

"شِيعَةُ النَّاصِرِيِّينَ" هِيَ إِحْدَى الفِرَقِ اليَهُودِيَّةِ المَسِيحِيَّةِ الَّتِي خَرَجَتْ عَنِ الإِيمَانِ الكِتَابِيِّ بِتَمَسُّكِهَا بِالتَّقَالِيدِ اليَهُودِيَّةِ، نَاكِرَةً وَحْدَانِيَّةَ اللَّاهُوتِ وَمُعْتَبِرَةً أَنَّ المَسِيحَ يَسُوعَ كَانَ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى. فَبَعْدَ مَجْزَرَةِ عَامِ 132م، تَشَتَّتَ أَكْثَرُهُمْ إِلَى بِلَادِ الحِجَازِ.

مِنْ مِائَتَيْ عَامٍ، إِلَى أَنْ بَزَغَ عَصْرُ الإِمْبِرَاطُورِ قُسْطَنْطِينَ الْكَبِيرِ الَّذِي أَعَادَ لَهَا اعْتِبَارَهَا الْمَسِيحِيَّ.

69. العَصْرُ البِيزَنْطِيُّ الْمَسِيحِيُّ 313–614 م

بَعْدَ أَنْ أَصْدَرَ الْإِمْبَرَاطُورُ قُسْطَنْطِينُ مَرْسُومَ مِيلَانُو الَّذِي مَنَحَ الْمَسِيحِيِّينَ حُرِّيَّةَ الْعِبَادَةِ، بُنِيَتْ كَنِيسَةُ الْقِيَامَةِ 335 م، فَوْقَ مَوْقِعِ الصَّلْبِ الْمُكْتَشَفِ، وَأَصْبَحَتْ "إِلْيَا كَابِيتُولِينَا" مَدِينَةً مَسِيحِيَّةً مُقَدَّسَةً وَمَرْكَزًا لِلْحُجَّاجِ الْمَسِيحِيِّينَ. وَهَكَذَا مُهِدَ الطَّرِيقُ لِاعْتِمَادِهَا لَاحِقًا كَدِيَانَةٍ رَسْمِيَّةٍ لِلْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ فِي عَهْدِ ثِيُودُوسِيُوسَ الْأَوَّلِ عَامَ 380 م، الَّذِي أَصْدَرَ الْمَرْسُومَ التَّسَالُونِيكِيَّ، وَجَعَلَ الْمَسِيحِيَّةَ النِّيقِيَّةَ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّ لِلْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ.

70. كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ 326م

شَرَعَتْ أَعْمَالُ التَّشْيِيدِ فِي عَامِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَعِشْرِينَ مِيلَادِيَّةً، حَيْثُ صَدَرَتِ الْأَوَامِرُ الإِمْبَرَاطُورِيَّةُ بِهَدْمِ الْمَعْبَدِ الْوَثَنِيّ وَاسْتِكْشَافِ الْمَوْقِعِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ وَرَبْوَةِ الْجُلْجُثَةِ. وَعَقِبَ اكْتِشَافِ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ، صَمَّمَ الْمُهَنْدِسَانِ الرُّومَانِيَّانِ زِينُوبِيُوسُ وَأُوسْتَاثِيُوسُ مُجَمَّعًا كَنَسِيًّا هَائِلًا يَتَأَلَّفُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ رَئِيسِيَّةٍ: أَوَّلُهَا بِنَاءٌ دَائِرِيٌّ ضَخْمٌ يَعْلُو الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ تُتَوِّجُهُ قُبَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَثَانِيهَا رَدْهَةٌ مَفْتُوحَةٌ تَرْبِطُ الْقَبْرَ بِجَبَلِ الْجُلْجُثَةِ، وَثَالِثُهَا الْكَنِيسَةُ الْكُبْرَى "الْمَارْتِيرِيُومُ" الَّتِي خُصِّصَتْ لِلصَّلَوَاتِ الْعَامَّةِ. وَقَدِ اسْتَغْرَقَ الْبِنَاءُ قُرَابَةَ تِسْعِ سَنَوَاتٍ حَتَّى تَمَّ تَكْرِيسُهَا رَسْمِيًّا فِي عَامِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَادِيَّةً، حَيْثُ اسْتُخْدِمَتْ فِي تَشْيِيدِهَا أَفْخَرُ

أَنْوَاعِ الرُّخَامِ وَالأَعْمِدَةِ الْجَرَانِيتِيَّةِ الْمُوَشَّاةِ بِالذَّهَبِ، لِتَعْكِسَ بَهَاءَ الإِمْبِرَاطُورِيَّةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ فِي مَهْدِهَا.

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمِسَاحَةِ، فَقَدْ كَانَ الْمُجَمَّعُ الْقُسْطَنْطِينِيُّ الأَصْلِيُّ أَرْحَبَ نِطَاقًا وَأَضْخَمَ بِنَاءً مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ؛ إِذِ امْتَدَّ عَلَى رُقْعَةٍ شَاسِعَةٍ بَلَغَتْ نَحْوَ عَشَرَةِ آلَافِ مِتْرٍ مُرَبَّعٍ ، أَيْ مَا يُعَادِلُ تَقْرِيبًا فَدَّانَيْنِ وَنِصْفَ الْفَدَّانِ. وَكَانَ يَتَّصِلُ غَرْبًا بِمِنْطَقَةِ الْقَبْرِ وَيَنْفَتِحُ شَرْقًا عَلَى الشَّارِعِ الرَّئِيسِيِّ "الْكَارْدُو"، وَهُوَ الشَّارِعُ الَّذِي يُشَكِّلُ الْيَوْمَ عَصَبَ "حَيِّ الْمَسِيحِيِّينَ" وَمُلْتَقَى الأَسْوَاقِ الْقَدِيمَةِ. وَكَانَ الزَّائِرُ يَلِجُ مِنْ بَوَّابَةٍ شَرْقِيَّةٍ ثُلَاثِيَّةٍ عَظِيمَةٍ لِيَعْبُرَ صَحْنًا مَكْشُوفًا مُحَاطًا بِأَعْمِدَةٍ رُخَامِيَّةٍ قَبْلَ بُلُوغِ بَهْوِ الْكَنِيسَةِ الْبَاسِلِيكَا الْكَبِيرَةِ ذَاتِ الْأَرْوِقَةِ الْخَمْسَةِ، الَّتِي بَلَغَ طُولُهَا وَحْدَهَا نَحْوَ ثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ مِتْرًا وَعَرْضُهَا أَرْبَعِينَ مِتْرًا.

وَرَغْمَ أَنَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ مِنْ حُرُوبٍ وَزَلَازِلَ وَحَرَائِقَ قَدْ قَلَّصَتْ مِنْ مِسَاحَتِهَا، إِذْ تَعَرَّضَتْ لِدَمَارٍ شَامِلٍ عَلَى يَدِ الْفُرْسِ عَامَ سِتِّمِائَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِيلَادِيَّةً، ثُمَّ هُدِمَتْ تَمَامًا فِي عَهْدِ الْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللهِ الْفَاطِمِيِّ عَامَ أَلْفٍ وَتِسْعَةٍ مِيلَادِيَّةً، إِلَّا أَنَّ مَعَالِمَهَا تَغَيَّرَتْ جِذْرِيًّا عِنْدَمَا جَاءَ "فَيْلَقُ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيُّ" فُرْسَانُ الْهَيْكَلِ فِي الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ؛ فَقَدْ وَجَدُوا طَبُوغْرَافِيَا الْمَدِينَةِ قَدْ تَبَدَّلَتْ، وَتَرَاكَمَتِ الدُّورُ السَّكَنِيَّةُ وَالأَسْوَاقُ حَوْلَ الأَسْوَارِ الشَّرْقِيَّةِ، مِمَّا اضْطَرَّهُمْ إِلَى إِلْغَاءِ الْمَدْخَلِ الشَّرْقِيِّ الْقَدِيمِ وَتَحْوِيلِهِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ، لِيَكُونَ هُوَ الْمَنْفَذَ الْوَحِيدَ الْمُتَاحَ بَيْنَ تِلْكَ الأَزِقَّةِ الضَّيِّقَةِ.

الْحَاشِيَةُ: عِنْدَمَا أَصْبَحَتِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ (إِسْطَنْبُولُ حَالِيًّا)عَاصِمَةً جَدِيدَةً لِلْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ عَلَى يَدِ الْإِمْبَرَاطُورِ قُسْطَنْطِينَ الْأَوَّلِ، تَمَيَّزَ ذَلِكَ الْعَصْرُ بِكَوْنِ الْمَسِيحِيَّةِ دِينَ الدَّوْلَةِ الرَّسْمِيَّ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَعْظِيمِ الْكَنَائِسِ وَالْأَدْيِرَةِ وَتَأْثِيرِهَا الْكَبِيرِ فِي حَيَاةِ النَّاسِ. وَكَانَ لِكَنِيسَةِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ دَوْرٌ مِحْوَرِيٌّ فِي صِيَاغَةِ الْفِكْرِ وَالْفَنِّ وَالْهَنْدَسَةِ، مِمَّا أَسْهَمَ فِي إِنْتَاجِ فُنُونٍ رَاقِيَةٍ وَمُتَفَرِّدَةٍ تُعَبِّرُ عَنِ الْإِيمَانِ الْمَسِيحِيِّ، مِثْلَ الْأَيْقُونَاتِ وَالْفُسَيْفِسَاءِ. وَاسْتَمَرَّتِ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةُ الْبِيزَنْطِيَّةُ كَقُوَّةٍ سِيَاسِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ لِأَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ عَامٍ، مَعَ الْحِفَاظِ عَلَى التُّرَاثِ الْيُونَانِيِّ وَالرُّومَانِيِّ مَمْزُوجًا بِالْمَسِيحِيَّةِ، حَتَّى سُقُوطِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي عَامِ 1453 م.

71. فِلَافِيُوسُ كْلُودْيُوسُ يُولِيَانُوسُ 361– 363م

حَاوَلَ الإِمْبَرَاطُورُ يُولِيَانُوسُ فِي عَامِ 363م، الَّذِي ارْتَدَّ مِنَ المَسِيحِيَّةِ إِلَى الوَثَنِيَّةِ، إِرْضَاءَ يَهُودِ الشَّتَاتِ فَأَظْهَرَ لَهُمُ الإِحْسَانَ وَالإِنْسَانِيَّةَ. وَلِإِرْضَائِهِمْ فَكَّرَ فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ الهَيْكَلِ مِنْ جَدِيدٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ خِطَابًا مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ هَذَا الهَدَفِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى العَوْدَةِ إِلَى مُرَاعَاةِ شَرَائِعِ مُوسَى وَعَادَاتِ آبَائِهِمْ وَأَعْطَاهُمُ المَالَ لِبِنَاءِ الهَيْكَلِ.

فَفَرِحَ اليَهُودُ بِذَلِكَ وَقَبِلُوا التَّعَهُّدَ، دُونَ أَنْ يُفَكِّرُوا فِي أَنَّهُ وَفْقًا لِتَنَبُّؤَاتِ الأَنْبِيَاءِ لَا يُمْكِنُ تَحْقِيقُهُ، وَكَانُوا يَأْمُلُونَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ أَنْ يُبْطِلُوا نُبُوءَةَ السَّيِّدِ يَسُوعَ المَسِيحِ الَّتِي تَحَقَّقَتْ فِي دَمَارِ الهَيْكَلِ؛ إِذْ إِنَّ إِعَادَةَ بِنَائِهِ _ وَفْقاً لِلْفِكْرِ الْمَسِيحِيّ _ سَتَجْعَلُهُ نَبِيًّا كَاذِبًا.

حِينَئِذٍ، بَحَثُوا عَنْ أَمْهَرِ الحِرَفِيِّينَ وَجَمَعُوا المَوَادَّ لِلْبِنَاءِ، وَمَسَحُوا الأَرْضَ وَدَخَلُوا بِجِدِّيَّةٍ فِي المُهِمَّةِ، حَتَّى إِنَّ النِّسَاءَ حَمَلْنَ أَكْوَامًا مِنَ التُّرَابِ. وَبَعْدَمَا أَزَالَ البَنَّاؤُونَ خَرَائِبَ الهَيْكَلِ السَّابِقِ، بَدَأُوا يَحْفِرُونَ الأَرْضَ حَتَّى ظَهَرَتِ الأَسَاسَاتُ القَدِيمَةُ. وَيُقَالُ إِنَّهُ فِي اليَوْمِ التَّالِي، عِنْدَمَا كَانُوا عَلَى وَشْكِ وَضْعِ الأَسَاسِ الأَوَّلِ، حَدَثَ زِلْزَالٌ مُدَمِّرٌ مُرَوِّعٌ، وَبِسَبَبِ اهْتِيَاجِ الأَرْضِ العَنِيفِ، خَرَجَتِ الأَحْجَارُ مِنْ عُمْقِ بَاطِنِ الأَرْضِ فَجُرِحَ العَدِيدُ مِنَ البَنَّائِينَ وَمَنْ كَانُوا يُشَاهِدُونَ عَمَلِيَّةَ البِنَاءِ، وَأَنَّ المَنَازِلَ وَالأَبْنِيَةَ العَامَّةَ بِالقُرْبِ مِنْ مَوْقِعِ عَمَلِ الهَيْكَلِ قَدْ أَصَابَهَا الضَّرَرُ أَيْضًا، وَتُوُفِّيَ بَعْضُهُمْ عَلَى الفَوْرِ وَعُثِرَ عَلَى آخَرِينَ نِصْفَ مَيْتِينَ مُشَوَّهَةً أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَأُصِيبَ آخَرُونَ فِي أَمَاكِنَ أُخْرَى.

وَبَعْدَ انْتِهَاءِ الزِّلْزَالِ وَآثَارِهِ، عَادَ الْعُمَّالُ الَّذِينَ نَجَوْا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مُهِمَّتِهِمْ تَنْفِيذاً لِتَعْلِيمَاتِ الْإِمْبَرَاطُورِ. وَعِنْدَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ تَأَكَّدَ لَهُمْ عَدَمُ بِنَاءِ الْهَيْكَلِ كَمَا ذُكِرَ فِي النُّبُوءَاتِ؛ لِأَنَّ النَّارَ انْدَفَعَتْ فَجْأَةً مِنْ أَسَاسَاتِ الْهَيْكَلِ وَأَكَلَتْ

عَدَدًا مِنَ الْعُمَّالِ. وَعِنْدَ هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ تَوَقَّفَ الْعَمَلُ، وَهَكَذَا كَانَتِ النِّهَايَةُ [21]؛ [22].

72. نَحَمْيَا بْنِ حُوشِئِيلَ بْنِ يُوسُفَ

فِي عَامِ 613 م انْدَلَعَ التَّمَرُّدُ الْيَهُودِيُّ ضِدَّ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ بِقِيَادَةِ الْمَسِيحِ الْجَلِيلِيِّ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ "נְחֶמְיָה בֶּן חוּשִׁיאֵל בֶּן יוֹסֵף" نَحَمْيَا بْنِ حُوشِئِيلَ بْنِ يُوسُفَ، الَّذِي لَعِبَ دَوْرًا رَئِيسِيًّا فِي الِاسْتِيلَاءِ عَلَى مَدِينَةِ إِلْيَا كَابِيتُولِينَا [23].

73. الْجَيْشُ السَّاسَانِيُّ

فِي عَامِ 614 م وَصَلَ الْجَيْشُ السَّاسَانِيُّ وَحُلَفَاؤُهُ مِنَ الْيَهُودِ بِقِيَادَةِ شَهْرَبَازَ إِلَى مَدِينَةِ إِلْيَا كَابِيتُولِينَا، بَعْدَ حِصَارٍ دَامَ 20 يَوْمًا، ثُمَّ دَخَلُوا الْمَدِينَةَ عَنْوَةً وَقَتَلُوا عَدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ بَلَغَ سَبْعَةً وَخَمْسِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ، وَأَسَرُوا خَمْسَةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا، ثُمَّ أَبَاحَ لِجُنْدِهِ نَهْبَ كَنَائِسِ الْمَدِينَةِ وَأَدْيِرَتِهَا فَنَهَبُوهَا وَهَدَمُوا وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَلْقَوْا الْقَبْضَ عَلَى الْبَطْرِيَرْكِ زَكَرِيَّا فِي الْمَدِينَةِ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَى الصَّلِيبِ الْمُقَدَّسِ وَأَرْسَلُوهُمَا إِلَى فَارِسَ.

وَأَبْدَى الْفُرْسُ شُكْرَهُمْ عَلَى هَذَا الدَّعْمِ، فَمَنَحُوا الْيَهُودَ حُرِّيَّةَ الْإِدَارَةِ فِي المدينة بِتَعْيِينِ نَحَمْيَا بْنِ حُوشِئِيلَ حَاكِمًا عَلَى مَدِينَةِ إِلْيَا كَابِيتُولِينَا، حِينَئِذٍ بَدَأَ نَحَمْيَا فِي اتِّخَاذِ التَّرْتِيبَاتِ اللَّازِمَةِ لِبِنَاءِ الْهَيْكَلِ الثَّالِثِ وَفَرْزِ الْأَنْسَابِ لِتَأْسِيسِ كَهَنُوتٍ أَعْلَى جَدِيدٍ وَبَنَوْا كَنِيسًا فِي سَاحَةِ جَبَلِ الْهَيْكَلِ. لَكِنْ جَرَتِ الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ؛ فَبِحُلُولِ 617 م عَكَسَ الْفُرْسُ سِيَاسَتَهُمْ وَتَرَاجَعُوا عَنْ تَحَالُفِهِمْ مَعَ الْيَهُودِ، وَنُفِيَ الشَّعْبُ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَتَمَّ هَدْمُ الْكَنِيسِ الَّذِي بُنِيَ فِي سَاحَةِ جَبَلِ الْهَيْكَلِ بِإِلْيَا كَابِيتُولِينَا [24].

74. الْإِمْبَرَاطُورُ هِرَقْلُ

فِي عَامِ 629 م اسْتَعَادَ فِلَافِيُوس هِرَقْلُ الْبِيزَنْطِيُّ مَدِينَةَ إِلْيَا، وَأَرْجَعَ الصَّلِيبَ، وَبَدَأَ تَرْمِيمَاتٍ مَحْدُودَةً، لَكِنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ مُرْهَقَةً فِي شَيْخُوخَتِهَا قَبْلَ اضْمِحْلَالِهَا.

صُورَةٌ لِلْجِدَارِ الْجُنُوبِيِّ قَبْلَ عَامِ 1967م



75. الِاحْتِلَالُ الْإِسْلَامِيُّ

فِي عَامِ 637 م، أَرْسَلَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ سَنَةٍ تَقْرِيبًا مِنْ مَعْرَكَةِ اليَرْمُوكِ، جَيْشَهُ المُؤَلَّفَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ جُنْدِيٍّ مُقَاتِلٍ مِنَ الْهَاجِرِيِّينَ، بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ، فِي حَمْلَةٍ بَرِّيَّةٍ لِغَزْوِ المَنَاطِقِ الوُسْطَى مِنْ مُقَاطَعَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَحَاصَرُوا المَدِينَةَ المُقَدَّسَةَ "إِلْيَا كَابِيتُولِينَا". وَوَجَّهَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِنْذَارًا لِأَهْلِ المَدِينَةِ عَلَى أَسَاسِ قَبُولِ الإِسْلَامِ، أَوْ دَفْعِ الجِزْيَةِ، أَوِ القِتَالِ، فَرَفَضُوا الشَّرْطَيْنِ الأَوَّلَيْنِ وَقَرَّرُوا القِتَالَ. فَقَاتَلَهُمْ أَهْلُ "إِلْيَا كَابِيتُولِينَا" الضُّعَفَاءَ بِالسِّهَامِ، وَاسْتَمَرَّ القِتَالُ لِمُدَّةِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ حَتَّى حَلَّ الجُوعُ بِالمَدِينَةِ لِنَفَادِ المُؤَنِ. وَلِهَذَا السَّبَبِ، قَرَّرَ البَطْرِيَارْكُ صُفْرُونْيُوسُ أَنْ يُسَلِّمَ المَدِينَةَ لِلْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ مُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ، حِينَئِذٍ دَخَلَتْ "إِلْيَاءُ" عَهْدَهَا

الْإِسْلَامِيِّ فِيمَا عُرِفَ بِالعُهْدَةِ الْعُمَرِيَّةِ، وَسَكَنَهَا الْجُنْدُ، وَلَمْ يَكُنْ بِهَا غَيْرُ الْكَنَائِسِ وَالْمَبَانِي الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى طَرِيقَةِ الْعِمَارَةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ.

وَعِنْدَمَا دَنَا عُمَرُ مِنْ أَنْقَاضِ الهَيْكَلِ، قِيلَ لَهُ إِنَّ كَعْبَ اليَهُودِيّ عِنْدَهُ عِلْمٌ، فَقَالَ: ارْقُبُوا لِي كَعْبًا. فَلَمَّا انْفَرَقَ بِهِ البَابُ، قَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ بِمَا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ. ثُمَّ قَصَدَ مِحْرَابَ دَاوُدَ "جَبَلَ الهَيْكَلِ"، فَقَالَ عُمَرُ: أَيْنَ تَرَى أَنْ نَجْعَلَ الْمُصَلَّى؟. وَذَلِكَ لَيْلًا، فَصَلَّى فِيهِ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ طَلَعَ الفَجْرُ فَأَمَرَ الْمُؤَذِّنَ بِالإِقَامَةِ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى بِالنَّاسِ، وَقَرَأَ بِهِمْ سُورَةَ "ص" وَسَجَدَ فِيهَا، ثُمَّ قَامَ وَقَرَأَ بِهِمْ فِي الثَّانِيَةِ صَدْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ رَكَعَ ثُمَّ انْصَرَفَ [25].

وَأَقَامَ عُمَرُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ القَبَائِلِ البَدَوِيَّةِ الْهَاجِرِيّونَ بِالْقُرْبِ مِنَ الحَائِطِ الشَّرْقِيِّ الوَاقِعِ عَلَى أَنْقَاضِ الهَيْكَلِ، وَاسْتَخْدَمَ المكَـانَ كَمَوْضِعٍ لِلصَّلَاةِ إِلَى أَنْ بَنَى مَكَانَهُ مَسْجِدًا خَشَبِيًّا فَوْقَ مَوْقِعِ الهَيْكَلِ. وَكَانَ هَذَا الْمَسْجِدُ الخَشَبِيُّ يَتَّسِعُ لِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُصَلِّينَ. ثُمَّ بَنَى الخَلِيفَةُ العَاشِرُ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ، عَامَ 691 م، مَسْجِدَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ فِي نَفْسِ المكَانِ[26]، [27]، [28]. وَذَلِكَ بِسَبَبِ تَذَمُّرِ النَّاسِ مِنْ مَنْعِهِمْ عَنْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الحَجِّ إِلَى مَكَّةَ، لِأَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ كَانَ يَأْخُذُ البَيْعَةَ لَهُ مِنَ الحُجَّاجِ.

إِنَّ تَفَاصِيلَ الرِّوَايَةِ التَّجْمِيلِيَّةِ الَّتِي صِيغَتْ لَاحِقًا مِنْ قِبَلِ الكُتَّابِ الْمُسْلِمِينَ لِإِبْرَازِ تَعْظِيمِ شَخْصِيَّةِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، بِأَنَّهُ رَفَضَ الدُّخُولَ إِلَى كَنِيسَةِ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ قَامَ بَعْدَ ذَلِكَ بِتَنْظِيفِ وَإِصْلَاحِ جَبَلِ الهَيْكَلِ المَلِيءِ بِالنُّفَايَاتِ وَالحِجَارَةِ قَبْلَ أَنْ يَبْنِيَ الجَامِعَ، تُعْطِي صُورَةً نَمُوذَجِيَّةً لِلْقِيَادَةِ العَادِلَةِ وَالْمُتَدَيِّنَةِ وَتَقْدِيرِهِ لِلْمُقَدَّسَاتِ المَسِيحِيَّةِ. لَكِنْ مِنَ النَّاحِيَةِ التَّارِيخِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، لَا يُوجَدُ أَيُّ دَلِيلٍ عَلَى أَنَّ صُفْرُونْيُوسَ طَلَبَ مِنْهُ الصَّلَاةَ دَاخِلَ الكَنِيسَةِ، أَوْ أَنَّهُ قَامَ شَخْصِيًّا بِرَفْعِ الحِجَارَةِ وَتَنْظِيفِ جَبَلِ الهَيْكَلِ مِنَ النُّفَايَاتِ. لِذَلِكَ مُعْظَمُ الْمُؤَرِّخِينَ المَسِيحِيِّينَ يَعْتَبِرُهَا قِصَّةً لَاحِقَةً أَوْ أَدَبِيَّةً لِإِضْفَاءِ قِيمَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ وَرَمْزِيَّةٍ عَلَى الغَزْوِ الإِسْلَامِيِّ لِلْقُدْسِ، بِدَلِيلِ الإِنْذَارِ الَّذِي وَجَّهَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ لِأَهْلِ إِيلِيَاءَ كَمَا فُعِلَ بِأَهْلِ نَجْرَانَ وَأَيْلَةَ وَدُومَةِ الجَنْدَلِ وَبَعْضِ قَبَائِلِ اليَمَنِ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ قَبْلًا.

لِذَا قَامَ عَبْدُ المَلِكِ بِبِنَاءِ المَسْجِدِ وَتَحْوِيلِ النَّاسِ لِلْحَجِّ إِلَيْهِ بَدَلاً مِنْ مَكَّةَ [29]، فَكَانُوا يَقِفُونَ عِنْدَ البِنَاءِ، وَيَطُوفُونَ حَوْلَهُ كَمَا يَطُوفُونَ حَوْلَ الكَعْبَةِ، وَيَنْحَرُونَ يَوْمَ العِيدِ، وَيَحْلِقُونَ رُؤُوسَهُمْ [30].

76. الرَّحَّالَةُ أَرْكُولْفُوسُ

فِي عَامِ 670 م تَقْرِيبًا، قَامَ الرَّحَّالَةُ أَرْكُولْفُوسُ بِزِيَارَةِ "إِلْيَاءَ". وَبَعْدَ زِيَارَتِهِ، عَادَ إِلَى أُورُوبَّا وَرَوَى مُشَاهَدَاتِهِ لِلرَّاهِبِ أَدَامْنَان، رَئِيسِ دَيْرِ إِيُونَا فِي إِسْكُتْلَنْدَا، الَّذِي دَوَّنَهَا فِي كِتَابِهِ الشَّهِيرِ بِاللُّغَةِ اللَّاتِينِيَّةِ المَوْسُومَ عَنِ "الأَمَاكِنِ المُقَدَّسَةِ"، مُضِيفًا أَنَّ فِي هَذَا المَكَانِ المَشْهُورِ كَانَ يُوجَدُ الهَيْكَلُ مُجَاوِرًا لِلسُّورِ الشَّرْقِيِّ. وَهُنَا أَقَامَ المُسْلِمُونَ الْآنَ بَيْتًا مُرَبَّعَ البِنَاءِ لِلصَّلَاةِ بِطَرِيقَةٍ خَشِنَةٍ، وَأَنَّهُ مُقَامٌ عَلَى أَعْمِدَةٍ خَشَبِيَّةٍ كَبِيرَةٍ وَعَلَى بَعْضِ مَا تَبَقَّى مِنْ أَنْقَاضِ الهَيْكَلِ. هَذَا هُوَ مَكَانُ عِبَادَتِهِمْ يَسَعُ لِثَلَاثَةِ آلَافِ رَجُلٍ [31].

77. حَجُّ بَيْتِ المَقْدِسِ

رَوَى الْأَزْرَقِيُّ فِي أَخْبَارِ مَكَّةَ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ الجَزَرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ فِي إِتْيَانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَتَجَهَّزْ، فَإِذَا تَجَهَّزْتَ فَأَعْلِمْنِي. فَلَمَّا تَجَهَّزَ جَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اجْعَلْهَا عُمْرَةً. قَالَ: وَمَرَّ بِهِ رَجُلَانِ وَهُوَ يَعْرِضُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. قَالَ: فَعَلَاهُمَا بِالدِّرَّةِ وَقَالَ: أَحَجٌّ كَحَجِّ الْبَيْتِ؟ قَالَا: إِنَّمَا كُنَّا مُجْتَازَيْنِ.

وَيُدَلِّلُ الْكَاتِبُ عَارِفُ الْعَارِفُ فِي كِتَابِهِ تَارِيخِ الْقُدْسِ (ص 48) عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "ثُمَّ زَارَ عُمَرُ مَكَانَ الْهَيْكَلِ، وَكَانَ هَذَا فِي حَالَةِ خَرَابٍ، تَجَمَّعَتْ فِيهِ الْأَقْذَارُ فَأَصْبَحَ عِبَارَةً عَنْ مَزْبَلَةٍ".

وَأَخْبَرَنَا جَدِّي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى "النَّبِيِّ" يَوْمَ الْفَتْحِ فَقَالَ: إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ "النَّبِيُّ": هَا هُنَا أَفْضَلُ فَصَلِّ. فَرَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَقَالَ النَّبِيُّ: وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، الصَّلَاةُ هَا هُنَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْبُلْدَانِ [32].

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ قَالَ: اسْتَأْذَنَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي إِتْيَانِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ لَهُ: اذْهَبْ فَتَجَهَّزْ، فَإِذَا تَجَهَّزْتَ فَأَعْلِمْنِي. فَلَمَّا تَجَهَّزَ جَاءَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اجْعَلْهَا عُمْرَةً. قَالَ: وَمَرَّ بِهِ رَجُلَانِ وَهُوَ يَعْرِضُ إِبِلَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. فَعَلَاهُمَا بِالدِّرَّةِ وَقَالَ: أَحَجٌّ كَحَجِّ الْبَيْتِ؟ قَالَا: إِنَّمَا كُنَّا مُجْتَازَيْنِ. (الْأَزْرَقِيُّ) [كَنْزُ الْعُمَّالِ 38194] [33].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "وَيُقَالُ إِنَّهُ لَبَّى حِينَ دَخَلَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَصَلَّى فِيهِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ بِمِحْرَابِ دَاوُدَ، وَصَلَّى بِالْمُسْلِمِينَ فِيهِ صَلَاةَ الْغَدَاةِ مِنَ الْغَدِ، فَقَرَأَ فِي الْأُولَى بِسُورَةِ "ص" وَسَجَدَ فِيهَا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ"[34].

78. الْوَثِيقَةُ الْعُمَرِيَّةُ

مُعَاهَدَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَعَ أَهْلِ إِلْيَاءَ "أَهْلِ الذِّمَّةِ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ" عَامَ 15 هِجْرِيًّا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [35]

هَذَا مَا أَعْطَى عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَهْلَ إِلْيَاءَ مِنَ الْأَمَانِ. أَعْطَاهُمْ أَمَانًا لِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَلِكَنَائِسِهِمْ وَصُلْبَانِهِمْ وَسَقِيمِهَا وَبَرِيئِهَا وَسَائِرِ مِلَّتِهَا.

أَنَّهُ لَا تُسْكَنُ كَنَائِسُهُمْ وَلَا تُهْدَمُ وَلَا يُنْتَقَصُ مِنْهَا وَلَا مِنْ حَيِّزِهَا وَلَا مِنْ صُلْبَانِهِمْ وَلَا مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَلَا يُكْرَهُونَ عَلَى دِينِهِمْ وَلَا يُضَارُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ وَلَا يَسْكُنُ بِإِلْيَاءَ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنَ الْيَهُودِ.

وَعَلَى أَهْلِ إِلْيَاءَ أَنْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ كَمَا يُعْطِي أَهْلُ الْمَدَائِنِ. وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا الرُّومَ وَاللُّصُوصَ. فَمَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَبْلُغُوا مَأْمَنَهُمْ، وَمَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَى أَهْلِ إِلْيَاءَ مِنَ الْجِزْيَةِ. وَمَنْ أَحَبَّ مِنْ أَهْلِ إِلْيَاءَ أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ مَعَ الرُّومِ، يُخَلَّى بِيَعُهُمْ وَصُلُبُهُمْ حَتَّى يَبْلُغُوا أَمْنَهُمْ. وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ قَبْلَ مَقْتَلِ فُلَانٍ، فَمَنْ شَاءَ مِنْهُمْ قَعَدَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى أَهْلِ إِلْيَاءَ مِنَ الْجِزْيَةِ، وَمَنْ شَاءَ صَارَ مَعَ الرُّومِ، وَمَنْ شَاءَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ. فَإِنَّهُ لَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ حَتَّى يُحْصَدَ حَصَادُهُمْ.
وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الْخُلَفَاءِ وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَعْطَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْجِزْيَةِ.
شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَمُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. وَكُتِبَ وَحُضِرَ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ.

نَصُّ العُهْدَةِ بَيْنَ الشَّاهِدِ وَالتَّارِيخِ

فِي عَامِ ١٩٦٨م عَثَرَتِ البَعْثَةُ التَّنْقِيبِيَّةُ بِقِيَادَةِ عَالِمِ الآثَارِ بِنْيَامِينَ مَازَارَ عَلَى نَقْشٍ ذِي كِتَابَةٍ عَرَبِيَّةٍ قَدِيمَةٍ مِنْ تِسْعَةِ أَسْطُرٍ، مَنْقُوشَةٍ عَلَى لَوْحٍ حَجَرِيٍّ فِي مَسْجِدٍ صَغِيرٍ خَارِجَ الرُّكْنِ الجَنُوبِيِّ الغَرْبِيِّ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى. الَّذِي يُعْتَقَدُ أَنَّهُ يُمَثِّلُ عَقْدَ أَمَانٍ وَحِمَايَةٍ مُنِحَ لِلسُّكَّانِ المَسِيحِيِّينَ بَعْدَ احْتِلَالِ مَدِينَةِ إِلِيَاءَ عَامَ ٦٣٧م، وَهُوَ مَكْتُوبٌ بِالخَطِّ الكُوفِيِّ الَّذِي أَصْبَحَ اسْتِخْدَامُهُ شَائِعًا فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الأَوَّلِ الهِجْرِيِّ وَمَطْلَعِ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ. وَقَدْ وُجِدَ فِي السَّطْرِ الأَخِيرِ الخَاصِّ بِالتَّارِيخِ عِبَارَةُ "اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِينَ" بَدَلًا مِنْ "اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ"، وَوَفْقًا لِلْجُزْءِ الَّذِي يُمْكِنُ قِرَاءَتُهُ مِنَ النَّقْشِ الحَجَرِيِّ؛ فَقَدْ شَهِدَ عَلَى العَقْدِ إِضَافَةً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الجَرَّاحِ كُلٌّ مِن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ، وَمُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، حَيْثُ يُرَجَّحُ أَنَّهُ نُقِشَ فِي القَرْنِ الثَّانِي أَوِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ.

إِنَّ عَدَمَ ذِكْرِ أَبِي عُبَيْدَةَ وَعَمْرِو بْنِ العَاصِ فِي بَعْضِ صِيَغِ العُهْدَةِ العُمَرِيَّةِ يُرَجِّحُ أَنَّ النُّصُوصَ الموْجُودَةَ نُقِّحَتْ لَاحِقًا، فَأُضِيفَتْ أَسْمَاءٌ ذَاتُ قِيمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ (كَمُعَاوِيَةَ) فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ أَوِ العَبَّاسِيِّ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَوْرٌ مُبَاشِرٌ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ.

كُلُّ إِنْسَانٍ مُطَّلِعٍ عَلَى الفِكْرِ الإِسْلَامِيِّ يَعْلَمُ أَنَّ تَدْوِينَ الأَحَادِيثِ وَالسِّيَرِ النَّبَوِيَّةِ بَدَأَ بِشَكْلٍ مُكَثَّفٍ فِي أَوَاخِرِ القَرْنِ الثَّانِي الهِجْرِيِّ، أَيْ بَعْدَ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً عَلَى غَزْوِ وَاحْتِلَالِ إِلِيَاءَ "القُدْسِ" عَامَ 15 هـ. يُعَدُّ الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ المُتَوَفَّى عَامَ 179 هـ، أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الحَدِيثَ وَالآثَارَ فِي كِتَابٍ مُحْكَمٍ وَمُنَظَّمٍ، وَاشْتُهِرَ بِكِتَابِهِ "المُوَطَّأ". بَدَأَ الإِمَامُ مَالِكٌ فِي تَأْلِيفِ كِتَابِهِ "المُوَطَّأ" حَوَالَيْ عَامِ 140 هـ، وَقَدِ اسْتَغْرَقَ فِي تَأْلِيفِهِ وَتَنْقِيحِهِ نَحْوَ أَرْبَعِينَ عَامًا إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ. كَذَلِكَ الإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ بَدَأَ يُلْقِي تَفْسِيرَهُ عَلَى تَلَامِيذِهِ مُنْذُ عَامِ 268 هـ، أَيْ بَعْدَ 253 سَنَةً مِنَ العُهْدَةِ العُمَرِيَّةِ. لَا يُوجَدُ نَصٌّ وَاحِدٌ مُوَحَّدٌ، بَلْ عِدَّةُ صِيَغٍ مُخْتَلِفَةٍ لِلعُهْدَةِ، بَعْضُهَا أَطْوَلُ وَبَعْضُهَا أَقْصَرُ. وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا نُقِّحَتْ وَأُعِيدَتْ صِيَاغَتُهَا لَاحِقًا بِصِيَاغَةٍ رَسْمِيَّةٍ وَجَمِيلَةٍ لِتَعْكِسَ فِكْرَةَ تَسَامُحِ الإِسْلَامِ مَعَ أَهْلِ الكِتَابِ، الوَارِدَةُ فِي بَعْضِ العِبَارَاتِ مِثْلَ: "أُعْطِيَ الأَمَانُ لِكَنَائِسِهِمْ، وَسَائِرِ مِلَّتِهَا، وَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَى دِينِهِ، وَلَا يُضَرُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ...". وَفِي نَصٍّ لَاحِقٍ كَتَبَ الكُتَّابُ "وَلَا يَسْكُنُ بِإِلِيَاءَ مَعَهُمْ أَحَدٌ مِنَ اليَهُودِ". فَكَيْفَ يَكُونُ الأَمَانُ لِسَائِرِ مِلَّتِهَا، وَلَا يُكْرَهُ أَحَدٌ عَلَى دِينِهِ؟ النَّصُّ يَبْدُو غَيْرَ وَاقِعِيٍّ وَيَعْكِسُ صِيَاغَةً قَانُونِيَّةً أَوْ تَغَافُلِيَّةً أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهِ وَاقِعِيًّا. كَذَلِكَ عِبَارَةُ "وَمَنْ كَانَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ قَبْلَ مَقْتَلِ فُلَانٍ"؛ إِنَّ عِبَارَةَ "مَقْتَلِ فُلَانٍ" فِي العُهْدَةِ العُمَرِيَّةِ تُعَدُّ مِنْ أَوْضَحِ الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ النُّصُوصَ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِينَا لَيْسَتْ مَحْفُوظَةً بِنُسْخَةٍ أَصْلِيَّةٍ، بَلْ تَعَرَّضَتْ لِلْإِضَافَةِ أَثْنَاءَ النَّقْلِ.

79. مَسْجِدُ الأَقْصَى فِي الجِعْرَانَةِ

ذَكَرَ الوَاقِدِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ أَحْرَمَ مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي تَحْتَ الوَادِي بِالعُدْوَةِ القُصْوَى مِنَ الجِعْرَانَةِ، وَكَانَ مُصَلَّى النَّبِيِّ إِذَا كَانَ بِالجِعْرَانَةِ، فَأَمَّا الأَدْنَى فَبَنَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَاتَّخَذَ ذَلِكَ الحَائِطَ عِنْدَهُ، وَلَمْ يُجِزْ رَسُولُ اللهِ الوَادِيَ إِلَّا مُحْرِمًا [36].

(قَوْلُهُ اعْتَمَرَ مِنْهَا) أَيْ مِنَ الجِعْرَانَةِ قَالَ الوَاقِدِيُّ: إِنَّهُ مُحَمَّدٌ أَحْرَمَ مِنْهَا مِنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى الذِي تَحْتَ الوَادِي بِالعُدْوَةِ القُصْوَى فِي لَيْلَةِ الأَرْبِعَاءِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي القَعْدَةِ [37] انتهى.

وَانْتَهَى الرَّسُولُ إِلَى الجِعِرَّانَةِ لَيْلَةَ الخَمِيسِ لِخَمْسِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ فَأَقَامَ بِالْجِعِرَّانَةِ ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً فَلَمَّا أَرَادَ الِانْصِرَافَ إِلَى الْمَدِينَةِ خَرَجَ مِنْ الجِعِرَّانَةِ لَيْلَةَ الْأَرْبِعَاءِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ لَيْلًا؛ فَأَحْرَمَ مِنْ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي تَحْتَ الْوَادِي بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى، وَكَانَ مُصَلَّى الرَّسُولِ إِذَا كَانَ بِالْجِعِرَّانَةِ، فَأَمّا هَذَا الْمَسْجِدُ الْأَدْنَى، فَبَنَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَاتَّخَذَ ذَلِكَ الْحَائِطَ عِنْدَهُ [38]؛ [39].

تَذْكُرُ المَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ مِثْلُ " كِتَابُ المَغَازِي" لِلْوَاقِدِيّ وَ" تَارِيخُ مَكَّةَ" لِلْأَزْرَقِيّ المُدَوَّنَيْنِ فِي فَتْرَةٍ زَمَنِيَّةٍ سَبَقَتْ تَدْوِينَ أَصْحَابِ الكُتُبِ السِّتَّةِ وَالمَسَانِيدِ لِمُصَنَّفَاتِهِمُ النِّهَائِيَّةِ المَشْهُورَةِ، مَا ذَكَرَهُ الوَاقِدِيُّ فِي وَصْفِ مَسْجِدٍ كَانَ فِي مَنْطِقَةِ الجِعْرَانَةِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ "المَسْجِدُ الأَقْصَى"، فَالتَّسْمِيَةُ فِي هَذَا المَوْضِعِ تُشِيرُ إِلَى مَوْقِعِهِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهُ "الأَبْعَدَ" أَوْ "الأَقْصَى" عَنِ الوَادِي أَوِ المَكَانِ الَّذِي أَقَامَ فِيهِ مُحَمَّدٌ. إِنَّ التَّحْلِيلَ التَّارِيخِيَّ النَّقْدِيَّ يَسْتَوْجِبُ الفَصْلَ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ المَحَلِّيَّةِ الخَاصَّةِ بِمَوَاقِيتِ الإِحْرَامِ وَبَيْنَ النُّصُوصِ العَامَّةِ الَّتِي صَاغَتِ الجُغْرَافِيَا المُقَدَّسَةُ لَاحِقاً؛ فَمِنَ المَنْظُورِ التَّارِيخِيِّ النَّقْدِيِّ يُرَى أَنَّ هَذَا الحَدِيثَ هُوَ نِتَاجٌ لِصِرَاعَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ لَاحِقَةٍ صَنَعَتْ رَمْزِيَّةَ القُدْسِ الدِّينِيَّةَ، مِمَّا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ مَسْجِدُ الجِعْرَانَةِ هُوَ المَقْصُودَ.

لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ

حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ ، عَنْ قَزَعَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَرْبَعًا ، قَالَ : سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ وَكَانَ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ غَزْوَةً – ح حَدَّثَنَا عَلِيٌّ ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ قَالَ : لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ : المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى[40].

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَمْرٍو النَّاقِدِ ، وَزُهَيْرِ بْنِ حَرْبٍ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ ، قَالَ عَمْرٌو : حَدَّثَنَا سُفْيَانُ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ: لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَحَدَّثَنَاهُ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَى ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الزُّهْرِيِّ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ : تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ[41] .

لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا. وَرَوَاهُ أَحْمَدُ وَالشَّيْخَانِ، وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنِ مَاجَه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَيْضًا، وَابْنُ مَاجَه عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَبِلَفْظِ "لَا تَشُدُّوا الرِّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى."

قَالَ فِي فَتْحِ البَارِي شَرْحِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ: "قَوْلُهُ: إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ" – المُسْتَثْنَى مِنْهُ مَحْذُوفٌ، فَإِمَّا أَنْ نُقَدِّرَ عَامًّا فَيَصِيرَ: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى مَكَانٍ فِي أَمْرٍ كَائِنٍ إِلَّا إِلَى الثَّلَاثَةِ"، أَوْ أُخَصُّ مِنْ ذَلِكَ، لَا سَبِيلَ إِلَى الأَوَّلِ لِإِفْضَائِهِ إِلَى سَنِّ بَابِ السَّفَرِ لِلتِّجَارَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَطَلَبِ العِلْمِ وَغَيْرِهِ فَتَعَيَّنَ الثَّانِي، وَالأَوْلَى أَنْ يُقَدَّرَ مَا هُوَ أَكْثَرُ مُنَاسَبَةً وَهُوَ: "لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَى مَسْجِدٍ لِلصَّلَاةِ إِلَّا إِلَى الثَّلَاثَةِ". وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا فِي القَسْطَلَانِيِّ وَفِي النَّوَوِيِّ فِي هَذَا الحَدِيثِ فَضِيلَةُ هَذِهِ

المَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ، وَفَضِيلَةُ شَدِّ الرِّحَالِ إِلَيْهَا، لِأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَ جُمْهُورِ العُلَمَاءِ: "لَا فَضِيلَةَ فِي شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى مَسْجِدٍ غَيْرِهَا"، وَتَفْصِيلُ هَذِهِ المَسْأَلَةِ فِي اللَّمَحَاتِ شَرْحِ المِشْكَاةِ، وَمَا وَرَدَ مِنْ مَنْعِ أَبِي بَصْرَةَ الغِفَارِيِّ أَبِي هُرَيْرَةَ حِينَ ذَهَبَ إِلَى الطُّورِ مُسْتَدِلًّا بِهَذَا الحَدِيثِ، فَمَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ أَبِي هُرَيْرَةَ لِقَصْدِ أَدَاءِ الصَّلَاةِ فِي الطُّورِ، وَهُوَ المَمْنُوعُ فِي الحَدِيثِ، فَلَا يُفْهَمُ النَّهْيُ بِالسَّفَرِ لِقَصْدِ الزِّيَارَةِ أَيْضًا [42].

80. بِنَاءُ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ

وَفِيهِ أَيْضًا أَنَّهُ لَمَّا تَوَلَّى عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ الخِلَافَةَ بِمَكَّةَ، وَلَّى أَخَاهُ مُصْعَبَ بْنَ الزُّبَيْرِ المَدِينَةَ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَرْوَانَ بْنَ الحَكَمِ وَابْنَهُ، فَصَارَ إِلَى الشَّامِ وَلَمْ يَزَلْ يُقِيمُ بِالنَّاسِ الحَجَّ مِنْ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ إِلَى سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ "مِنْ سَنَةِ **684** م إِلَى **691** م". فَلَمَّا وَلِيَ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مَنَعَ أَهْلَ الشَّامِ مِنَ الحَجِّ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ النَّاسَ بِالبَيْعَةِ لَهُ إِذَا حَجُّوا، فَضَجَّ النَّاسُ لَمَّا مُنِعُوا مِنَ الحَجِّ، **فَبَنَى عَبْدُ المَلِكِ قُبَّةَ الصَّخْرَةِ** فَكَانَ النَّاسُ يَقِفُونَ عِنْدَهَا يَوْمَ عَرَفَةَ. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ سَبَبَ التَّعْرِيفِ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ وَمَسَاجِدِ الأَمْصَارِ. وَقِيلَ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ التَّعْرِيفَ بِالبَصْرَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَبِمِصْرَ عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ، وَبِبَيْتِ المَقْدِسِ عَبْدُ المَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ [43]. **وَإِنَّ اسْمَ القُدْسِ لَمْ يُعْرَفْ إِلَّا بَعْدَ القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْرِيِّ أَيْ بَعْدَ عَامِ 913م.**

أَضَافَ عَالِمَا الْآثَارِ أَفْرَاهَام وَرَؤُوفِين أَنَّ هُنَاكَ شَهَادَاتٍ كَثِيرَةً تَدُلُّ عَلَى تَأَثُّرِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي عَصْرِهِ الْأَوَّلِ بِالدِّينِ الْيَهُودِيِّ، وَتَجْدُرُ الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ اكْتِشَافَ النَّقْشِ الْأَثَرِيِّ الَّذِي عُثِرَ عَلَيْهِ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ الْعُمَرِيِّ فِي نُوبَا "الَّتِي تَبْعُدُ **13** كِم شَمَالَ غَرْب مَدِينَةِ الْخَلِيلِ" يَعُودُ تَارِيخُهُ إِلَى الْقَرْنِ السَّابِعِ لِلْمِيلَادِ.

أَمَّا تَحْلِيلُ النَّقْشِ، فَقَدْ حُفِرَ فِي حَجَرٍ جِيرِيٍّ أَبْيَضَ مَائِلٍ إِلَى الْأَصْفَرِ، لَكِنْ مَعَ الْعَوَامِلِ الزَّمَنِيَّةِ أَخَذَ شَكْلَهُ الْحَالِيَّ وَلَوْنَهُ الْبُنِيَّ الْفَاتِحَ. وَسَطْحُ الْحَجَرِ خَشِنُ الْمَلْمَسِ وَغَيْرُ مُنْتَظَمٍ، أَمَّا أَبْعَادُهُ فَهِيَ **77** سَم طُولًا و**49** سَم عَرْضًا. وَحُرُوفُ

النَّقْشِ، الْمَحْفُورَةُ بِالْخَطِّ الْكُوفِيِّ الْبَسِيطِ، لَيْسَتْ بَارِزَةً وَلَا دَقِيقَةً مِنْ حَيْثُ مَظْهَرِ الْكَلِمَاتِ وَالْحُرُوفِ، وَتَقَعُ فِي سِتَّةِ أَسْطُرٍ أُفُقِيَّةٍ غَيْرِ مُنْتَظِمَةٍ، لَا تُوجَدُ بَيْنَهَا فَوَاصِلُ مِنْ خُطُوطٍ [44]. ثُمَّ وُضِعَتِ الْكُتْلَةُ فَوْقَ مِحْرَابِ الْمَسْجِدِ، وَكُتِبَ عَلَيْهَا: "**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذِهِ الضَّيْعَةُ نُوبَا بِحُدُودِهَا وَأَطْرَافِهَا، وُقِفَتْ عَلَى صَخْرَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، أَوْقَفَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى**".

النَّقْشِ الْعُمَرِيِّ



أَهْلُ الذِّمَّةِ الْمَقْدِسِيُّونَ

لَقَدْ تَمَيَّزَتْ فَتْرَةُ الْحُكْمِ الْإِسْلَامِيّ لِلْقُدْسِ بِتَنَوُّعٍ كَبِيرٍ فِي سِيَاسَاتِ الْحُكَّامِ تِجَاهَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ، تِلْكَ الْقُيُودُ الَّتِي أُلْزِمُوا بِهَا بِمُقْتَضَى قَوَاعِدَ تَمَّ تَقْنِينُهَا مِنَ الْعَهْدَةِ الْعُمْرِيَّةِ، وَالَّتِي أَفْضَتْ إِلَى إِلْزَامِهِمْ بِارْتِدَاءِ لِبَاسٍ مُعَيَّنٍ كَانَ يُعْرَفُ بِالْغِيَارِ، وَكَانَتْ عِبَارَةً عَنْ قِطْعَةِ الْقُمَاشِ لِلْمَسِيحِيّينَ بِلَوْنِ الْأَزْرَقِ الدَّاكِنِ أَوِ الْأَسْوَدِ، مَعَ إِحَاطَتِهِمْ بِزُنَّارٍ (حِزَامٍ)، وَذَلِكَ لِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّوْنِ الْأَصْفَرِ الَّذِي خُصِّصَ لِلْيَهُودِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ. هَذِهِ الرُّقَعُ الْمُلْزَمَةُ كَانَتْ تُخَاطُ عَلَى ثِيَابِهِمْ لِتَمْيِيزِهِمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ تَمَّ تَطْبِيقُ ذَلِكَ خَاصَّةً فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيّ الْمُتَأَخِّرِ وَالْمَمْلُوكِيّ. كَمَا مُنِعُوا مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ، وَاُسْتُبْدِلَتْ مَرَاكِبُهُمْ بِالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ. وَحُرِمُوا مِنْ تَقَلُّدِ الْمَنَاصِبِ الْإِدَارِيَّةِ الْعُلْيَا أَوِ الْعَسْكَرِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ. وَحُرِمَ الْمَسِيحِيُّونَ وَالْيَهُودُ مِنَ الْجَهْرِ بِالصَّلَوَاتِ وَالتَّرَانِيمِ أَوْ قَرْعِ النَّوَاقِيسِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ أَثْنَاءَ أَدَاءِ شَعَائِرِهِمْ، وَخَاصَّةً التَّجَمُّعَاتُ الْعَلَنِيَّةُ لِأَدَاءِ شَعَائِرِهِمُ الدِّينِيَّةِ خَارِجَ دُورِ الْعِبَادَةِ .

أَحْكَامُ أَهْلِ الذِّمَّةِ [46،45].

عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَكْتُبَ بَعْدَ عَقْدِ الذِّمَّةِ اسْمَ مَنْ عُقِدَ لَهُ وَدِينَهُ وَحِلْيَتَهُ، وَيَتَعَرَّضَ لِسِنِّهِ؛ أَهُوَ شَيْخٌ أَمْ شَابٌّ؟ وَيَصِفَ أَعْضَاءَهُ الظَّاهِرَةَ مِنْ وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهِ وَحَاجِبَيْهِ وَعَيْنَيْهِ وَشَفَتَيْهِ وَأَنْفِهِ وَأَسْنَانِهِ، وَآثَارَ وَجْهِهِ إِنْ كَانَ فِيهِ آثَارٌ، وَلَوْنَهُ مِنْ سُمْرَةٍ أَوْ شُقْرَةٍ وَغَيْرِهِمَا. وَيَجْعَلَ لِكُلّ مِنْ طَوَائِفِهِمْ عَرِيفًا مُسْلِمًا يَضْبِطُهُمْ لِيُعَرِّفَهُ بِمَنْ مَاتَ أَوْ أَسْلَمَ أَوْ بَلَغَ مِنْهُمْ أَوْ دَخَلَ فِيهِمْ.

1: الْمَنْعُ مِنَ الْمُسَاوَاةِ.

2: أَنْ تَجْرِيَ عَلَيْهِمْ أَحْكَامُ الْإِسْلَامِ.

3: وَنَأْمُرُهُمْ أَيْ أَهْلَ الذِّمَّةِ الْمُكَلَّفِينَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ.

4: أَنْ يُؤَدُّوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ذَلِيلَةٍ صَاغِرَةٍ.

5: الْتِزَامُهُمْ بِدَفْعِ ضَرِيبَةِ خَرَاجِ الأَرَاضِي الزِّرَاعِيَّةِ المَمْلُوكَةِ لَهُمْ.

6: وَتَحْرُمُ مَوَدَّتُهُمْ.

7: وَلَا نَبْدَؤُهُمْ بِالسَّلَامِ.

8: وَلَا يُوَقَّرُوا فِي مَجْلِسٍ فِيهِ مُسْلِمٌ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَذَلَّهُمْ.

9: أَنْ لَا يَذْكُرُوا دِينَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِخَيْرٍ لِإِعْزَازِهِ.

10: أَنْ لَا يَفْعَلُوا مَا فِيهِ ضَرَرٌ لِلْمُسْلِمِينَ.

11: أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي اللِّبَاسِ.

12: وَعَدَمِ تَكَنِّيهِمْ بِكُنَى المُسْلِمِينَ أَوْ تَسَمِّيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ.

13: وَجَزِّ مَقَادِيمِ رُؤُوسِهِمْ لِتَمْيِيزِهِمْ عَنِ المُسْلِمِينَ.

14: وَأَنْ لَا يُغَيِّرُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ.

15: وَلَا يُغَيَّرُ حَقٌّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وَلَا مِلَّتِهِمْ.

16: وَلَا يُغَيَّرُ أُسْقُفٌ مِنْ أُسْقُفِيَّتِهِ وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ.

17: وَلَا وَاقِهٌ مِنْ وُقَيْهَاهُ ("وَلِيُّ الْعَهْدِ") وَلَا سُلْطَانُهُمْ.

18: وَلَا يُعْشَرُونَ.

19: لَا تُبْنَى كَنِيسَةٌ فِي الْإِسْلَامِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ: «لَا يُتْرَكُ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ».

20: لِأَنَّ الْمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ لِحَقِّ الدِّينِ لَا لِمَحْضِ حَقِّ الدَّارِ.

21: فَإِنْ بَنَوْا ذَلِكَ هُدِمَ، سَوَاءٌ أُشْرِطَ عَلَيْهِمْ أَمْ لَا.

22: كَمَا لَا يَجُوزُ إِحْدَاثُهَا.

23: وَلَا يَجُوزُ إِعَادَتُهَا إِذَا انْهَدَمَتْ.

24: وَلَا يُقَرُّونَ عَلَى كَنِيسَةٍ كَانَتْ فِيهَا لِمَا مَرَّ.

25: وَلَا يَجُوزُ إِحْدَاثُ صَوْمَعَةٍ لِلرُّهْبَانِ.

26: وَمَتَى أَظْهَرُوا خُمُورَهُمْ أُرِيقَتْ، وَقِيَاسُهُ إِتْلَافُ النَّاقُوسِ (وَهُوَ مَا يَضْرِبُهُ النَّصَارَى لِأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ) إِذَا أَظْهَرُوهُ.

27: وَلَا تُرْفَعُ أَصْوَاتُ قِرَاءَتِهِمْ وَصَلَوَاتِهِمْ جَهْراً، وَلَا تُقْرَعُ النَّوَاقِيسُ لِأَدَاءِ شَعَائِرِهِمْ، وَلَا يَخْرُجُونَ فِي الْمَوَاكِبِ الْعَلَنِيَّةِ.

28: لَا يُظْهِرُونَ الصُّلْبَانَ وَلَا يَرْفَعُونَهَا عَلَى صَوَامِعِهِمْ، وَلَا يُبْرِزُونَ كُتُبَهُمْ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ طُرُقَاتِهِمْ.

29: وَعَدَمِ رَفْعِ أَصْوَاتِهِمْ مَعَ الْجَنَائِزِ، وَلَا يَمُرُّونَ بِهَا فِي طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ وَأَسْوَاقِهِمْ.

30: وَيُمْنَعُونَ وُجُوبًا مِنْ رَفْعِ بِنَاءٍ لَهُمْ عَلَى بِنَاءِ جَارٍ لَهُمْ مُسْلِمٍ لِخَبَرِ: «الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ».

31: يُمْنَعُونَ مِنْ حَمْلِ السَّلَاحِ.

32: وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ.

33: وَيَنْبَغِي مَنْعُهُمْ مِنْ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ وَالْأُمَرَاءِ.

34: وَيُمْنَعُونَ مِنَ التَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ.

35: وَلَا يَضَعُونَ سَرْجًا لِرُكُوبِ الْخَيْلِ، وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنْ يَتَمَيَّزُوا عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَرْكَبُوا عَرْضًا بِأَنْ يَجْعَلَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ وَظَهْرَهُ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ.

36: أَنْ يُفَرَّقَ بَيْنَ أَنْ يَرْكَبَ إِلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الْبَلَدِ أَوْ بَعِيدَةٍ، وَهُوَ ظَاهِرٌ.

37: أَنْ يَكُونَ خَاتَمُ طَوْقٍ فِي الْعُنُقِ.

38: لَا تُعْتَادُ الْخِيَاطَةُ عَلَيْهِ كَالْكَتْفِ عَلَى ثَوْبِهِ الظَّاهِرِ.

39: يُمْنَعُونَ مِنَ اللُّجُمِ الْمُزَيَّنَةِ بِالنَّقْدَيْنِ.

40: يُلْجَأُونَ عِنْدَ زَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَضْيَقِ.

41: وَلَا يَمْشُونَ إِلَّا أَفْرَادًا مُتَفَرِّقِينَ.

42: وَالتِزَامُهُمْ بِعَدَمِ إِيوَاءِ الجَوَاسِيسِ أَوْ أَهْلِ المَكَايِدِ، وَعَدَمِ كِتْمَانِ أَيِّ غِشٍّ أَوْ مُؤَامَرَةٍ يَعْلَمُونَ بِهَا ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ.

43: فَإِنْ فَعَلُوا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ انْتَقَضَ عَهْدُهُمْ.

44: وَإِنْ لَمْ يَشْرُطِ الْإِمَامُ عَلَيْهِمُ الِانْتِقَاضَ بِهِ فَإِسْمَاعُهُمْ قَوْلًا فِيهِ شِرْكٌ كَقَوْلِهِمْ: اَللَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

45: حَيْثِيَّةُ إِزْهَاقِ الرُّوحِ مَا إِذَا اسْتَحَقَّ حَزَّ رَقَبَتِهِ قِصَاصًا.

46: وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَهْدُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ وَذِمَّةُ الْخُلَفَاءِ وَذِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ "أَبَدًا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ".

عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ 637 – 644 م

بَعْدَ دُخُولِ عُمَرَ وَجَيْشِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِيِّينَ مَدِينَةَ إِيلْيَاءَ "الْقُدْسَ"، فَرَضَ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْ ضِمْنِ الْأَحْكَامِ الَّتِي تَبِعَتْ عَهْدَهُ أَنْ حُرِمُوا مِنْ تَقَلُّدِ الْمَنَاصِبِ الْإِدَارِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ، كَمَا يُشِيرُ نَصُّ رِسَالَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنْمٍ (الْمُتَوَفَّى عَامَ 697 م) إِلَى أَنَّهُ حُظِرَ عَلَيْهِمْ رُكُوبُ الْخَيْلِ وَإِظْهَارُ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ عَلَنًا.

مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

تَبَوَّأَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وِلَايَةَ عُمُومِ بِلَادِ الشَّامِ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، الَّذِي وَحَّدَ أَمْصَارَهَا الْمُتَفَرِّقَةَ تَحْتَ إِدَارَةٍ وَاحِدَةٍ خِلَالَ الفَتْرَةِ مِنْ عَامِ 644 إِلَى 680 مِيلَادِيَّةً، حَتَّى أَعْلَنَ فِيهَا تَأْسِيسَ الدَّوْلَةِ الأُمَوِيَّةِ، وَقَدْ جَسَّدَ مُعَاوِيَةُ فِي سِيَاسَتِهِ السَّيْرُورَةَ التَّارِيخِيَّةَ الفِعْلِيَّةَ لِعَهْدِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَأَبْقَى عَلَى فَرْضِ الجِزْيَةِ مَعَ حَصْرِ الْمَنَاصِبِ العَسْكَرِيَّةِ فِي الْمُسْلِمِينَ، بَيْدَ أَنَّهُ اسْتَعَانَ بِالْمَسِيحِيِّينَ فِي دَوَاوِينِ الْمَالِ لِحَاجَةِ الدَّوْلَةِ النَّاشِئَةِ إِلَى كَفَاءَاتِهِمْ، نَاهِجًا بِذَلِكَ سِيَاسَةً أَكْثَرَ مُرُونَةً وَتَسَامُحًا

كَانَتْ "إِلِيَاءُ" (الْقُدْسُ) تَقَعُ ضِمْنَ إِحْدَى مُقَاطَعَاتِ الشَّامِ الرَّئِيسَةِ. وَبِمَا أَنَّ دِمَشْقَ كَانَتْ هِيَ عَاصِمَةَ الخِلَافَةِ وَمَقَرَّ الْخَلِيفَةِ الْأُمَوِيِّ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْوِلَايَاتِ وَالْأَجْنَادِ، بِمَا فِيهَا بَيْتُ الْمَقْدِسِ وَالْقُدْسُ، تَخْضَعُ مُبَاشَرَةً لِسُلْطَتِهِ وَقَرَارَاتِهِ الصَّادِرَةِ مِنْ دِمَشْقَ.

أَلْزَمَ هَارُونُ الرَّشِيدُ أَهْلَ الذِّمَّةِ بِأَلْبِسَةٍ مُمَيَّزَةٍ وَمُخَالِفَةٍ لِزِيِّ الْمُسْلِمِينَ، مِثْلَ شَدِّ الزُّنَّارِ فِي أَوْسَاطِهِمْ. كَمَا مَنَعَهُمْ مِنَ الْوَظَائِفِ الْحَسَّاسَةِ فِي الدَّوْلَةِ، تَطْبِيقًا لِضَوَابِطِ الْعَهْدَةِ الْعُمَرِيَّةِ.

تَتَمَاشَى مَعَ مُقْتَضَيَاتِ الحُكْمِ، فَلَمْ يَفْرِضْ قُيُودًا صَارِمَةً تَحْظُرُ تَرْمِيمَ الكَنَائِسِ أَوْ بِنَاءَهَا، بَلْ سَمَحَ بِإِعَادَةِ إِعْمَارِ كَنِيسَةِ القِيَامَةِ بَعْدَ أَنْ تَصَدَّعَتْ جَرَّاءَ زِلْزَالٍ، مِمَّا يَبْدُو جَلِيًّا مَعَهُ أَنَّ الإِدَارَةَ الأُمَوِيَّةَ الأُولَى فِي المَدِينَةِ ارْتَكَزَتْ عَلَى التَّهْدِئَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ السِّيَاسِيِّ، بَعِيدًا عَنِ البُنُودِ التَّقْيِيدِيَّةِ الَّتِي صِيغَتْ رِجْعِيًّا فِي عُهُودٍ لَاحِقَةٍ دَاخِلَ كُتُبِ الفِقْهِ تَسْوِيغًا لِلسِّيَاسَاتِ الإِدَارِيَّةِ فِي العُصُورِ التَّالِيَةِ.

الْعَصْرُ الْأُمَوِيُّ 661 – 750 م

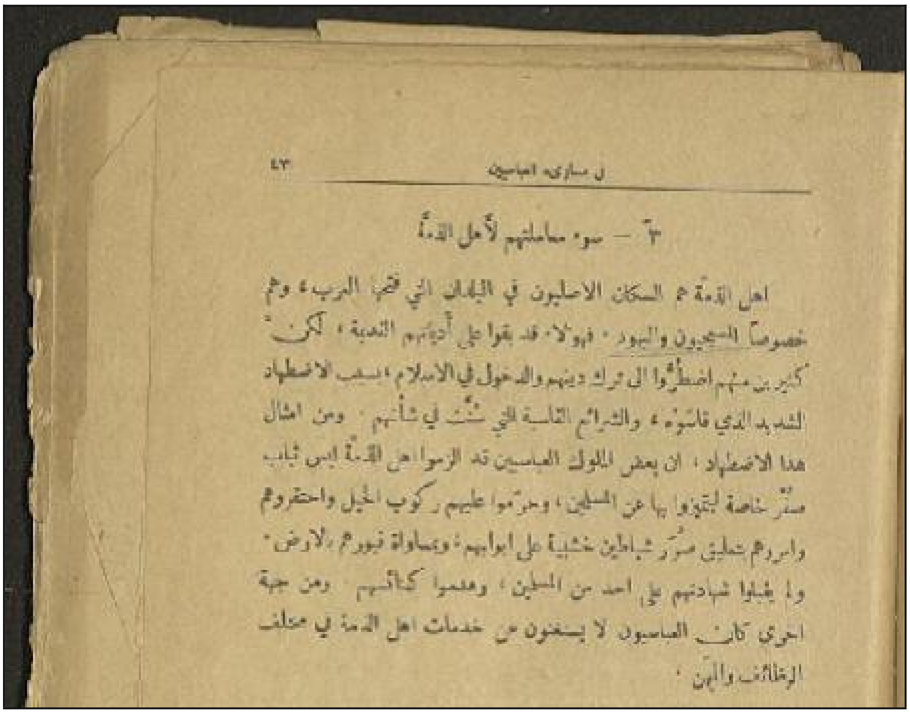
كَانَتْ سِيَاسَةُ الْخُلَفَاءِ الْأُمَوِيِّينَ تِجَاهَ أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي الْقُدْسِ قَائِمَةً بِشَكْلٍ عَامٍّ عَلَى مَبْدَأِ الْعَهْدَةِ الْعُمَرِيَّةِ. وَقَدْ تَجَلَّى ذَلِكَ فِي تَطْبِيقِ الْجِزْيَةِ وَالْقُيُودِ الْعَامَّةِ الَّتِي نَصَّتْ عَلَيْهَا، مِثْلِ الْمَنْعِ مِنْ تَقَلُّدِ الْمَنَاصِبِ الْإِدَارِيَّةِ الْعُلْيَا أَوِ الْعَسْكَرِيَّةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَسَامُحِ بَعْضِ الْخُلَفَاءِ، مِثْلِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَدْ جَاءَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ (تُوُفِّيَ 720 م) الَّذِي شَدَّدَ عَلَى بَعْضِ الْأَحْكَامِ الْخَاصَّةِ بِمَلَابِسِ أَهْلِ الذِّمَّةِ (مِثْلِ الْغِيَارِ وَالزُّنَّارِ)، وَكَذَلِكَ الْقُيُودِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِرُكُوبِ الْخَيْلِ. كَمَا اِسْتَمَرَّ مَنْعُ الْجَهْرِ بِالشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ عَلَنًا خَارِجَ دُورِ الْعِبَادَةِ، وَخَاصَّةً الْقَرْعَ بِالنَّوَاقِيسِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

قَرَّرَ الْخَلِيفَةُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ تَعْرِيبَ الدَّوَاوِينِ وَالْإِدَارَةِ الرَّسْمِيَّةِ بِجَعْلِهَا بِلُغَةِ الْعَرَبِ، مِمَّا دَفَعَ كُتَّابَ أَهْلِ الذِّمَّةِ إِلَى تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمَعَ انْتِقَالِ الْخِلَافَةِ إِلَى الْعَبَّاسِيِّينَ وَازْدِهَارِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالتِّجَارِيَّةِ، تَحَوَّلَتِ الْعَرَبِيَّةُ إِلَى لُغَةِ الْعِلْمِ وَالْأَسْوَاقِ الدَّوْلِيَّةِ، مِمَّا فَرَضَ عَلَى التُّجَّارِ وَالْأَطِبَّاءِ وَالْمُتَرْجِمِينَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ تَعَلُّمَهَا لِتَسْهِيلِ أَعْمَالِهِمْ وَالْمُشَارَكَةِ فِي النَّشَاطِ الِاقْتِصَادِيِّ، حَيْثُ حَافَظَ الْخُلَفَاءُ وَالْوُلَاةُ اللَّاحِقُونَ عَلَى اعْتِمَادِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةً رَسْمِيَّةً لِلشُّؤُونِ الْحُكُومِيَّةِ وَالْقَضَاءِ وَالتَّعْلِيمِ، وَظَلَّتِ الْعَرَبِيَّةُ تَحْتَفِظُ بِمَكَانَتِهَا الدَّوْلِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، وَهُوَ مَا أَدَّى عَبْرَ قُرُونٍ مِنَ التَّعَايُشِ وَالِاحْتِكَاكِ الْيَوْمِيِّ إِلَى تَرَاجُعِ اللُّغَاتِ الْقَدِيمَةِ كَالسُّرْيَانِيَّةِ وَالْقِبْطِيَّةِ لِتُصْبِحَ لُغَاتٍ طُقُوسِيَّةً دَاخِلَ الْكَنَائِسِ فَقَطْ، بَيْنَمَا أَصْبَحَتِ الْعَرَبِيَّةُ اللُّغَةَ الْأُمَّ لِجَمِيعِ سُكَّانِ الْمِنْطَقَةِ بِمُخْتَلِفِ أَدْيَانِهِمْ.

الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ 750 – 969 م

شَهِدَ الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ اِسْتِمْرَارَ الْعَمَلِ بِمُقْتَضَى الْعَهْدَةِ الْعُمْرِيَّةِ لِأَهْلِ الذِّمَّةِ (الْمَسِيحِيِّينَ وَالْيَهُودِ)، فَضَمِنَ لَهُمْ بَعْضَ حُرِّيَّةِ الْمُعْتَقَدِ، مُقَابِلَ دَفْعِ الْجِزْيَةِ.وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ ظَهَرَ تَبَايُنٌ فِي سِيَاسَةِ الْخُلَفَاءِ، حَيْثُ أَمَرَ بَعْضُهُمْ، كَالْخَلِيفَةِ جَعْفَرِ بْنِ الْمُعْتَصِمِ، الْمُلَقَّبِ بِالْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ، بِفَرْضِ عَلَامَاتٍ مُمَيِّزَةٍ عَلَى **أَهْلِ الذِّمَّةِ فِي اللِّبَاسِ وَالْمَرْكُوبَاتِ**. وَكَانَتْ هَذِهِ الْقَرَارَاتُ تُطَبَّقُ بِصُورَةٍ شَامِلَةٍ عَلَى جَمِيعِ الْوِلَايَاتِ الْعَبَّاسِيَّةِ، بِمَا فِيهَا الْقُدْسُ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ.

كِتَابُ تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، الْمُؤَلِّفُ مَجْهُولٌ الْجُزْءَ الثَّانِي، ٨ أَيْلُولِ ١٩٤٦



في مساوئ العباسيين ٤٣

٣ — سوء معاملتهم لأهل الذمة

اهل الذمة هم السكان الاصليون في البلدان التي فتحها العرب، وهم خصوصاً المسيحيون واليهود. فهؤلاء قد بقوا على أديانهم القديمة، لكن كثيرين منهم اضطروا الى ترك دينهم والدخول في الاسلام بسبب الاضطهاد الشديد الذي قاسوه، والشرائع القاسية التي سُنّت في شأنهم. ومن امثال هذا الاضطهاد، ان بعض الملوك العباسيين قد الزموا اهل الذمة لبس ثياب صُفر خاصة ليتميزوا بها عن المسلمين، وحرّموا عليهم ركوب الخيل واحتقروهم وامروهم بتعليق صُوَر شياطين خشبية على ابوابهم، ومساواة قبورهم بالارض، ولم يقبلوا شهادتهم على احد من المسلمين، وهدموا كنائسهم. ومن جهة اخرى كان العباسيون لا يستغنون عن خدمات اهل الذمة في مختلف الوظائف والمهن.

الْعَصْرُ الْفَاطِمِيُّ 970 م – 1073 م

يَبْرُزُ فِي هَذَا اَلْعَصْرِ شَكْلٌ خَاصٌّ لِفَتْرَةِ اَلْحَاكِمِ بِأَمْرِ اَللَّهِ اَلْفَاطِمِيّ (أَوَاخِرَ اَلْقَرْنِ اَلْعَاشِرِ وَأَوَائِلُ اَلْقَرْنِ اَلْحَادِيَ عَشَرَ)، اَلَّتِي يَعْتَبِرُهَا اَلْمُؤَرِّخُونَ فَتْرَةَ اِضْطِهَادٍ حَقِيقِيٍّ لِأَهْلِ اَلْقُدْسِ؛ حَيْثُ قَامَ فِيهَا بِهَدْمِ كَنِيسَةِ اَلْقِيَامَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ اَلْكَنَائِسِ، بِمَا فِي ذَلِكَ اَلْمَعَابِدُ اَلْيَهُودِيَّةُ وَمَخْطُوطَاتُ اَلتَّوْرَاةِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ مَمْلَكَتِهِ، بِمَا فِي ذَلِكَ اَلْقُدْسُ وَسُورِيَا وَمِصْرُ.

وَلَقَدْ مَنَعَهُمْ مِنَ الِاحْتِفَالِ بِأَعْيَادِهِمُ اَلدِّينِيَّةِ عَلَنًا (مِثْلَ عِيدِ اَلْقِيَامَةِ)، وَفَرَضَ قُيُودًا مُشَدَّدَةً عَلَى أَهْلِ اَلذِّمَّةِ مِنَ اَلْمَسِيحِيِّينَ وَاَلْيَهُودِ، حَتَّى فِي اَلْأَمَاكِنِ اَلْخَاصَّةِ، مِثْلَ إِجْبَارِهِمْ عَلَى اِرْتِدَاءِ صَلِيبٍ فِي اَلْحَمَّامَاتِ لِلْمَسِيحِيِّينَ، وَالْعَمَائِمَ السَّوْدَاءِ وَالزُّنَّارَاتِ، وَجَرَسًا لِلْيَهُودِ لِتَمْيِيزِهِمْ. كَمَا مَنَعَهُمْ مِنْ رُكُوبِ اَلْخَيْلِ، وَأَجْبَرَ بَعْضَهُمْ عَلَى اِعْتِنَاقِ اَلْإِسْلَامِ أَوِ اَلْهِجْرَةِ.

فَيْلَقِ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيّ 1099 – 1187 م

بَعْدَ سُقُوطِ الْقُدْسِ فِي أَيْدِي الْفَيَالِقِ الْإِقْطَاعِيَّةِ الْأُورُوبِّيَّةِ الْأُولَى عَامَ 1099 م، وَقَعَتْ مَجْزَرَةٌ وَاسِعَةُ النِّطَاقِ ضِدَّ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ؛ حَيْثُ نَفَّذَتْ تِلْكَ الْجُيُوشُ الْوَافِدَةُ عَمَلِيَّاتِ قَتْلٍ جَمَاعِيٍّ مُمَنْهَجَةً فَوْرَ اقْتِحَامِ الْأَسْوَارِ، رَاحَ ضَحِيَّتَهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ وَفْقاً لِتَقْدِيرَاتِ الْمُؤَرِّخِينَ الْمُعَاصِرِينَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتَأَسَّسَ فَيْلَقُ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيُّ لَاحِقاً فِي الْمَدِينَةِ عَامَ 1119 م لِيَتَوَلَّى مَهَامَّ الْحِمَايَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ النِّظَامِيَّةِ لِلْمَمْلَكَةِ النَّاشِئَةِ.

الْعَصْرُ الْأَيُّوبِيُّ 1187 م – 1250 م

كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ بِاسْمِ نُورِ الدِّينِ، وَعِنْدَمَا تُوُفِّيَ سَيِّدُهُ نُورُ الدِّينِ زَنْكِي فِي عَامِ 1174 م، اِنْتَقَلَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى سُورِيَا بِحُجَّةِ الْوِصَايَةِ عَلَى ابْنِ نُورِ الدِّينِ الصَّغِيرِ، وَمَا لَبِثَ أَنْ تَخَلَّى عَنِ الْوِصَايَةِ؛ حَيْثُ تَحَايَلَ بِالْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ضِدَّ حُكَّامٍ آخَرِينَ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ وَالْجَزِيرَةِ، إِذْ أَخْضَعَهُمْ تَحْتَ حُكْمِهِ الْخَاصِّ لِيُؤَسِّسَ الدَّوْلَةَ الْأَيُّوبِيَّةَ بِصِبْغَةٍ عَقَائِدِيَّةٍ، خِلَافًا لِوَرَثَةِ سَيِّدِهِ مِنَ الزَّنْكِيِّينَ، عِلْمًا أَنَّ ابْنَ نُورِ الدِّينِ مَحْمُودٍ زَنْكِي كَانَ صَبِيًّا فِي الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ، وَيُشِيرُ هَذَا النَّهْجُ إِلَى إِعْطَاءِ الْأَوْلَوِيَّةِ لِتَوْحِيدِ الْجَبْهَةِ بِتِلْكَ الصِّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ ضِدَّ الْحُكْمِ اللَّاتِينِيِّ. وَفِي تِلْكَ الْحِقْبَةِ، عِنْدَمَا دَخَلَ صَلَاحُ الدِّينِ مَدِينَةَ الْقُدْسِ، أَمَرَ بِتَحْوِيلِ بَعْضِ الْكَنَائِسِ الَّتِي بَنَاهَا الْمَسِيحِيُّونَ فِي عَصْرِ فَيْلَقِ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيِّ إِلَى مَسَاجِدَ وَمَدَارِسَ. كَمَا أُلْزِمَ الْمَسِيحِيُّونَ الرَّاغِبُونَ فِي الْمُغَادَرَةِ بِدَفْعِ فِدْيَةٍ مَالِيَّةٍ، وَمَنْ عَجَزَ عَنْهَا تَعَرَّضَ لِلسَّبْيِ وَالِاسْتِرْقَاقِ.

وَقَعَتْ أَحْدَاثُ حِصَارِ وَسُقُوطِ مَدِينَةِ طَبَرِيَّةَ قَبْلَ الِالْتِحَامِ الْعَسْكَرِيِّ الرَّئِيسِيِّ فِي مَعْرَكَةِ حِطِّينَ بِأَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، حَيْثُ بَدَأَ الْهُجُومُ الْأَيُّوبِيُّ عَلَى طَبَرِيَّةَ فِي الثَّانِي مِنْ تَمُّوزَ ١١٨٧م وَسَقَطَتِ الْمَدِينَةُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي، بَيْنَمَا كَانَتْ حَامِيَةُ الْقَلْعَةِ الدَّاخِلِيَّةُ تَعْقِدُ اتِّفَاقَ التَّسْلِيمِ بِمُقَابِلِ ضَمَانِ اَلْخُرُوجِ اَلْآمِنِ؛ "كَانَ تَسْلِيمًا تَدْرِيجِيًّا مُقَابِلَ اَلْمَالِ". فَلَمْ تَكُنْ حَرْبًا بَيْنَ اَلْجَيْشَيْنِ. إِذْ كَانَ عَدَدُ صُفُوفِ فَيْلَقِ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيِّ لَا يَتَجَاوَزُ بِضْعَ عَشَرَ فَارِسًا إِلَى جَانِبِ مَنْ مَعَهُمْ مِنَ الْمُشَاةِ وَالْمُرْتَزَقَةِ الْمَحَلِّيِّينَ. فِي الْمُقَابِلِ هَاجَمَ صَلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيُّ الْمَدِينَةَ بِقُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ ضَخْمَةٍ شَكَّلَتْ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ جَيْشِهِ الرَّئِيسِيِّ، حَيْثُ قُدِّرَ عَدَدُ الْقُوَّاتِ الْأَيُّوبِيَّةِ الَّتِي حَاصَرَتْ طَبَرِيَّةَ وَاقْتَحَمَتْ أَسْوَارَهَا بِعِدَّةِ آلَافٍ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالرُّمَاةِ، وَقَدْ كَانَ هَذَا الْحِصَارُ بِمَثَابَةِ الْخُطَّةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ بِهَدَفِ اسْتِدْرَاجِ فَيْلَقِ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيِّ لِتَرْكِ مَوَاقِعِهِ الْحَصِينَةِ وَالسَّيْرِ عَبْرَ الْهَضَبَةِ الْجَافَّةِ، وَهُوَ الْمُخَطَّطُ الَّذِي نَجَحَ بِالْفِعْلِ وَأَدَّى لِوُقُوعِ مَعْرَكَةِ حِطِّينَ الْفَاصِلَةِ. فَتَعَرَّضُوا لِلْإِنْهَاكِ وَالْعَطَشِ أَثْنَاءَ سَيْرِهِمْ عَبْرَ الْهَضَبَةِ الْجَافَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَطْوِيقِهِمْ وَمُحَاصَرَتِهِمْ عِنْدَ قُرُونِ حِطِّينَ لِتَدُورَ الْمَعْرَكَةُ الْفَاصِلَةُ يَوْمَ الرَّابِعِ مِنْ تَمُّوزَ ١١٨٧م؛ وَبِذَلِكَ كَانَ سُقُوطُ طَبَرِيَّةَ هُوَ التَّمْهِيدَ الْمُبَاشِرَ وَالسَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لِانْدِلَاعِ مَعْرَكَةِ حِطِّينَ. حَيْثُ أُسِرَ مَنْ تَبَقَّى مِنْهُمْ بَعْدَ الْقِتَالِ الشَّرِسِ، وَنُفِّذَ حُكْمُ الْإِعْدَامِ بِحَقِّ نَحْوِ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ فَارِسًا مِنْهُمْ بِأَمْرٍ مُبَاشِرٍ لِأَسْبَابٍ عَسْكَرِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ، وَلَمْ تَشْفَعْ لَهُمُ الْفِدْيَةُ الْمَالِيَّةُ.

وَعِنْدَمَا اسْتَعَادَ الْأَيُّوبِيُّونَ الْمَدِينَةَ مِنْ يَدِ فَيْلَقِ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِيِّ بِمُسَاعَدَةِ الْخَوَارِزْمِيِّينَ فِي عَامِ 1244 م، تَعَرَّضَتِ الْمَدِينَةُ لِأَعْمَالِ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ الَّتِي طَالَتْ جُزْءًا كَبِيرًا مِنْ سُكَّانِهَا الْمَسِيحِيِّينَ.

الْعَصْرُ الْمَمْلُوكِيُّ 1250 – 1517 م

فِي اَلْعَصْرِ اَلْمَمْلُوكِيِّ، اسْتُمِرَّ فِي تَطْبِيقِ نِظَامِ شُرُوطِ الْعُهْدَةِ الْعُمَرِيَّةِ وَقُيُودِهَا عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ. كَمَا شُدِّدَ عَلَى تَطْبِيقِ اَلْقَوَاعِدِ اَلتَّمْيِيزِيَّةِ اَلْمُتَعَلِّقَةِ بِاللِّبَاسِ (اَلْغِيَارِ) اَلَّتِي تُلْزِمُ اَلْمَسِيحِيِّينَ وَاَلْيَهُودَ بِارْتِدَاءِ زِيٍّ مُعَيَّنٍ يُمَيِّزُهُمْ عَنِ اَلْمُسْلِمِينَ. وَمُنِعُوا مِنْ بِنَاءِ كَنَائِسَ أَوْ كُنُسٍ جَدِيدَةٍ، أَوْ تَجْدِيدِ اَلْقَدِيمِ مِنْهَا وَتَعْلِيَتِهِ، وَفُرِضَتْ قُيُودٌ عَلَى اَلتَّوَارُثِ. وَأُبْقِيَتِ اَلرُّسُومُ عَلَى اَلْحُجَّاجِ مَفْرُوضَةً. وَعَانَى اَلْيَهُودُ مِنْ اَلْعَدَاءِ اَلدِّينِيِّ وَاَلتَّعَصُّبِ وَأَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ اَلْمُضَايَقَاتِ وَاَلِاضْطِرَابَاتِ، حَيْثُ هُوجِمُوا فِيهَا فِي اَلشَّوَارِعِ.

الْعَصْرُ الْعُثْمَانِيُّ 1517 م – 1917 م

خِلَالَ الْحُكْمِ الْعُثْمَانِيِّ، عَاشَ سُكَّانُ الْقُدْسِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الْأَقَلِّيَّاتُ، تَحْتَ نِظَامِ الْمِلَّةِ الَّذِي مَنَحَ الطَّوَائِفَ غَيْرَ الْمُسْلِمَةِ نَوْعًا مِنَ الْحُكْمِ الذَّاتِيِّ الدِّينِيِّ وَالْقَضَائِيِّ.

شَكَّلَ الْيَهُودُ وَالْمَسِيحِيُّونَ مِلَلًا مُسْتَقِلَّةً ذَاتِيًّا نِسْبِيًّا. إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَعْنِي أَيْضًا أَنَّهُمْ كَانُوا مُوَاطِنِينَ مِنَ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، يَخْضَعُونَ لِنِظَامِ الْجِزْيَةِ وَيُمْنَعُونَ مِنْ بَعْضِ الْمَنَاصِبِ وَالشَّهَادَاتِ الْقَانُونِيَّةِ وَالْاِجْتِمَاعِيَّةِ بِمُوجَبِ قُيُودِ الذِّمَّةِ الْقَدِيمَةِ.

وَفِي الْقَرْنِ السَّابِعَ عَشَرَ، أَصْدَرَ مُحَمَّدُ بْنُ فَرُّوخَ، الَّذِي قَامَ بِابْتِزَازِ الْيَهُودِ، فَرْضَ فِدْيَةٍ بَاهِظَةٍ عَلَى يَهُودِ الْقُدْسِ، وَسَجَنَ قَادَتَهُمْ، مِمَّا أَدَّى إِلَى مُعَانَاةٍ شَدِيدَةٍ لِلْمُجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ فِي الْمَدِينَةِ. فَكَانَتِ الْجَالِيَاتُ الْمَسِيحِيَّةُ وَالْيَهُودِيَّةُ تُجْبَرُ عَلَى

دَفْعِ مَبَالِغَ كَبِيرَةٍ لِلْحِفَاظِ عَلَى أَمْنِهَا وَحُقُوقِهَا، بِالْإِضَافَةِ إِلَى الضَّرَائِبِ الرَّسْمِيَّةِ. وَمَعَ ضَعْفِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ، زَادَتِ التَّدَخُّلَاتُ الْأُورُوبِيَّةُ (الرُّوسِيَّةُ، وَالْفَرَنْسِيَّةُ، وَالْبِرِيطَانِيَّةُ) لِحِمَايَةِ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ وَالْيَهُودِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَحَسُّنٍ تَدْرِيجِيّ فِي وَضْعِ الْأَقَلِّيَّاتِ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ إِلَى تَوْتُرَاتٍ مَعَ السُّلُطَاتِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَالسُّكَّانِ الْمَحَلِّيِّينَ.

خِطَّةُ تَقْسِيمِ بِلَادِ الشَّامِ

فِي عَامِ **1917**م، وَقُبَيْلَ نِهَايَةِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى، اِسْتَقَرَّتِ القُوَّاتُ البِرِيطَانِيَّةُ فِي مُعْظَمِ بِلَادِ الشَّامِ، وَذَلِكَ بَعْدَ هَزِيمَةِ الإِمبَرَاطُورِيَّةِ العُثمَانِيَّةِ الَّتِي دُفِنَ فِيهَا **نَعْشُ الخِلَافَةِ الإِسْلَامِيَّةِ** "إِمْبِرَاطُورِيَّةِ الإِسْلَامِ"، مَعَ تَقْوِيضِ الأَنْظِمَةِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ السَّابِقَةِ الَّتِي كَانَتْ تُنَظِّمُ عِلَاقَةَ السُّلْطَةِ بِالطَّوَائِفِ الدِّينِيَّةِ وَغَيْرِ المُسْلِمِينَ ضِمْنَ مَا كَانَ يُعْرَفُ **بِأَحْكَامِ أَهْلِ الذِّمَّةِ** وَالعُقُودِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ المَوْرُوثَةِ.وَإِثْرَ ذَلِكَ، وَبِمُوجَبِ اِتِّفَاقِيَّةِ سَايْكْس بِيْكُو (**1916**م)، ثُمَّ بَعْدَ مُؤْتَمَرِ فِرْسَاي لِلسَّلَامِ الَّذِي أَسَّسَ عُصْبَةَ الأُمَمِ فِي عَامِ **1919**م، تَمَّ رَسْمُ خَارِطَةِ المِنْطَقَةِ وَتَطْبِيقُ نِظَامِ الاِنْتِدَابِ. مُنِحَتِ المَمْلَكَةُ المُتَّحِدَةُ السَّيْطَرَةَ عَلَى المِنْطَقَةِ الوَاقِعَةِ غَرْبَ نَهْرِ الأُرْدُنِّ؛ وَالَّتِي ضَمَّتْ، وَبِمُوجَبِ خَارِطَةٍ جَدِيدَةٍ أَلْغَتْ جُزْءًا كَبِيرًا مِنَ الأَرَاضِي اللُّبْنَانِيَّةِ، ضَمَّتِ المِنْطَقَةُ مُدُنًا مِثْلَ النَّاصِرَةِ وَحَيْفَا وَعَكًّا وَصَفَدَ وَنَابُلُسَ وَجِنِينَ، حَيْثُ دُمِجَتْ هَذِهِ المُدُنُ مَعَ الضِّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ (وَمِنْ ضِمْنِهَا مَدِينَةُ القُدْسِ)، وَقِطَاعِ غَزَّةَ. وَبَعْدَ ذَلِكَ، أُطْلِقَ عَلَى هَذِهِ المَنَاطِقِ اسْمٌ جَدِيدٌ عُرِفَ لَاحِقًا **بِفِلَسْطِينَ الاِنْتِدَابِيَّةِ حُكُومَةٌ لَا دَوْلَةٌ**، وَهِيَ مَا يَشْمَلُ حَالِيًا دَوْلَةَ إِسْرَائِيلَ. كَمَا مُنِحَتْ بَرِيطَانِيَا السَّيْطَرَةَ عَلَى الضِّفَّةِ الشَّرْقِيَّةِ لِمَا أَصْبَحَ لَاحِقًا يُعْرَفُ بِدَوْلَةِ الأُرْدُنِّ.وَلِإِدَارَةِ هَذَا الكِيَانِ الجَدِيدِ، تَمَّ تَعْيِينُ هِرْبِرْت صَموئِيلَ المُدِيرِ العَامِّ السَّابِقِ لِلْبَرِيدِ فِي مَجْلِسِ الوُزَرَاءِ البِرِيطَانِيّ وَصَاحِبُ الدَّوْرِ الفَعَّالِ فِي صِيَاغَةِ وَعْدِ بَلْفُور أَوَّلَ مُفَوَّضٍ سَامٍ لِمِنْطَقَةِ **فِلَسْطِينَ الاِنْتِدَابِيَّةِ**. وَجَاءَتْ

هَذِهِ التَّطَوُّرَاتُ عَلَى خَلْفِيَّةِ وَعْدَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ قَدَّمَهُمَا البِرِيطَانِيُّونَ خِلَالَ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى بِشَأْنِ أَرَاضِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ؛ فَمِنْ جِهَةٍ وَعَدُوا العَرَبَ المَحَلِّيِّينَ، عَبْرَ لَوْرَنْس العَرَبِ، بِاسْتِقْلَالِ دَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ مُوَحَّدَةٍ تَغطِّي مُعْظَمَ المِنْطَقَةِ، وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ، وَعَدُوا بِإِنْشَاءِ وَتَعْزِيزِ وَطَنٍ قَوْمِيٍّ لِلشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ، وَفْقًا لِمَا نَصَّ عَلَيْهِ وَعْدُ بَلْفُور فِي عَامِ 1917م.

الِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيّ 1917 _ 1948م

عِنْدَمَا دَخَلَتِ الْقُوَّاتُ الْبَرِيطَانِيَّةُ الْقُدْسَ فِي أَوَاخِرِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى عَامَ أَلْفٍ وَتِسْعِ مِئَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ، لَمْ يَكُنِ الْهَدَفُ تَنْفِيذَ الْجِزْيَةِ أَوِ الْفِدْيَةِ وَالْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ وَالِاسْتِعْبَادِ وَالسَّبْيِ (الِاسْتِرْقَاقِ)، كَمَا فَعَلَ حُكَّامُ الْعَرَبِ بِشَكْلٍ عَامٍّ عَلَى مَبْدَأِ الْعَهْدَةِ الْعُمْرِيَّةِ. بَلْ كَانَ الْهَدَفُ هُوَ إِقَامَةَ كَيَانٍ جَدِيدٍ لَا التَّطْبِيقَ الدِّينِيَّ لِمَفَاهِيمَ قَدِيمَةٍ. فَهُمْ لَمْ يُقِيمُوا نِظَامًا إِقْطَاعِيًّا أَوْ حُكْمًا لِجَمَاعَاتٍ، كَمَا فَعَلَ فَيْلَقُ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِيُّ فِي الْعُصُورِ الْوُسْطَى.

الْعَهْدِ الْأُرْدُنِيّ 1948 م – 1967 م

أَصْبَحَتِ الْقُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ جُزْءًا مِنْ الْمَمْلَكَةِ الْأُرْدُنِيَّةِ الْهَاشِمِيَّةِ بَعْدَ حَرْبِ عَامِ 1948م، وَأَصْبَحَ مَا تَبَقَّى مِنَ الِانْتِدَابِ يُسَمَّى الضَّفَّةَ الْغَرْبِيَّةَ، وَطُبِّقَتْ عَلَيْهَا الْقَوَانِينُ الْأُرْدُنِيَّةُ. وَتَمَّ طَرْدُ الْيَهُودِ مِنْهَا، حَيْثُ وُضِعَتِ الْمُمْتَلَكَاتُ الْيَهُودِيَّةُ –

تَأَسَّسَ الْمَجْلِسُ الْإِسْلَامِيُّ الْأَعْلَى فِي الْعِشْرِينَ مِنْ كَانُونَ الْأَوَّلِ لِعَامِ أَلْفٍ وَتِسْعِمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَعِشْرِينَ مِيلَادِيًّا فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ؛ بِهَدَفِ الرِّعَايَةِ وَالنَّظَرِ فِي شُؤُونِ الْأَوْقَافِ وَالْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ بِرِئَاسَةِ مُفْتِي الْقُدْسِ الْحَاجِّ أَمِينِ الْحُسَيْنِيِّ الَّذِي عُرِفَ بِشَخْصِيَّتِهِ الْمُضْطَرِبَةِ، حَيْثُ كَانَ مَقَرُّ أَعْمَالِهِ الرَّئِيسِيُّ يَقَعُ فِي مُحِيطِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

كَحَيِّ الشَّيْخِ جَرَّاحٍ وَحَيِّ الْيَهُودِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ وَغَيْرِهِمَا- تَحْتَ إِدَارَةِ "مَأْمُورِ الْأَمْلَاكِ الْعَدُوَّةِ الْأُرْدُنِيِّ"، وَصَاحَبَ ذَلِكَ هَدْمُ بَعْضُ الْكُنُسِ. وَعَلَى الصَّعِيدِ الدِّينِيِّ، مُنِعَ الْيَهُودُ مِنَ الْوُصُولِ إِلَى حَائِطِ الْمَبْكَى وَالْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ الْيَهُودِيَّةِ، كَمَا لَمْ يُسْمَحْ بِبِنَاءِ أَيِّ كَنَائِسَ أَوْ مُؤَسَّسَاتٍ دِينِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لِلْيَهُودِ أَوِ الْمَسِيحِيِّينَ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْحُكُومَةَ سَعَتْ إِلَى إِظْهَارِ التَّسَامُحِ الدِّينِيِّ وَاحْتِرَامِ الْمُقَدَّسَاتِ أَمَامَ الْمُجْتَمَعِ الدُّوَلِيِّ مِنْ خِلَالِ الِاعْتِرَافِ بِالْأَعْيَادِ الْمَسِيحِيَّةِ كَعُطَلٍ رَسْمِيَّةٍ وَمُشَارَكَةِ كِبَارِ الْمَسْؤُولِينَ فِي الِاحْتِفَالَاتِ، بَيْنَمَا فَرَضَتْ فِي الْمُقَابِلِ تَقْيِيدَاتٍ هَيْكَلِيَّةً صَارِمَةً مَنَعَتْ عَمَلِيًّا بِنَاءَ كَنَائِسَ جَدِيدَةٍ، وَتَمَثَّلَ هَذَا التَّقْيِيدُ فِي سَنِّ تَشْرِيعَاتٍ تَمْنَعُ الْهَيْئَاتِ الدِّينِيَّةَ الْمَسِيحِيَّةَ غَيْرَ الْأُرْدُنِيَّةِ (الَّتِي كَانَتْ تُمَثِّلُ غَالِبِيَّةَ الْكَنَائِسِ فِي الْقُدْسِ) مِنْ شِرَاءِ أَوْ تَمَلُّكِ أَيِّ عَقَارَاتٍ أَوْ أَرَاضٍ جَدِيدَةٍ دَاخِلَ حُدُودِ بَلَدِيَّةِ الْقُدْسِ، وَمِنْهَا فَرْضُ الرَّقَابَةِ عَلَى الْمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِيَّةِ فِي الْمَدَارِسِ الْأَهْلِيَّةِ وَجَعْلُ تَعْلِيمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِزَامًا، وَقَدْ صَاحَبَتْ تِلْكَ الْفَتْرَةَ هِجْرَةٌ تَدْرِيجِيَّةٌ لِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ مِنَ السُّكَّانِ الْمَسِيحِيِّينَ نَحْوَ الْخَارِجِ نَتِيجَةً لِلظُّرُوفِ الِاقْتِصَادِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ الَّتِي سَادَتِ الْمِنْطَقَةَ حِينَهَا.

تَوَلَّى مَأْمُورُ الْأَمْلَاكِ الْعَدُوِّ الْأُرْدُنِيُّ (**Jordanian Custodian of Enemy Property**) إِدَارَةَ الْمُمْتَلَكَاتِ الْيَهُودِيَّةِ؛ فَقَدْ قَامَتْ وَكَالَةُ غَوْثٍ وَتَشْغِيلِ اللَّاجِئِينَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ التَّابِعَةُ لِلْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ (**UNRWA**) بِاسْتِئْجَارِ عَدَدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنَازِلِ لِتَوْفِيرِ مَسَاكِنَ لِلَّاجِئِينَ. وَعَلَى إِثْرِ ذَلِكَ، تَحَوَّلَ الْحَيُّ الْيَهُودِيُّ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ إِلَى حَيٍّ فِلَسْطِينِيٍّ يَسْكُنُهُ مُعْظَمُ اللَّاجِئِينَ. وَمِنْ هُنَا نَشَأَ أَصْلُ النِّزَاعِ الْقَانُونِيِّ الْحَالِيِّ فِي تِلْكَ الْمَنَاطِقِ بَعْدَ عَامِ **1967**م، حَيْثُ تُعْتَبَرُ مِلْكِيَّةُ الْأَرْضِ وَتَحْدِيدُ مَصِيرِهَا أَحَدُ أَبْرَزِ جُذُورِ هَذَا الْخِلَافِ وَأَكْثَرِهَا تَعْقِيدًا.

دَوْلَةُ إِسْرَائِيلَ 1976م

لَمْ تَسْتَخْدِمِ الْحُكُومَةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ سِيَاسَةَ الْمُصْطَلَحَاتِ الدِّينِيَّةِ كَمَا فَعَلَ الْحُكَّامُ الْعَرَبُ مِثْلَ "الْجِزْيَةِ" أَوِ "الفِدْيَةِ وَالمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ" أَوِ "الِاسْتِعْبَادِ وَالسَّبْيِ (الِاسْتِرْقَاقِ)" عَلَى سُكَّانِ مَدِينَةِ الْقُدْسِ. بَلْ طَبَّقَتْ نِظَامًا إِدَارِيًّا إِسْرَائِيلِيًّا فِي إِطَارِ سِيَاسَةِ حُرِّيَّةِ الْمُعْتَقَدَاتِ وَالتَّعَايُشِ السِّلْمِيّ وَتَطْبِيقِ قَانُونِهَا الْمَدَنِيّ. كَمَا مُنِحَتْ لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ فِي الْقُدْسِ، وَخَاصَّةً الْبَلْدَةَ الْقَدِيمَةَ، صِفَةُ الْإِقَامَةِ الدَّائِمَةِ، مَعَ السَّمَاحِ لَهُمْ بِالْحِفَاظِ عَلَى جِنْسِيَّتِهِمُ الْأُرْدُنِيَّةِ.

وَمُنْذُ اتِّفَاقِ أَوْسْلُو الْمُنْعَقِدِ بِتَارِيخِ 13 أَيْلُولَ 1993م، شَهِدَتِ الْفَتْرَةُ زِيَادَةً فِي عَدَدِ السُّكَّانِ الَّذِينَ فَضَّلُوا تَقْدِيمَ طَلَبَاتِ التَّجْنِيسِ الِاخْتِيَارِيّ لِضَمَانِ حَقِّهِمْ فِي الْبَقَاءِ فِي الْمَدِينَةِ، وَقَدْ مُنِحَتْ لَهُمُ الْجِنْسِيَّةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ بِشَكْلٍ تِلْقَائِيّ. وَكَانَ مِنْ أَحَدِ هَذِهِ الشُّرُوطِ أَنْ يَكُونَ لَدَى الشَّخْصِ الْمُقَدِّمِ لِلطَّلَبِ وَثِيقَةُ شَهَادَةِ مِيلَادٍ تُثْبِتُ أَنَّهُ مِنْ مَوَالِيدِ الْقُدْسِ.

وَقَدْ مَنَحَتْ دَوْلَةُ إِسْرَائِيلَ لِلْمُوَاطِنِينَ الْعَرَبِ إِقَامَةَ أَحْزَابٍ سِيَاسِيَّةٍ فِي الْكِنِيسِتِ الْإِسْرَائِيلِيّ مُنْذُ الِانْتِخَابَاتِ الْأُولَى لِلْكِنِيسِتِ فِي عَامِ 1949م، حَيْثُ شَارَكَ الْعَرَبُ فِي الْإِنْتِخَابَاتِ تَمَامًا كَبَاقِي مُوَاطِنِي الدَّوْلَةِ. كَذَلِكَ سُمِحَ لِلْمُوَاطِنِينَ الْعَرَبِ بِإِقَامَةِ الْأَحْزَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ نِمْر دَرْوِيش مُؤَسِّسِ الْحِزْبِ، وَالشَّيْخِ إِبْرَاهِيم صَرْصُورَ، وَالدُّكْتُورِ مَنْصُورِ عَبَّاسٍ الَّذِي تَوَلَّى مَنْصِبَ نَائِبِ وَزِيرٍ فِي مَكْتَبِ رَئِيسِ الْوُزَرَاءِ خِلَالَ فَتْرَةِ مُشَارَكَتِهِ فِي الْإِئْتِلَافِ الْحُكُومِيّ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَلَّى مَنَاصِبَ وَزَارِيَّةً أَوْ مَا يُعَادِلُهَا ؛ مِثْلَ نَوَّافِ مَصَالِحَةَ الَّذِي شَغَلَ فِي عَامِ 1992م مَنْصِبَ نَائِبِ وَزِيرِ الصِّحَّةِ فِي حُكُومَةِ إِسْحَاقَ رَابِينَ، وَفِي عَامِ 1999م مَنصِبَ نَائِبَ وَزِيرِ الْخَارِجِيَّةِ فِي حُكُومَةِ إِيهُودِ بَارَاك.

وَكَذَلِكَ تَمَّ تَعْيِينُ غَالِبِ مَجَادَلَةَ فِي عَامِ 2007م، وَزِيرًا لِلْعُلُومِ وَالثَّقَافَةِ وَالرِّيَاضَةِ فِي الْحُكُومَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَاسْتَمَرَّ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ حَتَّى عَامِ 2009م فِي حُكُومَةِ إِيهُودِ أُولْمِرْتَ، ثُمَّ تَبِعَهُ آخَرُونَ، وَكَانَ آخِرَهُمْ مَنْصُورُ عَبَّاسٍ وَعِيْسَاوِي فَرِيجٍ فِي حُكُومَةِ التَّغْيِيرِ 2021–2022م.

إِعْلَانُ إِقَامَةِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ [47]

وَثِيقَةُ الِاسْتِقْلَالِ

(تَلْخِيصُ التَّرْجَمَةِ)

تَمَّ الْإِعْلَانُ عَنْ إِقَامَةِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ أَيَّارَ الْعِبْرِيِّ عَامَ 5708 حَسَبَ التَّقْوِيمِ الْعِبْرِيِّ، الْمُوَافِقِ 14 أَيَّارَ 1948 مِيلَادِيّاً فِي مَدِينَةِ تَلِّ أَبِيبَ عِنْدَ انْتِهَاءِ الِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيِّ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. وَقَدْ حَضَرَ الْإِعْلَانَ مَنْدُوبُو الْمُنَظَّمَاتِ وَالْأَحْزَابِ الْيَهُودِيَّةِ فِي الْبِلَادِ. وَفِيمَا يَلِي نَصُّ وَثِيقَةِ الِاسْتِقْلَالِ:

فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ تِشْرِينَ الثَّانِي عَامَ 1947م اتَّخَذَتِ الْجَمْعِيَّةُ الْعُمُومِيَّةُ لِهَيْئَةِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ قَرَاراً يَنْصُّ عَلَى إِقَامَةِ دَوْلَةٍ يَهُودِيَّةٍ فِي أَرْضِ إِسْرَائِيلَ وَطَالَبَتِ الْجَمْعِيَّةُ الْعُمُومِيَّةُ لِلْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ أَهَالِيَ أَرْضِ اِسْرَائِيلَ بِاتِّخَاذِ جَمِيعِ الْإِجْرَاءَاتِ اللَّازِمَةِ لِتَنْفِيذِ هَذَا الْقَرَارِ بِأَنْفُسِهِمْ.

تَفْتَحُ دَوْلَةُ إِسْرَائِيلَ أَبْوَابَهَا مِنْ أَجْلِ الْهِجْرَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ أَجْلِ جَمْعِ الشَّتَاتِ، تَدْأَبُ عَلَى تَرْقِيَةِ الْبِلَادِ لِصَالِحِ سُكَّانِهَا جَمِيعاً وَتَكُونُ مُسْتَنِدَةً إِلَى دَعَائِمِ الْحُرِّيَّةِ وَالْعَدْلِ وَالسَّلَامِ ... تُقِيمُ الْمُسَاوَاةَ التَّامَّةَ فِي الْحُقُوقِ اجْتِمَاعِيّاً وَسِيَاسِيّاً بَيْنَ جَمِيعِ رَعَايَاهَا مِنْ غَيْرِ تَغْيِيرٍ فِي الدِّينِ وَالْعُنْصُرِ وَالْجِنْسِ وَتُؤْمِنُ حُرِّيَّةَ الْأَدْيَانِ وَالضَّمِيرِ

وَالْكَلَامِ وَالتَّعْلِيمِ وَالثَّقَافَةِ وَتُحَافِظُ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ لَدَى كُلِّ الدِّيَانَاتِ وَتُرَاعِي مَبَادِئَ مِيثَاقِ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ.

إِنَّنَا نَدْعُو أَبْنَاءَ الشَّعْبِ الْعَرَبِيِّ سُكَّانَ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ – رَغْمَ الْحَمَلَاتِ الدَّمَوِيَّةِ عَلَيْنَا خِلَالَ شُهُورٍ – إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى السَّلَامِ وَالْقِيَامِ بِنَصِيبِهِمْ فِي إِقَامَةِ الدَّوْلَةِ عَلَى أَسَاسِ الْمُسَاوَاةِ التَّامَّةِ فِي الْمُوَاطَنَةِ وَالتَّمْثِيلِ الْمُنَاسِبِ فِي جَمِيعِ مُؤَسَّسَاتِهَا الْمُوَقَّتَةِ وَالدَّائِمَةِ .. إِنَّنَا نَمُدُّ يَدَ السَّلَامِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ لِجَمِيعِ الْبُلْدَانِ الْمُجَاوِرَةِ وَشُعُوبِهَا وَنَدْعُوهُمْ إِلَى التَّعَاوُنِ مَعَ الشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ الْمُسْتَقِلِّ فِي بِلَادِهِ، وَإِنَّ دَوْلَةَ إِسْرَائِيلَ مُسْتَعِدَّةٌ لِأَنْ تُسَاهِمَ بِنَصِيبِهَا فِي مَجْهُودٍ مُشْتَرَكٍ لِرُقِيِّ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ بِأَسْرِهِ. .. نُثَبِّتُ تَوَاقِيعَنَا عَلَى هَذَا الْإِعْلَانِ فِي اجْتِمَاعِ مَجْلِسِ الدَّوْلَةِ الْمُوَقَّتِ فِي أَرْضِ الْوَطَنِ، فِي مَدِينَةِ تَلِّ أَبِيبَ الْيَوْمَ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْخَامِسِ مِنْ شَهْرِ أَيَّارَ الْعِبْرِيِّ عَامَ 5708 حَسَبَ التَّقْوِيمِ الْعِبْرِيِّ، الْمُوَافِقِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ أَيَّارَ عَامَ 1948 مِيلَادِيّاً.

تَوَاقِيعُ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الشَّعْبِ –37 تَوْقِيعاً.

الْحُكْمُ الْفِلَسْطِينِيُّ فِي تَمُّوزَ ١٩٩٤م

بَعْدَ أَنْ مُنِحَ يَاسِرُ عَرَفَاتُ الْحُكْمَ الذَّاتِيَّ الْفِعْلِيَّ كَرَئِيسٍ لِلسُّلْطَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ بِمُوجِبِ اتِّفَاقِيَّاتِ أُوسْلُو لِلسَّلَامِ "أُوسْلُو ٢ أَوِ اتِّفَاقِيَّةِ طَابَا"، عَادَ إِلَى قِطَاعِ غَزَّةَ ثُمَّ إِلَى أَرِيحَا "فِي الضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ" فِي تَمُّوزَ ١٩٩٤م، وَأَدَّتِ الْحُكُومَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ الْأُولَى الْيَمِينَ الدُّسْتُورِيَّةَ.

فِي مَطْلَعِ عَامِ 1994م، أَوْفَدَ يَاسِرُ عَرَفَاتٍ كَتِيبَةً خَاصَّةً بِمُوجِبِ قَرَارٍ خَطِيرٍ، قَضَى بِجَلْبِ رُعَاةِ الطَّوَائِفِ وَالْكَنَائِسِ الْمَسِيحِيَّةِ مِنْ مَنَازِلِهِمْ لَيْلًا، كُلٌّ عَلَى انْفِرَادٍ،

وَسَوْقِهِمْ إِلَى مَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ فِي الْمَنَاطِقِ الْخَاضِعَةِ لِسُلْطَتِهِ، وَمِنْ ضِمْنِهَا الْمَنَاطِقُ التَّابِعَةُ لِمَدِينَةِ الْقُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ، وَذَلِكَ لِإِجْبَارِهِمْ عَلَى التَّوْقِيعِ عَلَى مَا عُرِفَ بِالْعُهْدَةِ الْعُمَرِيَّةِ أَوْ (أَهْلِ الذِّمَّةِ)؛ كَيْ لَا يَتَسَنَّى لِأَيٍّ مِنْهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الْمُطَالَبَةُ بِالرِّئَاسَةِ أَوِ الْحُكْمِ، وِفْقَ مَا هُوَ مُتَعَارَفٌ عَلَيْهِ فِي الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

لَمْ تَضُمَّ دَوْلَةُ إِسْرَائِيلَ اَلضَّفَّةَ اَلْغَرْبِيَّةَ رَسْمِيًّا إِلَّا اَلْقُدْسَ اَلشَّرْقِيَّةَ. وَاعْتِمَادًا عَلَى مَبَادِئِ اتِّفَاقِيَّاتِ لَاهَاي وَجِنِيفَ، اعْتَمَدَتْ سُلْطَةَ اَلْقَائِدِ اَلْعَسْكَرِيِّ لِحُكْمِ اَلْمَنْطِقَةِ. لِذَلِكَ، تُدَارُ اَلْمَنَاطِقُ 'أ' و 'ب' وَبَعْضُ 'ج' بِوَاسِطَةِ هَذَا اَلنِّظَامِ اَلْعَسْكَرِيِّ. يُمْنَحُ اَلْقَائِدُ اَلْعَسْكَرِيُّ سُلْطَةُ لِإِصْدَارِ أَوَامِرَ عَسْكَرِيَّةٍ تُطَبَّقُ خَاصَّةً فِي اَلْمَنْطِقَةِ 'ج'، بِالْإِضَافَةِ إِلَى اَلْقَانُونِ اَلْأُرْدُنِيِّ اَلْمَوْرُوثِ اَلْمُعَدَّلِ.

وَثِيقَةٌ مِنَ الْأَمْلَاكِ الْعَدُوِّ

— ٢ —

العقود التي يطالبون بتنفيذها الآن ، ان الارض التي بنيت عليها الوحدات تعود لحارس املاك العدو ، ومع هذا فقد قبلت بأن توقع على العقود المذكورة وان تلتزم بتفويض هذه الوحدات على اسماء المستدعين بعد مدة ثلاث سنوات ، وبعد قيام المستدعين بجميع التزاماتهم وفقا للعقود المذكورة ، وقد وقع المستدعون على هذه العقود بمقتضى حسن النية ، وقاموا بجميع الشروط المترتبة عليهم بموجبها ، ولهذا فانهم لا يعتقدون ان هنالك اي مبرر لتمتنع الحكومة عن القيام بالتزامها الآن وفق تعهداتها .

٦) ان حارس املاك العدو ، هو موظف عادي من موظفي الحكومة ، ويتقيد بسياستها ، وسوف بالتالي من تنفيذ التزاماتها ، ولهذا فالحكومة تستطيع ان توجهه بضرورة الموافقة على تفويض الوحدات على اسم المستدعين ، وفقا لالتزاماتها ، ووفقا للعقود الموقعة معهم .

٧) بالتناوب ، ولو فرضنا جدلا ان الحارس المذكور له ارادة مستقلة عن ارادة الحكومة فانه يخضع على كل حال للقوانين الدولية العادية ، والحكومة تستطيع تمشيا مع التزاماتها تجاه المستدعين ، اذا رفض حارس املاك العدو الموافقة على تفويض الوحدات ، استملاك هذه الارض لمصلحة اللاجئين ، على اساس ان عملية الاستملاك هذه هي لمصلحة عامة ، وليس هنالك اي فرق ، على فرض خروج الحارس المذكور عن رأي الحكومة ، بين ان تستملك الحكومة الارض من اجل تفويضها ، او ان تستملك ملكيتها لمدة (٤٩) سنة من اجل تأجيرها للاجئين ، وهو المشروع الذي عرضتموه بمذكرتكم على المستدعين ، وعلى هذا الاساس تكون عملية الاستملاك ضرورية ، على اي حال ، ولهذا فمن الاصح ان يتم الاستملاك على الاسس التي تتمشى مع التزام الحكومة القائم تجاه المستدعين .

٨) ان النظرة الطويلة الأمد لهذا الموضوع ، من ناحية المصلحة العامة ، وبصرف النظر عن الناحية القانونية الصرفة والمتعلقة بارتباط الحكومة بالتزاماتها ، تبين ان موقف حارس املاك العدو في موضوع هذه القضية ، هو موقف خاطئ ، فالوضع الذي نحن فيه ، اما ان يتجمد ، لا سمح الله ، وفي هذه الحالة ، ليس هنالك ما يبرر رغبة حارس املاك العدو في ان يحافظ على ملكية العدو للابد في الاراضي موضوع البحث ، او ان يتغير ، وفي هذه الحالة فان الخطارة الطويلة الأمد تسمح بعدية اليهود ، والحارس نفسه لا يستطيع ان يؤمن تنفيذها ، ولهذا وفي كلتا الحالتين ، يبدو لي ان موقف حارس املاك العدو وكما ذكرت يجعل الميزان مثقلا في صالح العدو وضد مصلحة اللاجئين وهذا ما لا نظن انه يرضي معاليكم عليه ، وخاصة في مدينة كمدينة القدس ، وفي موقع كالموقع الذي بنيت فيه هذه الوحدات ، والذي يؤمن خط مواصلات هذه المدينة العربية الخالدة ، مع المدن والقرى المتاخمة من فلسطين .

٩) اما الاموال اللازمة لعملية الاستملاك ، فهذا موضوع لا بد وان يبحث مبدئيا مع الوكالة ، حينما ابتدأ السير بالمشروع ، وليس من العدل ان يتحمل اللاجئون تقصيرا او نقصا في هذه الناحية بعد ان تم الاتفاق بين الفريقين وقاموا هم بجميع ما ترتب عليهم وفقا له .

لجميع هذه الاسباب ارجو التكرم باعادة النظر في هذا الموضوع والعمل على تفويض هذه الوحدات لاصحابها .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

المحامي

السورتيه

التَّارِيخُ المَخفِيُّ مُنذُ مَطلَعِ القَرنِ العِشرِينَ

مُنْذُ دُخُولِ الْعُثْمَانِيِّينَ الْمِنطَقَةَ عَامَ 1516م، وَحَتَّى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ، كَانَتْ رَفَحُ تُعَدُّ النُّقْطَةَ الحُدُودِيَّةَ الْأَخِيرَةَ لِفِلَسْطِينَ (سَنْجَقِ غَزَّةَ) مِنْ جِهَةِ الجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ. وَلَكِنْ، تَحْتَ وَطْأَةِ الضَّغْطِ الْبِرِيطَانِيِّ الشَّدِيدِ فِيمَا عُرِفَ " إِنْذَارُ طَابَا" تَمَّ تَوْقِيعُ اتِّفَاقِيَّةِ رَسْمِ الحُدُودِ فِي أُكْتُوبَرَ 1906م.وَبِمُوجِبِ هَذِهِ الاِتِّفَاقِيَّةِ، قُسِمَتْ رَفَحُ عَمَلِيًّا؛ بِرَسْمِ الخَطِّ الْفَاصِلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ رَفَحَ شَمَالًا وَيَنْتَهِي عِنْدَ طَابَا جَنُوبًا، فَبَقِيَتْ مَدِينَةُ رَفَحَ وَجُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ أَرَاضِيهَا ضِمْنَ السِّيَادَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ "فِلَسْطِينَ" أَوْ "الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ" –بَيْتِ الْمَقْدِسِ– (الَّتِي ضَمَّتْ: الْقُدْسَ، وَرَامَ اللَّهِ، وَالخَلِيلَ، وَبَيْتَ لَحْمٍ، وَأَرِيحَا، وَغَزَّةَ، وَبِئْرَ السَّبْعِ، وَرَفَحَ، وَيَافَا)؛ بَيْنَمَا كَانَتْ نَابُلُسُ وَجِنِينُ وَطُولْكَرْمُ وَعَكَّا وَحَيْفَا وَالنَّاصِرَةُ تَتْبَعُ إِدَارِيًّا لِوِلَايَةِ بَيْرُوتَ. وَهَكَذَا، أَصْبَحَتِ الْأَرَاضِي الْوَاقِعَةُ غَرْبَ هَذَا الخَطِّ تَابِعَةً لِلْإِدَارَةِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ الِانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيِّ.

اشْتَهَرَتِ القُدْسُ، مَا بَيْنَ أَوَاخِرِ القَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَحَتَّى أَوَاسِطِ القَرْنِ العِشْرِينَ، بِكَوْنِهَا المَلْجَأَ الأَمِينَ لِرِعَايَةِ الغُرَبَاءِ وَالمَنْبُوذِينَ مِنْ مَرْضَى "الجُذَامِ" (البَرَصِ)؛ إِذْ لَمْ يَكُنِ الجُذَامُ وَبَاءً عَابِراً يَطْرُقُ أَبْوَابَ المَدِينَةِ ثُمَّ يَمْضِي، بَلْ كَانَ ظِلًّا ثَقِيلاً وَدَاءً مُتَوَطِّناً يَنْهَشُ أَجْسَادَ المَنْكُوبِينَ بِهِ. وَقَدْ تَبَوَّأَتِ القُدْسُ مَكَانَةً مِحْوَرِيَّةً فِي احْتِضَانِ هَؤُلَاءِ الغُرَبَاءِ؛ حَيْثُ شُيِّدَ "مُسْتَشْفَى هَانْسِن" فِي حَيِّ "الطَّالِبِيَّةِ" عَامَ 1887م لِيَكُونَ مَلَاذاً لَهُمْ بَعِيداً عَنْ عُيُونِ المُجْتَمَعِ. وَظَلَّ هَذَا المَعْلَمُ الطِّبِّيُّ يَسْتَقْبِلُ مَنْ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ السُّبُلُ طِيلَةَ القَرْنِ العِشْرِينَ، حَتَّى انْحَسَرَ مَدُّ هَذَا الدَّاءِ مَعَ فَتْحِ المُضَادَّاتِ الحَيَوِيَّةِ فِي خَمْسِينِيَّاتِ القَرْنِ المَاضِي.

عَامَ 1900 م؛ كَانَتِ القُدْسُ تَتْبَعُ إِدَارِياً لِمُتَصَرِّفِيَّةِ القُدْسِ المُرْتَبِطَةِ مُبَاشَرَةً بِالبَابِ العَالِي فِي إِسْطَنْبُولَ. شَهِدَ هَذَا العَامُ نَشَاطاً عِمْرَانِيّاً وَاسِعاً خَارِجَ أَسْوَارِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ، وَازْدِيَاداً فِي عَدَدِ القُنْصُلِيَّاتِ الأَجْنَبِيَّةِ.

عَامَ 1901م؛ أَصْدَرَتِ السُّلُطَاتُ العُثْمَانِيَّةُ تَعْلِيمَاتٍ مُشَدَّدَةً لِلحَدِّ مِنَ الهِجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ وَتَمَلُّكِ الأَرَاضِي فِي سَنْجَقِ القُدْسِ، رَدّاً عَلَى نَشَاطِ الحَرَكَةِ الصِّهْيُونِيَّةِ العَالَمِيَّةِ.

تِشْرِينَ الثَّانِي 1902م؛ اجْتَاحَتِ القُدْسَ مَوْجَةٌ كَاحِةٌ مِنْ وَبَاءِ "**الكُولِيرَا**"، فَكَانَتْ طَلِيعَةَ الزَّحْفِ السَّادِسِ لِهَذَا الدَّاءِ العُضَالِ الَّذِي رَوَّعَ أَرْجَاءَ المَشْرِقِ آنَذَاك. وَأَمَامَ سَطْوَةِ المَوْتِ المُتَرَبِّصِ، لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنِ اسْتِحْكَامِ "**الْكَرَنْتِينَا**"؛ فَنُصِبَتْ أَطْواقُ الحَجْرِ الصِّحِّيِّ عِنْدَ مَدَاخِلِ بَلْدَةِ القُدْسِ القَدِيمَةِ، لِتَغْدُوَ أَبْوَابُهَا مَتَارِيسَ فِي وَجْهِ الفَنَاءِ. وَفِي غَمْرَةِ هَذِهِ النَّازِلَةِ، بَرَزَ افْتِتَاحُ مُسْتَشْفَى «**شَعَارِي تَسِيدِيك**» (بَوَّابَةُ العَدْلِ)، الَّذِي مَعَ بِنَاءِ مَرَافِقَ عَامَّةٍ أُخْرَى، أَفْضَى إِلَى تَعْزِيزِ التَّدَابِيرِ الصِّحِّيَّةِ وَرَفْعِ كَفَاءَةِ المَدِينَةِ فِي مُوَاجَهَةِ الأَوْبِئَةِ.

عَامَ 1905م؛ إِجْرَاءُ إِحْصَاءٍ سُكَّانِيٍّ عُثْمَانِيٍّ دَقِيقٍ، أَظْهَرَ تَنَوُّعاً سُكَّانِيّاً كَبِيراً فِي المَدِينَةِ. وَتَزَايَدَ دَوْرِ «المَجْلِسِ البَلَدِيِّ» فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ المَدِينَةِ اليَوْمِيَّةِ.

عَامَ 1906م؛ أَزْمَةِ طَابَا: رَسْمُ الحُدُودِ بَيْنَ الدَّوْلَةِ العُثْمَانِيَّةِ وَمِصْرَ (تَحْتَ الإِدَارَةِ البِرِيطَانِيَّةِ)، مِمَّا جَعَلَ القُدْسَ المَرْكَزَ الإِدَارِيَّ الأَهَمَّ لِلدِّفَاعِ عَنْ حُدُودِ الدَّوْلَةِ الجَنُوبِيَّةِ.

عَامَ 1908م؛ إِعْلَانُ الدُّسْتُورِ العُثْمَانِيِّ (**المَشْرُوطِيَّةُ الثَّانِيَةُ**) شَهِدَتِ القُدْسُ احْتِفَالَاتٍ كُبْرَى، وَازْدَهَرَتِ الصَّحَافَةُ المَحَلِّيَّةُ (مِثْلُ جَرِيدَةِ القُدْسِ)، وَجَرَتْ أَوَّلُ انْتِخَابَاتٍ بَرْلَمَانِيَّةٍ لِتَمْثِيلِ القُدْسِ فِي «**المَبْعُوثَانِ**» بِإِسْطَنْبُولَ.

عَامَ 1910م؛ تَصَاعُدُ الوَعْيِ الشَّعْبِيِّ العَرَبِيِّ فِي القُدْسِ، وَظُهُورُ احْتِجَاجَاتٍ ضِدَّ بَيْعِ الأَرَاضِي وَتَزَايُدِ النُّفُوذِ الأَجْنَبِيِّ فِي المَدِينَةِ.

عَامَ 1912م؛ انْدِلَاعُ حَرْبِ البَلْقَانِ أَدَّى إِلَى زِيَادَةِ الضَّرَائِبِ فِي القُدْسِ لِدَعْمِ المَجْهُودِ الحَرْبِيِّ العُثْمَانِيِّ، مِمَّا أَثْقَلَ كَاهِلَ المَقْدِسِيِّينَ اقْتِصَادِيّاً.

عَامَ 1914م؛ الدَّوْلَةُ العُثْمَانِيَّةُ تَدْخُلُ الحَرْبَ بِجَانِبِ أَلْمَانِيَا. تَحَوَّلَتِ القُدْسُ إِلَى مَرْكَزٍ عَسْكَرِيٍّ لِإِمْدَادِ «حَمْلَةِ التُّرْعَةِ» (سَرَايَا جَمَالِ بَاشَا) لِلْهُجُومِ عَلَى قَنَاةِ السُّوَيْسِ.

1914 – 1918م؛ تُعَدُّ حِقْبَةُ الحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى مِنْ أَقْسَى الدُّهُورِ الَّتِي مَرَّتْ عَلَى القُدْسِ فِي تَارِيخِهَا الحَدِيثِ؛ إِذْ بَسَطَ "التِّيفُوسُ" نُفُوذَهُ المُمِيتَ عَبْرَ "القَمْلِ" الَّذِي اسْتَوْطَنَ أَجْسَادَ السُّكَّانِ وَالجُنُودِ بَعْدَمَا نَالَ مِنْهُمُ الإِعْيَاءُ وَانْعِدَامُ النَّظَافَةِ. وَقَدْ تَحَالَفَ هَذَا الوَبَاءُ مَعَ جَرَادِ عَامِ 1915م الَّذِي أَتَى عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ، ثُمَّ رَدِيفَتِهِمْ "الكُولِيرَا" عَامَ 1916م، لِيَذَرُوا المَدِينَةَ فَرِيسَةً لِلْمَجَاعَةِ؛ مِمَّا أَفْضَى إِلَى حَصْدِ أَرْوَاحِ الآلَافِ مِنْ أَهْلِ القُدْسِ الَّذِينَ غَيَّبَهُمُ المَوْتُ بَيْنَ أَنْيَابِ الجُوعِ وَنِيرِ المَرَضِ.

عَامَ 1915م؛ هَاجَمَتْ أَسْرَابُ الجَرَادِ القُدْسَ وَقَضَتْ عَلَى المَحَاصِيلِ، وَتَفَاقَمَتِ الأَزْمَةُ بِسَبَبِ «سَفَر بَرْلِك» (التَّجْنِيدِ الإِجْبَارِيِّ) وَمُصَادَرَةِ الدَّوَابِّ وَالمُؤَنِ لِلْجَيْشِ.

عَامَ 1915م – 1917م؛ وُصُولُ آلافِ النَّاجِينَ مِنَ المَذَابِحِ فِي الأَنَاضُولِ إِلَى القُدْسِ؛ حَيْثُ اسْتَقْبَلَهُمُ الدَّيْرُ الأَرْمَنِيُّ فِي البَلْدَةِ القَدِيمَةِ (دَيْرُ مَار يَعْقُوبَ)، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَشْكِيلِ هُوِيَّةٍ سُكَانِيَّةٍ جَدِيدَةٍ وَتَحْوِيلِ الحَيِّ الأَرْمَنِيِّ إِلَى مَلَاذٍ لِلنَّاجِينَ.

عَامَ 1916م؛ اشْتِدَادُ القَمْعِ العَسْكَرِيِّ تَحْتَ حُكْمِ جَمَالِ بَاشَا «السَّفَّاحِ»، وَفَرْضُ الأَحْكَامِ العُرْفِيَّةِ فِي المَدِينَةِ، وَتَدَهُّورُ الوَضْعِ الاِقْتِصَادِيِّ إِلَى مُسْتَوَيَاتٍ كَارِثِيَّةٍ.

تِشْرِين الثَّانِي 1917م؛ قَبْلَ سُقُوطِ المَدِينَةِ بِفَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، صَدَرَ «**وَعْدُ آرْثُر بَلْفُور**» الَّذِي تَعَهَّدَتْ فِيهِ بَرِيطَانِيَا بِدَعْمِ إِنْشَاءِ «وَطَنٍ قَوْمِيٍّ لِلشَّعْبِ اليَهُودِيِّ فِي فِلَسْطِينَ»، مِمَّا أَثَّرَ بِشَكْلٍ مُبَاشِرٍ عَلَى التَّرْكِيبَةِ السُّكَّانِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ لِلْقُدْسِ.

9 كَانُونَ الأَوَّلِ 1917م؛ جَرَتْ مَعَارِكُ ضَارِيَةٌ فِي مُحِيطِ المَدِينَةِ «**مَعْرَكَةُ النَّبِي صَمْوِيل**»، سَلَّمَ رَئِيسُ بَلَدِيَّةِ القُدْسِ (حُسَيْن سَلِيم الحُسَيْنِي) رِسَالَةَ الاِسْتِسْلَامِ لِلْقُوَّاتِ البِرِيطَانِيَّةِ.

9 كَانُونَ الأَوَّلِ 1917م؛ اسْتَوْلَتِ القُوَّاتُ البِرِيطَانِيَّةُ بِقِيَادَةِ الجِنِرَالِ إِدْمُونْد أَلِنْبِي عَلَى المَدِينَةِ مِنَ العُثْمَانِيِّينَ بَعْدَ مَعْرَكَةِ القُدْسِ فِي الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى.

11 تِشْرِين الثَّانِي 1918م؛ انْتَهَتِ الحَرْبُ العَالَمِيَّةُ الأُولَى فِي هَذَا اليَوْمِ.

1918 – 1919م؛ بَعْدَ انْقِشَاعِ غُبَارِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى، وَقَفَتِ الْقُدْسُ أَمَامَ مُعْضِلَةٍ تَوْثِيقِيَّةٍ؛ حَيْثُ تَعَذَّرَ رَصْدُ ضَحَايَا الْجَائِحَةِ الْعَالَمِيَّةِ بِأَرْقَامٍ رَسْمِيَّةٍ دَقِيقَةٍ؛ نَتِيجَةَ اضْطِرَابِ الْإِدَارَةِ وَتَفَشِّي أَوْبِئَةٍ أُخْرَى **كَالطَّاعُونِ وَالْكُولِيرَا**. إِلَّا أَنَّ مَنْهَجَ التَّحْقِيقِ التَّارِيخِيِّ يَسْتَنْطِقُ السِّجِلَّاتِ الْوَقْفِيَّةَ بِكَافَّةِ انْتِمَاءَاتِهَا، وَتَوَارِيخَ الشَّوَاهِدِ فِي الْمَقَابِرِ، الَّتِي كَشَفَتْ عَنْ طَفْرَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ فِي الْوَفَيَاتِ نَتِيجَةَ "**النَّزْلَةِ الْوَافِدَةِ**" (فِيمَا عُرِفَ بِالْإِنْفلُونْزَا الْإِسْبَانِيَّةِ)؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّ الْمَدِينَةَ لَمْ تَكُنْ بِمَنْأًى عَنْ هَذَا الْإِعْصَارِ الْبِيُولُوجِيِّ الَّذِي اخْتَتَمَ سَنَوَاتِ الْبُؤْسِ بِفَصْلٍ جَدِيدٍ مِنَ الْفَجِيعَةِ.

نَيْسَان 1920م؛ انْعِقَادُ مُؤْتَمَرِ «**سَان رِيمُو**»، الَّذِي أَقَرَّ نِظَامَ الاِنْتِدَابِ رَسْمِيّاً، وَحَوَّلَ «وَعْدَ بَلْفُورَ» مِنْ تَعَهُّدٍ بَرِيطَانِيٍّ إِلَى قَرَارٍ دُوَلِيٍّ مَفْرُوضٍ عَلَى فِلَسْطِينَ؛ مِمَّا مَهَّدَ السَّبِيلَ لِتَنْفِيذِهِ فِعْلِيّاً بِمُوجِبِ الإِدَارَةِ البِرِيطَانِيَّةِ. وَفِي العَامِ ذَاتِهِ، أُسِّسَتْ مُنَظَّمَةُ «**الهَاغَانَاه**» لِتَكُونَ ذِرَاعاً عَسْكَرِيَّةً لِحِمَايَةِ المُسْتَوْطَنَاتِ، كَمَا تَأَسَّسَ الاِتِّحَادُ العَامُّ لِلْعُمَّالِ اليَهُودِ (**الهِسْتِدْرُوت**).

نَيْسَان 1920م؛ ثَارَ العَرَبُ فِي مَدِينَةِ القُدْسِ احْتِجَاجاً عَلَى السِّيَاسَةِ البِرِيطَانِيَّةِ المُنْحَازَةِ لِلْهِجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى مَقْتَلِ سَبْعَةِ يَهُودٍ، وَبِدَايَةِ تَنْظِيمِ قُوَى الدِّفَاعِ اليَهُودِيَّةِ وَانْدِلَاعِ الصِّرَاعِ المُسَلَّحِ بَيْنَ العَرَبِ وَاليَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ.

أَيَّارَ1921م؛ انْدِلَاعُ اضْطِرَابَاتٍ فِي مَدِينَةِ يَافَا؛ إِذْ جَرَتْ صِدَامَاتٌ عَنِيفَةٌ بَيْنَ العَرَبِ وَاليَهُودِ، وَكَانَتْ مَدِينَةُ القُدْسِ المَرْكَزَ الَّذِي أَدَارَ الأَزْمَةَ عَلَى المُسْتَوَى الشَّعْبِيّ، مِمَّا دَفَعَ بَرِيطَانِيَا لِإِصْدَارِ «الكِتَابِ الأَبْيَضِ الأَوَّلِ» لِتَقْيِيدِ الهِجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ جُزْئِيّاً.

1921 – 1924م؛ شَهِدَتِ السَّنَوَاتُ الأُولَى لِلانْتِدَابِ الْبِرِيطَانِيّ بُزُوغَ بُؤَرٍ لِلطَّاعُونِ الدُّمَّلِيّ فِي يَافَا وَالقُدْسِ، إِلَّا أَنَّ التَّعَامُلَ مَعَهَا جَاءَ بِمَنْظُورٍ طِبِّيّ حَدِيثٍ؛ حَيْثُ شَنَّتِ السُّلُطَاتُ حَمَلَاتِ تَطْعِيمٍ وَاسِعَةَ النِّطَاقِ، وَاتَّخَذَتْ إِجْرَاءَاتٍ صَارِمَةً لِمُكَافَحَةِ القَوَارِضِ؛ قَصْدَ قَطْعِ الطَّرِيقِ عَلَى انْتِقَالِ "البَرَاغِيثِ" النَّاقِلَةِ لِلْوَبَاءِ، مَعَ تَطْهِيرِ المَرَافِقِ العَامَّةِ. وَقَدْ نَجَحَتْ هَذِهِ التَّدَابِيرُ المَيْدَانِيَّةُ فِي مُحَاصَرَةِ الدَّاءِ وَكَبْحِ جِمَاحِهِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ وَيَتَحَوَّلَ إِلَى جَائِحَةٍ كُبْرَى، لِتَنْجُوَ المَدِينَةُ مِنْ مَصِيرٍ دَامٍ كَانَ يُعِيدُ إِلَى الأَذْهَانِ مَآسِيَ العُصُورِ الوُسْطَى.

تَمُّوزَ 1922م؛ صَادَقَتْ عُصْبَةُ الأُمَمِ رَسْمِيّاً عَلَى صَكِّ الِانْتِدَابِ البِرِيطَانِيّ عَلَى المُدُنِ الفِلَسْطِينِيَّةِ.

وَفِي عَامِ 1924م، سَارَعَ وُجَهَاءُ القُدْسِ، يَتَقَدَّمُهُمُ المَجْلِسُ الإِسْلَامِيُّ الأَعْلَى فِي القُدْسِ، بِالطَّلَبِ مِنَ المَلِكِ الشَّرِيفِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ أَنْ يَتَرَأَّسَ عِمَارَةَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ، وَأَنْ يَتَوَلَّى ابْنُهُ المَلِكُ المُؤَسِّسُ، الأَمِيرُ عَبْدُ اللهِ أَمِيرِ إِمَارَةِ شَرْقِ الأُرْدُنِّ آنَذَاكَ، الإِشْرَافَ المُبَاشِرَ عَلَى الإِعْمَارِ الهَاشِمِيّ لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَكَانَ ذَلِكَ فِي نَصِّ رِسَالَةِ البَيْعَةِ الرَّسْمِيَّةِ.

نَيْسَانَ 1925م؛ افْتِتَاحُ الجَامِعَةِ العِبْرِيَّةِ فِي القُدْسِ.

آب 1929م ثَوْرَةُ البُرَاقِ؛ صِدَامَاتٌ دَمَوِيَّةٌ عَنِيفَةٌ بَيْنَ العَرَبِ وَاليَهُودِ بَدَأَتْ فِي القُدْسِ وَامْتَدَّتْ إِلَى مُدُنٍ أُخْرَى مِثْلِ الخَلِيلِ وَصَفَدَ، أَسْفَرَتْ عَنْ مَقْتَلِ العَشَرَاتِ مِنَ الجَانِبَيْنِ،حَيْثُ تَمَرْكَزَتِ الصِّدَامَاتُ حَوْلَ حُقُوقِ السَّيْطَرَةِ وَالوُصُولِ إِلَى حَائِطِ البُرَاقِ «الْكُوتِل».

1933م – 1936م؛ وُصُولُ «**الهِجْرَةِ الخَامِسَةِ**» الكَبِيرَةِ مِنْ أُورُوبَّا، مِمَّا أَدَّى إِلَى نُمُوٍّ اقْتِصَادِيٍّ وَعُمْرَانِيٍّ هَائِلٍ لِلْمُسْتَوْطَنَاتِ اليَهُودِيَّةِ. وَذَلِكَ نَتِيجَةَ صُعُودِ النَّازِيَّةِ فِي أَلْمَانِيَا بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ «**هِتْلَر**» رَئِيساً لِلْوُزَرَاءِ فِي عَامِ **1933م**؛ حَيْثُ نَفَّذَ سِلْسِلَةً طَوِيلَةً مِنَ القَوَانِينِ المُعَادِيَةِ لِلْيَهُودِ، **فَأَحْرَقَ كُتُبَهُمْ طَرَدَ العَدِيدَ مِنْهُمْ وَقَتَلَهُمْ**.

نَيْسَانَ **1936م**؛ أُسِّسَتِ اللَّجْنَةُ العَرَبِيَّةُ العُلْيَا فِي مَدِينَةِ القُدْسِ بِرِئَاسَةِ مُفْتِي القُدْسِ الحَاجّ **أَمِين الحُسَيْنِيّ**، وَطَالَبَتْ بِإِيقَافِ الهِجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ وَتَأْسِيسِ حُكُومَةٍ فِلَسْطِينِيَّةٍ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ، قُبَيْلَ انْدِلَاعِ «**الثَّوْرَةِ العَرَبِيَّةِ الكُبْرَى**» الَّتِي شَهِدَتْ أَعْمَالاً انْتِقَامِيَّةً عَنِيفَةً. وَفِي الوَقْتِ ذَاتِهِ، تَصَاعَدَ الاِضْطِهَادُ النَّازِيُّ ضِدَّ اليَهُودِ فِي أَلْمَانِيَا، مِمَّا أَذْكَى نَزَعَاتُ العِدَاءِ لِلسَّامِيَّةِ فِي دُوَلٍ أُخْرَى.

1936م – 1939م؛ امْتَدَّتِ الثَّوْرَةُ العَرَبِيَّةُ الكُبْرَى بِقِيَادَةِ مُفْتِي القُدْسِ فِي أَرْجَاءِ فِلَسْطِينَ؛ وَخِلَالَ تِلْكَ الفَتْرَةِ، شَهِدَتْ مَدِينَةُ القُدْسِ إِضْرَابَاتٍ وَاحْتِجَاجَاتٍ وَاسِعَةً ضِدَّ الهِجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ وَالسِّيَاسَاتِ البرِيطَانِيَّةِ.

عِنْدَمَا انْدَلَعَتِ الثَّوْرَةُ الفِلَسْطِينِيَّةُ الكُبْرَى ضِدَّ الاِنْتِدَابِ البرِيطَانِيّ، قَدَّمَتْ أَلْمَانِيَا وُعُوداً سِيَاسِيَّةً وَدَعْماً مَالِيّاً مَحْدُوداً لِلَّجْنَةِ العَرَبِيَّةِ العُلْيَا بِقِيَادَةِ المُفْتِي الحَاجّ أَمِينِ الحُسَيْنِيّ الَّذِي عُرِفَ بِشَخْصِيَّتِهِ المُضْطَرِبَةِ، الَّذِي كَانَ يَرْغَبُ فِي تَصْفِيَةِ «**الوَطَنِ القَوْمِيّ اليَهُودِيّ**». وَقَدْ تَمَّ تَمْرِيرُ مُعْظَمِ هَذَا الدَّعْمِ عَبْرَ القُنْصُلِيَّةِ الأَلْمَانِيَّةِ فِي القُدْسِ، وَأَحْيَاناً عَبْرَ الوَسِيطِ الإِيطَالِيّ، وَذَلِكَ قُبَيْلَ وُقُوعِ العَدَاوَةِ الرَّسْمِيَّةِ وَإِعْلَانِ الحَرْبِ عَلَى أَلْمَانِيَا فِي الثَّالِثِ مِنْ أَيْلُولَ **1939م**؛ إِذْ كَانَ الهَدَفُ الأَلْمَانِيُّ هُوَ زَعْزَعَةُ اسْتِقْرَارِ الاِنْتِدَابِ البرِيطَانِيّ وَإِشْغَالُ جَيْشِهِ، **وَلَيْسَ إِقَامَةَ دَوْلَةٍ فِلَسْطِينِيَّةٍ مُسْتَقِلَّةٍ**. وَلَكِنْ مَعَ اشْتِدَادِ المُلَاحَقَةِ البرِيطَانِيَّةِ لَهُ، فَرَّ إِلَى لُبْنَانَ ثُمَّ العِرَاقِ، وَبَعْدَ فَشَلِ ثَوْرَةِ «**رَشِيدِ عَالِي الكِيلَانِيّ**» فِي العِرَاقِ عَامَ **1941م** (وَالَّتِي كَانَتْ مَدْعُومَةً مِنَ المِحْوَرِ)، فَرَّ المُفْتِي إِلَى بَرْلِينَ وَاسْتُقْبِلَ هُنَاكَ كَزَعِيمٍ سِيَاسِيّ؛ إِذْ رَاهَنَ عَلَى «**الحِصَانِ الخَاسِرِ**» فِي الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، مِمَّا أَضْعَفَ مَوْقِفَهُ الدَّوْلِيَّ بَعْدَ عَامِ **1945م**.

تمُّوز 1937م؛ لجَنَةُ «بِيل» المَلَكِيَّةُ تَقْتَرِحُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مَشْرُوعَ تَقْسِيمِ الأَرْضِ إِلَى دَوْلَتَيْنِ (يَهُودِيَّةٍ وَعَرَبِيَّةٍ)، وَهُوَ مَا قَبِلَهُ القَادَةُ اليَهُودُ بِتَحَفُّظٍ وَرَفَضَهُ العَرَبُ.

أَيَّار 1939م؛ بَرِيطَانِيَا تُصْدِرُ «الكِتَابَ الأَبْيَضَ الثَّالِثَ»، الَّذِي وَضَعَ قُيُوداً صَارِمَةً جِدّاً عَلَى الهِجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ وَشِرَاءِ الأَرَاضِي، مِمَّا جَعَلَ «اليِيشُوف» المُجْتَمَعَ اليَهُودِيَّ فِي فِلَسْطِينَ فِي حَالَةِ صِدَامٍ مُبَاشِرٍ مَعَ سُلُطَاتِ الاِنْتِدَابِ.

تمُّوز 1939م؛ اسْتَقَرَّ تَقْسِيمُ النِّظَامِ الإِدَارِيّ لِفِلَسْطِينَ إِلَى سِتِّ مُقَاطَعَاتٍ (أَلْوِيَةٍ) بَعْدَ أَحْدَاثِ الثَّوْرَةِ الكُبْرَى، وَذَلِكَ عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

لِوَاءُ الجَلِيلِ: (النَّاصِرَةُ، صَفَدُ، عَكَّا، طَبَرِيَّا، بَيْسَانُ).

لِوَاءُ حَيْفَا: (مَدِينَةُ حَيْفَا وَقُرَاهَا).

لِوَاءُ السَّامِرَةِ: (نَابْلُسُ، جَنِينُ، طُولْكَرْمُ).

لِوَاءُ اللَّدِّ: (يَافَا، الرَّمْلَةُ، اللَّدُّ).

لِوَاءُ القُدْسِ: (القُدْسُ، الخَلِيلُ، رَامُ اللهِ، بَيْتُ لَحْمٍ، أَرِيحَا).

لِوَاءُ غَزَّةَ: (غَزَّةُ، بِئْرُ السَّبْعِ، رَفَحُ كَجُزْءٍ مِنْ قَضَاءِ غَزَّةَ).

أَيَّار 1942م؛ بَرْنَامَجُ «بِيلْتِمُور» فِي نِيُويُورْكَ؛ الحَرَكَةُ الصِّهْيُونِيَّةُ تُطَالِبُ صَرَاحَةً بِتَحْوِيلِ الأَرْضِ إِلَى «كُومنْولْثٍ يَهُودِيٍّ» –أَيْ دَوْلَةٍ ذَاتِ سِيَادَةٍ– وَبَسْطِ السَّيْطَرَةِ الكَامِلَةِ عَلَى الهِجْرَةِ.

تِشْرِينُ الثَّانِي 1947م؛ صَوَّتَتِ الجَمْعِيَّةُ العَامَّةُ لِلْأُمَمِ المُتَّحِدَةِ، بَعْدَ مُنَاقَشَاتٍ مَطُولَةٍ وَمُنَاوَرَاتٍ سِيَاسِيَّةٍ خَلْفَ الكَوَالِيسِ، لِصَالِحِ تَقْسِيمِ الأَرْضِ إِلَى دَوْلَتَيْنِ مُسْتَقِلَّتَيْنِ؛ يَهُودِيَّةٍ وَعَرَبِيَّةٍ، مَعَ تَدْوِيلِ مَدِينَةِ القُدْسِ.

كَلِمَةُ «صِهْيُونِيَّة» مُشْتَقَّةٌ مِنْ «جَبَلِ صِهْيُون»، وَقَدِ اسْتُخْدِمَ اسْمُ «صِهْيُون» رَمْزاً لِلْقُدْسِ وَفِلَسْطِينَ بِأَكْمَلِهَا.

وَفِي حِينِ أَعْرَبَتْ بَعْضُ الأَوْسَاطِ الصّهْيُونيَّةِ عَنْ تَرَدُّدِهَا رَغْمَ قَبُولِ القِيَادَةِ الصّهْيُونيَّةِ لِلْمَشْرُوعِ، رَفَضَهُ العَرَبُ رَفْضاً قَاطِعاً؛ لِيَبْدَأَ الطَّرَفَانِ فِي البِلَادِ التَّأَهُّبَ لِمَا بَدَا جَلِيّاً أَنَّهُ صِرَاعٌ مُسَلَّحٌ وَشِيكٌ.

29 تِشْرِينَ الثَّانِي 1947م تَمَّ صَدَرَ قَرَارِ التَّقْسِيمِ (181)؛ حَيْثُ أَوْصَتِ الجَمْعِيَّةُ العَامَّةُ لِلْأُمَمِ المُتَّحِدَةِ بِوَضْعِ القُدْسِ تَحْتَ وَصَايَةٍ دَوْلِيَّةٍ خَاصَّةٍ، بَدَلًا مِنْ ضَمّهَا لِلدَّوْلَةِ العَرَبِيَّةِ أَوِ اليَهُودِيَّةِ المُقْتَرَحَتَيْنِ .

عَامُ 1945م؛ تَمَّ صُدُورُ كِتَابِ «إِحْصَاءَاتِ القُرَى/Village Statistics»، وَنُوردُ هُنَا الأَرْقَامَ بِالتَّقْرِيبِ الرَّسْمِيِّ الوَارِدِ فِي الكِتَابِ.

إِحْصَاءُ السُّكَّانِ حَسَبَ الأَلْوِيَةِ (تَقْدِيرَاتُ عَامِ 1945م)

اَلْمُقَاطَعَةُ (اللِّوَاءُ)	عَدَدُ السُّكَّانِ الْعَرَبِ	عَدَدُ السُّكَّانِ الْيَهُودِ
لِوَاءُ الْقُدْسِ	398,000	102,000
لِوَاءُ غَزَّةَ	285,000	5,000
لِوَاءُ اللَّدِّ	226,000	283,000
لِوَاءُ السَّامِرَةِ	231,000	14,000
لِوَاءُ الْجَلِيلِ	221,000	42.000
لِوَاءُ حَيْفَا	136,000	104,000

14 أَيَّار 1948م؛ إِعْلَانُ قِيَامِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ مِنْ قِبَلِ دِيفِيد بِن غُورِيُون فِي تَلّ أَبِيبَ، قُبَيْلَ خُرُوجِ المَنْدُوبِ السَّامِيِّ البِرِيطَانِيِّ مِنْ مَقَرِّهِ فِي القُدْسِ، تَزَامُناً مَعَ انْتِهَاءِ الانْتِدَابِ البِرِيطَانِيّ.

15 أَيَّار 1948م؛ انْسَحَبَ آخِرُ جُنْدِيٍّ بِرِيطَانِيٍّ، وَدَخَلَتْ جُيُوشُ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ إِلَى مُقَاطَعَاتِ البِلَادِ السِّتِّ، لِتَبْدَأَ حَرْبُ 1948م؛ وَالَّتِي شَهِدَتْ فِيهَا المَدِينَةُ قِتَالاً عَنِيفاً، لَا سِيَّمَا حِصَارُ الحَيِّ اليَهُودِيِّ فِي البَلْدَةِ القَدِيمَةِ.

15 أَيَّار 1948م؛ انْدَلَعَتِ الحَرْبُ بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ إِعْلَانِ **قِيَامِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ**، بِقَرَارٍ مِنْ صُنَّاعِ القَرَارِ فِي جَامِعَةِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ. وَعَلَى إِثْرِ ذَلِكَ، زَحَفَتْ جُيُوشُ مِصْرَ وَالعِرَاقِ وَسُورِيَا وَالأُرْدُنِّ وَلُبْنَانَ نَحْوَ **مُقَاطَعَاتِ البِلَادِ السِّتِّ**، الَّتِي خَرَجَتْ لِلتَّوِّ مِنْ رِبْقَةِ الِانْتِدَابِ البِرِيطَانِيِّ. وَبِذَلِكَ، احْتَدَمَ القِتَالُ عَلَى جَمِيعِ الجَبَهَاتِ فِي كُلِّ مُقَاطَعَاتِ البِلَادِ السِّتِّ بَيْنَ العَرَبِ وَإِسْرَائِيلَ؛ حَيْثُ شَهِدَتِ البَلْدَةُ القَدِيمَةُ مَعَارِكَ ضَارِيَةً، وَفُرِضَ الحِصَارُ عَلَى الحَيِّ اليَهُودِيِّ فِيهَا.

نَجَحَتْ قُوَّاتُ الدِّفَاعِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ النَّاشِئَةُ فِي صَدِّ الجُيُوشِ العَرَبِيَّةِ، وَوَسَّعَتْ حُدُودَ إِسْرَائِيلَ إِلَى مَا وَرَاءِ خُطُوطِ قَرَارِ الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ رَقْمِ (181) لِلدَّوْلَةِ المُقْتَرَحَةِ. وَعَلَيْهِ، سَيْطَرَتْ إِسْرَائِيلُ عَلَى مُعْظَمِ أَرْضِ الجَلِيلِ، وَمِنْ ذَلِكَ مُدُنُ النَّاصِرَةِ وَحَيْفَا وَعَكَّا، الَّتِي كَانَتْ تَابِعَةً لِبِلَادِ الشَّامِ الشَّمَالِيَّةِ «**لُبْنَانَ سَابِقًا قَبْلَ تَقْسِيمِ 1919م**»، وَضَمَّتْ إِلَيْهَا القُدْسَ الغَرْبِيَّةَ، فِيمَا عُرِفَ بِاسْمِ «**الخَطِّ الأَخْضَرِ**» خَطِّ الهُدْنَةِ.

فِي المُقَابِلِ، أَصْبَحَتْ بَقِيَّةُ الأَرَاضِي الِانْتِدَابِيَّةِ فِي الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ الَّتِي سَيْطَرَ عَلَيْهَا الأُرْدُنُّ وَمِنْ ضِمْنِهَا القُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ وَقِطَاعُ غَزَّةَ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ المِصْرِيَّةِ. وَنَتِيجَةً لِذَلِكَ، نَزَحَ نَحْوُ ثُلْثِ السُّكَّانِ إِلَى الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وَالثُّلْثُ الآخَرُ إِلَى قِطَاعِ غَزَّةَ، فِيمَا تَوَجَّهَ البَاقُونَ إِلَى الأُرْدُنِّ وَسُورِيَا وَلُبْنَانَ وَدُوَلٍ أُخْرَى.

«**خَرِيطَةُ اللُّجُوءِ**» الَّتِي تَشَكَّلَتْ نَتِيجَةَ الهَزِيمَةِ العَسْكَرِيَّةِ عَامَ 1948م

يُقَدَّرُ عَدَدُ النَّازِحِينَ الَّذِينَ تَرَكُوا أَمْلَاكَهُمْ، وَغَادَرُوا مُدُنَهُمْ وَقُرَاهُمُ الَّتِي أَصْبَحَتْ دَاخِلَ حُدُودِ دَوْلَةِ إِسْرَائِيلَ الجَدِيدَةِ، وَتَوَزَّعُوا كَلَاجِئِينَ، بِنَحْوِ 750 أَلْفِ نَسَمَةٍ، وَذَلِكَ وِفْقَ التَّقْسِيمَاتِ الآتِيَةِ:

1. الضَّفَّةُ الغَرْبِيَّةُ: اسْتَقْبَلَتِ الكُتْلَةَ الأَكْبَرَ مِنَ اللَّاجِئِينَ (حَوَالِي 280,000 شَخْصٍ) مِمَّنْ نَزَحُوا تَارِكِينَ أَمْلَاكَهُمْ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ. أَمَّا الَّذِينَ لَجَؤُوا إِلَى دَاخِلِ أَسْوَارِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ فَوْرَ اسْتِقْرَارِ خُطُوطِ الهُدْنَةِ، فَقَدْ تَرَاوَحَ عَدَدُهُمْ بَيْنَ 15,000 وَ20,000 لَاجِئٍ؛ اسْتَقَرَّ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ دَاخِلَ أَسْوَارِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ، الَّتِي كَانَتْ بَعْضُ أَجْزَائِهَا شِبْهَ خَالِيَةٍ مِنَ السُّكَّانِ بَعْدَ خُرُوجِ قَاطِنِي الحَيِّ اليَهُودِيِّ، فَأَقَامُوا فِيهِ وَفِي حَارَةِ السَّعْدِيَّةِ وَبَابِ حِطَّةَ دَاخِلَ السُّورِ، بَيْنَمَا تَوَزَّعَتِ البَقِيَّةُ فِي الأَحْيَاءِ المُحِيطَةِ بِهِ مِثْلِ (الشَّيْخِ جَرَّاحٍ، وَوَادِي الجَوْزِ، وَسِلْوَانَ).

2. لُبْنَانُ وَسُورِيَا: اسْتَقْبَلَا حَوَالِي 175,000 شَخْصٍ (أَغْلَبُهُمْ مِنْ لِوَاءِ الجَلِيلِ وَحَيْفَا وَعَكَّا).

3. قِطَاعُ غَزَّةَ: احْتَضَنَ مَا يَقْرُبُ مِنْ 190,000 نَازِحٍ، هُجِّرَ جُلُّهُمْ مِنْ يَافَا وَبِئْرِ السَّبْعِ، وَقُرَى جَنُوبِ فِلَسْطِينَ (مِثْلِ المَجْدَلِ وَالفَالُوجَةِ).

4. الأُرْدُنُّ (شَرْقُ الأُرْدُنِّ): اسْتَقْبَلَ حَوَالِي 70,000 شَخْصٍ مُبَاشَرَةً، ثُمَّ تَزَايَدَتِ الأَعْدَادُ لَاحِقاً بِسَبَبِ الوَحْدَةِ بَيْنَ الضَّفَّتَيْنِ.

5. العِرَاقُ: اسْتَقْبَلَ العِرَاقُ مَا بَيْنَ 5,000 وَ8,000 شَخْصٍ؛ وَقَدْ جَاءَ جُلُّ هَؤُلَاءِ اللَّاجِئِينَ مِنْ قُرَى حَيْفَا وَجِنِينَ (وَلَا سِيَّمَا قُرَى إِجْزِمَ، وَجَبَعَ، وَعَيْنِ غَزَالٍ)، حَيْثُ نَقَلَتْهُمُ الجُيُوشُ العِرَاقِيَّةُ رِفْقَتَهَا أَثْنَاءَ انْسِحَابِهَا.

فَقَبْلَ حُلُولِ عَامِ 1948م؛ كَانَ عَدَدُ سُكَّانِ غَزَّةَ يَرْبُو عَلَى 80,000 نَسَمَةٍ فَقَطْ، وَبَعْدَ مَوْجَةِ اللُّجُوءِ تَضَاعَفَ العَدَدُ لِيَتَجَاوَزَ 270,000 نَسَمَةً فِي غُضُونِ شُهُورٍ قَلِيلَةٍ؛ وَتَسَبَّبَ هَذَا الانْفِجَارُ السُّكَّانِيُّ المُفَاجِئُ فِي بُقْعَةٍ جُغْرَافِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ، فِي جَعْلِهِمْ يَخْضَعُونَ فِيمَا بَعْدُ لِإِدَارَاتٍ جَدِيدَةٍ (تَمَثَّلَتْ فِي الإِدَارَةِ المِصْرِيَّةِ فِي غَزَّةَ، وَالإِدَارَةِ الأُرْدُنِيَّةِ فِي الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ).

وَمِنْ مَنْظُورٍ تَارِيخِيٍّ، لَمْ تَفْسَحِ السُّلُطَاتُ المِصْرِيَّةُ حِينَهَا المَجَالَ لِلُّجُوءِ الجَمَاعِيِّ إِلَى عُمْقِ الأَرَاضِي المِصْرِيَّةِ، بَلْ حَصَرَتِ الكُتْلَةَ الأَكْبَرَ مِنَ اللَّاجِئِينَ دَاخِلَ «قِطَاعِ

غَزَّةَ» الَّذِي كَانَ يَخْضَعُ عَسْكَرِيّاً لِإِدَارَتِهَا، بَيْنَمَا لَمْ يَنْزَحْ إِلَى دَاخِلِ الحُدُودِ المِصْرِيَّةِ الإِدَارِيَّةِ إِلَّا مَا يَقْرُبُ مِنْ 7,000 لَاجِئٍ.

نَيْسَانَ عَامِ 1949م؛ تَمَّ تَوْقِيعُ اتِّفَاقِيَّاتِ الهُدْنَةِ بَيْنَ إِسْرَائِيلَ وَكُلٍّ مِنْ مِصْرَ وَلُبْنَانَ وَالأُرْدُنِّ وَسُورِيَّةَ، وَهِيَ السِّلْسِلَةُ الَّتِي عُرِفَتْ بِاتِّفَاقِيَّاتِ "رُودُسَ"؛ وَبِمُوجِبِهَا انْشَطَرَتِ القُدْسُ إِلَى نِصْفَيْنِ الأُرْدُنِيِّ وَالإِسْرَائِيلِيِّ، حَيْثُ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بِعَوَائِقَ بَسِيطَةٍ مِنَ البَرَامِيلِ وَالأَسْلَاكِ الشَّائِكَةِ. وَقَدْ نَشَأَتْ بَيْنَ الشَّطْرَيْنِ مَسَاحَةٌ ضَيِّقَةٌ عُرِفَتْ " بِالمِنْطَقَةِ الحَرَامِ"، ارْتَمَى فِي جَنَبَاتِهَا الرُّكَامُ، وَتَوَارَتْ بَيْنَ أَعْشَابِهَا الأَلْغَامُ وَالأَسْلَاكُ الصَّدِئَةُ.

وَفِي قَلْبِ الأَحْيَاءِ السَّكَنِيَّةِ المُتَرَاصَّةِ، كَحَيِّ المَصْرَارَةِ وَمَا حَاقَ بِالبَلْدَةِ القَدِيمَةِ، انْتَصَبَتْ جُدْرَانٌ صَمَّاءُ لِغَايَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ بَحْتٍ؛ قِوَامُهَا حِمَايَةُ الأَرْوَاحِ مِنْ غَدْرِ القَنَّاصَةِ. وَلَمَّا تَقَابَلَتِ النَّوَافِذُ بِالنَّوَافِذِ فِي الشَّطْرَيْنِ الذَّبِيحَيْنِ، لَمْ يَجِدِ العَسْكَرُ بُدّاً مِنْ نَصْبِ سُتُورٍ إِسْمَنْتِيَّةٍ فِي جَوْفِ الشَّوَارِعِ، لِتَكُونَ حِجَاباً يَحْجِبُ البَصَرَ، وَصَدّاً يَرُدُّ رَصَاصَ المَوْتِ المُتَرَبِّصِ خَلْفَ الأَزِقَّةِ.

بَقِيَتْ "بَوَّابَةُ مَنْدِلْبَاوْم" المَعْبَرَ الرَّسْمِيَّ الوَحِيدَ الَّذِي يَنْفُذُ مِنْهُ الدِّبْلُومَاسِيُّونَ وَمُوَظَّفُو الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ بِانْتِظَامٍ، بَيْنَمَا لَمْ تَعْبُرْهَا حُشُودُ الحُجَّاجِ إِلَّا مَرَّةً كُلَّ عَامٍ. وَرَغْمَ بَسَاطَةِ تَكْوِينِهَا مِنَ البَرَامِيلِ وَالأَسْلَاكِ، بَقِيَتْ مُوصَدَةً فِي وَجْهِ السُّكَّانِ العَادِيِّينَ، وَمُحَرَّمَةً عَلَى أَحْلَامِهِمْ فِي العُبُورِ؛ فِي وَقْتٍ بَقِيَ فِيهِ "جَبَلُ المُشَارِفِ" . بِمَا يَضُمُّهُ مِنَ الجَامِعَةِ العِبْرِيَّةِ . جَيْباً مَعْزُولاً تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ فِي قَلْبِ الأَرَاضِي الَّتِي كَانَ يُدِيرُهَا الأُرْدُنُّ.

أَيَّارَ عَامِ 1949م؛ قُبِلَتْ إِسْرَائِيلُ عُضْواً فِي الأُمَمِ المُتَّحِدَةِ.

فِي 26 كَانُونَ الأَوَّلِ 1949م؛ انْعَقَدَتْ أَوَّلُ جَلْسَةٍ رَسْمِيَّةٍ لِلْكِنِيسِتِ فِي القُدْسِ الغَرْبِيَّةِ.

تمُّوزَ   عَامِ 1950م؛ أُقِرَّ "قَانُونِ العَوْدَةِ"، لِتَبْدَأَ بَعْدَهُ عَمَلِيَّاتُ هِجْرَةٍ ضَخْمَةٌ؛ كَعَمَلِيَّةِ "بِسَاطِ الرِّيحِ" لِيَهُودِ اليَمَنِ، وَعَمَلِيَّةِ "عِزْرَا وَنَحْمِيَا" لِيَهُودِ العِرَاقِ، حَيْثُ اسْتَوْطَنَ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ المُهَاجِرِينَ فِي أَحْيَاءِ القُدْسِ الغَرْبِيَّةِ.

كَانُونُ الثَّانِي لِعَامِ1950م؛ أَعْلَنَتْ إِسْرَائِيلُ القُدْسَ الغَرْبِيَّةَ عَاصِمَةً لَهَا، وَشَرَعَتْ فِي نَقْلِ مُعْظَمِ مَكَاتِبِهَا الحُكُومِيَّةِ إِلَيْهَا.

1950 – 1954م؛ شَهِدَتِ الْقُدْسُ بِشَطْرَيْهَا، وَالْمَنَاطِقُ الْمُحِيطَةُ بِهَا، مَوْجَةً عَاتِيَةً مِنْ مَرَضِ "شَلَلِ الْأَطْفَالِ" نَالَتْ بِقَسْوَةٍ مِنْ صِغَارِ السِّنِّ، وَخَلَّفَتْ نُدُوباً لَا تُمْحَى فِي جَسَدِ الْمَدِينَةِ. وَقَدْ حَفَّزَتْ هَذِهِ الْأَزْمَةُ الصِّحِّيَّةُ انْطِلَاقَ حَمَلَاتِ تَطْعِيمٍ شَامِلَةٍ؛ لَمْ تَعُدْ مُجَرَّدَ إِجْرَاءٍ وِقَائِيٍّ مُؤَقَّتٍ، بَلْ صَارَتْ رُكْناً رَكِيناً فِي النِّظَامِ الصِّحِّيِّ الدَّائِمِ، فَغَدَتْ حِصْناً مَنِيعاً يَحْمِي الْأَجْيَالَ الْقَادِمَةَ مِنْ غَائِلَةِ الزَّمَانِ.

فِي تمُّوزَ مِنْ عَامِ1951م؛ تَعَرَّضَ المَلِكُ عَبْدُ اللهِ الأَوَّلُ، مَلِكُ الأُرْدُنِّ، لِلاغْتِيَالِ فِي بَاحَاتِ المَسْجِدِ الأَقْصَى بِالقُدْسِ.

أَيْلُولَ عَامِ 1951م؛ تَوَلَّى المَلِكُ طَلَالُ بْنُ عَبْدِ اللهِ (وَالِدُ المَلِكِ الحُسَيْنِ) العَرْشَ خَلَفاً لِوَالِدِهِ، وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ حُكُومَتُهُ مُؤَكِّدَةً الْتِزَامَهَا بِحِمَايَةِ القُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ آنَذَاكَ.

فِي 11 آبَ 1952م؛ قَرَّرَ البَرْلَمَانُ الأُرْدُنِيُّ عَزْلَ المَلِكِ طَلَالٍ لِأَسْبَابٍ صِحِّيَّةٍ، وَأَعْلَنَ الأَمِيرَ الحُسَيْنَ بْنَ طَلَالٍ مَلِكًا دُسْتُورِيًّا لِلْمَمْلَكَةِ.

وَفِي 2 أَيَّارَ 1953م؛ تَسَلَّمَ المَلِكُ الحُسَيْنُ سُلُطَاتِهِ الدُّسْتُورِيَّةَ رَسْمِيًّا _ بِمَا فِي ذَلِكَ حُكْمُ القُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ _ بَعْدَ بُلُوغِهِ سِنَّ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ.

عَامِ 1954م؛ أَمَرَ المَلِكُ الحُسَيْنُ بِتَأْسِيسِ "اللَّجْنَةِ المَلَكِيَّةِ لِإِعْمَارِ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ"، وَانْطَلَقَتْ بِذَلِكَ أُولَى عَمَلِيَّاتِ التَّرْمِيمِ الشَّامِلَةِ لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى.

نَيْسَانَ 1955م؛ جَرَى تَرْسِيمُ حُدُودِ بَلَدِيَّةِ القُدْسِ، وَتَقَرَّرَ تَوْسِيعُ نِطَاقِ خِدْمَاتِهَا لِيَمْتَدَّ إِلَى الأَحْيَاءِ المُتَاخِمَةِ لِلأَسْوَارِ، تَعْزِيزاً لِلْمَرْكَزِ الإِدَارِيِّ وَالتَّنْمَوِيِّ لِلْمَدِينَةِ.

فِي كَانُونِ الثَّانِي مِنْ عَامِ 1960م؛ أَعْلَنَتِ الحُكُومَةُ الأُرْدُنِيَّةُ رَفْعَ المَكَانَةِ الإِدَارِيَّةِ لِلْقُدْسِ فَصَارَتْ «العَاصِمَةَ الثَّانِيَةَ»، فَأَفْضَى ذَلِكَ قَانُوناً إِلَى تَحْوِيلِ بَلَدِيَّتِهَا إِلَى

«**أَمَانَةٍ**»؛ الأَمْرُ الَّذِي رَفَدَهَا بِمِيزَانِيَّاتٍ ضَخْمَةٍ انْعَكَسَتْ جَلِيّاً عَلَى نُمُوِّ أَحْيَاءِ «الشَّيْخِ جَرَّاحٍ» وَ«وَادِي الجَوْزِ»، فَتَحَوَّلَتْ إِلَى مَرَاكِزَ دِبْلُومَاسِيَّةٍ وَسَكَنِيَّةٍ رَاقِيَةٍ.

فِي 28 مِنْ أَيَّارَ 1964م؛ احْتَضَنَ فُنْدُقُ (الأَنْطَرْكُونْتِينِنْتَال) عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ فِي القُدْسِ المُؤْتَمَرَ الوَطَنِيَّ الفِلَسْطِينِيَّ الأَوَّلَ؛ حَيْثُ أُعْلِنَ فِيهِ تَأْسِيسُ «**مُنَظَّمَةِ التَّحْرِيرِ الفِلَسْطِينِيَّةِ**» بِمُبَادَرَةٍ مِنَ الرَّئِيسِ المِصْرِيِّ جَمَال عَبْدِ النَّاصِرِ، وَاخْتِيرَ أَحْمَد الشُّقَيْرِيُّ أَوَّلَ رَئِيسٍ لَهَا، مَعَ صِيَاغَةِ المِيثَاقِ القَوْمِيِّ الفِلَسْطِينِيِّ. وَفِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ، كَانَتْ حَرَكَةُ (فَتْح) قَدْ شَرَعَتْ فِي بِنَاءِ نَشَاطِهَا السِّرِّيِّ بَيْنَ عَامَيِ 1957 وَ1958م فِي الكُوَيْتِ بِقِيَادَةِ يَاسِر عَرَفَات.

فِي عَامِ 1966م؛ تَصَاعَدَتِ المُنَاوَشَاتُ العَسْكَرِيَّةُ عَلَى طُولِ "**الخَطِّ الأَخْضَرِ**" (الحُدُودِ الفَاصِلَةِ بَيْنَ شَطْرَيِ المَدِينَةِ)، وَشَرَعَتْ إِسْرَائِيلُ فِي تَعْزِيزِ تَحْصِينَاتِهَا فِي القُدْسِ الغَرْبِيَّةِ، بَيْنَمَا كَثَّفَ الجَيْشُ الأُرْدُنِيُّ تَوَاجُدَهُ فِي مَعَسْكَرَاتِ "**تَلَّةِ الذَّخِيرَةِ**" وَمُحِيطِ جَبَلِ المَشَارِفِ.

فِي حُزَيْرَانَ مِنْ عَامِ 1967م؛ وَقُبَيْلَ انْدِلَاعِ المَعْرَكَةِ، طَلَبَ رَئِيسُ مِصْرَ جَمَالُ عَبْدِ النَّاصِرِ جَلَاءَ قُوَّاتِ الطَّوَارِئِ الدَّوْلِيَّةِ عَنِ الأَرَاضِي المِصْرِيَّةِ؛ حَيْثُ نَشَرَتْ مِصْرُ قُوَّاتِهَا فِي شِبْهِ جَزِيرَةِ سِينَاءَ، وَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِإِغْلَاقِ مَضَايِقِ تِيرَانَ، لِيُطْبِقَ بِذَلِكَ الحِصَارَ عَلَى مِينَاءِ إِيلَاتَ الإِسْرَائِيلِيِّ الرَّابِضِ عَلَى خَلِيجِ العَقَبَةِ. وَرَغْمَ التَّحْذِيرِ السُّوفْيِيتِيِّ مِنْ هُجُومٍ إِسْرَائِيلِيٍّ وَشِيكٍ عَلَى سُورِيَا، لَمْ تَرْصُدِ الاسْتِخْبَارَاتُ المِصْرِيَّةُ حُشُوداً مُعَادِيَةً، لَكِنَّهَا مَضَتْ فِي تَعْبِئَةِ قُوَاهَا فِي سِينَاءَ، حَيْثُ هَدَّدَ الرَّئِيسُ عَبْدُ النَّاصِرِ فِي خِطَابٍ أَمَامَ الجَمْعِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ "**بِمَحْوِ إِسْرَائِيلَ مِنَ الوُجُودِ**".

حِينَئِذٍ، أَعْلَنَ الأُرْدُنُّ التَّعْبِئَةَ العَامَّةَ، وَدَعَا القُوَّاتِ العِرَاقِيَّةَ لِاتِّخَاذِ مَوَاقِعِهَا عَلَى الجَبْهَةِ، كَمَا وَضَعَتِ السَّعُودِيَّةُ وَالجَزَائِرُ وَالكُوَيْتُ قُوَّاتِهَا تَحْتَ تَصَرُّفِ مِصْرَ، بَيْنَمَا خَاطَبَ الرَّئِيسُ العِرَاقِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَارِفٌ سِلَاحَ جَوِّهِ قَائِلاً "**سَنَلْتَقِي بِإِذْنِ اللهِ فِي تَلِّ أَبِيبَ وَحَيْفَا**". وَإِزَاءَ هَذَا التَّصْعِيدِ، شَنَّتْ إِسْرَائِيلُ هُجُوماً جَوِيّاً صَاعِقاً فِي الخَامِسِ مِنْ حُزَيْرَانَ، دَمَّرَتْ خِلَالَهُ مُعْظَمَ سِلَاحِ الجَوِّ فِي مِصْرَ وَالأُرْدُنِّ وَسُورِيَا،

وَتمَكَّنَتْ مِنَ الِاسْتِيلَاءِ عَلَى قِطَاعِ غَزَّةَ، وَالضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ وَمِنْهَا القُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ، وَمُرْتَفَعَاتِ الجَوْلَانِ، وَسِينَاءَ؛ لِتَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا فِي العَاشِرِ مِنْ حُزَيْرَانَ.

فِي 27 حُزَيْرَانَ 1967م؛ أَصْدَرَ "الْكِنِيسِتُ" الْإِسْرَائِيلِيُّ قَرَاراً بِضَمِّ الْقُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ قَانُونِيّاً وَإِدَارِيّاً، مَعَ إِلْغَاءِ الْقَانُونِ الْأُرْدُنِيِّ فِيهَا، وَتَوْسِيعِ حُدُودِ الْمَدِينَةِ لِتَشْمَلَ مَسَاحَاتٍ شَاسِعَةً مِنَ الضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ. وَقَدْ تَقَرَّرَ الْإِبْقَاءُ عَلَى الْوَقْفِ الْأُرْدُنِيِّ مَسْؤُولاً عَنْ إِدَارَةِ شُؤُونِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَأَوْقَافِ الْقُدْسِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِمُوجِبِ تَرْتِيبَاتٍ خَاصَّةٍ، وَهُوَ مَا لَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ الْمُجْتَمَعُ الدَّوْلِيُّ.

فِي 21 مِنْ أُغُسْطُسَ عَامَ 1969م؛ فُجِعَتِ الدُّوَلُ العَرَبِيَّةُ وَالإِقْلِيمِيَّةُ بِإِحْرَاقِ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى عَلَى يَدِ سَائِحٍ أُسْتُرَالِيٍّ يُدْعَى (دِينِيس مَايْكِل رُوهَانْ)؛ حَيْثُ اسْتَغَلَّ الثَّغَرَاتِ الْأَمْنِيَّةَ لِيُدْخِلَ مَوَادَّهُ الْحَارِقَةَ وَيُشْعِلَ نِيرَانَهُ فِي قَلْبِ الْمَسْجِدِ، فَالْتَهَمَتِ النِّيرَانُ أَجْزَاءً مُهِمَّةً مِنْ مَعَالِمِهِ، كَانَ مِنْ أَفْدَحِهَا خَسَارَةً احْتِرَاقُ (مِنْبَرِ صَلَاحِ الدِّينِ) التَّارِيخِيّ. وَعَلَيْهِ، اتَّهَمَتِ الْهَيْئَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْحُكُومَةَ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ بِالتَّوَاطُؤِ الْمُتَعَمَّدِ فِي مَنْعِ هَذِهِ الْكَارِثَةِ، نَتِيجَةَ تَجَاهُلِ دَوْرِ حُرَّاسِ "الْأَوْقَافِ" فِي حِمَايَةِ الْمَكَانِ.وَقَدِ اسْتَغَلَّتِ الْهَيْئَاتُ الْإِسْلَامِيَّةُ هَذَا الْحَدَثَ لِتَأْسِيسِ (مُنَظَّمَةِ الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيّ) فِي الشَّهْرِ التَّالِي لِلْحَرِيقِ (أَيْلُول 1969م)؛ لِتَكُونَ صَوْتاً مُوَحَّداً لِلدِّفَاعِ عَنِ الْمُقَدَّسَاتِ.

فِي آب1970م؛ عَادَتِ "الْكُولِيرَا" لِتَظْهَرَ بِشَكْلٍ مُفَاجِئٍ فِي الْقُدْسِ وَالضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ؛ مِمَّا اسْتَدْعَى فَرْضَ قُيُودٍ مُشَدَّدَةٍ عَلَى حَرَكَةِ الْأَغْذِيَةِ وَالْخُضْرَوَاتِ. وَقَدْ نُفِّذَتْ حَمَلَاتُ تَطْعِيمٍ مُتَتَابِعَةٌ فِي أَحْيَاءِ الْقُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ؛ حَيْثُ نُصِبَتِ الْخِيَامُ الطِّبِّيَّةُ عِنْدَ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ لِلسَّيْطَرَةِ عَلَى التَّفَشِّي، فِي مَشْهَدٍ أَعَادَ لِلذَّاكِرَةِ مَلَامِحَ "الْكَرَنْتِينَا" التَّارِيخِيَّةِ، لَكِنْ بِأَدَوَاتٍ طِبِّيَّةٍ أَكْثَرَ حَدَاثَةً.

فِي تِشْرِينَ الأَوَّلِ لِعَامِ1973م؛ شَنَّتْ كُلٌّ مِنْ مِصْرَ وَسُورِيَا هُجُومًا مُنَسَّقًا بَاغَتَ إِسْرَائِيلَ فِي يَوْمِ «عِيدِ الغُفْرَانِ». نَجَحَتْ فِيهِ القُوَّاتُ المِصْرِيَّةُ فِي اجْتِيَازِ «خَطِّ بَرْلِيفَ»، وَرَغْمَ هَذَا الِاخْتِرَاقِ الأَوَّلِيِّ، انْتَهَى سَيْرُ المَعَارِكِ لِصَالِحِ إِسْرَائِيلَ مَيْدَانِيًّا

بَعْدَ نَجَاحِهَا فِي حِصَارِ أَجْزَاءٍ وَاسِعَةٍ مِنَ الجَيْشِ المِصْرِيِّ فِيمَا عُرِفَ بِاسْمِ «**الثَّغْرَةِ**».
وَقَدْ تَعَزَّزَ هَذَا التَّفَوُّقُ بِفَضْلِ الدَّعْمِ العَسْكَرِيِّ الأَمْرِيكِيِّ السَّرِيعِ، بَيْنَمَا فَرَضَ العَرَبُ حَظْرًا نَفْطِيًّا عَلَى الغَرْبِ.

وَبَعْدَ تَوَقُّفِ القِتَالِ، جَاءَتْ مُعَاهَدَةُ السَّلَامِ «**اتِّفَاقِيَّةُ كَامْب دِيفِيد**» كَنَتِيجَةٍ لِهَذَا الوَاقِعِ؛ حَيْثُ اسْتَعَادَتْ مِصْرُ أَرَاضِيَهَا فِي سَيْنَاءَ تَدْرِيجِيًّا عَنْ طَرِيقِ المُفَاوَضَاتِ السِّيَاسِيَّةِ لَا الحَسْمِ العَسْكَرِيِّ الشَّامِلِ. وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ عَلَى مَرَاحِلَ زَمَنِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ، مُقَابِلَ إِقَامَةِ عَلَاقَاتٍ سِلْمِيَّةٍ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ. وَمِمَّا اتَّسَمَتْ بِهِ تِلْكَ الحَرْبُ أَنَّ العُمْقَ الإِسْرَائِيلِيَّ وَمُدُنَهُ الكُبْرَى كَالقُدْسِ بَقِيَتْ بَعِيدَةً عَنِ الِاسْتِهْدَافِ المُبَاشِرِ أَوِ الدَّمَارِ النَّاتِجِ عَنِ القَصْفِ.

تِشْرِينَ الثَّانِي عَامَ 1977م؛ أَذْهَلَ الرَّئِيسُ المِصْرِيُّ أَنْوَرُ السَّادَاتِ الدُّوَلَ العَرَبِيَّةَ وَالإِقْلِيمِيَّةَ عِنْدَمَا سَافَرَ إِلَى القُدْسِ وَأَلْقَى خِطَابًا فِي «**الكِنِيسِتِ**» الإِسْرَائِيلِيِّ، مُعْلِنًا عَنْ مُسْتَقْبَلٍ جَدِيدٍ يَقُومُ عَلَى السَّلَامِ. وَجَاءَ ذَلِكَ بَعْدَ نَجَاحِ المُبَادَرَاتِ السِّرِّيَّةِ الَّتِي تَمَّتْ فِي المَغْرِبِ، وَتَلَقِّيهِ دَعْوَةً رَسْمِيَّةً عَبْرَ السَّفَارَةِ الأَمْرِيكِيَّةِ؛ حَيْثُ اسْتُقْبِلَ بِمَرَاسِمَ بُرُوتُوكُولِيَّةٍ رَسْمِيَّةٍ كَأَيِّ رَئِيسِ دَوْلَةٍ، وَكَانَ فِي اسْتِقْبَالِهِ كِبَارُ القَادَةِ الإِسْرَائِيلِيِّينَ. وَقَدْ شَكَّلَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ صَدْمَةً كَبِيرَةً لِلدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ.

آذارُ 1979م؛ تَمَّ تَوْقِيعُ مُعَاهَدَةِ السَّلَامِ المِصْرِيَّةِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ، بِنَاءً عَلَى «**اتِّفَاقِيَّاتِ كَامْب دِيفِيد**» الإِطَارِيَّةِ الَّتِي سَبَقَتْهَا فِي عَامِ 1978م، وَهُوَ أَوَّلُ اتِّفَاقِ سَلَامٍ يُبْرَمُ مَعَ دَوْلَةٍ عَرَبِيَّةٍ.

وَفِي ١٩٧٩/٧/٢٠م، صَدَرَ قَرَارُ مَجْلِسِ الأَمْنِ رَقْمُ٤٥٢، يَقْضِي بِضَرُورَةِ وَقْفِ بِنَاءِ المُسْتَعْمَرَاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ فِي الأَرَاضِي المُحْتَلَّةِ بِمَا فِيهَا القُدْسَ.

30 تَمُّوزَ 1980م؛ صَادَقَ الكِنِيسِتُ الإِسْرَائِيلِيُّ (**البَرْلَمَانُ الإِسْرَائِيلِيُّ**) عَلَى «**قَانُونِ القُدْسِ**»، الَّذِي نَصَّ صَرَاحَةً عَلَى أَنَّ القُدْسَ مُوَحَّدَةٌ وَغَيْرُ مُجَزَّأَةٍ، هِيَ عَاصِمَةُ إِسْرَائِيلَ؛ مِمَّا أَثَارَ رَفْضًا دَوْلِيًّا وَاسِعًا، صَدَرَتْ عَلَى إِثْرِهِ قَرَارَاتٌ صَارِمَةٌ عَنْ مَجْلِسِ الأَمْنِ.

20 آب 1980م؛ صَدَرَ قَرَارُ مَجْلِسِ الأَمْنِ رَقْم 478، الَّذِي أَدَانَ القَانُونَ الإِسْرَائِيلِيَّ وَاعْتَبَرَهُ بَاطِلًا بِمُوجِبِ القَانُونِ الدَّوْلِيّ، وَدَعَا الدُّوَلَ لِسَحْبِ سَفَارَاتِهَا مِنَ المَدِينَةِ، وَهُوَ مَا اسْتَجَابَتْ لَهُ الدُّوَلُ حِينَهَا.

عَامُ 1981م؛ نَجَحَتِ المَمْلَكَةُ الأُرْدُنِيَّةُ الهَاشِمِيَّةُ فِي تَوْثِيقِ «بَلْدَةِ القُدْسِ القَدِيمَةِ وَأَسْوَارِهَا» ضِمْنَ قَائِمَةِ التُّرَاثِ العَالَمِيّ لَدَى «اليُونِسْكُو». ثُمَّ وُضِعَتْ فِي عَامِ 1982م عَلَى قَائِمَةِ «التُّرَاثِ العَالَمِيّ المُعَرَّضِ لِلْخَطَرِ»؛ بَعْدَ اكْتِشَافِ مَا عُرِفَ «بِنَفَقِ الحَشْمُونِيِّينَ»، وَهُوَ مَا يُخَالِفُ مِيثَاقَ الحِفَاظِ عَلَى التُّرَاثِ العَالَمِيّ.

11 نَيْسَانَ 1982م؛ اقْتَحَمَ «آلِي غُوتْمَان» مَسْجِدَ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ وَأَطْلَقَ النَّارَ عَشْوَائِيًّا، مِمَّا أَسْفَرَ عَنْ مَقْتَلِ وَإِصَابَةِ العَشَرَاتِ مِنَ المُصَلِّينَ، وَأَدَّى إِلَى انْدِلَاعِ مَوْجَةِ احْتِجَاجَاتٍ عَنِيفَةٍ فِي المَدِينَةِ.

عَامُ 1984م؛ بَعْدَ اكْتِشَافِ «نَفَقِ الحَشْمُونِيِّينَ» قُرْبَ الجِدَارِ السُّفْلِيّ لِلْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَالمُمْتَدِّ مِنْ (الكُوتِلِ)، ثَارَتْ مَخَاوِفُ كُبْرَى لَدَى الأَوْقَافِ حَوْلَ السَّلَامَةِ الإِنْشَائِيَّةِ لِلْمَسَاجِدِ.

كَانُونُ الأَوَّلِ 1987م؛ انْدَلَعَتِ الانْتِفَاضَةُ الأُولَى «انْتِفَاضَةُ الحِجَارَةِ»، وَكَانَتِ القُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ مَرْكَزَ الحِرَاكِ السِّيَاسِيّ وَالاجْتِمَاعِيّ لِلانْتِفَاضَةِ، حَيْثُ تَحَوَّلَتْ سَاحَاتُ الأَقْصَى وَأَزِقَّةُ المَدِينَةِ القَدِيمَةِ إِلَى مَيَادِينَ لِلْمُواجَهَاتِ اليَوْمِيَّةِ.

31 تَمُّوزَ 1988م؛ أَعْلَنَ المَلِكُ حُسَيْن، مَلِكُ الأُرْدُنّ، «فَكَّ الارْتِبَاطِ» الإِدَارِيّ وَالقَانُونِيّ مَعَ الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ، مَعَ اسْتِثْنَاءِ الوِصَايَةِ الهَاشِمِيَّةِ عَلَى المَقَدَّسَاتِ فِي القُدْسِ.

15 تِشْرِينَ الثَّانِي 1988م؛ أَعْلَنَتْ مُنَظَّمَةُ التَّحْرِيرِ الفِلَسْطِينِيَّةُ فِي الجَزَائِرِ «وَثِيقَةَ الاسْتِقْلَالِ»، الَّتِي نَصَّتْ عَلَى أَنَّ القُدْسَ هِيَ عَاصِمَةُ دَوْلَةِ فِلَسْطِينَ.

فِي تِشْرِينَ الأَوَّلِ 1990م؛ وَقَعَتْ مَذْبَحَةٌ مُرَوِّعَةٌ بَدَأَتْ نَتِيجَةَ اسْتِفْزَازٍ جِدِّيّ مِنْ جَمَاعَةِ « أُمَنَاءِ جَبَلِ الهَيْكَلِ وَأَرْضِ إِسْرَائِيلَ/ נֶאֱמְנֵי הַר הַבַּיִת וְאֶרֶץ יִשְׂרָאֵל» الَّتِي أَعْلَنَتْ نِيَّتَهَا وَضْعَ حَجَرِ الأَسَاسِ لِلْهَيْكَلِ؛ حَيْثُ تَصَدَّى لَهُمُ المُرَابِطُونَ،

فَتَدَخَّلَتِ القُوَّاتُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ بِقُوَّةٍ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى مَقْتَلِ 20 مُوَاطِنًا وَإِصَابَةِ المِئَاتِ، وَعَلَيْهِ أَصْدَرَ مَجْلِسُ الأَمْنِ التَّابِعُ لِلأُمَمِ المُتَّحِدَةِ القَرَارَ رَقْمَ 672.

عَامُ 1990م؛ هَاجَرَ أَكْثَرُ مِنْ مِلْيُونٍ مِنْ يَهُودِ الاِتِّحَادِ السُّوفْيِيتِيِّ السَّابِقِ وَأُسَرِهِمْ إِلَى إِسْرَائِيلَ بَعْدَ انْهِيَارِهِ، حَيْثُ وُجِّهَتْ أَعْدَادٌ ضَخْمَةٌ مِنْهُمْ لِلسَّكَنِ فِي القُدْسِ.

فِي 18 كَانُونِ الثَّانِي 1991م؛ بَدَأَتِ الهَجَمَاتُ الصَّارُوخِيَّةُ العِرَاقِيَّةُ عَلَى إِسْرَائِيلَ بِصَوَارِيخِ «سْكُود» المُعَدَّلَةِ (المَعْرُوفَةِ بِاسْمِ «الحُسَيْنِ»)، بَعْدَ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ بَدْءِ هُجُومِ قُوَّاتِ التَّحَالُفِ الدَّوْلِيِّ عَلَى العِرَاقِ فِي «حَرْبِ الخَلِيجِ الثَّانِيَةِ». وَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ الصَّوَارِيخِ الَّتِي أَطْلَقَهَا الرَّئِيسُ العِرَاقِيُّ صَدَّام حُسَيْن نَحْوَ 42 صَارُوخًا بِاتِّجَاهِ إِسْرَائِيلَ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ تُدَمِّرِ الصَّوَارِيخُ مَبَانِيَ كُبْرَى فِي القُدْسِ مُقَارَنَةً بِتَلْ أَبِيب. إِذْ كَانَ أَدَاءُ مَنْظُومَةِ "بَاتْرِيُوت" مَحَلَّ جَدَلٍ كَبِيرٍ؛ فَرُغْمَ نَجَاحِهَا فِي اعْتِرَاضِ بَعْضِ الصَّوَارِيخِ، إِلَّا أَنَّ الرَّأْسَ الحَرْبِيَّ لِصَارُوخِ "سْكُود" كَانَ غَالِبًا مَا يَنْفَصِلُ وَيَسْقُطُ مَعَ شَظَايَا صَارُوخِ الاِعْتِرَاضِ فَوْقَ المَنَاطِقِ السَّكَنِيَّةِ، مِمَّا ضَاعَفَ مِنَ الأَضْرَارِ المَادِّيَّةِ عَلَى الأَرْضِ، وَتَرَاوَحَتْ بَيْنَ دَمَارٍ كُلِّيٍّ وَجُزْئِيٍّ وَتَحَطُّمٍ لِلنَّوَافِذِ.

أَيْلُولُ ١٩٩٣م؛ تَمَّ تَوْقِيعُ "اتِّفَاقِيَّةِ أُوسْلُو" الأُولَى بَيْنَ إِسْرَائِيلَ وَمُنَظَّمَةِ التَّحْرِيرِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، وَتَبَادُلُ الاِعْتِرَافِ بَيْنَهُمَا. وَقَدْ أُرْجِئَتْ فِيهَا قَضِيَّةُ القُدْسِ إِلَى "مُفَاوَضَاتِ الوَضْعِ النِّهَائِيِّ"، مَعَ بَقَائِهَا تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ الكَامِلَةِ خِلَالَ الفَتْرَةِ الاِنْتِقَالِيَّةِ. وَكَانَ دَوْرُ حَرَكَةِ حَمَاسٍ يَتَلَخَّصُ فِي المُعَارَضَةِ الشَّامِلَةِ وَالجَذْرِيَّةِ لِهَذَا المَسَارِ.

فِي عَامِ ١٩٩٤م؛ تَمَّ تَوْقِيعُ اتِّفَاقِيَّةِ السَّلَامِ مَعَ الأُرْدُنِ "وَادِي عَرَبَةَ"، وَتَأْسِيسُ السُّلْطَةِ الوَطَنِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ فِي غَزَّةَ وَأَرِيحَا. وَقَدْ أَقَرَّتِ الاِتِّفَاقِيَّةُ "دَوْرًا تَارِيخِيًّا خَاصًّا" لِلأُرْدُنِ فِي رِعَايَةِ المُقَدَّسَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ فِي القُدْسِ، مَعَ بَقَاءِ المَدِينَةِ خَارِجَ صَلَاحِيَّاتِ السُّلْطَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ النَّاشِئَةِ.

فِي عَامِ ١٩٩٤م؛ شَهِدَتِ القَضِيَّةُ تَحَوُّلَاتٍ جَذْرِيَّةً فِي المَسَارِ السِّيَاسِيِّ؛ فَبَعْدَ تَوْقِيعِ اتِّفَاقِيَّةِ "وَادِي عَرَبَةَ"، حَرَصَ إِسْحَاقُ رَابِينُ عَلَى الاِلْتِزَامِ بِالْوَضْعِ الْقَائِمِ

وَالاِحْتِفَاظِ بِطَبِيعَةِ السِّيَادَةِ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، بِمَا يَتَمَاشَى مَعَ الدَّوْرِ التَّارِيخِيّ لِلأُرْدُنِّ الَّذِي أَقَرَّتْهُ المُعَاهَدَةُ. وَبِالتَّزَامُنِ مَعَ ذَلِكَ تَمَّ تَأْسِيسُ السُّلْطَةِ الوَطَنِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ فِي غَزَّةَ وَأَرِيحَا، بَقِيَتِ القُدْسُ خَارِجَ صَلَاحِيَّاتِهَا النَّاشِئَةِ، مِمَّا دَفَعَ دَائِرَةَ الأَوْقَافِ لِتَعْزِيزِ حُضُورِهَا المَيْدَانِيّ؛ حَيْثُ أَشَاعَتِ الْأَوْقَافُ هَذَا الاِدِّعَاءَ بِأَنَّ الْهَدَفَ مِنَ الْإِعْمَارِ السَّرِيعِ كَانَ إِحْبَاطَ مُخَطَّطَاتِ بَعْضِ الجَمَاعَاتِ الْيَهُودِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ، الَّتِي كَانَتْ تَنْوِي الْوُصُولَ إِلَى الْمُصَلَّى عَبْرَ شَبَكَةِ الْأَنْفَاقِ (**الْوَهْمِيَّةِ**) لِاسْتِخْدَامِهِ كَكَنِيسٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ إِعْمَارُهُ بِالْكَامِلِ لِلْمُسْلِمِينَ.

عَامُ ١٩٩٤م؛ فِي بِدَايَةِ هَذَا العَامِ، أَوْفَدَ يَاسِرُ عَرَفَاتُ كَتِيبَةً خَاصَّةً بِمُوجِبِ قَرَارٍ خَطِيرٍ؛ لِجَلْبِ رُعَاةِ الطَّوَائِفِ وَالكَنَائِسِ المَسِيحِيَّةِ مِنْ بُيُوتِهِمْ لَيْلًا، كُلًّا عَلَى انْفِرَادٍ، وَسَوْقِهِمْ إِلَى مَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ فِي المَنَاطِقِ الخَاضِعَةِ لِسُلْطَتِهِ، وَمِنْ بَيْنِهَا مَنَاطِقُ تَابِعَةٌ لِلْقُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ؛ حَيْثُ أَجْبَرَهُمْ عَلَى التَّوْقِيعِ عَلَى مَا يُسَمَّى "**العُهْدَةِ العُمَرِيَّةِ**" الخَاصَّةِ بِأَهْلِ الذِّمَّةِ؛ لِكَيْلَا يَتَسَنَّى لِأَيٍّ مِنْهُمْ فِي المُسْتَقْبَلِ المُطَالَبَةُ بِالرِّئَاسَةِ أَوِ الحُكْمِ، وِفْقَ مَا هُوَ مُتَدَاوَلٌ فِي الدُّوَلِ الإِسْلَامِيَّةِ.

أَيْلُولُ ١٩٩٦م؛ انْدَلَعَتْ مُوَاجَهَاتٌ عَنِيفَةٌ فِي البَلْدَةِ القَدِيمَةِ، وَامْتَدَّتْ لِتَشْمَلَ كَافَّةَ أَنْحَاءِ الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ؛ عَقِبَ افْتِتَاحِ وِزَارَةِ الآثَارِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ "**نَفَقِ بَابِ بَارْكْلِي**". وَهُوَ نَفَقٌ يَتَكَوَّنُ مِنْ مَمَرَّاتٍ مَكْشُوفَةٍ فِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ، يَبْدَأُ مِنْ مِنْطَقَةِ (**الكُوتِلِ**) مُرُوراً بِمُحَاذَاةِ الجِدَارِ القَدِيمِ لِلهَيْكَلِ الَّذِي نُهِضَ عَلَيْهِ أَسْوَارُ المَسْجِدِ الأَقْصَى، حَتَّى يَنْفُذَ خَارِجاً إِلَى طَرِيقِ (**الآلَامِ**).

عَامُ ١٩٩٩م؛ قَامَتْ دَائِرَةُ الْأَوْقَافِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِأَعْمَالِ حَفْرٍ وَتَوْسِعَةٍ لِفَتْحِ مَدَاخِلَ جَدِيدَةٍ لِلْمُصَلَّى الْمَرْوَانِيّ دُونَ تَنْسِيقٍ مُسْبَقٍ مَعَ سُلُطَاتِ الْآثَارِ؛ بِحُجَّةِ تَسْهِيلِ دُخُولِ الْمُصَلِّينَ وَتَوْفِيرِ التَّهْوِيَةِ اللَّازِمَةِ. وَهُوَ مَا اعْتَبَرَتْهُ جِهَاتٌ عَدِيدَةٌ تَخْرِيباً مُتَعَمَّداً لِلْمَعَالِمِ التَّارِيخِيَّةِ وَالْأَثَرِيَّةِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ، لَا سِيَّمَا بَعْدَ فَتْحِ بَوَّابَتَيْنِ عِمْلَاقَتَيْنِ تَنْفُذَانِ إِلَى عُمْقِ الْمُصَلَّى.

فِي 28 أَيْلُولَ 2000م؛ انْدَلَعَتِ الِانْتِفَاضَةُ الثَّانِيَةُ «انْتِفَاضَةُ الْأَقْصَى»؛ إِثْرَ قِيَامِ أَرِئِيلَ شَارُونَ زَعِيمِ الْمُعَارَضَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ آنَذَاكَ بِزِيَارَةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهِيَ الِانْتِفَاضَةُ الَّتِي دَامَتْ خَمْسَ سَنَوَاتٍ.

آذَارُ ٢٠٠٢م؛ أَطْلَقَتْ إِسْرَائِيلُ عَمَلِيَّةَ «الدِّرْعِ الْوَاقِي» فِي الضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ. وَفِي حُزَيْرَانَ مِنْ ذَاتِ الْعَامِ، بَدَأَ بِنَاءُ الْجِدَارِ الْعَازِلِ لِيَشْمَلَ أَجْزَاءً مِنْ قُرَى مَدِينَةِ الْقُدْسِ.

فِي عَامِ 2004م؛ رُصِدَ نُتُوءٌ إِنْشَائِيٌّ فِي السُّورِ الْجَنُوبِيِّ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَتَحْدِيداً فِي الْجِهَةِ الْمُحَاذِيَةِ لِلْمُصَلَّى الْمَرْوَانِيِّ؛ وَقَدْ أَوْرَدَتْ دَائِرَةُ الْأَوْقَافِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي بَيَانَاتِهَا أَنَّ السُّلُطَاتِ الْإِسْرَائِيلِيَّةَ تَتَحَمَّلُ الْمَسْؤُولِيَّةَ عَنْ هَذَا التَّصَدُّعِ.

فِي تِشْرِينَ الثَّانِي 2004م؛ سَادَ التَّأَثُّرُ أَوْسَاطَ الْمَقْدِسِيِّينَ إِثْرَ وَفَاةِ يَاسِرَ عَرَفَاتَ، حَيْثُ شَهِدَتِ الْبَلْدَةُ الْقَدِيمَةُ أَدَاءَ صَلَوَاتِ الْغَائِبِ وَانْطِلَاقَ مَسِيرَاتٍ عَفْوِيَّةٍ، فِي ظِلِّ إِجْرَاءَاتٍ أَمْنِيَّةٍ مُشَدَّدَةٍ.

عَامُ 2006م؛ أُجْرِيَتِ الِانْتِخَابَاتُ التَّشْرِيعِيَّةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ، وَمَا تَلَاهَا مِنْ بُرُوزِ أَزْمَةِ «نُوَّابِ الْقُدْسِ»، حَيْثُ أَقْدَمَتِ السُّلُطَاتُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ عَلَى سَحْبِ إِقَامَاتِ عَدَدٍ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ السِّيَاسِيَّةِ الْمَقْدِسِيَّةِ.

عَامُ 2009م؛ احْتَفَتِ الْمُنَظَّمَةُ الْعَرَبِيَّةُ لِلتَّرْبِيَةِ وَالثَّقَافَةِ وَالْعُلُومِ (أَلِكْسُو)، التَّابِعَةُ لِجَامِعَةِ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ، بِاخْتِيَارِ الْقُدْسِ عاصِمَةً لِلثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

فِي عَامِ 2010م؛ افْتَتَحَتْ وِزَارَةُ الْإِسْكَانِ بِالتَّعَاوُنِ مَعَ مَكْتَبِ الْآثَارِ فِي الْقُدْسِ «كَنِيسَ الْخَرَابِ» فِي الْحَيِّ الْيَهُودِيِّ بَعْدَ إِعَادَةِ بِنَائِهِ؛ وَقَدِ اعْتَبَرَهُ سُكَّانُ الْمِنْطَقَةِ رَمْزاً لِتَغْيِيرِ الْهُوِيَّةِ الْبَصَرِيَّةِ لِلْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، مِمَّا أَدَّى إِلَى انْدِلَاعِ مَوَاجَهَاتٍ عُرِفَتْ بِيَوْمِ الْغَضَبِ.

فِي عَامِ 2013م وَقَّعَ الْمَلِكُ عَبْدُ اللهِ الثَّانِي وَالرَّئِيسُ الْفِلَسْطِينِيُّ مَحْمُودُ عَبَّاسٍ فِي عَمَّانَ بِتَارِيخِ 2013/3/31م، اتِّفَاقِيَّةً تَارِيخِيَّةً "الْوِصَايَةِ الْهَاشِمِيَّةِ"، أَعَادَ فِيهَا الرَّئِيسُ عَبَّاسٌ التَّأْكِيدَ عَلَى أَنَّ جَلَالَةَ الْمَلِكِ هُوَ صَاحِبُ الْوِصَايَةِ عَلَى

الْمُمْتَلَكَاتِ الْوَقْفِيَّةِ التَّابِعَةِ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فِي الْقُدْسِ، وَلَهُ الْحَقُّ فِي بَذْلِ جَمِيعِ الْجُهُودِ الْقَانُونِيَّةِ لِلْحِفَاظِ عَلَيْهَا، وَتَهْدِفُ بِدَوْرِهَا حِمَايَةَ مِئَاتِ الْمُمْتَلَكَاتِ الْوَقْفِيَّةِ التَّابِعَةِ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. وَهِيَ امْتِدَادٌ لِاتِّفَاقِيَّةِ الْوِصَايَةِ الْهَاشِمِيَّةِ عَلَى الْأَمَاكِنِ الْمُقَدَّسَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ مُنْذُ بَيْعَةِ 1924م.

تَمُّوزُ 2014م؛ أَقْدَمَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمُسْتَوْطِنِينَ عَلَى اخْتِطَافِ وَقَتْلِ الْفَتَى (**مُحَمَّدِ أَبُو خُضَيْرٍ**) فِي الْقُدْسِ؛ وَقَدْ جَاءَ هَذَا الْحَادِثُ فِي أَعْقَابِ مَقْتَلِ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمُسْتَوْطِنِينَ فِي (**غُوش عِتْصِيُونَ**) بِالضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، مِمَّا أَشْعَلَ مَوْجَةً مِنَ الْمُوَاجَهَاتِ الْعَنِيفَةِ الَّتِي امْتَدَّتْ إِلَى جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْمَدِينَةِ.

تِشْرِينُ الْأَوَّلِ 2015م؛ انْدَلَعَتِ انْتِفَاضَةُ الْقُدْسِ بَعْدَ أَنْ بَدَأَتْ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ عَمَلِيَّاتِ الطَّعْنِ وَالْمُوَاجَهَاتِ الْفَرْدِيَّةِ، تَرَكَّزَتْ مُعْظَمُهَا عِنْدَ «**بَابِ الْعَامُودِ**» وَ«**شَارِعِ الْوَادِ**»؛ حِينَهَا حَوَّلَتْ إِسْرَائِيلُ الْبَلْدَةَ الْقَدِيمَةَ إِلَى «**ثُكْنَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ**» وَنَشَرَتْ آلَافَ الْكَامِيرَاتِ الذَّكِيَّةِ.

تِشْرِينُ الْأَوَّلِ 2016م؛ صَدَرَ قَرَارُ مُنَظَّمَةِ «**الْيُونِسْكُو**» الَّذِي أَكَّدَ نَفْيَ وُجُودِ ارْتِبَاطٍ دِينِيٍّ لِلْيَهُودِ فِي سَاحَةِ الْأَقْصَى، مُؤَكِّدًا أَنَّ الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى هُوَ مَكَانٌ مُقَدَّسٌ لِلْمُسْلِمِينَ خَالِصٌ، وَأَنَّ «**حَائِطَ الْبُرَاقِ**» جُزْءٌ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْهُ، مِمَّا أَثَارَ جَدَلاً دَوْلِيّاً وَاسِعاً؛ وَذَلِكَ بِطَلَبٍ مِنْ سَبْعِ دُوَلٍ عَرَبِيَّةٍ (مِصْرَ، وَالْجَزَائِرِ، وَالْمَغْرِبِ، وَعُمَانَ، وَلُبْنَانَ، وَقَطَرَ، وَالسُّودَانِ) نِيَابَةً عَنْ فِلَسْطِينَ وَبِتَنْسِيقٍ مَعَ الْأُرْدُنِّ، وَبِدَعْمٍ مِنَ الدُّوَلِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

فِي عَامِ ٢٠١٧م؛ أَعْلَنَتِ الْوِلَايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ الْأَمْرِيكِيَّةُ اعْتِرَافَهَا الرَّسْمِيَّ بِالْقُدْسِ عَاصِمَةً لِإِسْرَائِيلَ، وَأَعْقَبَتْ ذَلِكَ بِنَقْلِ سِفَارَتِهَا مِنْ تَلِّ أَبِيبَ إِلَيْهَا فِي أَيَّارَ ٢٠١٨م؛ مِمَّا أَثَارَ مَوْجَةً مِنَ الِاحْتِجَاجَاتِ وَالْغَضَبِ الدَّوْلِيِّ، وَقُوبِلَ بِتَنْدِيدٍ فِلَسْطِينِيٍّ رَسْمِيٍّ وَشَعْبِيٍّ حَاشِدٍ. وَمِنْ ثَمَّ، تَصَاعَدَتْ حِدَّةُ التَّوَتُّرَاتِ وَالْمُوَاجَهَاتِ بِصُورَةٍ دَوْرِيَّةٍ وَمُكَثَّفَةٍ، لَا سِيَّمَا فِي نِطَاقِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

فِي شُبَاطَ ٢٠١٩م؛ أَعَادَ الْمُصَلُّونَ فَتْحَ مُصَلَّى بَابِ الرَّحْمَةِ الَّذِي ظَلَّ مُغْلَقًا مُنْذُ عَامِ ٢٠٠٣م؛ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنِ اتَّخَذَتْهُ لَجْنَةُ التُّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ مَقَرًّا لَهَا لِمُمَارَسَةِ نَشَاطَاتِهَا السِّيَاسِيَّةِ. وَعَقِبَ فَتْحِهِ، بَاشَرَ الْمُتَطَوِّعُونَ فَوْرَ دُخُولِهِ أَعْمَالَ تَنْظِيفِهِ وَتَرْمِيمِهِ لِتَهْيِئَتِهِ لِإِقَامَةِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ.

حَزِيرَانُ ٢٠١٩م؛ تَمَّ افْتِتَاحُ "طَرِيقِ الْحُجَّاجِ" عَبْرَ نَفَقٍ ضَخْمٍ يَمْتَدُّ مِنْ بِرْكَةِ سِلْوَانَ التَّارِيخِيَّةِ لِيَصِلَ إِلَى مِنْطَقَةِ "قَوْسِ رُوبِنْسُون" قُرْبَ الْكُوتِلِ .

فِي آذَارَ 2020م ؛اجْتَاحَتْ جَائِحَةُ "كُورُونَا" الْعَالَمَ بِأَكْمَلِهِ؛ مِمَّا فَرَضَ حَالَةً مِنَ الْهُدُوءِ الْقَسْرِيِّ. وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُنْذُ مِئَاتِ السِّنِينَ، أُغْلِقَتِ الْأَمَاكِنُ الْمُقَدَّسَةُ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ أَمَامَ الْمُصَلِّينَ لِفَتَرَاتٍ طَوِيلَةٍ بَلَغَتْ نَحْوَ سَبْعِينَ يَوْماً فِي الْإِغْلَاقِ الْأَوَّلِ؛ لِلْحَدِّ مِنْ تَفَشِّي الْفَيْرُوسِ، وَهُوَ حَدَثٌ تَارِيخِيٌّ نَادِرٌ.

أَيَّار٢٠٢١م؛ انْدَلَعَتْ أَحْدَاثُ حَيِّ "الشَّيْخِ جَرَّاحٍ" فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالَّتِي بَدَأَتْ عِنْدَ "بَابِ الْعَامُودِ"، ثُمَّ تَوَسَّعَتْ وَتَفَاقَمَتْ لِتُفْضِيَ إِلَى مُوَاجَهَةٍ عَسْكَرِيَّةٍ فِي قِطَاعِ غَزَّةَ؛ أَطْلَقَتْ عَلَيْهَا "كَتَائِبُ الْقَسَّامِ" الْجَنَاحُ الْعَسْكَرِيُّ لِحَرَكَةِ حَمَاسَ اسْمَ "سَيْفِ الْقُدْسِ"؛ تَأْكِيدًا عَلَى أَنَّ مِحْوَرَ الصِّرَاعِ هُوَ الدِّفَاعُ عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ. فِي الْمُقَابِلِ، أَطْلَقَ الْجَيْشُ الْإِسْرَائِيلِيُّ عَلَى تِلْكَ الْعَمَلِيَّةِ اسْمَ "حَارِسِ الْأَسْوَارِ"، وَقَدْ رَافَقَتْ ذَلِكَ اشْتِبَاكَاتٌ وَاسِعَةٌ فِي أَزِقَّةِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ.

فِي كَانُونَ الْأَوَّلِ ٢٠٢٢م؛ تَشَكَّلَتِ الْحُكُومَةُ الْإِسْرَائِيلِيَّةُ الْأَكْثَرُ يَمِينِيَّةً بِرِئَاسَةِ "بِنْيَامِينَ نَتَنْيَاهُو"، وَبَرَزَ دَوْرُ " إِيتْمَارَ بْنِ غَفِيرَ" فِي تَغْيِيرِ الْوَاقِعِ الْمَيْدَانِيِّ بِالْقُدْسِ، وُصُولًا إِلَى أَحْدَاثِ السَّابِعِ مِنْ تِشْرِينِ الْأَوَّلِ ٢٠٢٣م، وَمَا تَبِعَهَا مِنْ إِغْلَاقٍ مُطْبِقٍ لِمَدِينَةِ الْقُدْسِ، وَتَشْدِيدَاتٍ أَمْنِيَّةٍ صَارِمَةٍ.

فِي السَّابِعِ مِنْ تِشْرِينَ الْأَوَّلِ عَامَ ٢٠٢٣م؛ هُجُومُ "طُوفَانِ الْأَقْصَى" الَّذِي شَنَّتْهُ حَرَكَةُ حَمَاسَ الْإِرْهَابِيَّةِ الْمَدْعُومَةِ عَسْكَرِيّاً وَمَالِيّاً مِنْ إِيرَانَ وَعَبْرَ شَبَكَةٍ دُوَلِيَّةٍ لِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ. وَقَدْ أَسْفَرَ الْهُجُومُ عَنْ مَقْتَلِ أَكْثَرَ مِنْ ١٢٠٠ شَخْصٍ دَاخِلَ الْأَرَاضِي الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَبَلَغَتِ الْفَظَاعَةُ ذِرْوَتَهَا بِمَقْتَلِ نَحْوِ ٤٠ طِفْلاً، بَيْنَهُمْ رُضَّعٌ تَعَرَّضُوا

لِلتَّنْكِيلِ وَالْقَتْلِ الْبَشِعِ؛ كَانَ مِنْ بَيْنِهِمُ الرَّضِيعَةُ "مِيلَا كُوهِين" الْبَالِغَةُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ،الَّتِي قُتِلَتْ فِي كِيبُوتس "بئيري". كَمَا وَثَّقَتْ ذَلِكَ مَقَاطِعُ الْفِيدِيُو وَشَهَادَاتُ فِرَقِ الْإِنْقَاذِ "زَاكَا" _זק"א - تَشْخِيصُ ضَحَايَا الْكَوَارِثِ_، الَّتِي عَايَنَتْ مَشَاهِدَ قَاسِيَةً لِأَطْفَالٍ فُصِلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَنْ أَجْسَادِهِمْ، وَبَدَتْ عَلَيْهِمْ آثَارُ عُنْفٍ مَفْرِطٍ. كَمَا تَمَّ اقْتِيَادُ نَحْوِ ٢٥١ رَهِينَةً إِلَى غَزَّةَ، مِنْ بَيْنِهِمْ عَرَبٌ إِسْرَائِيلِيُّونَ؛ حَيْثُ كَانَ مِنْ ضِمْنِ إِجْمَالِيّ الْقَتْلَى نَحْوُ ٧٥ شَخْصٌ مِنْ حَمَلَةِ هُوِيَّةِ الْقُدْسِ، بَيْنَمَا بَلَغَ عَدَدُ مَنْ تعَرَّضُوا لِلْأَسْرِ مِنْهُمْ مَا يُقَارِبُ ١٢ شَخْصاً.

أَدَّتْ هَذِهِ الْأَحْدَاثُ إِلَى تَصْعِيدٍ عَسْكَرِيٍّ وَاسِعٍ مِنْ قِبَلِ جَيْشِ الدِّفَاعِ الْإِسْرَائِيلِيِّ عَلَى قِطَاعِ غَزَّةَ، تَحْتَ اسْمِ عَمَلِيَّةِ "السُّيُوفِ الْحَدِيدِيَّةِ"؛ حَيْثُ شَنَّ هُجُوماً جَوِّيّاً وَبَرِّيّاً عَنِيفاً أَفْضَى إِلَى دَمَارٍ هَائِلٍ فِي الْبِنْيَةِ التَّحْتِيَّةِ لِلْقِطَاعِ، بِهَدَفِ تَقْوِيضِ قُدُرَاتِ حَمَاسَ الْعَسْكَرِيّ وَاسْتِعَادَةِ الرَّهَائِنِ. وَقَدْ نَتَجَتْ عَنِ الْحَرْبِ أَزْمَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ وُصِفَتْ بِالْكَارِثِيَّةِ، وَأَثَارَتْ تَفَاعُلَاتٍ دُوَلِيَّةً جَسِيمَةً بَيْنَ مُؤَيِّدٍ لِلْعَمَلِيَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ بِاعْتِبَارِهَا حَقّاً فِي "الدِّفَاعِ عَنِ النَّفْسِ"، وَبَيْنَ مُنَدِّدٍ بِحَجْمِ الضَّحَايَا الْمَدَنِيِّينَ وَمُطَالِبٍ بِوَقْفِ إِطْلَاقِ النَّارِ لِدَوَاعٍ إِنْسَانِيَّةٍ.

عَامُ 2024م؛ اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الصِّرَاعِ لِتَشْمَلَ الموَاجَهَةَ مَعَ «حِزْبِ اللهِ» بِشَكْلٍ وَاسِعٍ فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى مُواجَهَاتٍ مُبَاشِرَةٍ غَيْرِ مَسْبُوقَةٍ مَعَ إِيرَانَ وَاليَمَنِ، عَبْرَ تَبَادُلِ الرَّشَقَاتِ الصَّارُوخِيَّةِ الَّتِي طَالَتْ أَنْحَاءَ إِسْرَائِيلَ كَافَّةً، وَكَانَ لِلقُدْسِ أَيْضاً نَصِيبٌ مِنْهَا.

مِمَّا أَثَارَ غَضَبَ جَيْشِ الدِّفَاعِ الإِسْرَائِيلِيِّ أَنْ أَرْسَلَ وَحَدَاتِهِ الخَاصَّةَ إِلَى قَلْبِ عُمْقِ إِيرَانَ، حَتَّى أُنْهِيتِ الحَرْبُ عَلَى كُلِّ الجَبَهَاتِ.وَيُسَجِّلُ التَّارِيخُ أَنَّ هَذِهِ العَمَلِيَّاتِ النَّوعِيَّةَ لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ رَدِّ فِعْلٍ عَسْكَرِيٍّ، بَلْ كَانَتْ «زِلْزَالاً إِسْتِرَاتِيجِيّاً» أَعَادَ صِيَاغَةَ مَوَازِينِ القُوَى فِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ. فَقَدْ نَفَّذَتْ نُخْبَةُ «الكوماندوز» الإِسْرَائِيلِيِّ سِلْسِلَةً مِنَ الضَّرَبَاتِ الخَاطِفَةِ الَّتِي اسْتَهْدَفَتْ رُؤُوسَ الهَرَمِ القِيَادِيِّ، وَمُنْشَآتِ

الطَّاقَةِ، وَالتَّصْنِيعِ العَسْكَرِيّ فِي طِهْرَانَ وَأَصْفَهَانَ، مِمَّا أَصَابَ مِحْوَرَ المُقَاوَمَةِ بِحَالَةٍ مِنَ الشَّلَلِ التَّامّ.

وَمَعَ انْهِيَارِ نِظَامِ القِيَادَةِ وَالسَّيْطَرَةِ فِي المَرْكَزِ، تَهَاوَتْ الجَبَهَاتُ المُرْتَبِطَةُ بِهِ تِبَاعاً؛ فَوَجَدَ «حِزْبُ اللهِ» نَفْسَهُ مَعْزُولاً فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ دُونَ إِمْدَادٍ أَوْ غِطَاءٍ، وَتَلاشَتْ تَهْدِيدَاتُ الحُوثِيّينَ بَعْدَ تَجْفِيفِ مَنَابِعِ دَعْمِهِمْ.وَبِذَلِكَ، عَرَفَتْ المِنْطَقَةُ حَالَةً مِنَ «السُّكُونِ القَسْرِيّ»؛ فَالقُدْسُ الَّتِي كَانَتْ مَحَلَّ اسْتِهْدَافٍ، صَارَتْ تَنْعَمُ بِهُدُوءٍ نَاتِجٍ عَنْ فِرَاغِ القُوَّةِ لَدَى الخُصُومِ، لَا عَنْ صَفَاءِ النَّوَايَا. لَقَدْ كَانَ خِتَامُ هَذَا الفَصْلِ إِعْلَاناً لِسُقُوطِ مَشْرُوعِ «تَصْدِيرِ الثَّوْرَةِ» تَحْتَ وَطْأَةِ الوُصُولِ الإِسْرَائِيلِيّ المِبْضَعِيّ إِلَى مَرَاكِزِ صُنْعِ القَرَارِ فِي طِهْرَانَ.

الْهَزَّاتُ الْأَكْثَرُ عُنْفًا فِي مَدِينَةِ الْقُدْسِ

عَبْرَ آلَافِ السِّنِينَ، تَبَيَّنَ أَنَّ مَدِينَةَ الْقُدْسِ قَدْ تَعَرَّضَتْ لِدَوْرَةٍ زِلْزَالِيَّةٍ نَشِطَةٍ كُلَّ مِائَةِ عَامٍ تَقْرِيباً؛ فَهَذِهِ الْهَزَّاتُ الْأَكْثَرُ عُنْفاً لَمْ تُغَيِّرْ فَقَطْ فِي مَعَالِمِ الْمَدِينَةِ، بَلْ أَعَادَتْ صِيَاغَةَ تَارِيخِهَا الْعُمْرَانِيّ، حَيْثُ كَانَ كُلُّ دَمَارٍ تَعْقُبُهُ حَرَكَةُ تَرْمِيمٍ وَبِنَاءٍ تُضِيفُ طَبَقَةً جَدِيدَةً إِلَى هَوِيَّةِ الْمَدِينَةِ.

1. زِلْزَالُ عَامِ 31 قَبْلَ الْمِيلَادِ؛ وَقَعَ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ، خِلَالَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِنْ حُكْمِ الْمَلِكِ هِيرُودُسَ. وَيُقَدِّرُ عُلَمَاءُ الْجِيُولُوجِيَا الْيَوْمَ قُوَّتَهُ بِحَوَالَيْ سَبْعِ دَرَجَاتٍ عَلَى مِقْيَاسِ "رِيخْتَرَ"، حَيْثُ كَانَ مَرْكَزُهُ فِي صَدْعِ وَادِي الْأُرْدُنِّ عِنْدَ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ. ضَرَبَ هَذَا الزِّلْزَالُ الْمُدَمِّرُ مَمْلَكَةَ يَهُودَا، فَزَعْزَعَ أَرْكَانَ الْأَبْنِيَةِ فِي أُورْشَلِيمَ، وَأَلْحَقَ أَضْرَاراً جَسِيمَةً بِهَيْكَلِ "زَرُبَابِلَ" الْقَدِيمِ. وَقَدْ ظَلَّتْ تِلْكَ التَّصَدُّعَاتُ شَاهِدَةً عَلَى وَهَنِ الْبِنَاءِ، حَتَّى جَاءَ عَامُ عِشْرِينَ قَبْلَ الْمِيلَادِ؛ حِينَمَا اتَّخَذَ "هِيرُودُسُ" مِنْ ذَلِكَ التَّدَاعِي الْإِنْشَائِيِّ ذَرِيعَةً لِيَبْدَأَ أَعْظَمَ مَشْرُوعٍ مِعْمَارِيٍّ فِي تَارِيخِ الْمَدِينَةِ، مُسْتَهْدِفاً بِنَاءَ صَرْحٍ يَتَحَدَّى قُوَّةَ الطَّبِيعَةِ وَيُثَبِّتُ أَرْكَانَ حُكْمِهِ.
2. زِلْزَالُ عَامِ 27 م؛ وَقَعَ هَذَا الزِّلْزَالُ فِي أُورْشَلِيمَ تَزَامُناً مَعَ صَلْبِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ النَّاصِرِيِّ؛ حَيْثُ تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ بِشَكْلٍ عَنِيفٍ، وَتَشَقَّقَتِ الصُّخُورُ، وَتَفَتَّحَتِ الْقُبُورُ فِي الْمَنَاطِقِ الْمُجَاوِرَةِ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ فِي أُورْشَلِيمَ إِلَى نِصْفَيْنِ مِنَ الْأَعْلَى إِلَى الْأَسْفَلِ. وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ مِنَ الْهَزَّةِ الْأُولَى، تَزَلْزَلَتِ الْأَرْضُ ثَانِيَةً.
3. زِلْزَالُ عَامِ 68 م؛ وَقَعَ هَذَا الزِّلْزَالُ أَثْنَاءَ "الثَّوْرَةِ الْيَهُودِيَّةِ الْكُبْرَى" ضِدَّ الرُّومَانِ. وَقَدْ وَصَفَهُ الْمُؤَرِّخُ "يُوسِيفُوس فَلَافِيُوس" فِي كِتَابِهِ "حُرُوبُ الْيَهُودِ" بِأَنَّهُ عَاصِفَةٌ رَهِيبَةٌ رَافَقَهَا زِلْزَالٌ عَنِيفٌ ضَرَبَ أُورْشَلِيمَ لَيْلاً؛ وَذَكَرَ أَنَّ الْأَرْضَ

تَزَلْزَلَتْ بِقُوَّةٍ، مِمَّا أَثَارَ الرُّعْبَ فِي نُفُوسِ الْمُحَاصَرِينَ دَاخِلَ الْمَدِينَةِ وَخَارِجَهَا، وَاعْتُبِرَتْ تِلْكَ الْهَزَّةُ آنَذَاكَ نَذِيرَ شُؤْمٍ لِمَا سَيَحْدُثُ لِلْمَدِينَةِ فِي عَامِ سَبْعِينَ مِيلَادِيًّا.

4. زِلْزَالُ عَامِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلَادِيًّا؛ وَقَعَ هَذَا الزِّلْزَالُ بَعْدَ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ مِنَ الزِّلْزَالِ السَّابِقِ، وَيُعَدُّ امْتِدَادًا لِحَالَةِ عَدَمِ الِاسْتِقْرَارِ فِي الصَّدْعِ الأَرْضِيِّ؛ مِمَّا أَدَّى إِلَى انْهِيَارِ أَجْزَاءٍ مِنْ أَسْوَارِ الْقُدْسِ الْمُتَهَالِكَةِ، وَتَسَبَّبَ فِي تَصَدُّعِ الْمَنَازِلِ فِي "الْحَيِّ الشَّرْقِيِّ" لِلْمَدِينَةِ. وَتُظْهِرُ عَيِّنَاتُ الرَّوَاسِبِ فِي قَاعِ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ اضْطِرَابًا شَدِيدًا فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ الزَّمَنِيَّةِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ جَسَامَةَ الزِّلْزَالِ الَّذِي قَدْ تَتَجَاوَزُ سِتَّ دَرَجَاتٍ وَنِصْفًا عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَرَ.

5. وَقَعَ زِلْزَالٌ مُدَمِّرٌ وَشَدِيدٌ يَوْمَ التَّاسِعِ مِنْ أَيَّارَ لِعَامِ ثَلَاثِمِائَةٍ وَثَلَاثَةٍ وَسِتِّينَ مِيلَادِيًّا؛ وَامْتَدَّتْ آثَارُهُ مِنْ مِنْطَقَةِ الْجَلِيلِ شَمَالًا حَتَّى خَلِيجِ الْعَقَبَةِ جَنُوبًا، وَتَسَبَّبَ بِدَمَارِ مُعْظَمِ الْبَتْرَاءِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَضْرَارٍ كَبِيرَةٍ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمُدُنِ مِثْلِ جَرَشَ وَجَدَرَاءَ شَمَالَ الْأُرْدُنِّ، إِلَى جَانِبِ الْعَدِيدِ مِنَ الْمَعَالِمِ فِي مَدِينَةِ إِلْيَا كَابِيتُولِينَا "الْقُدْسِ".

6. وَقَعَ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ أَيَّارَ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِيلَادِيًّا؛ حَيْثُ تَنُصُّ السِّجِلَّاتُ التَّارِيخِيَّةُ عَلَى أَنَّ زِلْزَالَ أَنْطَاكِيَةَ قَدِ امْتَدَّتْ آثَارُهُ لِتُسَبِّبَ أَضْرَاراً فِي جُدْرَانِ وَأَسْوَارِ مَدِينَةِ إِيلْيَا كَابِيتُولِينَا، بَعْدَ أَنْ شَعَرَ بِهِ سُكَّانُهَا بِقُوَّةٍ. وَتُشِيرُ التَّقْدِيرَاتُ إِلَى أَنَّ عَدَدَ الْقَتْلَى بَلَغَ نَحْوَ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ أَلْفَ شَخْصٍ فِي أَنْطَاكِيَةَ وَمَا حَوْلَهَا، وَقَدْ أَعْقَبَ الْهَزَّةَ حَرِيقٌ هَائِلٌ دَمَّرَ مُعْظَمَ مَا تَبَقَّى مِنَ الْمَبَانِي هُنَاكَ.

7. فِي أَيْلُولَ لِعَامِ سِتِّمِائَةٍ وَأَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَادِيًّا؛ وَفْقاً لِلْمُؤَرِّخِ الْبِيزَنْطِيِّ ثِيُوفَانِيسَ، أَلْحَقَ هَذَا الزِّلْزَالُ دَمَاراً بِأَبْنِيَةِ إِيلْيَا كَابِيتُولِينَا؛ وَقَدْ أَحْدَثَ ضَجِيجاً عَالِياً تَرَكَ آثَارَهُ فِي بَيْسَانَ أَيْضاً، وَارْتَفَعَتْ مِنْهُ سَحَابَةٌ كَثِيفَةٌ مِنَ الضَّبَابِ وَالْغُبَارِ اسْتَمَرَّتْ ثَلَاثِينَ يَوْماً، كَمَا تَفَشَّى وَبَاءٌ بَعْدَ انْقِشَاعِهَا.

8. زِلْزَالُ عَامِ سِتِّمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَخَمْسِينَ مِيلَادِيًّا؛ أَصَابَ هَذَا الزِّلْزَالُ الْمُدَمِّرُ مَدِينَةَ إِيلْيَا كَابِيتُولِينَا، حَيْثُ وَقَعَتْ هَذِهِ الْكَبْوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، مُخَلِّفَةً أَضْرَاراً وَاسِعَةً فِي أَرْجَاءِ الْمَدِينَةِ.

9. زِلْزَالُ الثَّامِنَ عَشَرَ مِنْ كَانُونَ الثَّانِي لِعَامِ سَبْعِمِائَةٍ وَتِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلَادِيًّا؛ تَعَرَّضَتْ مَدِينَةُ إِيلْيَا كَابِيتُولِينَا لِهَذَا الزِّلْزَالِ الْعَنِيفِ الَّذِي أَلْحَقَ بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَضْرَاراً كَبِيرَةً تَهَدَّمَتْ عَلَى إِثْرِهَا أَرْوِقَتُهُ. كَمَا لَحِقَتْ بِالْمَبَانِي الْإِدَارِيَّةِ الْأُمَوِيَّةِ الْكَبِيرَةِ جَنُوبَ الْمَسْجِدِ أَضْرَارٌ بَالِغَةٌ لِدَرَجَةِ أَنَّهَا هُجِرَتْ تَمَاماً، حَتَّى أَعَادَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيُّ الْمَهْدِيُّ بِنَاءَ خَمْسَةِ أَرْوِقَةٍ مِنْهُ لاَحِقاً.

10. زِلْزَالُ عَامِ ثَمَانِمِائَةٍ وَثَمَانِيَةٍ مِيلَادِيًّا؛ شَهِدَتِ الْمَدِينَةُ فِي هَذَا الْعَامِ هَزَّةً أَرْضِيَّةً عَنِيفَةً خَلَّفَتْ أَضْرَاراً جَسِيمَةً وَاضِحَةً فِي شَتَّى مَبَانِيهَا؛ وَقَدْ نَالَتْ قُبَّةُ الصَّخْرَةِ النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنَ التَّصَدُّعِ، حَيْثُ تَعَرَّضَتْ لِتَصَدُّعَاتٍ بَالِغَةٍ اسْتَدْعَتْ إِجْرَاءَ عَمَلِيَّاتِ تَرْمِيمٍ وَإِصْلَاحٍ شَامِلَةٍ لِإِعَادَةِ تَأْهِيلِهَا.

11. وَفِي عَامِ ثَمَانِمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَادِيًّا، شَهِدَتْ مَدِينَةُ إِيلْيَا كَابِيتُولِينَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ زِيَارَةَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيّ الْمَأْمُونِ، وَإِثْرَ مَا لَحِقَ بِقُبَّةِ الصَّخْرَةِ مِنْ تَصَدُّعٍ وَخَرَابٍ جَرَّاءَ الْهَزَّاتِ السَّابِقَةِ، أَصْدَرَ أَمْرَهُ بِإِصْلَاحِهَا؛ لِيَتَطَوَّرَ الْعَمَلُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَشْرُوعِ تَرْمِيمٍ ضَخْمٍ شَمِلَ الصَّرْحَ الْمِعْمَارِيَّ كُلَّهُ.

12. فِي عَامِ ثَمَانِمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلَادِيًّا؛ تَفَاقَمَتْ مَعَانَاةُ إِيلْيَا كَابِيتُولِينَا نَتِيجَةَ كَارِثَةٍ زِلْزَالِيَّةٍ مُدَمِّرَةٍ، تَهَدَّمَ عَلَى إِثْرِهَا كَثِيرٌ مِنَ الدُّورِ السَّكَنِيَّةِ فَوْقَ قَاطِنِيهَا، كَمَا تَصَدَّعَتْ قُبَّةُ الصَّخْرَةِ بِشِدَّةٍ جَرَّاءَ هَذَا الِارْتِجَاجِ الْعَنِيفِ؛ وَيُشَارُ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْهَزَّةَ كَانَتْ تَمْهِيداً مُبَاشِراً لِزِلْزَالِ عَامِ ثَمَانِمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلَادِيًّا، الَّذِي يُعَدُّ الْأَشْهَرَ وَالْأَكْثَرَ فَتْكاً فِي بِلَادِ الشَّامِ، وَأَحَدَ أَعْنَفِ الزَّلَازِلِ الَّتِي ضَرَبَتْ صَدْعَ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ عَبْرَ التَّارِيخِ.

13. وَفِي الْفَتْرَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، تَعَرَّضَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ لِهَزَّاتٍ أَرْضِيَّةٍ عَنِيفَةٍ سَنَةَ أَلْفٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ مِيلَادِيًّا، أَدَّتْ إِلَى إِصَابَةِ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ وَإِتْلَافِ بَعْضِ أَجْزَائِهَا

الْكَبِيرَةِ. بَدَأَ تَرْمِيمُهَا فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيّ، وَاسْتُكْمِلَ التَّرْمِيمُ فِي عَهْدِ وَلَدِهِ الْخَلِيفَةِ الظَّاهِرِ، حَيْثُ اِشْتَمَلَتِ التَّرْمِيمَاتُ عَلَى الْقُبَّةِ وَزَخَارِفِهَا، وَتَمَّتْ عَلَى يَدِ عَلِيّ بْنِ أَحْمَدَ فِي سَنَةِ أَلْفٍ وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ مِيلَادِيًّا.

14. زِلْزَالُ غَوْرِ الْأُرْدُنِّ الَّذِي وَقَعَ عَامَ 1033 م؛ كَانَ عِبَارَةً عَنْ سِلْسِلَةٍ مِنَ الْهَزَّاتِ الْأَرْضِيَّةِ الْعَنِيفَةِ وَالْمُتَتَالِيَةِ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ زُهَاءَ أَرْبَعِينَ يَوْماً، مِمَّا أَسْفَرَ عَنْ دَمَارِ مَدِينَتَيْ طَبَرِيَّا وَأَرِيحَا بِالْكَامِلِ. كَمَا تَهَدَّمَتْ أَجْزَاءٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَأَسْوَارِ الْقُدْسِ، لِيَبِيدَ مُعْظَمُ مَا شُيِّدَ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيّ؛ وَفِي عَامِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَادِيًّا، الْخَلِيفَةُ الْفَاطِمِيُّ الظَّاهِرُ إِعْزَازَ دِينِ اللّٰهِ تَرْمِيمَ الْمَسْجِدِ، فَاخْتَصَرَ مِسَاحَتَهُ إِلَى هَيْئَتِهِ الْحَالِيَّةِ عَبْرَ حَذْفِ أَرْبَعَةِ أَرْوِقَةٍ مِنْ جِهَتَيْهِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ، كَمَا رَمَّمَ الْقُبَّةَ وَأَعَادَ نَقْشَ زَخَارِفِهَا الدَّاخِلِيَّةِ.

15. زِلْزَالُ عَامِ أَلْفٍ وَثَمَانِيَةٍ وَسِتِّينَ مِيلَادِيًّا؛ يُعْرَفُ هَذَا الزِّلْزَالُ بِأَنَّهُ مِنْ أَقْوَى الزَّلَازِلِ الَّتِي ضَرَبَتْ تِلْكَ الْمِنْطَقَةَ، وَكَانَ مَرْكَزُهُ خَلِيجَ الْعَقَبَةِ بِقُوَّةِ سَبْعِ دَرَجَاتٍ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَرَ. دَمَّرَ مَدِينَتَيْ أَيْلَةَ "إِيلَاتَ" وَالْعَقَبَةَ، وَانْدَثَرَتْ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمَا سِوَى آثَارٍ قَلِيلَةٍ. وَبَلَغَ عَدَدُ الضَّحَايَا الَّذِينَ سَقَطُوا عِشْرِينَ أَلْفَ شَخْصٍ، وَامْتَدَّتْ آثَارُهُ الْمُدَمِّرَةُ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، حَيْثُ تَسَبَّبَ فِي انْزِيَاحِ سَقْفِ قُبَّةِ الصَّخْرَةِ وَسُقُوطِ أَجْزَاءٍ مِنْ جَامِعِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

16. كَانَ زِلْزَالُ عَامِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ مِيلَادِيًّا كَارِثَةً زِلْزَالِيَّةً مُدَمِّرَةً شَهِدَتْهَا الْمَدِينَةُ، أَلْحَقَتْ أَضْرَاراً بَالِغَةً بِالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَقُبَّةِ الصَّخْرَةِ، وَتَسَبَّبَتْ فِي اِنْهِيَارِ عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْمَنَازِلِ وَالْمَبَانِي السَّكَنِيَّةِ؛ كَمَا اِمْتَدَّتْ آثَارُ هَذَا الِارْتِجَاجِ الْعَنِيفِ لِتَضْرِبَ مُدُناً أُخْرَى فِي بِلَادِ الشَّامِ، مِثْلَ نَابُلُسَ وَطَرَابُلُسَ وَصُورَ.

17. وَقَعَ زِلْزَالٌ فِي الرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ كَانُونَ الثَّانِي لِعَامِ أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَسِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِيلَادِيًّا؛ حَيْثُ ضَرَبَ صَدْعَ وَادِي الْأُرْدُنِّ بِقُوَّةٍ

قُدِّرَتْ بِنَحْوِ سِتِّ دَرَجَاتٍ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَرَ. وَقَدِ امْتَدَّتْ آثَارُهُ لِتَشْمَلَ مَنَاطِقَ وَاسِعَةً ضِمْنَ إِيَالَةِ الشَّامِ؛ فَنَالَتْ سَنَاجِقُ الْقُدْسِ، وَنَابُلُسَ، وَغَزَّةَ (**الَّتِي كَانَتْ تَتْبَعُهَا الرَّمْلَةُ**) النَّصِيبَ الْأَكْبَرَ مِنَ الدَّمَارِ، إِلَى جَانِبِ صَفَدَ (**الَّتِي شَمَلَتْ طَبَرِيَّا**) وَنَاحِيَةِ أَرِيحَا. وَقَدْ وُصِفَتْ هَذِهِ الْكَارِثَةُ بِأَنَّهَا لَمْ تَتْرُكْ بَيْتاً عَلَوِيًّا فِي سَنْجَقِ الْقُدْسِ إِلَّا هَدَمَتْهُ، كَمَا تَصَدَّعَتْ أَجْزَاءٌ مِنْ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ. وَبَلَغَ عَدَدُ الضَّحَايَا الْمِئَاتِ، وَكَانَ الْأَثَرُ أَعْظَمَ مَا يَكُونُ فِي سَنْجَقِ نَابُلُسَ، حَيْثُ هَلَكَ هُنَاكَ نَحْوُ خَمْسِمِائَةِ شَخْصٍ تَحْتَ الرَّدْمِ.

18. وَقَعَ الزِّلْزَالُ الْأَوَّلُ فِي الثَّلَاثِينَ مِنْ تِشْرِينَ الْأَوَّلِ؛ حَيْثُ شَمِلَتْ هَزَّاتٌ أَرْضِيَّةٌ عَنِيفَةٌ جُزْءاً كَبِيراً مِنْ بِلَادِ الشَّامِ، وَتَقَاطَعَتْ آثَارُهَا بَيْنَ إِيَالَةِ صَيْدَا وَسَنْجَقِ الْقُدْسِ التَّابِعِ لِإِيَالَةِ دِمَشْقَ، وَقَدِ اعْتُبِرَ هَذَا الِارْتِجَاجُ ثَانِيَ أَكْبَرِ زِلْزَالٍ بِالْمِنْطَقَةِ بَعْدَ كَارِثَةِ عَامِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَاثْنَيْنِ مِيلَادِيًّا. وَكَانَ مَرْكَزُ هَذِهِ الصَّدْمَةِ الْأُولَى وَادِيَ الْبِقَاعِ بِقُوَّةٍ قُدِّرَتْ بِسَبْعِ دَرَجَاتٍ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَرَ، مِمَّا أَسْفَرَ عَنْ مَصْرَعِ نَحْوِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَخْصٍ فِي الْمَنَاطِقِ السَّاحِلِيَّةِ وَالْجَبَلِيَّةِ الْمُحِيطَةِ بِبَيْرُوتَ وَحْدَهَا. أَمَّا الزِّلْزَالُ الثَّانِي فَقَدْ ضَرَبَ فِي الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ تِشْرِينَ الثَّانِي لِلْعَامِ نَفْسِهِ، حَيْثُ تَرَكَّزَ مَرْكَزُهُ الصَّدْعِيُّ فِي نَوَاحِي سَنْجَقِ الْقُدْسِ، بَيْنَمَا بَرَزَتْ أَعْنَفُ أَضْرَارِهِ الْمَادِّيَّةِ فِي نَاحِيَةِ بَيْسَانَ التَّابِعَةِ لِسَنْجَقِ نَابُلُسَ؛ وَقَدْ أَعْقَبَتِ الْهَزَّةَ أَمْوَاجُ مَدٍّ عَنِيفَةٌ انْدَفَعَتْ مِنْ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّا، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَدْمِيرِ نَحْوِ عِشْرِينَ قَرْيَةً فِي سَنْجَقِ الْقُدْسِ.

19. فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الْأَوَّلِ مِنْ شَهْرِ كَانُونَ الثَّانِي عَامَ **1837** م، ضَرَبَتْ إِيَالَةَ الشَّامِ هَزَّةٌ أَرْضِيَّةٌ مُتَوَسِّطَةٌ بَلَغَتْ شِدَّتُهَا سِتَّ دَرَجَاتٍ وَنِصْفَ الدَّرَجَةِ عَلَى سُلَّمِ رِيخْتَرَ، وَكَانَ مَرْكَزُ الزِّلْزَالِ فِي "**سَنْجَقِ الْقُدْسِ**" وَإِيَالَةِ صَيْدَا، وَتَحْدِيدًا فِي مَدِينَتَيْ صَفَدَ وَطَبَرِيَّةَ اللَّتَيْنِ دُمِّرَتَا، كَمَا أَدَّى الزِّلْزَالُ فِي نَابُلُسَ إِلَى تَدْمِيرِ حَيٍّ كَامِلٍ.

20. يُعْتَبَرُ الزِّلْزَالُ الَّذِي ضَرَبَ مَنَاطِقَ وَاسِعَةً مِنْ فِلَسْطِينَ الانْتِدَابِيَّةِ فِي عَامِ 1927م؛ مِنْ أَكْبَرِ الزَّلَازِلِ الَّتِي عَرَفَتْهَا الْمِنْطَقَةُ، وَقَدْ وَقَعَ الزِّلْزَالُ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ الْمُوَافِقِ لِلْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ تَمُّوزَ لِعَامِ 1927 م، فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ وَالسَّبْعِ دَقَائِقَ بَعْدَ الظُّهْرِ، وَاسْتَمَرَّ لِمُدَّةِ تِسْعِينَ ثَانِيَةً، وَكَانَ مَرْكَزُ هَذَا الزِّلْزَالِ الَّذِي بَلَغَتْ قُوَّتُهُ سِتَّ دَرَجَاتٍ وَرُبْعَ الدَّرَجَةِ شَمَالِيَّ الْبَحْرِ الْمَيِّتِ، فَاهْتَزَّتْ بِسَبَبِهِ الْأَرْضُ فِي أَرِيحَا وَالْقُدْسِ وَالرَّمْلَةِ وَطَبَرِيَّا وَنَابُلُسَ وَالْمَنَاطِقِ الْأُرْدُنِيَّةِ الْمُقَابِلَةِ، مِمَّا تَسَبَّبَ فِي حِينِهِ فِي مَقْتَلِ نَحْوِ ثَلَاثِمِئَةِ شَخْصٍ وَجَرْحِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِمِئَةٍ آخَرِينَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى انْهِيَارِ مِئَاتِ الْمَبَانِي.

21. زِلْزَالُ الثَّانِي مِنْ آذَارَ لِعَامِ 1937م؛ بَلَغَتْ قُوَّتُهُ نَحْوَ خَمْسِ دَرَجَاتٍ وَنِصْفِ الدَّرَجَةِ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَر، وَاتَّخَذَ مِنْ شَمَالِيِّ البَحْرِ المَيِّتِ وَوَادِي الأُرْدُنِّ مَرْكَزاً لَهُ. أَحْدَثَ الزِّلْزَالُ تَصَدُّعَاتٍ جَدِيدَةً فِي المَبَانِي الَّتِي أُعِيدَ تَرْمِيمُهَا إِبَّانَ زِلْزَالِ 1927م، لاسِيَّمَا فِي أَحْيَاءِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ. وَمَعَ تَسَاقُطِ الحِجَارَةِ الَّذِي خَلَّفَ إِصَابَاتٍ طَفِيفَةً، لَمْ تُسَجَّلْ وَفَيَاتٌ جَسِيمَةٌ دَاخِلَ المَدِينَةِ مُقَارَنَةً بِمَا حَلَّ بِالمَنَاطِقِ المُجَاوِرَةِ.

22. زِلْزَالُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ آذَارَ لِعَامِ 1956م؛ رَغْمَ أَنَّ مَرْكَزَهُ كَانَ فِي جَنُوبِ لُبْنَانَ، إِلَّا أَنَّ صَدَاهُ كَانَ مَلْمُوساً جِدّاً فِي مَدِينَةِ القُدْسِ بِالضَّفَّةِ الْغَرْبِيَّةِ، إِذْ بَلَغَتْ قُوَّتُهُ خَمْسَ دَرَجَاتٍ وَثَمَانِيَةَ أَعْشَارِ الدَّرَجَةِ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَر. اهْتَزَّتْ أَرْجَاءُ المَدِينَةِ بِعُنْفٍ، مِمَّا أَدَّى إِلَى تَضَرُّرِ بَعْضِ الأَسْقُفِ وَالجُدْرَانِ العَتِيقَةِ فِي أَحْيَاءِ القُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ. وَقَدْ سَادَتْ حَالَةٌ مِنَ الذُّعْرِ الشَّدِيدِ دَفَعَتِ السُّكَّانَ لِلْهُرُوعِ إِلَى الشَّوَارِعِ، فِيمَا سُجِّلَتْ إِصَابَاتٌ مَحْدُودَةٌ نَاتِجَةٌ عَنِ التَّدَافُعِ.

23. زِلْزَالُ الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ مِنْ أَبِ لِعَامِ 1984م؛ وَقَعَ فِي جَنُوبِ البَحْرِ المَيِّتِ بِقُوَّةِ خَمْسِ دَرَجَاتٍ وَعُشْرِ الدَّرَجَةِ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَر. لَمْ تُسَجَّلْ فِي المَدِينَةِ انْهِيَارَاتٌ كُلِّيَّةٌ، لَكِنَّ المَوْجَةَ الزِّلْزَالِيَّةَ أَدَّتْ إِلَى تَوْسِيعِ شُقُوقٍ قَدِيمَةٍ فِي المَبَانِي

الأَثَرِيَّةِ، وَاسْتَشْعَرَهُ سُكَّانُ الطَّوَابِقِ العُلْيَا بِوُضُوحٍ تَامٍّ. كَمَا لَمْ تُرْصَدْ أَيُّ وَفَيَاتٍ، بَلِ اقْتَصَرَتِ الأَضْرَارُ عَلَى المُمْتَلَكَاتِ المَادِّيَّةِ البَسِيطَةِ.

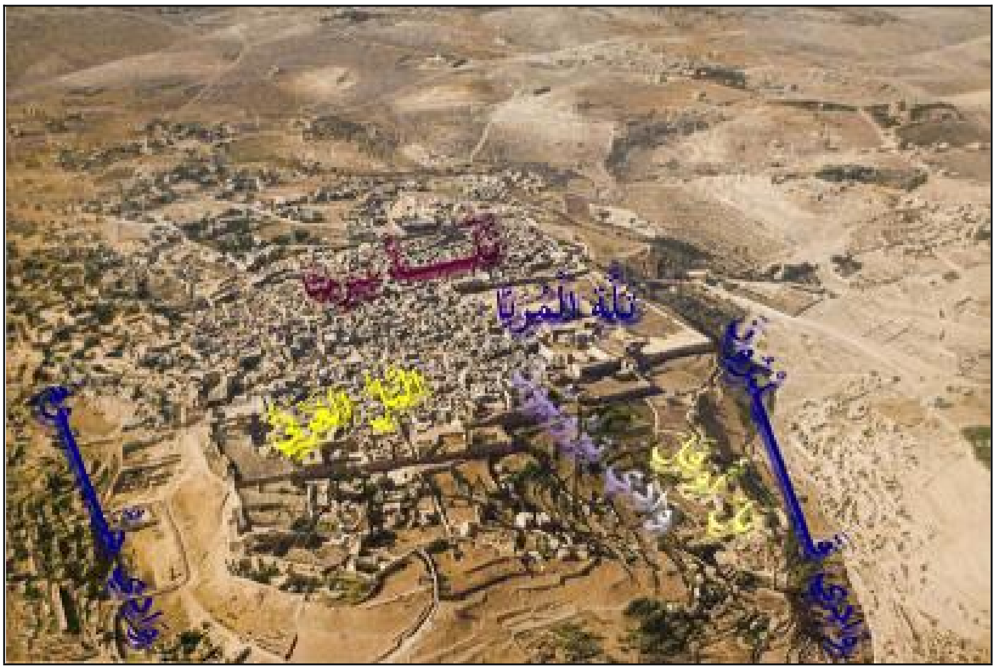
24. زِلْزَالُ خَلِيجِ العَقَبَةِ فِي تِشْرِينَ الثَّانِي لِعَامِ 1995م؛ يُعَدُّ هَذَا الزِّلْزَالُ الأَقْوَى فِي المِنْطَقَةِ خِلَالَ النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ القَرْنِ العِشْرِينَ. وَرَغْمَ أَنَّ مَرْكَزَهُ يَبْعُدُ عَنِ القُدْسِ نَحْوَ ثَلَاثِمِئَةِ كِيلُومِتْرٍ، إِلَّا أَنَّ تَأْثِيرَهُ كَانَ مَهِيباً، إِذْ بَلَغَتْ قُوَّتُهُ سَبْعَ دَرَجَاتٍ وَعُشْرَ الدَّرَجَةِ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَر. اضْطَرَبَتِ المَدِينَةُ وَاهْتَزَّتْ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ نَاهَزَتِ الدَّقِيقَةَ، مِمَّا أَفْضَى إِلَى تَصَدُّعِ بَعْضِ المَبَانِي الحَدِيثَةِ وَالعَتِيقَةِ، وَظُهُورِ تَشَقُّقَاتٍ دَقِيقَةٍ فِي بَعْضِ المَعَالِمِ التَّارِيخِيَّةِ.

25. زِلْزَالُ الحَادِي عَشَرَ مِنْ شُبَاطَ لِعَامِ 2004م؛ مَرْكَزُهُ المِنْطَقَةُ الشَّمَالِيَّةُ مِنَ البَحْرِ المَيِّتِ (صَدْعُ أَرِيحَا). يُعَدُّ هَذَا الزِّلْزَالُ الأَهَمَّ مِنْ حَيْثُ التَّأْثِيرُ المُبَاشِرُ عَلَى السُّكَّانِ وَالعُمْرَانِ فِي القُدْسِ خِلَالَ العَقْدِ الأَوَّلِ مِنَ القَرْنِ الحَادِي وَالعِشْرِينَ، إِذْ بَلَغَتْ قُوَّتُهُ خَمْسَ دَرَجَاتٍ وَثَلَاثَةَ أَعْشَارِ الدَّرَجَةِ عَلَى مِقْيَاسِ رِيخْتَر. أَحْدَثَ الزِّلْزَالُ تَشَقُّقَاتٍ جَلِيَّةً فِي جُدْرَانِ بَعْضِ المَنَازِلِ بِالقُدْسِ القَدِيمَةِ وَسِلْوَانَ، وَرَغْمَ عَدَمِ تَسْجِيلِ وَفَيَاتٍ، فَقَدْ وَقَعَتْ إِصَابَاتٌ طَفِيفَةٌ نَتِيجَةَ الهَلَعِ، كَمَا جَرَى إِخْلَاءُ مِئَاتِ المَبَانِي وَالمَكَاتِبِ فَوْرَ وُقُوعِ الرَّجَّةِ.

تَلُ أُوفَلْ سِلْوَانَ



صُورَةٌ لِمَدِينَةِ الْقُدْسِ تَعُودُ لِعَامِ أَلْفٍ وَتِسْعِ مِئَةٍ وَثَلَاثِينَ لِلْمِيلَادِ



الْقُدْسُ فِي أَوَاخِرِ الْعِشْرِينِيَّاتِ وَبِدَايَةِ الثَّلَاثِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي



الْكَثَافَةُ السُّكَّانِيَّةُ

الْيَبُوسِيُّونَ

تَذْكُرُ الْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ الْمُتَوَفِّرَةُ أَنَّ الْيَبُوسِيِّينَ كَانُوا قَبِيلَةً سَكَنَتِ الْأَرْضَ الْجَبَلِيَّةَ فِي جَنُوبِ الْبِلَادِ، وَكَانُوا شَعْبًا قَوِيًّا مُحَصَّنًا فِي مَدِينَتِهِم الصَّغِيرَةِ نِسْبِيًّا، الَّتِي كَانَتْ تُقَدَّرُ مِسَاحَتُهَا بِحَوَالَيْ أَرْبَعَةِ إِلَى خَمْسَةِ هِكْتَارَاتٍ فَقَطْ. وَلَا تُقَدِّمُ تِلْكَ الْمَصَادِرُ تَقْدِيرَاتٍ مُحَدَّدَةً لِأَعْدَادِ السُّكَّانِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَكِنَّ التَّقْدِيرَاتِ الْحَدِيثَةَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ سُكَّانَ يَبُوسَ رُبَّمَا كَانُوا بَيْنَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ نَسَمَةٍ وَأَلْفَيْنِ نَسَمَةٍ كَحَدٍّ أَقْصَى، وَذَلِكَ فِي الْقَرْنَيْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ وَالثَّامِنَ عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَهُوَ عَدَدٌ يُعْتَبَرُ كَبِيرًا لِمَدِينَةٍ مُحَصَّنَةٍ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ. وَفِي عَصْرِ الْمَلِكِ دَاوُدَ عِنْدَمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهَا، يُرَجَّحُ أَنَّ عَدَدَ سُكَّانِهَا كَانَ فِي حُدُودِ أَلْفَيْنِ إِلَى ثَلَاثَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ، إِذْ لَا تَتَوَفَّرُ مَصَادِرُ تَارِيخِيَّةٌ أَوْ دِينِيَّةٌ أَرْقَامًا دَقِيقَةً لِعَدَدِ سُكَّانِ مَدِينَةِ يَبُوسَ "الْقُدْسِ".

فِي عَامِ **586** قَبْلَ الْمِيلَادِ، عِنْدَمَا دَمَّرَ نَبُوخَذُ نَصَّرَ أُورُشَلِيمَ "الْقُدْسَ" وَأَسْقَطَ مَمْلَكَةَ يَهُوذَا وَسَبَى أَهْلَهَا إِلَى بَابِلَ، بَلَغَ عَدَدُ مَنْ سُبُوا فِي الْمَرَاحِلِ الْمُخْتَلِفَةِ نَحْوَ أَرْبَعَةِ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةِ نَسَمَةٍ، وَأَغْلَبُهُمْ مِنَ الرِّجَالِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْجُنُودِ، وَلَمْ يَتَبَقَّ فِيهَا إِلَّا قِلَّةٌ قَلِيلَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْفَلَّاحِينَ.

أَمَّا تَقْدِيرَاتُ عَدَدِ سُكَّانِهَا آنَذَاكَ، فَلَا تُوجَدُ إِحْصَاءَاتٌ رَسْمِيَّةٌ، لَكِنَّ عُلَمَاءَ التَّارِيخِ وَالْآثَارِ مِثْلَ هِيلِيلَ غِيفَا، اعْتَمَدُوا عَلَى حَجْمِ الْمَدِينَةِ وَقُدْرَتِهَا الِاسْتِيعَابِيَّةِ الَّتِي قُدِّرَتْ بِحَوَالَيْ خَمْسِينَ هِكْتَارًا، أَيْ مَا يُعَادِلُ نِصْفَ كِلُم^2، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أُورُشَلِيمَ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَضُمَّ مَا بَيْنَ سِتَّةِ آلَافٍ إِلَى ثَمَانِيَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ تَقْرِيبًا.

فِي عَامِ 70م

عِنْدَ حِصَارِ أُورُشَلِيمَ وَدَمَارِهَا عَلَى يَدِ الرُّومَانِ بِقِيَادَةِ تِيطُسَ، كَانَ عَدَدُ سُكَّانِهَا كَبِيرًا نِسْبِيًّا بِسَبَبِ تَجَمُّعِ مِئَاتِ آلَافٍ مِنَ الْحُجَّاجِ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ لِلِاحْتِفَالِ بِعِيدِ الفِصْحِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى سُكَّانِهَا الدَّائِمِينَ. تَسْتَنِدُ التَّقْدِيرَاتُ الْحَدِيثَةُ

إِلَى مِسَاحَةِ المَدِينَةِ حَوَالَيْ 1.5 كِلُم^2، وَقُدْرَتِهَا الاسْتِيعَابِيَّةِ، وَظُرُوفِ الحِصَارِ.يُقَدِّرُ بَعْضُ المُؤَرِّخِينَ أَنَّ عَدَدَ سُكَّانِ أُورُشَلِيمَ وَقْتَهَا كَانَ مَا بَيْنَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ مِنَ السُّكَّانِ الدَّائِمِينَ. وَمَعَ الحُجَّاجِ القَادِمِينَ فِي العِيدِ رُبَّمَا وَصَلَ العَدَدُ إِلَى نَحْوِ مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ شَخْصٍ كَحَدٍّ أَقْصَى دَاخِلَ الأَسْوَارِ وَخَارِجَهَا عِنْدَ بِدَايَةِ الحِصَارِ.

فِي عَامِ 135م

فِي عَهْدِ الإِمْبَرَاطُورِ هَادْرِيَانَ حَوَالَيْ عَامِ مِائَةٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَادِيًّا، أَعَادَ تَأْسِيسَ أُورُشَلِيمَ كَمَدِينَةٍ وَثَنِيَّةٍ بِاسْمِ إِلِيَا كَابِيتُولِينَا، وَبَنَى فِيهَا مَعَابِدَ رُومَانِيَّةً، وَمَنَعَ اليَهُودَ مِنْ دُخُولِهَا إِلَّا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ فِي السَّنَةِ (تِذْكَارِ خَرَابِ الهَيْكَلِ). فِي حِينِ بَقِيَتْ مُجْتَمَعَاتٌ يَهُودِيَّةٌ تُمَارِسُ حَيَاتَهَا فِي مَنَاطِقَ أُخْرَى مِنْ إِقْلِيمِ يَهُوذَا وَالْجَلِيلِ، بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ الْمُحَرَّمَةِ. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ رَقْمٌ دَقِيقٌ مُسَجَّلٌ لِعَدَدِ السُّكَّانِ، لَكِنَّ التَّقْدِيرَاتِ التَّارِيخِيَّةَ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ المَدِينَةَ بَعْدَ عَامِ مِائَةٍ وَخَمْسَةٍ وَثَلَاثِينَ مِيلَادِيًّا كَانَتْ صَغِيرَةً، رُبَّمَا فِي حُدُودِ عَشَرَةِ آلَافٍ إِلَى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ نَسَمَةٍ فَقَطْ.

فِي عَامِ 363م

كَانَ عَدَدُ سُكَّانِ إِلِيَا نَحْوَ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ، مُعْظَمُهُمْ مَسِيحِيُّونَ، مَعَ أَقَلِّيَّةٍ وَثَنِيَّةٍ، وَقِلَّةٍ مِنَ اليَهُودِ الَّذِينَ اسْتَغَلُّوا سَمَاحَ الْإِمْبَرَاطُورِ يُولِيَانَ لَهُمْ بِالْعَوْدَةِ. كَانَتْ مِسَاحَةُ المَدِينَةِ فِي القَرْنِ الرَّابِعِ حَوَالَيْ 1 كِلُم^2 دَاخِلَ الْأَسْوَارِ.

فِي عَامِ 613م

عِنْدَمَا انْدَلَعَ التَّمَرُّدُ الْيَهُودِيُّ ضِدَّ الْإِمْبَرَاطُورِيَّةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ بِقِيَادَةِ الْمَسِيحِ الْجَلِيلِيِّ مِنْ بَيْتِ يُوسُفَ، تُشِيرُ التَّقْدِيرَاتُ التَّارِيخِيَّةُ إِلَى أَنَّ عَدَدَ سُكَّانِ إِلِيَا كَانَ يُقَدَّرُ بِنَحْوِ أَرْبَعِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ، مُعْظَمُهُمْ مَسِيحِيُّونَ بِيزَنْطِيُّونَ، مِنَ الرُّهْبَانِ وَالْكَهَنَةِ وَحُجَّاجٌ، مَعَ أَقَلِّيَّةٍ يَهُودِيَّةٍ قَدْ تَكُونُ بِضْعَةَ آلَافٍ.

فِي عَامِ 629م

عِنْدَمَا دَخَلَ هِرَقْلُ إِلِيَا، كَانَ عَدَدُ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ لَا يَتَجَاوَزُ خَمْسَةَ آلَافٍ إِلَى ثَمَانِيَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ، بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ سُكَّانِهَا بِسَبَبِ الِاحْتِلَالِ الفَارِسِيّ وَالمَجَازِرِ. إِذْ كَانَ أَغْلَبُهُمْ مَسِيحِيِّينَ بِيزَنْطِيِّينَ، أُعِيدَ تَوْطِينُهُمْ أَوْ نَجَوْا مِنَ الْأَحْدَاثِ، مَعَ أَقَلِّيَّةٍ يَهُودِيَّةٍ تَضَاءَلَ وُجُودُهَا بِسَبَبِ انْتِقَامِ الْبِيزَنْطِيِّينَ بَعْدَ عَوْدَتِهِمْ.

فِي عَامِ 637م

لَا تُوجَدُ أَرْقَامٌ دَقِيقَةٌ فِي المَصَادِرِ التَّارِيخِيَّةِ، لَكِنْ بِالِاعْتِمَادِ عَلَى المِسَاحَةِ المُسَوَّرَةِ حَوَالَيْ 1 كم^2 وَالْأَوْضَاعِ بَعْدَ الحُرُوبِ وَالغَزَوَاتِ، كَانَ عَدَدُ سُكَّانِ إِلِيَا يُقَدَّرُ بِمَا بَيْنَ عَشَرَةِ آلَافٍ إِلَى خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ نَسَمَةٍ. وَكَانَ مُعْظَمُ السُّكَّانِ مَسِيحِيِّينَ بِيزَنْطِيِّينَ مِنَ الْكَهَنَةِ وَالرُّهْبَانِ وَالحِرَفِيِّينَ، مَعَ أَقَلِّيَّةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ اليَهُودِ، ثُمَّ بَدَأَ التَّغَيُّرُ الدِّيمُوغْرَافِيُّ تَحْتَ الحُكْمِ الإِسْلَامِيِّ.

فِي عَامِ (1099–1187م)

بِحُلُولِ مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ، بَلَغَ عَدَدُ السُّكَّانِ حَوَالَيْ مَا بَيْنَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَاثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ. وَكَانَ أَغْلَبُهُمْ مَسِيحِيِّينَ لَاتِينِيِّينَ، مَعَ أَقَلِّيَّةٍ مَسِيحِيَّةٍ مَحَلِّيَّةٍ (سُرْيَانٌ، أَرْمَنٌ)، وَعَدَدٍ مَحْدُودٍ جِدًّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ.

فِي عَامِ 1187م

التَّقْدِيرَاتُ الْحَدِيثَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ عَدَدَ سُكَّانِ الْقُدْسِ بَعْدَ إِعَادَةِ صَلَاحِ الدِّينِ الْمَدِينَةَ كَانَ حَوَالَيْ مَا بَيْنَ عَشَرَةِ آلَافٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ نَسَمَةٍ. وَكَانَ أَغْلَبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مَعَ أَقَلِّيَّةٍ يَهُودِيَّةٍ صَغِيرَةٍ، وَعَدَدٍ مَحْدُودٍ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْأُرْثُوذُكْسِ وَالْأَرْمَنِ.

فِي عَامِ 1537م

شَهِدَتْ مَدِينَةُ الْقُدْسِ تَرَاجُعًا سُكَّانِيًّا طَفِيفًا بِسَبَبِ الْحُرُوبِ الْمُتَكَرِّرَةِ وَالْأَوْبِئَةِ خِلَالَ الْقُرُونِ السَّابِقَةِ، وَكَانَ عَدَدُ مَا بَيْنَ تِسْعَةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ نَسَمَةٍ وَعَشَرَةِ آلَافٍ أَغْلَبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى جَانِبِ وُجُودٍ مَحْدُودٍ لِلْمَسِيحِيِّينَ الْأُرْثُوذُكْسِ، وَالْأَرْمَنِ، وَالْكَاثُولِيكِ، وَالْيَهُودِ.

فِي عَامِ 1917م

عِنْدَمَا انْهَزَمَ الْعُثْمَانِيُّونَ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى (1917–1918م)، وَبَعْدَ دُخُولِ الْقُوَّاتِ الْبَرِيطَانِيَّةِ لِلْقُدْسِ سَنَةَ 1917م، بَقِيَ السُّكَّانُ كَمَا هُمْ تَقْرِيبًا. وَكَانَ عَدَدُ سُكَّانِ الْقُدْسِ حَوَالَيْ مَا بَيْنَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا إِلَى عِشْرِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ، مَعَ غَالِبِيَّةٍ مُسْلِمَةٍ (حَوَالَيْ 60–65%)، وَأَقَلِّيَّاتٍ مَسِيحِيَّةٍ (حَوَالَيْ 20–25%)، وَيَهُودِيَّةٍ (حَوَالَيْ 10–15%).

فِي عَامِ 1945م

كَانَ عَدَدُ سُكَّانِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْقُدْسِ حَوَالَيْ مَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا وَسِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ بِشَكْلٍ إِجْمَالِيٍّ. وَكَانَ أَغْلَبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا بَيْنَ ثَلَاثَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ، بَيْنَمَا بَلَغَ عَدَدُ الْمَسِيحِيِّينَ الْأُرْثُوذُكْسِ (الرُّومُ الْأُرْثُوذُكْسُ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ) بِقُرَابَةِ أَلْفٍ وَسِتِّمِائَةٍ وَخَمْسِينَ نَسَمَةٍ، وَالْمَسِيحِيُّونَ الْكَاثُولِيكُ (لَاتِينٌ، وَمَوَارِنَةٌ، وَكَاثُولِيكٌ شَرْقِيُّونَ) مَا بَيْنَ ثَمَانِمِائَةٍ نَسَمَةٍ إِلَى أَلْفِ نَسَمَةٍ، وَالْأَرْمَنُ الَّذِينَ تَرَكَّزُوا فِي الْحَيِّ الْأَرْمَنِيِّ مَا بَيْنَ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ إِلَى أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ نَسَمَةٍ، وَالْأَحْبَاشُ الْإِثْيُوبِيُّونَ بِضْعَ مِئَاتٍ فَقَطْ، وَمَا زَالَ بَعْضُهُمْ يَعِيشُ قُرْبَ دَيْرِهِمْ بِجِوَارِ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ الْيَوْمَ، وَالْبَرُوتِسْتَانْتُ بِضْعَةَ عَشَرَاتٍ، وَكَانَ عَدَدُ الْيَهُودِ مَا بَيْنَ سِتَّةِ آلَافٍ إِلَى سَبْعَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ قَبْلَ حَرْبِ عَامِ ثَمَانِيَةٍ وَأَرْبَعِينَ وَتِسْعِمِائَةٍ وَأَلْفٍ مِيلَادِيًّا.

فِي عَامِ 1948م

قُسِّمَتِ الْقُدْسُ إِلَى قِسْمَيْنِ؛ الْقُدْسُ الْغَرْبِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ السَّيْطَرَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، وَالَّتِي هَاجَرَ إِلَيْهَا الْكَثِيرُ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ شَرْقِ الْقُدْسِ. وَالْقُدْسُ الشَّرْقِيَّةُ (بِمَا فِيهَا الْبَلْدَةُ الْقَدِيمَةُ) الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ الْحُكْمِ الْأُرْدُنِيِّ آنَذَاكَ. وَتُشِيرُ بَعْضُ التَّقْدِيرَاتِ إِلَى أَنَّ عَدَدَ السُّكَّانِ كَانَ مَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَسَبْعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ بَعْدَ الْحَرْبِ مُبَاشَرَةً، وَكَانَ أَغْلَبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ بَلَغَ عَدَدُهُمْ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ نَسَمَةٍ. وَبَقِيَ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْأُرْثُوذُكْسِ وَالْأَرْمَنِ زُهَاءَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ نَسَمَةٍ. وَكَانَ عَدَدُ الْأَحْبَاشِ قَلِيلًا جِدًّا، كَمَا كَانَ عَدَدُ الْمَسِيحِيِّينَ الْكَاثُولِيكِ وَالْبَرُوتِسْتَانْتِ قَلِيلًا لَمْ يَتَجَاوَزْ بِضْعَ مِئَاتٍ.

فِي عَامِ 1972م

تُشِيرُ بَعْضُ التَّقْدِيرَاتِ إِلَى أَنَّ الْعَدَدَ الْكُلِّيَّ لِسُكَّانِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ كَانَ نَحْوَ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ نَسَمَةٍ. وَكَانَ أَغْلَبُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقُدِّرَ عَدَدُهُمْ بِنَحْوِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا وَسِتِّمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَمَانِينَ نَسَمَةٍ، وَمِنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْكَاثُولِيكِ اللَّاتِينِ نَحْوَ أَلْفَيْنِ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسِتَّةَ عَشَرَ نَسَمَةٍ، وَمِنَ الْمَلَكِيِّينَ مَا يُقَارِبُ سَبْعَمِائَةٍ وَخَمْسَ نَسَمَاتٍ، وَمِنَ الرُّومِ الْأُرْثُوذُكْسِ نَحْوَ أَلْفَيْنِ وَمِائَتَيْنِ وَتِسْعٍ وَأَرْبَعِينَ نَسَمَةٍ. أَمَّا الْأَرْمَنُ فَلَمْ يُعْطِ التَّعْدَادُ لَهُمْ خَانَةً مُنْفَصِلَةً، لَكِنْ فِي الْحَيِّ الْأَرْمَنِيِّ وَحْدَهُ سُجِّلَ سِتُّمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ شَخْصًا ضِمْنَ فِئَةِ "مَسِيحِيُّونَ آخَرُونَ"، وَعَلَيْهِ يُقَدَّرُ إِجْمَالِيُّهُمْ مَا بَيْنَ سَبْعِمِائَةٍ إِلَى ثَمَانِمِائَةِ نَسَمَةٍ. وَتَشْمَلُ فِئَةُ "الْمَسِيحِيِّينَ الْآخَرِينَ" الْبُرُوتِسْتَانْتَ، وَالْأَقْبَاطَ، وَالسُّرْيَانَ، وَالْمَارُونِيِّينَ، وَالْأَحْبَاشَ الْإِثْيُوبِيِّينَ، وَهُمْ مُدْرَجُونَ ضِمْنَ هَذِهِ الْفِئَةِ مِنْ أَصْلِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ نَسَمَةٍ. وَكَانَ عَدَدُ أَتْبَاعِ الْأَدْيَانِ الْأُخْرَى غَيْرِ الْمَعْلُومَةِ مَا يُقَارِبُ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتًّا وَسَبْعِينَ نَسَمَةٍ.

فِي عَامِ2021 م

تَتَفَاوَتُ التَّقْدِيرَاتُ بَيْنَ الْمَصَادِرِ الْمُخْتَلِفَةِ، حَيْثُ تُشِيرُ بَعْضُ التَّقَارِيرِ إِلَى أَنَّ عَدَدَ سُكَّانِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ دَاخِلَ الْأَسْوَارِ قَدْ بَلَغَ حَوَالَيْ ٣٦٧,٤١ نَسَمَةٍ. وَتَتَوَزَّعُ هَذِهِ الْأَعْدَادُ، مَعَ فُرُوقَاتٍ بَسِيطَةٍ بِحَسَبِ الْمَصْدَرِ وَطَرِيقَةِ التَّقْسِيمِ وَالْإِحْصَاءِ، بَيْنَ الْأَحْيَاءِ الْأَرْبَعَةِ الرَّئِيسِيَّةِ كَمَا يَلِي:

الْحَيُّ الْإِسْلَامِيُّ حَوَالَيْ 25,367 نَسَمَةً.

وَتَتْبَعُ الْأَغْلَبِيَّةُ السَّاحِقَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ الْمَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ، وَهِيَ تَشْمَلُ مُعْظَمَ سُكَّانِ الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ، خَاصَّةً فِي مَنَاطِقَ قَرِيبَةٍ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

الْحَنَابِلَةُ: هُمْ أَقَلِّيَّةٌ صَغِيرَةٌ، وَهُمْ غَالِبًا مَوْجُودُونَ فِي مَنَاطِقَ مُحَدَّدَةٍ حَوْلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ.

الْحَنَفِيَّةُ: تُمَثِّلُ أَقَلِّيَّةً ضَئِيلَةً جِدًّا، وَغَالِبًا مَا يَكُونُونَ مِنَ الْوَافِدِينَ أَوِ الْعَائِلَاتِ الْقَدِيمَةِ ذَوَاتِ الْأَصْلِ مِنَ الْمَنَاطِقِ الْحَنَفِيَّةِ.

الصُّوفِيَّةُ وَالْجَمَاعَاتُ الرُّوحِيَّةُ: هُنَاكَ مَجْمُوعَاتٌ صَغِيرَةٌ تَتْبَعُ الطُّرُقَ الصُّوفِيَّةَ مِثْلَ النَّقْشَبَنْدِيَّةِ وَالشَّاذِلِيَّةِ، وَهُمْ يَتَرَكَّزُونَ عَادَةً حَوْلَ الزَّوَايَا وَالْأَضْرِحَةِ الصَّغِيرَةِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ.

الْحَيُّ الْمَسِيحِيُّ

الرُّومُ الْأُرْثُوذُكْسُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُم بِحَوَالَيْ 4,000 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. وَهُمْ مِنْ أَقْدَمِ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْقُدْسِ، وَيَعُودُ وُجُودُهُمْ إِلَى الْعُصُورِ الْبِيزَنْطِيَّةِ، وَمِنْ أَبْرَزِ مَعَالِمِهِمْ كَنِيسَةُ الْقِيَامَةِ، وَكَنِيسَةُ سَانْتِ هِيلَانَةَ.

الْكَاثُولِيكُ اللَّاتِينُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 2,500 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. وَيَعُودُ وُجُودُهُمْ إِلَى الْعُصُورِ الْوُسْطَى.

الْأَرْمَنُ الْأُرْثُوذُكْسُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 2,000 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. وَيَعُودُ وُجُودُهُمْ إِلَى الْعُصُورِ الْبِيزَنْطِيَّةِ، وَهُمْ يُشَكِّلُونَ جُزْءًا مُهِمًّا مِنَ النَّسِيجِ الْمَسِيحِيِّ فِي الْقُدْسِ.

الْبرُوتِسْتَانْتُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 1,000 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. وَقَدْ بَدَأَ وُجُودُهُمْ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعَ عَشَرَ، وَهُمْ يُشَكِّلُونَ أَقَلِّيَّةً بَيْنَ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ.

الْحَيُّ الْأَرْمَنِيُّ

الْأَرْمَنُ الْأُرْثُوذُكْسُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 2,000 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَهُمْ يُشَكِّلُونَ جُزْءًا مُهِمًّا مِنَ النَّسِيجِ الْمَسِيحِيِّ فِي الْقُدْسِ، وَيَعُودُ تَوَاجُدُهُمْ إِلَى الْعُصُورِ الْبِيزَنْطِيَّةِ.

الْحَيُّ الْيَهُودِيُّ

الْأُرْثُوذُكْسُ الْحَرِيدِيمُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 2,000 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَيَعُودُ تَوَاجُدُهُمْ إِلَى الْعُصُورِ الْوُسْطَى، وَهُمْ يُشَكِّلُونَ جُزْءًا كَبِيرًا مِنَ الْمُجْتَمَعِ الْيَهُودِيِّ فِي الْقُدْسِ.

السَّفَارِدِيمُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 1,500 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَهُمْ مِنْ أَصْلٍ إِسْبَانِيٍّ وَمَغْرِبِيٍّ، وَلَهُمْ تَقَالِيدُ دِينِيَّةٌ خَاصَّةٌ.

الْأَشْكِنَازُ يُقَدَّرُ عَدَدُهُمْ بِحَوَالَيْ 1,000 نَسَمَةٍ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَهُمْ مِنْ أَصْلٍ أُورُوبِّيٍّ شَرْقِيٍّ، وَلَهُمْ حُضُورٌ فِي بَعْضِ الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالتَّعْلِيمِيَّةِ.

بِحَسَبِ التَّقْدِيرَاتِ الْحَدِيثَةِ،يُشَكِّلُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمَسِيحِيُّونَ نَحْوَ 77% مِنَ السُّكَّانِ، بَيْنَمَا يُشَكِّلُ الْيَهُودُ حَوَالَيْ 10%. وَيَتَفَاوَتُ تَوَزُّعُ السُّكَّانِ بَيْنَ أَحْيَائِهَا الْأَرْبَعَةِ [43].

تَعَدُّدُ الجِنْسِيَّاتِ وَالهُوِيَّاتِ

تُشَكِّلُ البَلْدَةُ القَدِيمَةُ دَاخِلَ أَسْوَارِ القُدْسِ فُسَيْفَسَاءَ إِنْسَانِيَّةً صَغِيرَةً، وَفِيهَا مَزِيجٌ مِنْ شُعُوبٍ وَأَدْيَانٍ وَجِنْسِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تَعَايَشُوا عَبْرَ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ. وَيُمْكِنُ تَبْسِيطُ الصُّورَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:ـــ

المُسْلِمُونَ وَعَرَبُ الجَزِيرَةِ

يُشَكِّلُ المُسْلِمُونَ العَرَبُ الغَالِبِيَّةَ السُّكَانِيَّةَ دَاخِلَ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ، وَيَتَحَدَّثُونَ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، حَيْثُ يَحْمِلُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِطَاقَةَ إِقَامَةٍ دَائِمَةٍ فِي القُدْسِ. وَتَتَنَوَّعُ أُصُولُ هَذِهِ الغَالِبِيَّةِ تَنَوُّعًا مُمَيَّزًا؛ فَمِنْهُمْ مَن يَعُودُ نَسَبُهُ إِلى عَرَبِ الجَزِيرَةِ الَّذِينَ وَفَدُوا مَعَ جَيْشِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ العَشَائِرِ عَشِيرَةَ الحُسَيْنِيّ، وَالنَّشَاشِيبِيّ، وَالْأَنْصَارِيّ، وَالْكَيْلَانِيّ. وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأُصُولٍ أُخْرَى، فَمِنْهُمْ مَن جَاءَ مِنْ الهِنْدِ، مِثْلُ عَشِيرَةِ الدُّومِ الَّتِي يُقَالُ إِنَّهَا وَصَلَتْ مَعَ جَيْشِ صَلَاحِ الدِّينِ، إضافةً إلى عَشِيرَةِ النِّمْرِ، وَالْبَوْعَرَانِيّ، وَسَلِيمٍ، وَالْأَنْصَارِيّ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَغْلَبِيَّةَ هَذِهِ العَائِلَاتِ تَسْكُنُ حَالِيًا خَارِجَ أَسْوَارِ المَدِينَةِ.

الْأَتْرَاكُ أَوِ التُّرْكُمَانُ

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ مُعْظَمَ العَائِلَاتِ الَّتِي اسْتَقَرَّتْ أَصْبَحَتْ جُزْءاً أَصِيلاً مِنَ النَّسِيجِ السُّكَانِيّ لِلْمَدِينَةِ، وَمِنْ بَيْنِ هَذِهِ العَائِلَاتِ (الْمُنْحَدِرَةِ مِنَ الأُصُولِ التُّرْكِيَّةِ) عَشِيرَةُ الشُّورْبَجِيّ، وَعَشِيرَةُ رِضْوَان، وَالطُّبَنْجِيّ، فَإِنَّ الجَمَّاسِيَّ تُعَدُّ إِحْدَى العَائِلَاتِ الَّتِي يَعُودُ جُزْءٌ مِنْ أُصُولِهَا إِلى شِبْهِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَّةِ، لَكِنَّهَا اسْتَقَرَّتْ فِي نَفْسِ المَدِينَةِ.

اليَمَنِيُّونَ

مِنْ أَبْرَزِ العَشَائِرِ الَّتِي يُشَارُ إِلى أَنَّ لَهَا أُصُولًا يَمَنِيَّةً فِي البَلْدَةِ القَدِيمَةِ عَشِيرَةَ جَارُ اللَّهِ، وَيُذْكَرُ أَنَّ أَصْلَهَا يَعُودُ إِلى قَبَائِلَ قَحْطَانِيَّةٍ مِنَ اليَمَنِ، وَالحَوَامِدَةِ.

الأُرْدُنِيُّونَ

عَائِلَاتٌ أُرْدُنِيَّةٌ اِحْتَفَظَتْ بِجِنْسِيَّتِهَا الأُرْدُنِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ تَحْدِيدُ تِلْكَ العَائِلَاتِ بِأَكْمَلِهَا الَّتِي تَسْكُنُ دَاخِلَ السُّورِ وَتَعُودُ أُصُولُهَا بِالْكَامِلِ إلى شَرْقِ الأُرْدُنِّ، وَذَلِكَ لِسَبَبِ التَّرَابُطِ التَّارِيخِيِّ وَالجُغْرَافِيِّ العَمِيقِ بَيْنَ الضِّفَّتَيْنِ، حَيْثُ كَانَتِ الحَرَكَةُ بَيْنَهُمَا طَبِيعِيَّةً عَلَى مَرِّ العُصُورِ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ العَشَائِرِ الَّتِي لَهَا اِمْتِدَادٌ مُشْتَرَكٌ أَوْ أُصُولٌ مُشْتَرَكَةٌ عَشِيرَةُ الدَّجَانِيّ وَعَشِيرَةُ الْخَالِدِيّ (بِشَكْلٍ جُزْئِيٍّ)، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الأَصْلَ التَّارِيخِيَّ لِلْخَالِدِيِّينَ يَعُودُ إلى الحِجَازِ.

المَسِيحِيُّونَ

يَتَحَدَّثُ بَعْضُهُمُ اللُّغَةَ العَرَبِيَّةَ، وَيَتَوَزَّعُونَ بَيْنَ الطَّوَائِفِ الأُرْثُوذُكْسِيَّةِ، وَالكَاثُولِيكِيَّةِ، وَالْبَرُوتِسْتَانْتِيَّةِ. يَعِيشُونَ خُصُوصًا فِي الحَيِّ المَسِيحِيِّ، وَمَعَهُمُ أَيْضًا الجَالِيَةُ الأَرْمَنِيَّةُ الَّتِي جَاءَتْ مُنْذُ القَرْنِ الرَّابِعِ المِيلَادِيِّ، وَزَادَتْ أَعْدَادُهَا بَعْدَ مَجَازِرِ الإِبَادَةِ فِي عَامِ (1915)، وَمُعْظَمُهُمْ يَتَحَدَّثُ الأَرْمَنِيَّةَ إِلَى جَانِبِ العَرَبِيَّةِ.

الإِثْيُوبِيُّونَ الأَحْبَاشُ

طَائِفَةٌ مَسِيحِيَّةٌ إِثْيُوبِيَّةٌ صَغِيرَةٌ مُقِيمَةٌ بِجِوَارِ كَنِيسَةِ القِيَامَةِ، جَاءُوا عَبْرَ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ لِلْحَجِّ، وَبَقِيَتْ جَمَاعَاتٌ مِنْهُمْ فِي القُدْسِ. اليَوْمَ عَدَدُهُمْ قَلِيلٌ جِدًّا، لَكِنَّ حُضُورَهُمُ الرُّوحِيَّ وَالتَّارِيخِيَّ بَارِزٌ.

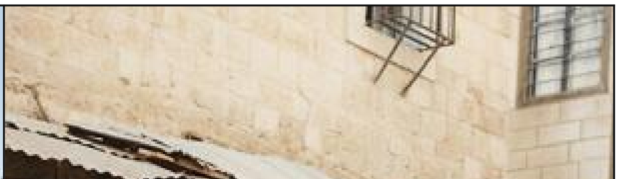
الجَالِيَةُ اليَهُودِيَّةُ

يَتَمَرْكَزُونَ أَسَاسًا فِي الحَيِّ اليَهُودِيِّ. كَانَ لِلْيَهُودِ وُجُودٌ مُسْتَمِرٌّ، لَكِنْ بَعْدَ حَرْبِ عَامِ 1948 بَقِيَ قَلِيلٌ مِنْهُمْ حَتَّى عَامِ 1967، ثُمَّ أُعِيدَ تَوْطِينُ الحَيِّ اليَهُودِيِّ فِي القُدْسِ الغَرْبِيَّةِ بَعْدَ حَرْبِ عَامِ 1967، وَاليَوْمَ يَسْكُنُهُ آلافٌ مِنَ اليَهُودِ (إِسْرَائِيلِيُّونَ بِشَكْلٍ رَئِيسِيٍّ).

أَقَلِّيَّاتٌ أُخْرَى صَغِيرَةٌ

فَمِنْهُمْ بَعْضُ العَائِلَاتِ وَالشَّخْصِيَّاتِ ذَوَاتِ الأُصُولِ المَغْرِبِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ التَّوَاجُدُ لِلْيَهُودِ المَغَارِبَةِ بَارِزًا فِي حَارَةِ المَغَارِبَةِ القَدِيمَةِ قَبْلَ عَامِ **1948**م. وَبِالإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ، تَضُمُّ القُدْسُ جَالِيَاتٍ أُخْرَى أُورُوبِيَّةً وَقَوْقَازِيَّةً مُرْتَبِطَةً تَارِيخِيًّا بِالكَنَائِسِ أَوِ التِّجَارَةِ. لَكِنَّهُمْ يُشَكِّلُونَ أَقَلِّيَّةً نَادِرَةً مُقَارَنَةً بِالمَجْمُوعَاتِ السِّتِّ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي تَضُمُّ عَرَبَ الجَزِيرَةِ، وَالأُرْدُنِيِّينَ، وَالتُّرْكَ، وَالأَرْمَنَ، وَالإِثْيُوبِيِّينَ، وَاليَهُودَ. وَفِي هَذَا السِّيَاقِ، يُعَدُّ المَسِيحِيُّونَ السُّكَّانُ الأَصْلِيُّونَ هُمُ السَّنَدَ التَّارِيخِيَّ الَّذِي بُنِيَتْ عَلَيْهِ المَدِينَةُ، مُنْذُ فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ قَبْلَ خَرَابِ أُورْشَلِيمَ. وَأَغْلَبُهُمْ نَاطِقُونَ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ تَعْرِيبَهُمْ كَانَ إِجْبَارًا تَحْتَ الاحْتِلَالِ الإِسْلَامِيِّ.

مَقْدِسِيُّونَ قَبْلَ نَحْوِ قَرْنٍ تَقْرِيبًا





جُذُورُ أَهْلِهَا

لَا يُمْكِنُ حَصْرُ اَلشَّعْبِ اَلْفِلَسْطِينِيّ فِي أَصْلٍ وَاحِدٍ، بَلْ هُوَ نَتِيجَةُ انْصِهَارٍ حَضَارِيٍّ تَبْعًا لِمَوْقِعِهِ كَمُلْتَقًى لِلْقَارَّاتِ وَمَمَرٍّ لِلْغُزَاةِ وَاَلتُّجَّارِ وَاَلْحُجَّاجِ.وَقَبْلَ اتِّفَاقِيَّةِ "سَايكس–بِيكو" اَلَّتِي وُقِّعَتْ سِرًّا فِي أَيَّارَ 1916م، وَقَبْلَ قَرَارَاتِ مُؤْتَمَرِ "سَانْ رِيمُو" فِي 25 نَيْسَانَ 1920م اَلَّتِي رَسَمَتْ خُطُوطَ الِانْتِدَابِ اَلْحَدِيثَةَ، كَانَتْ هَذِهِ اَلْمَنَاطِقُ (فِلَسْطِينُ، وَشَرْقُ اَلْأُرْدُنِّ، وَاَلْعِرَاقُ، وَسُورِيَا، وَلُبْنَانُ) تُشَكِّلُ كُلًّا جُغْرَافِيًّا وَتَارِيخِيًّا وَاحِدًا يُعْرَفُ بِبِلَادِ اَلشَّامِ وَتُعْرَفُ فِي بَعْضِ اَلْأَطْوَارِ اَلْعُثْمَانِيَّةِ وَمَا قَبْلَهَا بِسُورِيَا اَلْكُبْرَى بِمَعْنَى اَلْإِقْلِيمِ اَلشَّامِيّ كَكُلٍّ.

اكْتَسَبَتِ اَلضَّفَّةُ اَلْغَرْبِيَّةُ شَكْلَهَا اَلْجُغْرَافِيَّ وَاَلْكِيَانِيَّ اَلْمُنْفَصِلَ بَعْدَ حَرْبِ 1948م وَتَوْقِيعِ اتِّفَاقِيَّاتِ هُدْنَةِ رُودْسَ اَلَّتِي رَسَمَتْ "اَلْخَطَّ اَلْأَخْضَرَ" اَلَّذِي حَدَّدَ شَكْلَهَا اَلْمَعْرُوفَ، وَالَّتِي تَمَّ ضَمُّهَا بِمُوجَبِهِ لِلْأُرْدُنِّ (فِي اَلْفَتْرَةِ مِنْ 1949م إِلَى 1967م). وَعَلَيْهِ، يَتَمَيَّزُ اَلشَّعْبُ اَلْفِلَسْطِينِيُّ، فِي غَزَّةَ وَاَلْقُدْسِ وَاَلضَّفَّةِ اَلْغَرْبِيَّةِ، بِتَنَوُّعٍ عِرْقِيٍّ وَحَضَارِيٍّ عَمِيقٍ نَتِيجَةَ تَرَاكُمِ هِجَرَاتٍ وَانْدِمَاجَاتٍ عَلَى مَدَى اَلْعُصُورِ، وَيُمْكِنُ تَلْخِيصُ أَبْرَزِ هَذِهِ اَلْأُصُولِ فِيمَا يَلِي:

أ اَلْأَصْلُ اَلْجَذْرِيُّ

يَتَكَوَّنُ اَلشَّعْبُ "اَلْبِلِشْتِيمِ" اَلْفِلَسْطِينِيُّ مِنْ وَرَثَةِ اَلْأَقْوَامِ اَلْأَصْلِيَّةِ اَلَّتِي عَاشَتْ عَلَى هَذِهِ اَلْأَرْضِ عَلَى مَدَى اَلْعُصُورِ؛ فَهُنَاكَ قِلَّةٌ نَادِرَةٌ مِنْ سُلَالَةِ اَلْكَنْعَانِيِّينَ "اَلْحَامِيِّينَ" وَ"اَلْبِلِشْتِيمِيِّينَ" اَلْفِلِسْتِينِيِّينَ اَلْقُدَمَاءِ، وَجُزْءٌ آخَرُ قِلَّةٌ نَادِرَةٌ أَيْضًا يَعُودُ لِأُصُولٍ أَرَامِيَّةٍ "اَلسَّامِيَّةِ" وَرُومَانِيِّينَ قُدَمَاءَ. هَذِهِ اَلْأَقْوَامُ اَلْأَصْلِيَّةُ اعْتَنَقَتِ اَلْمَسِيحِيَّةَ، وَاَلْبَعْضُ اَلْآخَرُ اعْتَنَقَ اَلْإِسْلَامَ لَاحِقًا،

وَتَعَرَّبَتْ لُغَتُهَا مَعَ مَوْجَاتِ اَلْقَبَائِلِ مِنْ جَزِيرَةِ اَلْعَرَبِ اَلَّتِي وَصَلَتْ إِلَى بِلَادِ اَلشَّامِ، لِتُشَكِّلَ اَلْهَيْكَلَ اَلْأَسَاسِيَّ لِلشَّعْبِ اَلْفِلَسْطِينِيِّ اَلْحَالِيِّ.

ب اَلْأُصُولُ الْعَرَبِيَّةُ

تَمَثَّلَتْ فِي الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ " الْهَاجِرِيِّينَ" الَّتِي وَصَلَتْ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ بَدْءًا مِنْ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَمَنْ تَلَاهُ، وَاَلَّتِي شَكَّلَتِ اَلْإِطَارَ اَللُّغَوِيَّ وَاَلْحَضَارِيَّ اَلْعَرَبِيَّ اَلْأَسَاسِيَّ لِلْمَنْطِقَةِ، وَلَا تَزَالُ اَلْآثَارُ اَلتَّارِيخِيَّةُ لِهَذِهِ اَلْوَفْدَاتِ، وَمِنْهَا مَوَاضِعُ دَفْنِ شَخْصِيَّاتٍ بَارِزَةٍ فِي تِلْكَ اَلْحِقْبَةِ، مَوْجُودَةٌ فِي مَوَاقِعَ مُخْتَلِفَةٍ كَبَابِ اَلرَّحْمَةِ.

ت الْأَفَارِقَةُ

يُشَكِّلُ أَفْرَادُ الجَالِيَاتِ ذَوِي الأُصُولِ الإِفْرِيقِيَّةِ، خَاصَّةً مِنْ غَرْبِ إِفْرِيقِيَا وَالسُّودَانِ، أَقَلِّيَّةً مُهِمَّةً فِي النَّسِيجِ السُّكَانِيِّ لِأَهْلِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ. لَقَدْ قَدِمُوا إلى المَدِينَةِ كَمُجَاهِدِينَ وَمُرْتَبِطِينَ "لِلرِّبَاطِ" فِي سَبِيلِ المَسْجِدِ الأَقْصَى مُنْذُ العَهْدِ الأَيُّوبِيِّ وَمَنْ خَلَفَهُ. وَيَتَرَكَّزُ سَكَنُهُمْ بِشَكْلٍ رَئِيسِيٍّ دَاخِلَ الحَيِّ الإِسْلَامِيِّ فِي المَنْطِقَةِ المَعْرُوفَةِ بِالحَيِّ الإِفْرِيقِيِّ القَرِيبَةِ مِنْ بَابِ النَّاظِرِ. عِلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ، تَوَافَدَتْ جَالِيَاتٌ أُخْرَى مَعْدُودَةٌ مِنْ تَشَادَ وَالسِّنْغَالِ قَبْلَ نَحْوِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَنِ.

اَلْمَوْطِنُ اَلْأَصْلِيُّ لِلْكَنْعَانِيِّينَ اَلْقُدَمَاءِ كَانَ مُمْتَدًّا عَلَى كَامِلِ اَلْأَقْسَامِ اَلْغَرْبِيَّةِ لِبِلَادِ اَلشَّامِ (بَيْتَ اَلْمَقْدِسِ،وَلُبْنَانَ، وَأَجْزَاءَ مِنْ سُورِيَا وَاَلْأُرْدُنِّ اَلْحَالِيَّةِ)، وَاَلْأَدِلَّةُ اَلْجِينِيَّةُ اَلْحَدِيثَةُ تَدْعَمُ اسْتِمْرَارِيَّةَ اَلْأُصُولِ اَلْكَنْعَانِيَّةِ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ فِي لُبْنَانَ وَمَنَاطِقَ أُخْرَى مِنْ بِلَادِ اَلشَّامِ (كَسُورِيَا).

ث اَلْأُصُولُ اَلْكُرْدِيَّةُ

لَا يَزَالُ اَلْوُجُودُ اَلْكُرْدِيُّ مَلْحُوظًا، خَاصَّةً فِي اَلْقُدْسِ وَمَنَاطِقَ أُخْرَى، فَقَدْ جَاءَ بَعْضُهُمْ مَعَ جُيُوشِ صَلَاحِ اَلدِّينِ اَلْأَيُّوبِيِّ، وَاِسْتَقَرَّ بَعْضُهُمْ فِي اَلْمَدِينَةِ. مِثْلَ عَائِلَاتِ آلِ اَلشِّهَابِيِّ، وَاَلظَّاظَا، وَاَلْجَعْبَرِيِّ.

ج اَلْجَمَاعَاتُ اَلْوَافِدَةُ خِلَالَ اَلْحُكْمِ اَلْعُثْمَانِيِّ

تَشْمَلُ هَذِهِ اَلْجَمَاعَاتُ اَلشَّرَاكِسَةَ اَلَّذِينَ جَاءُوا كَمَسْؤُولِينَ إِدَارِيِّينَ وَجُنُودٍ مَعَ اَلْجَيْشِ اَلْعُثْمَانِيِّ، وَاِسْتَقَرَّ بَعْضُهُمْ فِي اَلْبِلَادِ. وَجَاءَتْ كَذَلِكَ بَعْضُ وَفَدَاتِ اَلْبُوشْنَاقِ بَعْدَ عَامِ 1878م، بِالْإِضَافَةِ إِلَى اَلْأَرْمَنِ اَلَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ اَلْمَجَازِرِ وَتَرَكَّزُوا فِي حَيِّ اَلْأَرْمَنِ فِي اَلْقُدْسِ. وَهُمْ مَجْمُوعَةٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ شَكَّلَتْ جُزْءًا مِنَ اَلنَّسِيجِ اَلْمُقَدَّسِيِّ، مِمَّا أَضَافَ تَنَوُّعًا عِرْقِيًّا دَاخِلَ اَلْمُدُنِ اَلْكُبْرَى.

ح اَلْقَبَائِلُ اَلْمُسْتَقِرَّةُ فِي اَلنَّقَبِ

تَعُودُ أُصُولُ هَذِهِ اَلْقَبَائِلِ اَلْبَدْوِيَّةِ فِي مِنْطَقَةِ اَلنَّقَبِ إِلَى هِجَرَاتٍ عَرَبِيَّةٍ سَابِقَةٍ وَعَشَائِرَ تَمْتَدُّ جُذُورُهَا مِنْ جَزِيرَةِ اَلْعَرَبِ اَلَّتِي اسْتَقَرَّتْ فِي تِلْكَ اَلْمِنْطَقَةِ مُنْذُ مِئَاتِ اَلسِّنِينَ. وَاَلْبَعْضُ اَلْآخَرُ مِنْهُمْ هُمْ بَقَايَا اَلصُّفُوفِ وَاَلرُّتَبِ اَلصَّغِيرَةِ مِنْ عَسْكَرِ اَلْجَيْشِ اَلْعُثْمَانِيِّ.

خ اَلْجَالِيَةُ اَلْأُرْدُنِّيَّةُ

يُشَكِّلُ وُجُودُ بَعْضِ اَلْجَالِيَاتِ اَلْأُرْدُنِّيَّةِ فِي مَدِينَةِ اَلْقُدْسِ حَالَةً اسْتِثْنَائِيَّةً لِعَائِلَاتٍ تَعُودُ بِجُذُورِهَا اَلْأَصْلِيَّةِ إِلَى شَرْقِ اَلْأُرْدُنِّ. لَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ اَلْعَائِلَاتُ لِلِاسْتِثْمَارِ وَلِلِاسْتِقْرَارِ خَاصَّةً خِلَالَ اَلْفَتْرَةِ اَلَّتِي كَانَتْ فِيهَا اَلضَّفَّةُ

اَلْغَرْبِيَّةُ جُزْءًا مِنَ اَلْمَمْلَكَةِ اَلْأُرْدُنِّيَّةِ. وَبِصِفَةٍ عَامَّةٍ، يُعْتَبَرُ اَلْوُجُودُ اَلْمُبَاشِرُ لِلْأَفْرَادِ مِنْ أُصُولِ اَلضَّفَّةِ اَلشَّرْقِيَّةِ (اَلْأُرْدُنِّ) فِي اَلْقُدْسِ أَقَلِّيَّةً.

د اَلتَّرْكِيبَةُ اَلْعِرْقِيَّةُ

إِنَّ اَلْمَسِيحِيِّينَ اَلْأَصِيلِينَ اَلَّذِينَ تَعُودُ جُذُورُهُمْ إِلَى اَلْمِنْطَقَةِ، وَالسَّامِرِيِّينَ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ دِينِيَّةٌ عِرْقِيَّةٌ قَدِيمَةٌ جِدًّا يَعِيشُ جُزْءٌ مِنْهَا فِي نَابُلُسَ، كِلْتَا هَاتَيْنِ اَلْمَجْمُوعَتَيْنِ تُمَثِّلُ جُزْءًا أَصِيلًا وَضَارِبًا فِي اَلْقِدَمِ مِنْ "**اَلتَّرْكِيبَةِ اَلْعِرْقِيَّةِ وَاَلدِّينِيَّةِ اَلشَّامِلَةِ لِلْمِنْطَقَةِ**".وَلَكِنْ، لَمْ تَكْتَمِلْ هَذِهِ اَلتَّرْكِيبَةُ إِلَّا بِفِعْلِ حَرَكَاتِ اَلْهِجْرَةِ اَلتَّارِيخِيَّةِ، حَيْثُ شَهِدَتِ اَلْبِلَادُ مُوَاجَهَاتٍ وَتَبَادُلَاتٍ وَاِسْتِقْبَالَاتٍ لِمَجْمُوعَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمُتَفَرِّقَةٍ شَكَّلَتْ نَسِيجَهَا اَلْحَالِيَّ فِي **بَيْتِ اَلْمَقْدِسِ** وَمَا حَوْلَهُ، مِثْلَ اَلدُّرُوزِ اَلَّذِينَ هُمْ مُجْتَمَعٌ عَرِيقٌ لَهُ جُذُورٌ فِي شَمَالِ اَلْبِلَادِ وهَضْبَةِ اَلْجَوْلَانِ، وَأُصُولُهُمْ تَعُودُ إِلَى لُبْنَانَ وَسُورِيَا "**بِلَادِ اَلشَّامِ**". كَذَلِكَ اَلْكُرْدُ اَلَّذِينَ جَاءُوا مَعَ اَلْجُيُوشِ اَلْأَيُّوبِيَّةِ، وَكَانُوا يُمَثِّلُونَ شَرِيحَةً ذَاتَ سِمَاتٍ ثَقَافِيَّةٍ وَدِينِيَّةٍ مُتَمَيِّزَةٍ. كَمَا يَعُودُ وُجُودُ اَلْحُجَّاجِ وَاَلرُّهْبَانِ اَلْإِثْيُوبِيِّينَ اَلْقُدَمَاءِ فِي اَلْأَرَاضِي اَلْمُقَدَّسَةِ إِلَى اَلْعُصُورِ اَلْمَسِيحِيَّةِ اَلْمُبَكِّرَةِ "**اَلْعَصْرِ اَلْبِيزَنْطِيِّ**" وَقَدْ تَأَصَّلَ وَتَثَبَّتَ خِلَالَ اَلْعُصُورِ اَلْوُسْطَى، مُحَافِظًا عَلَى اِرْتِبَاطِهِ بِمَوَاكِبِ اَلْحَجِّ، وَتَمَرْكَزُوا فِي حَيٍّ مَعْرُوفٍ بِحَيِّ اَلْإِثْيُوبِيِّينَ، وَهُوَ حَيٌّ مُنْفَصِلٌ عَنْ أَحْيَاءِ اَلْمُسْلِمِينَ وَاَلْمَسِيحِيِّينَ. وَالْأَرْمَنُ اَلَّذِينَ هَرَبُوا مِنَ اَلْمَجَازِرِ وَتَرَكَّزُوا فِي اَلْحَيِّ اَلْأَرْمَنِيِّ فِي اَلْقُدْسِ دَاخِلَ اَلْبَلْدَةِ اَلْقَدِيمَةِ، مِمَّا يُؤَكِّدُ عُمْقَ اَلتَّجْذِيرِ اَلْحَضَارِيِّ لِهَذِهِ اَلتَّرْكِيبَةِ اَلْعِرْقِيَّةِ.

أَبْوَابُ مَدِينَةِ أُورْشَلِيمَ الْقُدْسِ

يَبْلُغُ عَدَدُ أَبْوَابِ سُورِ الْقُدْسِ الْقَدِيمِ الَّتِي رُمِّمَتْ فِي الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ "السُّلْطَانِ سُلَيْمَانَ الْقَانُونِيّ" ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَابًا، مِنْهَا سَبْعَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَسِتَّةٌ مُغْلَقَةٌ.

الْأَبْوَابُ السَّبْعَةُ الْمَفْتُوحَةُ

1. بَابُ السَّاهِرَةِ (بَابُ الْوَرْدِ)

يَقَعُ فِي الْجَانِبِ الشَّمَالِيّ لِسُورِ الْقُدْسِ الْقَدِيمِ، شَرْقِيَّ بَابِ الْعَمُودِ. يُطِلُّ عَلَى شَارِعِ صَلَاحِ الدِّينِ. يُؤَدِّي إِلَى حَيِّ السَّعْدِيَّةِ وَحَيِّ بَابِ حِطَّةَ فِي الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَالطَّرِيقُ مِنْهُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى قَصِيرَةٌ.

2. بَابُ الْعَمُودِ (بَابُ دِمَشْقَ)

يَقَعُ فِي مُنْتَصَفِ الْحَائِطِ الشَّمَالِيّ لِلسُّورِ. يُعَدُّ مِنْ أَجْمَلِ الْأَبْوَابِ وَأَفْخَمِهَا، وَهُوَ الْمَدْخَلُ الرَّئِيسِيُّ مِنَ الْجِدَارِ الشَّمَالِيّ، وَيُؤَدِّي بِمَمَرٍّ مُتَعَرِّجٍ إِلَى دَاخِلِ الْمَدِينَةِ.

3.الْبَابُ الْجَدِيدُ (بَابُ عَبْدِ الْحَمِيدِ)

يَقَعُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ لِسُورِ الْقُدْسِ الْقَدِيمِ. أُنْشِئَ فِي عَامِ 1898م بِأَمْرٍ مِنَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الثَّانِي، وَذَلِكَ تَرْحِيبًا بِزِيَارَةِ الْإِمْبَرَاطُورِ الْأَلْمَانِيّ فِيلْهِلْمَ الثَّانِي لِلْقُدْسِ، لِيَسْهُلَ وُصُولُهُ إِلَى الْكَنَائِسِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ، خَاصَّةً كَنِيسَةَ الْقِيَامَةِ. كَمَا يُؤَدِّي إِلَى الْأَحْيَاءِ السَّكَنِيَّةِ فِي الْحَيِّ الْمَسِيحِيِّ، وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ. وَيَرْبُطُ الْبَلْدَةَ الْقَدِيمَةَ بِالْمَنَاطِقِ الْحَدِيثَةِ خَارِجَ السُّورِ، وَخَاصَّةً مَنَاطِقُ وَمُجَمَّعَاتٌ مِثْلِ النُّوتَرْدَامِ وَشَارِعِ يَافَا.

4.بابُ الخَلِيلِ (بابُ يافَا)

يَقَعُ فِي الْحَائِطِ الْغَرْبِيّ لِلسُّورِ. وهُوَ المَدْخَلُ الرَّئِيسِيُّ لِلسُّيّاحِ، أُطْلِقَ عَلَيْهِ بَابُ الْخَلِيلِ (لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى مَدِينَةِ الْخَلِيلِ)، وَبَابُ يَافَا (لِأَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى مَدِينَةِ يَافَا السَّاحِلِيَّةِ).

5. بَابُ صِهْيَوْنَ (**بَابُ النَّبِيِّ دَاوُدَ**)

يَقَعُ فِي الْحَائِطِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِلسُّورِ، وَهُوَ مُمْتَدٌّ عَلَى طُولِ الْحَيِّ الْأَرْمَنِيِّ. يُؤَدِّي دَاخِلًا إِلَى الْأَحْيَاءِ السَّكَنِيَّةِ فِي الْحَيِّ الْأَرْمَنِيِّ وَالْحَيِّ الْيَهُودِيِّ.

6. بَابُ سِلْوَانَ أَوْ بَابُ الْقُمَامَةِ وَهُوَ(**بَابُ الْمَغَارِبَةِ**)

يَقَعُ فِي السُّورِ الْجَنُوبِيِّ لِلْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ. وَهُوَ قَرِيبٌ جِدًّا مِنَ الرُّكْنِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ لِسُورِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَسَاحَةِ الْمَبْكَى. وَيُؤَدِّي خَارِجَ السُّورِ إِلَى مِنْطَقَةِ بَلْدَةِ سِلْوَانَ وَنَبْعِ الْجِيحُونِ (نَبْعِ سِلْوَانَ).

7. بَابُ الْأَسْبَاطِ (**بَابُ سِتِّ مَرْيَمَ/بَابُ الْقِدِّيسِ اسْطِيفَانَ**)

يَقَعُ فِي الْجِدَارِ الشَّرْقِيِّ لِسُورِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. وَهُوَ الْبَابُ الْوَحِيدُ الْمَفْتُوحُ فِي هَذَا الْجِدَارِ، يُؤَدِّي دَاخِلًا إِلَى سَاحَةٍ تُسَمَّى "**سَاحَةُ الْغَزَالِيِّ**"، وَمِنْهَا إِلَى الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. كَمَا أَنَّهُ أَحَدُ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَيَقَعُ عَلَى بُعْدِ حَوَالَيْ 50 مِتْرًا مِنْهُ.

الْأَبْوَابُ الْمُغْلَقَةُ

1. بَابُ الرَّحْمَةِ (**الْبَابُ الذَّهَبِيُّ/بَابُ شُوشَانَ**)

يَقَعُ فِي السُّورِ الشَّرْقِيِّ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهُوَ الْبَابُ الْوَحِيدُ فِي هَذَا الْحَائِطِ. وَهُوَ بَابٌ مُزْدَوِجٌ يَتَكَوَّنُ مِنْ مَدْخَلَيْنِ دَاخِلِيَّيْنِ. أُغْلِقَ هَذَا الْبَابُ مِنْ جِهَةِ السُّورِ الْخَارِجِيِّ بِالْحِجَارَةِ فِي فَتْرَةٍ سَابِقَةٍ، فِي الْعَهْدِ الْأَيُّوبِيِّ لِأَسْبَابٍ دِفَاعِيَّةٍ وَأَمْنِيَّةٍ. وَمِنَ الدَّاخِلِ تَتَّصِلُ هَذِهِ الْبَوَّابَةُ الْمُغْلَقَةُ بِقَاعَةٍ وَاسِعَةٍ، تُعْرَفُ الْيَوْمَ بِمُصَلَّى بَابِ الرَّحْمَةِ. كَمَا يُؤَدِّي خَارِجًا إِلَى مِنْحَدَرٍ مُؤَدٍّ إِلَى وَادِي قَدْرُونَ (**وَادِي جَهَنَّمَ**) وَإِلَى مَقْبَرَةِ بَابِ الرَّحْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

2. أَبْوَابُ حُلْدَةَ

وَهِيَ الْأَبْوَابُ الثَّلَاثَةُ الدَّاخِلِيَّةُ الْمُغْلَقَةُ فِي أَجْزَاءٍ مِنَ السُّورِ، وَتُعْرَفُ جَمِيعُهَا بِاسْمِ "أَبْوَابِ حُلْدَةَ"، وَتَشْمَلُ الْبَابَ الْمُزْدَوَجَ، وَالْمُثَلَّثَ، وَالْبَابَ الْمُنْفَرِدَ. وَهَذِهِ أَبْوَابٌ قَدِيمَةٌ تَقَعُ فِي الْجُزْءِ الْجُنُوبِيِّ وَتُؤَدِّي إِلَى الْحَرَمِ، وَقَدْ تَمَّ إِغْلَاقُهَا فِي فَتَرَاتٍ تَارِيخِيَّةٍ مُتَفَاوِتَةٍ لِأَسْبَابٍ أَمْنِيَّةٍ أَوْ دِفَاعِيَّةٍ.

3. بَابُ الدَّبَّاغَةِ القَدِيمِ

يَقَعُ بَابُ الدَّبَّاغَةِ القَدِيمُ المَغْلُوقُ فِي السُّورِ الجَنُوبِيِّ لِلْبَلْدَةِ القَدِيمَةِ، وَيَبْعُدُ عَنْ بَابِ سِلْوَانَ مَسَافَةً قَصِيرَةً تُقَدَّرُ بِحَوَالِي 10 إِلَى 12 مِتْرًا فَقَطْ بِاتِّجَاهِ الغَرْبِ (أَيْ بِاتِّجَاهِ بَابِ صِهْيَوْنَ).

يَعُودُ هَذَا البَابُ فِي أَصْلِهِ إِلَى الفَتْرَةِ الرُّومَانِيَّةِ عِنْدَمَا بَنَى هَادْرِيَانُ الكَارْدُو الجَنُوبِيَّ الَّذِي يَبْدَأُ نُقْطَةُ انْطِلَاقِهِ مِنْ بَابِ السَّمَكِ قَدِيمًا "بَابِ العَامُودِ حَالِيًّا" مُرُورًا إِلَى الجَنُوبِ لِيَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ "الدَّبَّاغَةِ" نِسْبَةً إِلَى الدَّبَّاغِينَ، وَهُمُ الحِرَفِيُّونَ المُتَخَصِّصُونَ فِي مِهْنَةِ دِبَاغَةِ جُلُودِ الحَيَوَانَاتِ وَتَجْهِيزِهَا لِلصِّنَاعَاتِ الجِلْدِيَّةِ.

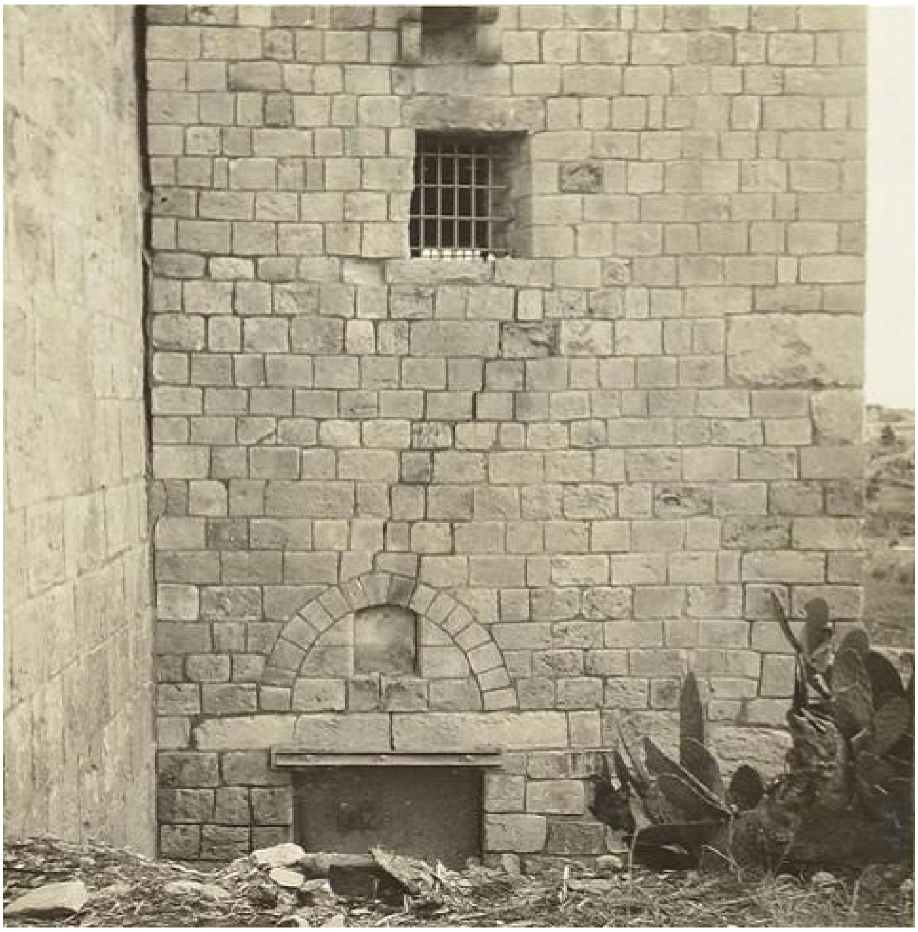
وَتَمَّتْ تَوْسِعَتُهُ فِي عَهْدِ "فَيْلَقِ التِّمْبِلَارِ الأُورُوبِّيِّ" لِيَكُونَ مَنْفَذًا صَغِيرًا لِلْمُشَاةِ وَتَصْرِيفِ المِيَاهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِإِغْلَاقِهِ السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ القَانُونِيُّ فِي القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ المِيلَادِيِّ، تَحْدِيدًا عِنْدَ إِعَادَةِ بِنَاءِ أَسْوَارِ المَدِينَةِ الحَالِيَّةِ بَيْنَ عَامَيْ 1537 وَ1541م؛ حَيْثُ دُمِجَتْ بَقَايَا هَذَا البَابِ القَدِيمِ دَاخِلَ حِجَارَةِ السُّورِ الجَدِيدِ وَأُلْغِيَ دَوْرُهُ تَعْزِيزًا لِلتَّحْصِينَاتِ الدِّفَاعِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ وَالِاعْتِمَادُ كُلِّيًّا عَلَى بَابِ سِلْوَانَ الحَالِيِّ.

4. بَابُ خَوْخَةِ الطَّوَارِئِ

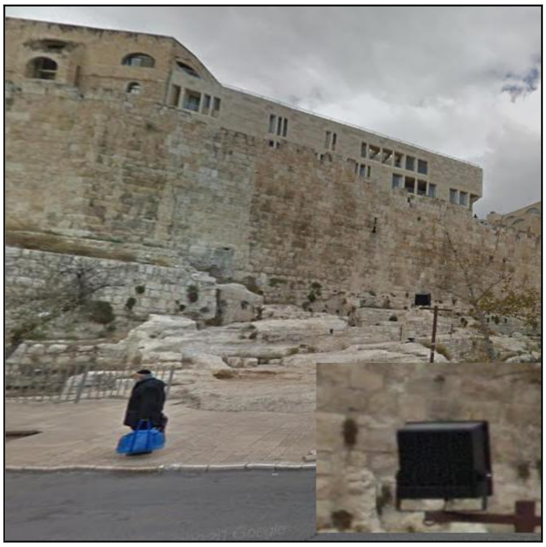
تَعُودُ الْبَوَّابَةُ الْخَوْخَةُ الصَّغِيرَةُ، السِّرِّيَّةُ لِلطَّوَارِئِ، الْمُلْتَصِقَةُ بِبُرْجِ بَابِ الدَّبَّاغَةِ الَّذِي يَبْعُدُ عَنْ بَابِ الدَّبَّاغَةِ نَحْوَ الْغَرْبِ حَوَالَيْ 30 مِتْرٍ، وَيُرَجَّحُ أَنَّ هَذَا الْمُسْتَوَى الْقَدِيمَ يُشِيرُ إِلَى مَدْخَلِ الْمَدِينَةِ الرُّومَانِيَّةِ الْبِيزَنْطِيَّةِ إِلْيَا كَابِيتُولِينَا عِنْدَ نِهَايَةِ الْكَارْدُو

الشَّرْقِيّ، حَيْثُ غُمِرَتِ الْبَوَّابَةُ عَبْرَ الْقُرُونِ بِالْأَنْقَاضِ وَالتَّرَاكُمَاتِ التُّرَابِيَّةِ، وَيَظْهَرُ أَمَامَ الْمَدْخَلِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ السُّكَّانِ الْمَحَلِّيِّينَ يَحْمِلُونَ سِلَالاً، وَقَدْ سَدَّتِ الْحِجَارَةُ الْمُتَسَاقِطَةُ وَالتُّرَابُ جُزْءاً كَبِيراً مِنَ الْمَمَرِّ الَّذِي لَا يَزَالُ ضَيِّقاً جِدّاً، وَقَدْ أُغْلِقَتْ هَذِهِ الْبَوَّابَةُ تَمَاماً وَطُمِرَتْ خِلَالَ الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ الْمِيلَادِيّ عِنْدَمَا أَمَرَ السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ الْقَانُونِيُّ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ أَسْوَارِ الْقُدْسِ الْحَالِيَّةِ، حَيْثُ جَرَى سَدُّهَا وَمَلْؤُهَا بِالْحِجَارَةِ لِتَعْزِيزِ التَّحْصِينَاتِ الدِّفَاعِيَّةِ وَتَقْلِيلِ النُّقَاطِ الضَّعِيفَةِ فِي السُّورِ لِمَنْعِ أَيّ تَسَلُّلٍ أَوِ اخْتِرَاقٍ خَارِجِيّ، إِلَى أَنْ رُفِعَ عَنْهَا الرَّدْمُ جُزْئِيّاً خِلَالَ التَّنْقِيبَاتِ الْأَثَرِيَّةِ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ.

بُرْجُ بَابِ الدَّبَّاغَةِ العَتِيقِ



بَابُ خَوْخَةِ الطَّوَارِئِ الْمُغْلَقُ



بَابُ خَوْخَةِ الطَّوَارِئِ قَبْلَ إِغْلَاقِهِ فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي



أَسْوَارُ الْمَدِينَةِ

جَبَلِ الْمُرْيَا يَتَّفِقُ الْمُؤَرِّخُونَ وَعُلَمَاءُ الآثَارِ عَلَى أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَاشَ فِي فَتْرَةٍ تُقَدَّرُ بِحَوَالَيْ 2000–1800 ق.م. عِنْدَمَا جَاءَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى جَبَلِ الْمُرْيَا، كَانَتْ هَذِهِ الْمَنْطِقَةُ مَوْجُودَةً كَأَرْضٍ وَتِلالٍ، وَلَمْ تَكُنْ بَعْدُ قَدْ تَطَوَّرَتْ إِلَى مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ مُحَصَّنَةٍ بِأَسْوَارٍ كَامِلَةٍ كَمَا نَعْرِفُهَا الْيَوْمَ بِاسْمِ "الْقُدْسِ".

قَبْلَ نِهَايَةِ الْقَرْنِ الثَّالِثَ عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ، وَقَبْلَ عَوْدَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي عَاشَتْ فِيهَا سَبْعَةُ شُعُوبٍ فِي عَبْرِ الْأُرْدُنِّ –أَيْ شَرْقِيَّ نَهْرِ الْأُرْدُنِّ– وَسِلْسِلَةِ الْجِبَالِ الشَّرْقِيَّةِ الْمُمْتَدَّةِ لِلْمَنَاطِقِ الْجَبَلِيَّةِ شَرْقَ النَّهْرِ، وَفِي سُهُولِ الْأَرْضِ الْمُمْتَدَّةِ أَمَامَ الْبَحْرِ، وَفِي كُلِّ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ –الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ– إِلَى جِهَةِ لُبْنَانَ، وَهُمُ الْحِثِّيُّونَ وَالْأَمُورِيُّونَ وَالْكَنْعَانِيُّونَ وَالْفِرِزِّيُّونَ وَالْحِوِّيُّونَ وَالْيَبُوسِيُّونَ، حَيْثُ كَانَتْ مَدِينَةُ الْقُدْسِ يَسْكُنُهَا الْيَبُوسِيُّونَ قَدِيمًا، وَلَمْ يَطْرُدْ بَنُو بِنْيَامِينَ الَّذِينَ كَانُوا بِجَانِبِهِمُ الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ.

عَهْدِ دَاوُدَ

يُعَدُّ الْمَلِكُ دَاوُدُ شَخْصِيَّةً مِحْوَرِيَّةً فِي التَّارِيخِ؛ فَفِي حَوَالَيْ عَامِ أَلْفٍ قَبْلَ الْمِيلَادِ، تَوَجَّهَ دَاوُدُ مَعَ رِجَالِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِمُوَاجَهَةِ الْيَبُوسِيِّينَ، وَهُمْ سُكَّانُ تِلْكَ الأَرْضِ الأَصْلِيُّونَ، حَيْثُ تَمَكَّنَ مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ وَالسَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ نَفَذَ رِجَالُهُ إِلَيْهَا عَبْرَ نَفَقٍ لِلْمِيَاهِ أَوْ مَا يُعْرَفُ بِالْقَنَاةِ. وَأَقَامَ دَاوُدُ فِي الْحِصْنِ وَبَنَى الْمَدِينَةَ حَوَالَيْهَا مِنَ الْقَلْعَةِ إِلَى مَا حَوْلَهَا وَجَدَّدَ يُوآبُ سَائِرَ الْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا عَاصِمَةً لِمَمْلَكَتِهِ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمَ "مَدِينَةِ دَاوُدَ".

فِي عَهْدِ سُلَيْمَانَ، قَامَ ابْنُهُ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ بِتَوْسِيعِ الْمَدِينَةِ وَبِنَاءِ الْهَيْكَلِ الأَوَّلِ فِي جَبَلِ الْمُرْيَا. لَقَدْ قَامَ أَيْضًا بِبِنَاءِ أَسْوَارٍ أُخْرَى لِتَحْصِينِ الْمَدِينَةِ وَحِمَايَةِ الْهَيْكَلِ.

وَفِي عَهْدِ مَنَسَّى اِبْنِ اَلْمَلِكِ حِزْقِيَا وَحَفْصِيبَا، مَلِكِ يَهُوذَا (٦٩٧–٦٤٢ ق.م)، قَامَ بِبِنَاءِ اَلسُّورِ اَلثَّانِي، وَالَّذِي كَانَ يَضُمُّ ١٤ بُرْجًا.

بَعْدَ اَلْعَوْدَةِ مِنَ اَلسَّبْيِ

بَعْدَ دَمَارِ أُورُشَلِيمَ عَلَى يَدِ نَبُوخَذْ نَصَّرَ"البَابِلِيِّ" فِي سَنَةِ 586 ق.م وَسَبْيِ اليَهُودِ، جَاءَ نَحْمِيَا فِي القَرْنِ الخَامِسِ قَبْلَ المِيلَادِ(حَوَالَيْ 440 ق.م) فِي عَهْدِ الفُرْسِ. ولَعِبَ دَوْرًا حَاسِمًا فِي إِعَادَةِ بِنَاءِ أَسْوَارِ أُورُشَلِيمَ المُتَهَدِّمَةِ بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ رَغْمَ المُعَارَضَةِ الشَّدِيدَةِ.

الفَتْرَةُ الهِيلِينِسْتِيَّةُ

فِي عَهْدِ بَطْلِيمُوسَ الْأَوَّلِ (حَوَالَيْ 320 ق.م) هَدَمَ جُزْءًا مِنِ أَسْوَارِ الْمَدِينَةِ. وَكَذَلِكَ فِي عَهْدِ أَنْطِيُوخُسَ الرَّابِعِ السَّلُوقِيِّ (168 ق.م)؛ هَدَمَ أَيْضًا أَجْزَاءً مِنَ السُّورِ.

فَأَعَادَ بِنَاءَهُ هِيرُودُوسُ الْكَبِيرُ (37–4 ق.م)؛ حَيْثُ تَمَّتْ تَقْوِيَةُ السُّورِ دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ جَذْرِيٍّ، وَتَرْمِيمُ الهَيْكَلِ.

الفَتْرَةُ الرُّومَانِيَّةُ

بَدَأَ السُّورُ الشَّمَالِيُّ الغَرْبِيُّ لِأُورُشَلِيمَ، وَهُوَ السُّورُ الثَّالِثُ وَالأَخِيرُ وَالأَطْوَلُ، عَلَى يَدِ هِيرُودِسَ أَغْرِيبَا فِي الفَتْرَةِ مَا بَيْنَ عَامَيْ ٤١ و٤٤م. وَقَدِ اسْتَكْمَلَ بِنَاءَهُ اليَهُودُ قَبْلَ وُصُولِ الرُّومَانِ، حَيْثُ أُتِمَّ قَبْلَ حِصَارِ تِيطُسَ لِلْمَدِينَةِ فِي عَامِ ٧٠م.

كَانَ هَذَا السُّورُ يُحِيطُ بِأَكْبَرِ مِسَاحَةٍ مِنَ المَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ. وَكَانَتْ نُقْطَةُ بِدَايَتِهِ عِنْدَ قَلْعَةِ دَاوُودَ الحَالِيَّةِ، ثُمَّ امْتَدَّ شَمَالًا نَحْوَ بُرْجِ بَسِيفِينَا "בְּסִיפִינָא" الَّذِي يُعَدُّ قَرِيبًا جِدًّا مِنَ المَجْمَعِ الرُّوسِيِّ فِي القُدْسِ اليَوْمَ، وَكَانَ يُمَثِّلُ الحَدَّ الأَقْصَى لِأُورُشَلِيمَ مِنَ الجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ وَيَحْمِي المِنْطَقَةَ الجَدِيدَةَ مِنَ المَدِينَةِ.

أَمَّا السُّورُ الجَنُوبِيُّ، فَكَانَ السُّورَ الأَقْدَمَ وَالأَكْثَرَ مَتَانَةً، وَقَدْ شَيَّدَهُ الحَشْمُونِيُّونَ ثُمَّ وَسَّعَهُ هِيرُودِسُ الكَبِيرُ. فَقَدْ بَدَأَ مِنَ الغَرْبِ عِنْدَ قَلْعَةِ دَاوُودَ، عِنْدَ "بَابِ الأَسْيَانِيِّينَ" (שַׁעַר הָאִסִּיִּים)، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الجَنُوبِ مُحِيطًا بِمِنْطَقَةِ "جَبَلِ صِهْيَوْنَ"،

وَقَدِ اشْتَمَلَ عَلَى قَلْعَةِ دَاوُودَ وَقَصْرِ هِيرُودِسَ. وَوَاصَلَ امْتِدَادَهُ حَتَّى الْتَقَى بِالسُّورِ الشَّرْقِيِّ عِنْدَ بِرْكَةِ سِلْوَانَ، حَيْثُ الْتَقَى بِحَوْضِ سُلَيْمَانَ، وَمِنْ هُنَاكَ تَوَجَّهَ نَحْوَ الشَّمَالِ لِيُحِيطَ بِعُوفَلَ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَى الرُّكْنِ الجَنُوبِيِّ الغَرْبِيِّ مِنْ جَبَلِ الهَيْكَلِ.

أَمَّا السُّورُ الثَّانِي، فَبَدَأَ بِنَاؤُهُ فِي عَصْرِ هِيرُودِسَ الكَبِيرِ، وَكَانَ يُحِيطُ بِالْمِنْطَقَةِ السُّكَّانِيَّةِ الجَدِيدَةِ التِي نَمَتْ فِي تِلْكَ الفَتْرَةِ.

وَقَدِ ارْتَبَطَ السُّورُ الثَّانِي بِالسُّورِ الأَوَّلِ عِنْدَ بَابِ جِنّيثَ "גִּנַּת"، وَامْتَدَّ شَمَالًا وَشَرْقًا لِيَتَّصِلَ بِقَلْعَةِ أَنْطُونْيَا شَمَالَ جَبَلِ الهَيْكَلِ، مُحِيطًا بِبِرْكَةِ حِسْدَا وَبَابِ السَّمَكِ.

الفَتْرَةُ الإِسْلَامِيَّةُ

فِي الْفَتْرَةِ الْأُمَوِيَّةِ، شَهِدَ الجِدَارُ الشَّرْقِيُّ، وَخَاصَّةً الجِدَارُ الجَنُوبِيُّ الَّذِي يَتَّحِدُ مَعَهُ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ، إِغْلَاقَ الْبَابِ الثُّلَاثِيّ وَالْبَابِ الْمُزْدَوَجِ فِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ لِأَسْبَابٍ أَمْنِيَّةٍ. فَبَعْدَ أَنْ بَنَى الْقُصُورَ الَّتِي نُسِبَتْ إِلَيْهِ، أَصْبَحَ جُزْءٌ كَبِيرٌ مِنَ الْبَابِ الْمُزْدَوَجِ مُدْمَجًا فِي هَذَا الْبِنَاءِ الجَدِيدِ. فَقَدْ غَطَّى هَذَا الجِدَارُ الْبَابَ بِشَكْلٍ كَامِلٍ، جَاعِلًا إِيَّاهُ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ الْأَسَاسَاتِ الدَّاخِلِيَّةِ لِهَذِهِ الْقُصُورِ.

بَعْدَ وَقْعَةِ حِطّيْنَ، فَقَدْ تَمَّ تَسْلِيْمُ مَدِينَةِ طَبَرِيَّا بِمُقَابِلِ ضَمَانِ الْخُرُوجِ الْآمِنِ.

ثُمَّ دَخَلَ صَلَاحُ الْدِّيْنِ الْأَيُّوبِيُّ الْقُدْسَ عَامَ 1187 م.

عُوفَلُ هِيَ تَلَّةٌ صَغِيرَةٌ تَمْتَدُّ جَنُوبَ جَبَلِ الهَيْكَلِ، كَانَتْ مَنْطِقَةً سُكَّانِيَّةً مُهِمَّةً، وَتُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ مَنْطِقَةِ سِلْوَانَ اليَوْمَ. وَفِي السِّيَاقِ التَّارِيخِيّ لِلْمِنْطَقَةِ، كَانَ صَلَاحُ الدِّينِ وَالِيًا عَلَى مِصْرَ تَحْتَ رَايَةِ نُورِ الدِّينِ زَنْكِي، وَعِنْدَمَا وَافَتْ سَيِّدَهُ المَنِيَّةُ فِي عَامِ 1174م، انْتَقَلَ صَلَاحُ الدِّينِ إِلَى سُورِيَا مُتَذَرِّعًا بِالوِصَايَةِ عَلَى ابْنِ نُورِ الدِّينِ الصَّغِيرِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَتَجَاوَزُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِهِ. وَلَمْ يُلْبِثْ صَلَاحُ الْدِّيْنِ أَنْ تَخَلَّى عَنْ رِدَاءِ الْوِصَايَةِ، فَاسْتَعْمَلَ الْقُوَّةَ الْعَسْكَرِيَّةَ ضِدَّ حُكَّامٍ مُسْلِمِيْنَ آخَرِيْنَ فِي مِصْرَ وَالْشَّامِ وَالْجَزِيْرَةِ، مُخْضِعًا إِيَّاهُمْ لِحُكْمِهِ الْمُسْتَقِلِّ، لِيُؤَسِّسَ بِذَلِكَ الْدَّوْلَةَ الْأَيُّوبِيَّةَ بِصِبْغَةٍ دِيْنِيَّةٍ مَبْنِيَّةٍ عَلَى تَعَالِيْمِ الْقُرْآنِ، مُخَالِفًا بِذَلِكَ وَرَثَةَ سَيِّدِهِ مِنَ الْزَّنْكِيِّيْنَ.

وَقَدْ تَمَّ تَدْمِيْرُ أَجْزَاءٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْسُّورِ خَشْيَةً مِنْ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ فُرْسَانُ الْهَيْكَلِ (فَيْلَقُ التِّمْبِلَارِ الْأُورُوبِّيِّ)، الْمَعْرُوفُونَ أَيْضًا بِالْدَّاوِيَّةِ، إِذَا عَادُوا وَاسْتَرْجَعُوا الْمَدِينَةَ.كَمَا أَمَرَ صَلَاحُ الدِّينِ بَتَرْمِيمِ التَّسْوِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ، السَّاحَةِ السُّفْلِيَّةِ الْمُسَمَّاةِ الْآنَ بِالْمُصَلَّى الْمَرْوَانِيِّ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ الثُّلَاثِيَّ وَبَابَ الرَّحْمَةِ لِحِمَايَةِ الْمَدِينَةِ وَالْمَسْجِدِ.

الفَتْرَةُ العُثْمَانِيَّةُ (السُّورُ الحَالِيُّ)

يُعَدُّ السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ القَانُونِيُّ (1536–1554م) بَانِيَ السُّورِ الْحَالِيِّ، بِمَا فِيهِ الْجِدَارُ الشَّرْقِيُّ، الَّذِي يُعْتَبَرُ مِنْ أَبْرَزِ إِنْجَازَاتِهِ فِي القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ الْمِيلَادِيِّ. وَقَدْ تَمَّ بِنَاءُ هَذَا السُّورِ خِلالَ خَمْسَ سَنَوَاتٍ، لَكِنَّ أَدِلَّةً نَقْشِيَّةً تُشِيرُ إِلَى أَنَّ الأَعْمَالَ اسْتَمَرَّتْ بَعْدَ مُدَّةِ السَّنَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَذْكُورَةِ. يَبْلُغُ طُولُ سُورِ الْقُدْسِ حَوَالَيْ 4018 مِتْرًا، وَيُشَكِّلُ الْجِدَارُ الشَّرْقِيُّ وَالْجُنُوبِيُّ لِلْحَرَمِ الْقُدْسِيِّ حَوَالَيْ 743 مِتْرًا مِنْهُ.

النَّقْشُ الْمُؤَرَّخُ فِي سَنَةِ1554م



مِنَ الأَبْوَابِ الَّتِي تَقَعُ فِي الجِدَارِ الشَّرْقِيِّ لِلسُّورِ، نَجِدُ بَابَ الأَسْبَاطِ (المَعْرُوفَ أَيْضًا بِبَابِ الأَسُودِ أَو بَابِ سِتِّي مَرْيَمَ)، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الأَبْوَابِ المَفْتُوحَةِ. كَمَا يُوجَدُ بَابُ

الرَّحْمَةِ (الْبَابُ الذَّهَبِيُّ)، وَهُوَ بَابٌ مُزْدَوَجٌ أُغْلِقَ آخِرَ مَرَّةٍ عَامَ 1541 م، وَيُعْرَفُ أَيْضًا بِبَابِ الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

بَعْدَ عَامِ 1967م شَهِدَتْ أَسْوَارُ الْقُدْسِ قِتَالًا خِلَالَ حَرْبِ عَامِ 1967م، وَاسْتَعَادَتْ إِسْرَائِيلُ الْأَرْضَ. فِي عَامِ 1981م، تَمَّ إِدْرَاجُ السُّورِ ضِمْنَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ عَلَى لَائِحَةِ التُّرَاثِ الْعَالَمِيِّ لِلْيُونِسْكُو بِطَلَبٍ مِنَ الْأُرْدُنِّ. وَفِي عَامِ 2004م، وَبِسَبَبِ تَعَرُّضِ الْجِدَارِ الْجَنُوبِيِّ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لِضَرَرٍ نَاتِجٍ عَنْ تَسَرُّبِ الْمِيَاهِ وَعَوَامِلَ أُخْرَى، اِنْشَقَّ جُزْءٌ مِنْهُ وَبَرَزَتْ حَشَايَاهُ، وَقَدْ تَمَّ تَرْمِيمُ ذَلِكَ الضَّرَرِ جُزْئِيًّا مِنْ قِبَلِ أَوْقَافِ الْقُدْسِ.

يُقَدَّرُ الْمُحِيطُ الْكُلِّيُّ لِأَسْوَارِ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ بِحَوَالَيْ 4018 مِتْرًا "مَا يَقْرُبُ مِنْ 4 كِيلُومِتْرَاتٍ"، وَتَتَفَاوَتُ أَبْعَادُهَا بِشَكْلٍ وَاضِحٍ حَسَبَ الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ.

إِذْ يُعَدُّ الْجِدَارُ الشَّرْقِيُّ الْأَقْصَرَ طُولًا بِحَوَالَيْ 800 مِتْرٍ، فِي حِينِ يُسَجِّلُ ارْتِفَاعًا تَقْرِيبِيًّا يَبْلُغُ 12 مِتْرًا. أَمَّا الْجِدَارُ الْجَنُوبِيُّ فَيَتَمَيَّزُ بِطُولٍ أَقْصَر نِسْبِيًّا يُقَدَّرُ بِحَوَالَيْ 1000 مِتْرٍ، لَكِنَّ ارْتِفَاعَهُ يَرْتَفِعُ لِيَصِلَ إِلَى 15 مِتْرًا تَقْرِيبًا. فِي الْمُقَابِلِ، يُمَثِّلُ الْجِدَارُ الْغَرْبِيُّ الْأَطْوَلَ بَيْنَ الْأَضْلَاعِ، بِطُولِ 1100 مِتْرٍ، وَيُسَجِّلُ الْأَعْلَى ارْتِفَاعًا بِنَحْوِ 18 مِتْرًا. بَيْنَمَا يَبْلُغُ طُولُ الْجِدَارِ الشَّمَالِيِّ 1118 مِتْرًا، وَهُوَ الْأَدْنَى فِي مُسْتَوَى الِارْتِفَاعِ، حَيْثُ لَا يَتَجَاوَزُ 10 أَمْتَارٍ.

كَمَا تَبْلُغُ مِسَاحَةُ الْقُدْسِ الْمُحَاطَةِ بِأَسْوَارِهَا، وَالَّتِي تُعْرَفُ بِالْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ، حَوَالَيْ 0.9 كِيلُومِتْرٍ مُرَبَّعٍ، أَوْ مَا يُعَادِلُ 900 دُونَمٍ (أَوْ 220 فَدَّانًا). (900,000 مِتْرٍ مُرَبَّعٍ).

وَتَبْلُغُ مِسَاحَةُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى _ وَهُوَ الِاسْمُ الَّذِي يَشْمَلُ الْحَرَمَ بِأَكْمَلِهِ وَمَا دَارَ عَلَيْهِ السُّورُ _ حَوَالَيْ 144 دُونَمًا، أَوْ مَا يُعَادِلُ 144,000 مِتْرٍ مُرَبَّعٍ.

وَبِذَلِكَ تُشَكِّلُ مِسَاحَةُ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى نَحْوَ سُدُسِ مِسَاحَةِ الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ، أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ 16% إِلَى 17 % مِنْ مِسَاحَتِهَا الْكُلِّيَّةِ.

اَلْجِدَارُ الشَّمَالِيُّ قَائِمٌ الْيَوْمَ





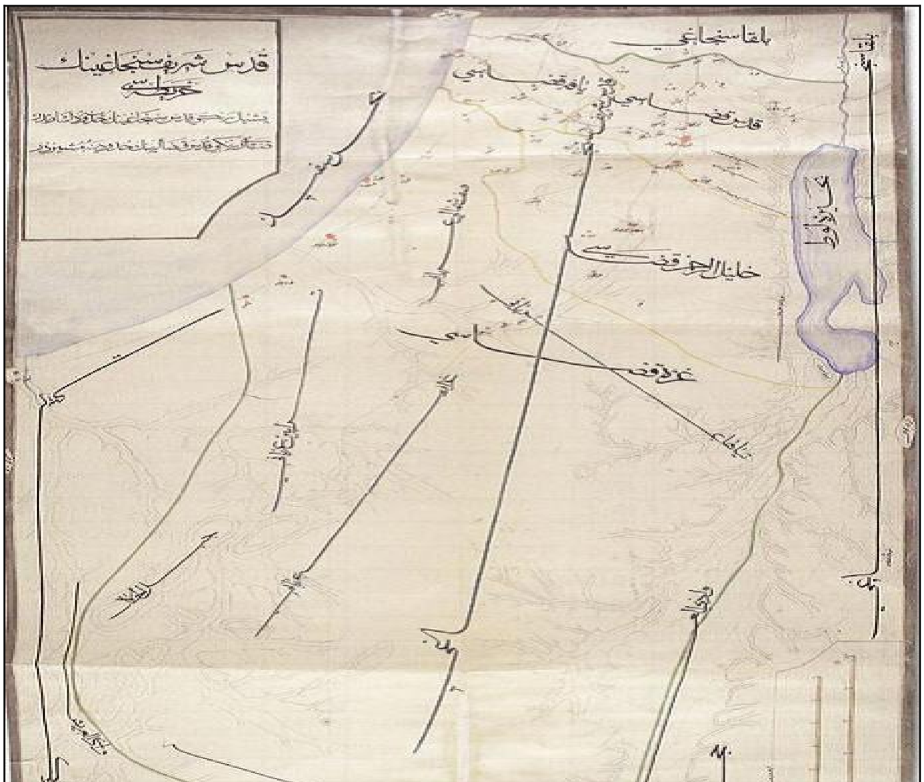


أَسْوَارُ الْمَدِينَةِ "الْجِدَارُ الشَّمَالِيُّ" كَانَتْ قَبْلَ نَحْوِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً تَقْرِيبًا





خَرِيطَةُ سَنْجَقِ القُدْسِ حَوَالَيْ عَامِ 1900م؛ لَا تَحْتَوِي عَلَى أَيِّ ذِكْرٍ لِاسْمِ فِلَسْطِينَ



أَبْرَاجَ سُورِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ

تُشِيرُ المَصَادِرُ المُخْتَلِفَةُ الَّتِي تَصِفُ أَسْوَارَ القُدْسِ القَدِيمَةِ، الَّتِي جَدَّدَهَا السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ القَانُونِيُّ فِي القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ المِيلَادِيِّ، إِلَى أَنَّ عَدَدَ الأَبْرَاجِ المُدْمَجَةِ فِيهَا يَتَفَاوَتُ قَلِيلًا؛ وَيَعُودُ هَذَا التَّبَايُنُ إِلَى اخْتِلَافِ طَرِيقَةِ احْتِسَابِ الأَبْرَاجِ الصَّغِيرَةِ أَوِ المُجَدَّدَةِ، وَكَذَلِكَ إِلَى طُولِ كُلِّ جِدَارٍ وَتَضَارِيسِ المِنْطَقَةِ الَّتِي يَحْمِيهَا.

لَكِنَّ العَدَدَ الشَّائِعَ والمُتَّفَقَ عَلَيْهِ هُوَ 34 بُرْجٍ، ويَشْمَلُ هَذَا العَدَدُ الأَبْرَاجَ الدِّفَاعِيَّةَ الكَبِيرَةَ والصَّغِيرَةَ المُوَزَّعَةَ عَلَى طُولِ الأَسْوَارِ الأَرْبَعَةِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى الأَبْرَاجِ المُرْتَبِطَةِ بِالبَوَّابَاتِ التِي تُشَكِّلُ جُزْءًا لَا يَتَجَزَّأُ مِنَ النِّظَامِ الدِّفَاعِيِّ لِلسُّورِ.

وَأَشْهَرُ هَذِهِ التَّحْصِينَاتِ قَلْعَةُ البُرْجِ المَعْرُوفَةُ اليَوْمَ بِقَلْعَةِ دَاوُدَ. وهِيَ بُرْجٌ أُسِّسَ أَوَّلًا عَلَى يَدِ المَلِكِ هِيرُودِسَ الكَبِيرِ فِي القَرْنِ الأَوَّلِ قَبْلَ المِيلادِ، ثُمَّ أُعِيدَ تَرْمِيمُهُ وتَشْيِيدُهُ مِراراً. ويُعَدُّ هَذَا البُرْجُ مِنْ أَهَمِّ الأَبْرَاجِ وَأَضْخَمِهَا، وهُوَ وَاقِعٌ فِي الزَّاوِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ (بِجِوَارِ بَابِ الخَلِيلِ).

وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِبَاقِي الأَبْرَاجِ، فَغَالِباً مَا يَتِمُّ تَحْدِيدُ مَوَاقِعِهَا بِالنِّسْبَةِ لِلْأَحْيَاءِ التِي تَحْمِيهَا. وَيُعَدُّ الجِدَارُ الشَّمَالِيُّ أَطْوَلَ الجُدْرَانِ وَأَكْثَرَهَا تَحْصِيناً، لِكَوْنِهِ الأَكْثَرَ عُرْضَةً لِلْهَجَمَاتِ مِنْ جِهَةِ السَّهْلِ الشَّمَالِيِّ. لِذَلِكَ، يَضُمُّ هَذَا الجِدَارُ وَحْدَهُ أَحَدَ عَشَرَ بُرْجًا، كَمَا يَحْتَوِي عَلَى المَدَاخِلِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ مِثْلَ بَابِ العَامُودِ، وبَابِ هِيرُودِسَ أَوْ "بَابِ الزَّاهِرَةِ – السَّاهِرَةِ".

أَمَّا الجِدَارُ الشَّرْقِيُّ المُطِلُّ عَلَى وَادِي قَدْرُونَ، فَيَضُمُّ ثَمَانِيَةَ أَبْرَاجٍ، ويَتَوَلَّى حِمَايَةَ مِنْطَقَةِ سَاحَةِ الأَقْصَى. وَيَشْتَهِرُ هَذَا الجِدَارُ بِضَمِّهِ بَابَ الأَسْبَاطِ، وبَابَ شُوشْوَانَ المُلَقَّبِ بِبَوَّابَةِ الرَّحْمَةِ، وهُوَ بَابٌ مُغْلَقٌ.

أَمَّا الجِدَارُ الجَنُوبِيُّ فَيَضُمُّ سَبْعَةَ أَبْرَاجٍ، وَيَمُرُّ فَوْقَ تِلالٍ تَحْوِي آثَاراً قَدِيمَةً، كَمَا يُطِلُّ عَلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ. وَيَحْتَوِي هَذَا الجِدَارُ عَلَى مَدْخَلَيْنِ رَئِيسِيَّيْنِ هُمَا بَابُ النَّبِيِّ دَاوُدَ "أَو بَابُ صِهْيَوْنَ"، وبَابُ سِلْوَانَ الَّذِي كَانَ يُؤَدِّي إِلَى امْتِدَادِ شَارِعِ الكَارْدُو قَدِيماً.

فِي حِينِ يُعَدُّ الجِدَارُ الغَرْبِيُّ هُوَ الأَقْصَرَ مِنْ جُدْرَانِ المَدِينَةِ، وَيَضُمُّ ثَمَانِيَةَ أَبْرَاجٍ. وَأَبْرَزُ مَا يُمَيِّزُهُ هُوَ احْتِوَاؤُهُ عَلَى قَلْعَةِ هِيرُودِسَ المَعْرُوفَةِ بِبُرْجِ دَاوُدَ، التِي تُعْتَبَرُ تَحْصِيناً مُسْتَقِلّاً وَكَبِيراً عِنْدَ الزَّاوِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ بِجَانِبِ بَابِ الخَلِيلِ.

بِرْكَةُ حِزْقِيَالَ دَاخِلَ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي أَرْبَعِينِيَّاتِ الْقَرْنِ الْمَاضِي



أَسْوَاقُ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ

يَا لَكَثْرَةِ وَتَنَوُّعِ أَسْوَاقِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ فِي القُدْسِ الَّتِي تُعَدُّ العَمُودَ الفَقْرِيَّ لِلْحَيَاةِ الاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ فِي المَدِينَةِ، بَلْ هِيَ شَرَايِينُ حَيَّةٌ تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا تَارِيخَ المَدِينَةِ وَتَنَوُّعَهَا الثَّقَافِيَّ وَالحَضَارِيَّ. وَتَتَمَيَّزُ بِمَوْقِعِهَا وَأَجْوَائِهَا الفَرِيدَةِ المُتَشَابِكَةِ وَالمُتَدَاخِلَةِ إِلَى حَدِّ عَدَمِ امْتِدَادِ حُدُودٍ فَاصِلَةٍ بَيْنَ عِدَّةِ مَنَاطِقِهَا المُخْتَلِفَةِ، وَلَا يُوجَدُ فَصْلٌ حَادٌّ بَيْنَهَا، لَكِنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى نَوْعِ البِضَاعَةِ يَخْتَلِفُ حَسَبَ قُرْبِ السُّوقِ مِنَ المَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ.

سُوقُ خَانِ الزَّيْتِ

أَبْرَزُهَا السُّوقُ الرَّئِيسِيُّ، سُوقُ خَانِ الزَّيْتِ، الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ دَرَجَاتِ بَابِ الْعَامُودِ (بَابِ دِمَشْقَ/ نَابُلُسَ قَدِيمًا) مِنْ مَدْخَلِ الْجِدَارِ الشَّمَالِيِّ، وَيَمْتَدُّ جَنُوبًا حَتَّى مِنْطَقَةِ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ. سُمِّيَ بِهَذَا الْإِسْمِ مُنْذُ الْقَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ فِي الْفَتْرَةِ الْمَمْلُوكِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ يُسْتَخْدَمُ لِتَخْزِينِ زَيْتِ الزَّيْتُونِ وَعَصْرِهِ، مِمَّا يَعْكِسُ أَهَمِّيَّتَهُ الزِّرَاعِيَّةَ وَالتِّجَارِيَّةَ الْقَدِيمَةَ. وَهُوَ سُوقٌ طَوِيلٌ وَأَكْثَرُ الْأَسْوَاقِ حَيَوِيَّةً جِدًّا لِكَوْنِهِ أَوَّلَ سُوقٍ يُقَابِلُ الزُّوَّارَ الْقَادِمِينَ مِنْ بَابِ الْعَامُودِ. كَانَ يُشَكِّلُ جُزْءًا مِنَ الشَّارِعِ الرُّومَانِيِّ الْقَدِيمِ (الْكَارْدُو) الْمُمْتَدِّ مِنْ سُوقِ وَادِي صَانِعِي الْجُبْنِ. حَالِيًّا هُوَ سُوقٌ مُنَوَّعٌ فِيهِ كُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا مِنَ الْبَضَائِعِ وَالسِّلَعِ الْمُتَنَوِّعَةِ، يَمْتَدُّ عَلَى جَانِبَيْهِ صَفَّانِ مِنَ الدَّكَاكِينِ الْمُتَقَابِلَةِ. مَمَرَّاتُهُ ضَيِّقَةٌ جِدًّا تَسَعُ لِمُرُورِ شَخْصَيْنِ، وَأَحْيَانًا ثَلَاثَةِ أَشْخَاصٍ جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ، أَيْ بِعَرْضٍ يُقَدَّرُ مَا بَيْنَ 1.80 و2.50 مِتْرًا تَقْرِيبًا. وَيَتَمَيَّزُ سَقْفُ السُّوقِ بِوُجُودِ فَتَحَاتٍ كَبِيرَةٍ تَسْمَحُ بِدُخُولِ الضَّوْءِ وَالْهَوَاءِ، مِمَّا يُوَفِّرُ حِمَايَةً مِنْ حَرَارَةِ الصَّيْفِ وَأَمْطَارِ الشِّتَاءِ. حَيْثُ يُشَكِّلُ نُقْطَةَ تَقَاطُعِ طُرُقٍ مِحْوَرِيَّةٍ، تَمْتَدُّ لِتَصِلَ إِلَى الْمِنْطَقَةِ الْمُرَبَّعَةِ، وَمِنْهَا تَتَفَرَّعُ عِدَّةُ أَزِقَّةٍ تُؤَدِّي إِلَى حَارَةِ النَّصَارَى "الْمَسِيحِيِّينَ"، مِمَّا يَرْبِطُ الْأَحْيَاءَ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ، نَحْوَ سُوقِ الْعَطَّارِينَ وَحَيِّ الْقَرْمِيِّ وَكَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ.

رَغْمَ فِقْدَانِهِ لِتَخَصُّصِهِ الْقَدِيمِ فِي مَعَاصِرِ الزَّيْتُونِ وَصِنَاعَةِ الصَّابُونِ، إِلَّا أَنَّهُ يُعَدُّ الْأَكْثَرَ تَنَوُّعًا حَالِيًّا، مِمَّا يُلَبِّي حَاجَاتِ السُّكَّانِ الْمَحَلِّيِّينَ بِشَكْلٍ أَسَاسِيٍّ لِلْمَوَادِّ الْاِسْتِهْلَاكِيَّةِ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي تَشْمُلُ الْخُضَارَ، وَالْفَوَاكِهَ، وَالْمُكَسَّرَاتِ، وَالْحَلَوِيَّاتِ، وَالْمَلَابِسَ وَالْأَحْذِيَةَ، وَالْإِلِكْتُرُونِيَّاتِ وَبَعْضَ الْمُقْتَنَيَاتِ الْأَثَرِيَّةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ وَالْمَطَاعِمِ، مِمَّا يَجْعَلُهُ سُوقًا مَرْكَزِيًّا لِخِدْمَةِ سُكَّانِ الْمَدِينَةِ وَزُوَّارِهَا.

سُوقُ الْعَطَّارِينَ

اشْتُقَّ اسْمُهُ مِنْ تَخَصُّصِهِ التَّارِيخِيِّ فِي بَيْعِ الْعُطُورِ وَالْبُخُورِ وَالْبَهَارَاتِ وَالْأَعْشَابِ الطِّبِّيَّةِ الْمَصْنُوعَةِ مِنْ مَوَادَّ طَبِيعِيَّةٍ. وَلِذَلِكَ، يَطْغَى عَلَى السُّوقِ جَوٌّ فَرِيدٌ مِنَ الرَّوَائِحِ الزَّكِيَّةِ الْمُمَيَّزَةِ. وَيُعَدُّ السُّوقُ مِنْ أَعْرَقِ الْأَسْوَاقِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ بِالْقُدْسِ؛ وَهُوَ يُمَثِّلُ قِطْعَةً حَيَّةً مِنَ التَّارِيخِ الْمَمْلُوكِيِّ، كَمَا كَانَ جُزْءًا مِنَ "الْكَارْدُو" الرُّومَانِيِّ الْقَدِيمِ. يَقَعُ السُّوقُ فِي قَلْبِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ مُمْتَدًّا عَلَى طُولِ شَارِعٍ مَرْكَزِيٍّ، وَهُوَ بِمَثَابَةِ عَصَبِ الْحَيَاةِ التِّجَارِيَّةِ لِأَنَّهُ يَقَعُ فِي مُنْتَصَفِ الشَّارِعِ الْحَيَوِيِّ الَّذِي يَرْبِطُ الْأَقْسَامَ الشَّمَالِيَّةَ بِالْجَنُوبِيَّةِ. وَيُشَكِّلُ حَلْقَةَ وَصْلٍ مُهِمَّةً، حَيْثُ يَرْبِطُ بَيْنَ سُوقِ خَانِ الزَّيْتِ فِي الشَّمَالِ وَسُوقِ الْحُصْرِ جَنُوبًا، وَيَمْتَدُّ بِمُحَاذَاةِ سُوقِ اللَّحَّامِينَ.

هُوَ سُوقٌ مُغَطًّى بِسَقْفٍ حَجَرِيٍّ مُقَوَّسٍ يَشْتَمِلُ عَلَى فَتَحَاتٍ لِإِدْخَالِ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَتَجْدِيدِ الْهَوَاءِ، مِمَّا يُضْفِي عَلَيْهِ جَمَالًا بَصَرِيًّا وَيُوَفِّرُ حِمَايَةً طَوَالَ الْعَامِ. وَبِالرَّغْمِ مِنْ تَغَيُّرِ مِهَنِ بَعْضِ الْمَحَلَّاتِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَزَالُ يَحْتَوِي عَلَى عَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحَوَانِيتِ الْمُتَخَصِّصَةِ فِي الْبَهَارَاتِ وَالتَّوَابِلِ وَالْأَعْشَابِ الَّتِي كَانَتْ تُجْلَبُ قَدِيمًا مِنَ الشَّرْقِ. كَمَا تَنَوَّعَتْ بَعْضُ دَكَاكِينِهِ لِتَشْمَلَ الْأَلْبِسَةَ وَالْمُسْتَلْزَمَاتِ الْمَنْزِلِيَّةِ وَالْمُقْتَنَيَاتِ التِّجَارِيَّةَ الْأُخْرَى.

سُوقُ اللَّحَّامِينَ

يُعَدُّ سُوقُ اللَّحَّامِينَ مِنْ أَقْدَمِ الْأَسْوَاقِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، تَعُودُ نَشْأَتُهُ إِلَى الْفَتْرَةِ الصَّلِيبِيَّةِ، تَمَّ تَرْمِيمُهُ فِي الْعَهْدَيْنِ الْأَيُّوبِيِّ وَالْمَمْلُوكِيِّ. يَقَعُ السُّوقُ فِي الْجُزْءِ الْأَوْسَطِ مِنْ مَرْكَزِ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَحَدُ أَضْلَاعِ "**السُّوقِ الثُّلَاثِيِّ**" الرَّئِيسِيَّةِ الْمُتَوَازِيَةِ مَعَ سُوقِ الْعَطَّارِينَ وَسُوقِ الْخَوَّاجَاتِ، الْوَاقِعِ قُرْبَ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ. وَهُوَ سُوقٌ طَوِيلٌ ضَيِّقٌ نِسْبِيًّا، مَمَرَّاتُهُ مُحَاطَةٌ بِصَفَّيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ مِنَ الدَّكَاكِينِ الْحَجَرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ الَّتِي كَانَتْ مُخَصَّصَةً لِبَيْعِ اللُّحُومِ وَالْمُنْتَجَاتِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالْأَسْمَاكِ وَالْأَعْضَاءِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْمَوَاشِي. أَمَّا بِنَايَتُهُ فَتَتَمَيَّزُ بِهَيْكَلِهَا الْحَجَرِيِّ الْمَتِينِ وَأَسَاسَاتِهَا الْقَوِيَّةِ. وَسَقْفُهُ مُغَطًّى بِشَكْلٍ كَامِلٍ بِقَنَاطِرَ حَجَرِيَّةٍ مُتَقَاطِعَةٍ مُرْتَكِزَةٍ عَلَى حَوَالَيْ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ عَمُودًا، مِمَّا يُضْفِي عَلَى السُّوقِ سِمَةً مِعْمَارِيَّةً مُمَيَّزَةً، كَمَا يُوَفِّرُ هَذَا السَّقْفُ حِمَايَةً دَائِمَةً لِلْمَمَرِّ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ وَأَمْطَارِ الشِّتَاءِ.

سُوقُ النَّحَّاسِينَ "سُوقُ الْخَوَّاجَاتِ"

يُعَدُّ سُوقُ النَّحَّاسِينَ الْمَعْرُوفُ حَالِيًّا بِاسْمِ سُوقِ الْخَوَّاجَاتِ "**أَوْ سُوقِ الصَّاغَةِ**" أَحَدَ الْأَضْلَاعِ الرَّئِيسِيَّةِ لِلسُّوقِ الثُّلَاثِيِّ فِي قَلْبِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. يَقَعُ السُّوقُ جَنُوبَ سُوقِ خَانِ الزَّيْتِ، وَشَمَالَ سُوقِ اللَّحَّامِينَ. سُمِّيَ قَدِيمًا بِسُوقِ النَّحَّاسِينَ "**أَوْ سُوقِ الْمُبَيِّضِينَ**" لِأَنَّهُ اِخْتُصَّ بِصِنَاعَةِ وَبَيْعِ الْأَدَوَاتِ النُّحَاسِيَّةِ وَأَعْمَالِ الْحِدَادَةِ، وَهُوَ تَخَصُّصٌ فَقَدَهُ السُّوقُ حَالِيًّا وَلَمْ يَتَبَقَّ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلٌ. وَبَعْدَ تَحَوُّلِهِ إِلَى بَيْعِ الْأَقْمِشَةِ وَالْأَلْبِسَةِ، سُمِّيَ بِسُوقِ الْخَوَّاجَاتِ "**أَوْ سُوقِ الْمَانِيفَاكْتُورَةِ**" نِسْبَةً إِلَى التُّجَّارِ الْيُونَانِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يُمَوِّلُونَهُ، لِبَيْعِ الْمَلَابِسِ التُّرَاثِيَّةِ الْقَدِيمَةِ وَالْقُمَاشِ لِلْأَفْرَاحِ وَالْمُنَاسَبَاتِ. وَعُرِفَ أَيْضًا بِسُوقِ صَاغَةِ الذَّهَبِ لِبَيْعِ الْمُنْتَجَاتِ الْفَاخِرَةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ. بُنِيَ السُّوقُ مُنْذُ الْفَتْرَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَمَّ تَطْوِيرُهُ فِي الْعَهْدِ الْمَمْلُوكِيِّ

وَالْعُثْمَانِيِّ. شَوَارِعُهُ طَوِيلَةٌ وَضَيِّقَةٌ وَمُغَطَّاةٌ بِأَقْبِيَةٍ حَجَرِيَّةٍ مَمْلُوكِيَّةٍ، يَتَمَيَّزُ بِهَيْكَلِهِ الْحَجَرِيِّ الْمَتِينِ وَأَقْبِيَتِهِ الْمُقَوَّسَةِ لِتُوَفِّرَ الظِّلَّ وَالْحِمَايَةَ.

سُوقُ الْقَطَّانِينَ "سُوقُ الْعَتْمِ"

يُعَدُّ سُوقُ الْقَطَّانِينَ، الْمَعْرُوفُ شَعْبِيًّا بِاسْمِ سُوقِ الْعَتْمِ، أَحَدَ الْمَعَالِمِ الْعُمْرَانِيَّةِ الْبَارِزَةِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. يَقَعُ السُّوقُ إِلَى الْغَرْبِ مِنْ جِدَارِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَيَأْخُذُ امْتِدَادًا شَرْقِيًّا مُنْتَظَمًا مِنْ طَرِيقِ الْوَادِ غَرْبًا لِيَنْتَهِيَ عِنْدَ بَابِ الْقَطَّانِينَ شَرْقًا، وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى قُبَّةِ الصَّخْرَةِ.
وَيَرْجِعُ بِنَاؤُهُ إِلَى الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِيِّ، حَيْثُ أَنْشَأَهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَنْكِزُ النَّاصِرِيُّ وَمُلْحَقَاتِهِ فِي عَامِ 1336م؛ لِتَكُونَ وَقْفًا مُنْتِجًا لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى. وَكَانَ مُخَصَّصًا فِي الْأَصْلِ لِبَيْعِ الْقُطْنِ وَالْأَقْمِشَةِ الْحَرِيرِيَّةِ، وَهُوَ سَبَبُ تَسْمِيَتِهِ.
أَمَّا عَنْ هَيْكَلِهِ، فَيَتَمَيَّزُ السُّوقُ بِهَيْكَلِهِ الْمِعْمَارِيِّ الْمُمَيَّزِ؛ فَهُوَ شَارِعٌ طَوِيلٌ مُغَطًّى بِأَقْبِيَةٍ نِصْفِ بَرْمِيلِيَّةٍ مَحْمُولَةٍ عَلَى عُقُودٍ. وَقَدْ تَمَّ تَخَلَّلَتْ هَذِهِ الْأَقْبِيَةِ بِفَتَحَاتٍ فِي السَّقْفِ لِتَوْفِيرِ الْإِضَاءَةِ وَالتَّهْوِيَةِ، مِمَّا جَعَلَهُ يُعْرَفُ شَعْبِيًّا أَيْضًا بِسُوقِ الْعَتْمِ. كَمَا تَزَيَّنُ بَوَّابَتُهُ الشَّرْقِيَّةُ بِزَخَارِفَ مَمْلُوكِيَّةٍ جَمِيلَةٍ وَمُقَرْنَصَاتٍ مُتَدَلِّيَةٍ. وَيَشْتَمِلُ السُّوقُ عَلَى خَمْسِينَ دُكَّانًا مُتَقَابِلًا، وَكَانَ يَحْتَوِي كَذَلِكَ عَلَى حَمَّامَيْنِ عَامَّيْنِ وَغُرَفٍ لِمَبِيتِ التُّجَّارِ "خَانَاتٍ".

سُوقُ الدَّبَّاغَةِ

يُعَدُّ سُوقُ الدَّبَّاغَةِ أَحَدَ الْأَسْوَاقِ الْقَدِيمَةِ وَالْمُهِمَّةِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ بِمَدِينَةِ الْقُدْسِ، إِذْ يَبْدَأُ مِنْ نُقْطَةِ بَابِ الْخَلِيلِ وَيَمْتَدُّ شَرْقًا، مُرُورًا بِمَنَاطِقَ تَقَعُ دَاخِلَ حَيِّ الْمَسِيحِيِّينَ الْمُلَقَّبِ "بِالنَّصَارَى"، وُصُولًا إِلَى كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ وَمَسْجِدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ. وَهَذَا الْمَوْقِعُ الْحَيَوِيُّ جَعَلَهُ مَحَطَّةً رَئِيسِيَّةً لِلْحُجَّاجِ وَالزُّوَّارِ.

وَقَدْ سُمِّيَ بِهَذَا الِاسْمِ لِأَنَّهُ كَانَ مُخَصَّصًا فِي الْأَصْلِ لِصِنَاعَةِ وَبَيْعِ الْجُلُودِ الْمُعَالَجَةِ "الْمَدْبُوغَةِ"، وَكَانَتْ بِضَائِعُهُ تَشْمَلُ الْأَحْذِيَةَ وَالْحَقَائِبَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْمَصْنُوعَاتِ الْجِلْدِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّخَصُّصَ قَدْ تَرَاجَعَ كَثِيرًا الْيَوْمَ. وَنَتِيجَةً لِقُرْبِهِ مِنَ الْمَوَاقِعِ الدِّينِيَّةِ الْبَارِزَةِ، تَحَوَّلَ السُّوقُ إِلَى بَيْعِ التُّحَفِ وَالْهَدَايَا التَّقْلِيدِيَّةِ وَالتُّرَاثِيَّةِ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى انْتِشَارِ بَعْضِ مَحَلَّاتِ الْحِرَفِ الْيَدَوِيَّةِ وَالْمَقَاهِي وَالْمَطَاعِمِ لِخِدْمَةِ الْأَفْوَاجِ السِّيَاحِيَّةِ. وَفِي الْمُجْمَلِ، يُعْتَبَرُ السُّوقُ جُزْءًا مُهِمًّا مِنَ النَّسِيجِ التِّجَارِيِّ الْمُتَنَوِّعِ الَّذِي يَرْبِطُ الْأَحْيَاءَ الْمُخْتَلِفَةَ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ.

مَتَاجِرُ مَسَارِ الْآلَامِ

مَسَارُ الْآلَامِ هُوَ الْمَسَارُ التَّارِيخِيُّ التَّقْلِيدِيُّ الَّذِي يُعْتَقَدُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ سَارَ فِيهِ مِنْ قَلْعَةِ أَنْطُونْيُوسَ قَدِيمًا حَامِلًا صَلِيبَهُ غَرْبًا إِلَى مَوْقِعِ الْجُلْجُثَةِ. وَهُوَ يَمْتَدُّ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْأَسْبَاطِ فِي أَطْرَافِ الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ إِلَى الْحَيِّ الْمَسِيحِيِّ، مُرُورًا بِأَرْبَعَ عَشْرَةَ مَحَطَّةً مُخْتَلِفَةً تُخَلِّدُ ذِكْرَى الْأَحْدَاثِ الْخَاصَّةِ بِمَسِيرَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.

تَشْتَهِرُ هَذِهِ الْمِنْطَقَةُ بِكَثْرَةِ الْمَوَاقِعِ الْأَثَرِيَّةِ وَالْكَنَائِسِ الْمُهِمَّةِ الْقَرِيبَةِ مِنْ جِدَارِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الشِّمَالِيِّ، وَهِيَ تُمَثِّلُ مِلْكِيَّةً مُتَنَوِّعَةً لِطَوَائِفَ مَسِيحِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ نَظَرًا لِقَدَاسَةِ هَذَا الْمَسَارِ. وَتَنْتَشِرُ عَلَى طُولِهِ الْمَزَارَاتُ وَالْكَنَائِسُ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ تَشَابُكِ أَسْوَاقِ "الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ" بَعْضِهَا بِبَعْضٍ وَغِيَابِ الْفَصْلِ الْحَادِّ بَيْنَهَا، إِلَّا أَنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى نَوْعِ الْبِضَاعَةِ يَخْتَلِفُ فِيهِ حَسَبَ قُرْبِ السُّوقِ مِنْ الْمَعَالِمِ الدِّينِيَّةِ لِكُلِّ طَائِفَةٍ. وَلِهَذَا، يَحْتَوِي هَذَا الْمَسَارُ عَلَى بَعْضِ الْمَتَاجِرِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَبِيعُ التُّحَفَ وَالْمُقَدَّسَاتِ وَالْهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْمُؤَسَّسَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَبَانِي التَّارِيخِيَّةِ.

سُوقُ بَابِ حِطَّةَ

يُعْرَفُ سُوقُ بَابِ الزَّاهِرَةِ، الْمَعْرُوفُ قَدِيمًا "بِبَابِ هِيرُودِسَ"، بِاسْمِ سُوقِ بَابِ حِطَّةَ أَيْضًا، وَهُوَ أَحَدُ الْأَسْوَاقِ الْقَدِيمَةِ الْمُهِمَّةِ فِي الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ. هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ شَارِعٍ تِجَارِيٍّ يَبْدَأُ مِنْ دَاخِلِ الْبَابِ، لِيَتَّصِلَ مُبَاشَرَةً بِسُوقِ بَابِ حِطَّةَ وَحَارَةِ السَّعْدِيَّةِ وَحَارَةِ بَابِ حِطَّةَ ضِمْنَ الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ. وَيُعَدُّ هَذَا السُّوقُ سُوقًا مَحَلِّيًّا، حَيْثُ تُبَاعُ فِيهِ الْبَضَائِعُ الْيَوْمِيَّةُ وَالْخُضْرَاوَاتُ وَالْمَوَادُّ الْغِذَائِيَّةُ. كَمَا يُشَكِّلُ مَمَرًّا مُهِمًّا لِلسُّكَّانِ وَلِلْمُصَلِّينَ قَصْدَ الْوُصُولِ إِلَى الْأَبْوَابِ الشِّمَالِيَّةِ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، مِثْلَ بَابِ حِطَّةَ وَبَابِ الْغَوَانِمَةِ.

سُوقُ الْوَادِ "وَادِي تِيرُوبِيُونَ"

يُعَدُّ سُوقُ الْوَادِ، أَوْ طَرِيقُ الْوَادِ، أَطْوَلَ وَأَهَمَّ الشَّوَارِعِ الْحَيَوِيَّةِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، حَيْثُ يَأْخُذُ مَسَارًا طُولِيًّا تَقْرِيبًا قَاسِمًا الْبَلْدَةَ إِلَى نِصْفَيْنِ مِنْ شَمَالِهَا إِلَى جَنُوبِهَا. وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ أَنَّ هَذَا الْمَسَارَ كَانَ قَدِيمًا عِبَارَةً عَنْ مَجْرًى لِوَادٍ عَمِيقٍ فِي زَمَنِ الْهَيْكَلِ الثَّانِي، وَقَدْ أُطْلِقَ عَلَيْهِ آنَذَاكَ "وَادِي تِيرُوبِيُونَ" نِسْبَةً لِبَاعَةِ الْجُبْنِ.

يَبْدَأُ السُّوقُ مِنْ مِنْطَقَةِ بَابِ الْعَمُودِ "بَابِ دِمَشْقَ" شِمَالًا، حَيْثُ يَلْتَقِي طَرِيقُهُ مَعَ سُوقِ خَانِ الزَّيْتِ عِنْدَ مُفْتَرَقٍ قَرِيبٍ مِنْ سُوَيْقَةِ بَابِ الْعَمُودِ وَبِالْقُرْبِ مِنْ حَيِّ الْمَسِيحِيِّينَ الْمُلَقَّبِ "بِالنَّصَارَى". ثُمَّ يَمْتَدُّ الْوَادُ فِي مَسَارِهِ الرَّئِيسِيِّ، مُرُورًا بِأَقْسَامٍ مِنَ الْحَيِّ الْإِسْلَامِيِّ، وَيَتَّجِهُ جَنُوبًا لِيَمْتَدَّ عَلَى طُولِ الْجِدَارِ الْغَرْبِيِّ لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، مُتَقَاطِعًا مَعَ الْعُقَبَاتِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى طَرِيقِ الْآلَامِ، وَهُوَ مَسَارٌ يَتَّجِهُ شَرْقًا لِيَصِلَ فِي نِهَايَتِهِ إِلَى بَابِ الْأَسْبَاطِ.

تَتَفَرَّعُ مِنْهُ مُعْظَمُ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الْغَرْبِيَّةِ، مِنْهَا بَابُ النَّاظِرِ، وَبَابُ الْحَدِيدِ، وَبَابُ الْمَجْلِسِ، وَبَابُ الْقَطَّانِينَ، كَمَا يَتَّصِلُ بِحَائِطِ الْمَبْكَى "الْكُوتِلْ".

وَهُوَ سُوقٌ عَامٌّ وَحَيَوِيٌّ، وَنُقْطَةُ وَصْلٍ بَيْنَ مُعْظَمِ أَسْوَاقِ الْبَلْدَةِ الْأُخْرَى، يُبَاعُ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْبَضَائِعِ الْمُتَنَوِّعَةِ، كَالْمَصْنُوعَاتِ الْحِرَفِيَّةِ وَالْمَأْكُولَاتِ الشَّعْبِيَّةِ وَالْخُضْرَاوَاتِ وَالْمَوَادِّ الْغِذَائِيَّةِ وَالْأَلْبِسَةِ وَالْهَدَايَا التُّرَاثِيَّةِ، كَوْنُهُ مَعْبَرًا لِلزُّوَّارِ وَالسُّكَّانِ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ.

سُوقُ الْبَاشُورَةِ "الْقَلْعَةُ"

سُوقُ الْبَاشُورَةِ هُوَ أَحَدُ أَقْدَمِ الْأَسْوَاقِ الْوَاقِعَةِ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، يَعُودُ تَارِيخُهُ إِلَى الْعَصْرِ الرُّومَانِيِّ، قَبْلَ أَنْ يَتَشَكَّلَ سُوقُ الْوَادِي "وَادِي تِيرُوبِيُونَ"، وَيُؤَكِّدُ عَرَاقَتَهُ التَّارِيخِيَّةَ مَا كَشَفَتْهُ الْحَفْرِيَّاتُ مِنْ أَعْمِدَةٍ وَأَرْضِيَّاتٍ رُومَانِيَّةٍ أَصْلِيَّةٍ تَعُودُ لِتِلْكَ الْفَتْرَةِ، الَّتِي سَبَقَتْ دَمَارَ أُورُشَلِيمَ وَالْهَيْكَلِ الثَّانِي عَامَ ٧٠م. وَيُعَدُّ هَذَا السُّوقُ جُزْءًا مِنْ شَارِعِ الْكَارْدُو الرُّومَانِيّ الْقَدِيمِ، حَيْثُ يَقَعُ فِي الْجُزْءِ الْجَنُوبِيِّ مِنَ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَهُوَ يَمْتَدُّ مَوَازِيًا لِجُزْءٍ مِنْ سُوقِ الْعَطَّارِينَ، وَيَمْتَدُّ جَنُوبًا نَحْوَ قَلْعَةِ هِيرُودِسَ الْمَعْرُوفَةِ الْيَوْمَ بِقَلْعَةِ دَاوُودَ، وَمِنْ هُنَا جَاءَتْ تَسْمِيَتُهُ "سُوقُ الْقَلْعَةِ" أَوِ "الْبَاشُورَةِ"، الَّتِي تُعْنَى بِهَا الْحِصْنُ أَوِ الْقَلْعَةُ. يَتَمَيَّزُ الْمَكَانُ بِآثَارِ أَعْمِدَةٍ رُخَامِيَّةٍ ضَخْمَةٍ مُزَيَّنَةٍ بِتِيجَانَ كُورِنْثِيَّةٍ، وَالَّتِي كَانَتْ تُشَكِّلُ أَرْوِقَةً لِلتَّسَوُّقِ عَلَى جَانِبَيِ الشَّارِعِ الْكَارْدُو فِي الْعَصْرِ الرُّومَانِيِّ. وَفِي الْعَهْدِ الْعُثْمَانِيِّ، اسْتُخْدِمَ لِبَيْعِ الْأَغْرَاضِ الْمُسْتَعْمَلَةِ وَالْمَنْسُوجَاتِ، وَكَانَ نُقْطَةَ عُبُورٍ لِلْقَادِمِينَ مِنْ بَابِ الْخَلِيلِ إِلَى أَسْوَاقِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ الْأُخْرَى. وَرَغْمَ إِغْلَاقِ جُزْءٍ مِنْهُ وَتَحْوِيلِ أَجْزَاءٍ أُخْرَى إِلَى مَعَارِضَ أَثَرِيَّةٍ، مِمَّا أَفْقَدَهُ بَعْضَ طَابِعِهِ التِّجَارِيِّ الْحَيَوِيِّ، إِلَّا أَنَّهُ احْتَفَظَ بِطَابِعِهِ الْحَيَوِيِّ حَالِيًا كَمَرْكَزٍ لِلْحَرَكَةِ التِّجَارِيَّةِ، خَاصَّةً لِبَيْعِ الْحُبُوبِ وَالْمُؤَنِ وَبَعْضِ الْحِرَفِ الْيَدَوِيَّةِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ.

سُوقُ الْبَازَارِ

سُوقُ الْبَازَارِ هُوَ أَحَدُ الْأَسْوَاقِ الْعَرِيقَةِ الْوَاقِعَةِ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَكَلِمَةُ "بَازَار" نَفْسُهَا هِيَ كَلِمَةٌ فَارِسِيَّةٌ تَعْنِي "السُّوقَ". يَقَعُ السُّوقُ فِي مِنْطَقَةٍ مِحْوَرِيَّةٍ، حَيْثُ يَبْدَأُ مِنْ نِهَايَةِ سُوَيْقَةِ عَلُّونٍ (شَارِعِ عَلُّونٍ)، وَيَنْتَهِي عِنْدَ نُقْطَةِ الْتِقَاءِ سُوقَيِ الْحُصْرِ وَاللَّحَّامِينَ. وَيَرْجِعُ تَارِيخُهُ إِلَى أَنَّهُ كَانَ يُشَكِّلُ جُزْءًا مِنْ أَوْقَافِ الْمَدَارِسِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَمِنْهَا الْمَدْرَسَةُ الْأَفْضَلِيَّةُ. وَقَدْ كَانَ نُقْطَةَ الْتِقَاءٍ رَئِيسِيَّةً حَيْثُ يَأْتِي إِلَيْهِ الْقَرَوِيُّونَ مِنْ ضَوَاحِي الْقُدْسِ وَقُرَاهَا لِبَيْعِ بَضَائِعِهِمُ الطَّازَجَةِ. لَكِنْ بِسَبَبِ التَّغَيُّرَاتِ الْعُمْرَانِيَّةِ وَالسِّيَاحِيَّةِ، تَغَيَّرَ طَابَعُهُ إِلَى سُوقٍ يَخْتَصُّ بِبَيْعِ السِّلَعِ السِّيَاحِيَّةِ، وَالْهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ، وَالْمَشْغُولَاتِ الْيَدَوِيَّةِ الَّتِي تَجْذُبُ الزُّوَّارَ وَالسُّيَّاحَ. وَبِهَذَا التَّحَوُّلِ، بَقِيَ سُوقُ الْبَازَارِ يُحَافِظُ عَلَى جُزْءٍ مِنْ حَيَوِيَّتِهِ كَجُزْءٍ لَا يَتَجَزَّأُ مِنْ شَبَكَةِ الْأَسْوَاقِ الْحَيَّةِ وَالْمُتَدَاخِلَةِ فِي الْقَلْبِ التَّارِيخِيِّ لِلْقُدْسِ الْقَدِيمَةِ.

سُوَيْقَةُ عَلُّونٍ

سُوَيْقَةُ عَلُّونٍ هِيَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ يُطْلَقُ عَلَى أَحَدِ الْأَزِقَّةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ، وَهِيَ بِمَثَابَةِ الْبَوَّابَةِ التِّجَارِيَّةِ الْحَيَوِيَّةِ الْأُولَى الَّتِي يَلْتَقِيهَا لِزَّائِرُ الْقَادِمُ مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ لِلْقُدْسِ مِنْ بَابِ الْخَلِيلِ إِلَى الْأَسْوَاقِ الدَّاخِلِيَّةِ لِلْمَدِينَةِ. تَبْدَأُ السُّوَيْقَةُ مِنْ مَشَارِفِ بَابِ الْخَلِيلِ غَرْبًا وَتَمْتَدُّ فِي حَيِّ الْمَسِيحِيِّينَ الْمُلَقَّبِ "بِالنَّصَارَى"، وَلِذَلِكَ يُشَكِّلُ الشَّارِعُ مَسَارًا طَبِيعِيًّا يَتَّجِهُ نَحْوَ الشَّرْقِ. وَهُوَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَرُ الَّذِي يَعْبُرُهُ الْمُتَسَوِّقُونَ وَالسُّيَّاحُ لِلْوُصُولِ إِلَى كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ فِي حَارَةِ الْمَسِيحِيِّينَ، وَمِنْهَا إِلَى الْأَسْوَاقِ الْأُخْرَى فِي قَلْبِ الْبَلْدَةِ، مِثْلَ سُوقِ الْبَازَارِ الَّذِي تَنْتَهِي عِنْدَهُ سُوَيْقَةُ عَلُّونٍ. يَتَّسِمُ السُّوقُ الْيَوْمَ بِطَابِعِهِ السِّيَاحِيِّ الْغَالِبِ، فَهُوَ مَلِيءٌ بِالْحَوَانِيتِ الَّتِي تَبِيعُ الْهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةَ وَالْمُنْتَجَاتِ الدِّينِيَّةَ وَالْحِرَفَ الْيَدَوِيَّةَ لِلسُّيَّاحِ الْقَادِمِينَ مِنْ كَافَّةِ الْأَدْيَانِ. وَتَتَمَيَّزُ هَذِهِ السُّوَيْقَةُ بِمَبَانِيهَا الْقَدِيمَةِ وَطُرُقِهَا الْمُرَصَّفَةِ بِالْحِجَارَةِ،

وَهِيَ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تُعْطِي الزَّائِرَ شُعُورًا بِالِانْدِمَاجِ فِي أَجْوَاءِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ الْحَيَوِيَّةِ، كَمَا يُلَاحَظُ أَنَّ هَذِهِ الْمِنْطَقَةَ تَتَدَاخَلُ مَعَ مَسَارِ شَارِعِ الْكَارْدُوالرُّومَانِيِّ الْقَدِيمِ.

سُوقُ الْحُصْرِ

سُمِّيَ بِهَذَا الِاسْمِ لِأَنَّهُ كَانَ الْمَوْقِعَ الْمُخَصَّصَ لِتَجَمُّعِ تُجَّارِ الْحُصْرِ وَالسَّجَّادِ. وَكَانَ الْمُتَسَوِّقُونَ يَقْصِدُونَهُ لِشِرَاءِ الْحَصَائِرِ الْمَصْنُوعَةِ مِنَ الْخُوصِ وَالْقَصَبِ، وَالسِّلَالِ، وَالسَّجَّادِ بِتَشْكِيلَاتِهِ الْهَنْدَسِيَّةِ وَالنَّبَاتِيَّةِ. وَهُوَ يُعَدُّ مِنْ أَصْغَرِ الْأَسْوَاقِ فِي الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَيَقَعُ بِالتَّحْدِيدِ عِنْدَ نِهَايَةِ سُوقِ اللَّحَّامِينَ الْجُنُوبِيَّةِ، وَهُوَ كَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنَ النُّقْطَةِ الَّتِي يَنْتَهِي عِنْدَهَا سُوقُ الْبَازَارِ مِنَ جِهَةِ الشَّرْقِ. كَانَ السُّوقُ نَشِيطًا وَمُزْدَهِرًا حَتَّى أَوَائِلِ السَّبْعِينِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ، لَكِنَّ صِنَاعَةَ الْحُصْرِ فِيهِ اضْمَحَلَّتْ، وَتَحَوَّلَ بَعْضُ تُجَّارِهِ لِبَيْعِ الْمُنْتَجَاتِ السِّيَاحِيَّةِ. وَيُعَدُّ السُّوقُ الْيَوْمَ فِي وَضْعٍ صَعْبٍ نِسْبِيًّا.

سُوَيْقَةُ بَابِ الْجَدِيدِ

سُوَيْقَةُ بَابِ الْجَدِيدِ هِيَ اسْمٌ وَصْفِيٌّ يُطْلَقُ عَلَى الْمَمَرِّ التِّجَارِيِّ الْقَصِيرِ الَّذِي يَبْدَأُ مُبَاشَرَةً عِنْدَ بَابِ الْجَدِيدِ وَيَتَّجِهُ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ. وَهِيَ تَقَعُ فِي الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَتُعْتَبَرُ جُزْءًا مِنَ الْحَيِّزِ الْجُغْرَافِيِّ لِحَيِّ الْمَسِيحِيِّينَ. لَا تَتَّسِمُ هَذِهِ السُّوَيْقَةُ بِتَخَصُّصٍ مُحَدَّدٍ مِثْلَ سُوقِ الْعَطَّارِينَ، بَلْ يَغْلِبُ عَلَيْهَا الطَّابِعُ السِّيَاحِيُّ وَالْخِدْمِيُّ. فَالْمَحَلَّاتُ الْمُتَرَاصَّةُ تَبِيعُ الْهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةَ وَالْأَيْقُونَاتِ وَالْمُنْتَجَاتِ الدِّينِيَّةَ الَّتِي يَقْصِدُهَا الزُّوَّارُ، بِالْإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْمَتَاجِرِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تُلَبِّي حَاجَاتِ السُّكَّانِ الْمُقِيمِينَ فِي الْحَيِّ. وَهِيَ تَتَّصِلُ بِشَكْلٍ طَبِيعِيٍّ وَحَيَوِيٍّ بِسُوَيْقَةِ عَلُّونٍ، وَمِنْ ثَمَّ تَتَّصِلُ بِشَبَكَةِ الْأَسْوَاقِ الْكُبْرَى فِي قَلْبِ الْمَدِينَةِ. إِذًا، هِيَ

مَمَرٌّ قَصِيرٌ وَمُنَظَّمٌ لِلتِّجَارَةِ، مِمَّا يُبَرِّرُ تَسْمِيَتَهَا "سُوَيْقَةً"، وَيُعَبِّرُ عَنِ الْحَيَوِيَّةِ الْمُسْتَمِرَّةِ لِكُلِّ مَدَاخِلِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ.

سُوقُ الْكَارْدُو

سُوقُ الْكَارْدُو يُعَدُّ السُّوقَ الْأَثَرِيَّ الْأَبْرَزَ فِي الْحَيِّ الْيَهُودِيِّ، وَهُوَ جُزْءٌ مِنَ الشَّارِعِ الرُّومَانِيِّ الْقَدِيمِ الرَّئِيسِيِّ الَّذِي كَانَ يَمْتَدُّ شَمَالًا حَتَّى بَابِ الْعَامُودِ، مُبْتَدِئًا مِنْ نُقْطَةِ "وَادِي تِيرُوبِيُونَ" قَدِيمًا. وَقَدْ تَمَّ التَّنْقِيبُ عَنْ بَقَايَاهُ وَتَرْمِيمُهُ وَتَطْوِيرُهُ. يُمَثِّلُ السُّوقُ نَمُوذَجًا لِلْعِمَارَةِ الرُّومَانِيَّةِ "الْهِيرُودِسِيَّةِ" الَّتِي كُشِفَتْ حَدِيثًا، وَيَتَمَيَّزُ بِوُجُودِ أَعْمِدَةٍ رُومَانِيَّةٍ أَصْلِيَّةٍ. وَيَضُمُّ السُّوقُ الْيَوْمَ مَحَلَّاتٍ صَغِيرَةً لِبَيْعِ الْفُنُونِ الْيَهُودِيَّةِ، وَالْمُجَوْهَرَاتِ، وَالْأَعْمَالِ الْحِرَفِيَّةِ، وَالتُّحَفِ وَالْهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِالْحَيِّ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ حَائِطِ الْمَبْكَى الَّذِي يُقَدَّرُ بِنَحْوِ مَسَافَةِ سَيْرٍ لَا تَتَجَاوَزُ ٤٠٠ مِتْرٍ تَقْرِيبًا عَبْرَ أَزِقَّةِ الْحَيِّ الْيَهُودِيِّ، أَيْ أَنَّهَا مَسَافَةٌ قَصِيرَةٌ جِدًّا لَا تَسْتَغْرِقُ سِوَى بِضْعِ دَقَائِقَ مِنَ السَّيْرِ.

الْمُؤَشِّرَاتُ الْعَامَّةُ وَالْحَرَكَةُ التِّجَارِيَّةُ

وَفْقاً لِلْمَسْحِ الشَّامِلِ وَالْخَرَائِطِ الِاقْتِصَادِيَّةِ التَّفْصِيلِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنْ مَعْهَدِ الْقُدْسِ لِسِيَاسَاتِ الْمُجْتَمَعِ وَالتَّصْمِيمِ (JIPR) بِالتَّعَاوُنِ مَعَ سِجِلَّاتِ رُخَصِ الْمِهَنِ فِي بَلَدِيَّةِ الْقُدْسِ، يَبْلُغُ الْعَدَدُ الْإِجْمَالِيُّ لِلْمَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ والْخَدَمَاتِيَّةِ النَّشِطَةِ (الدَّكَاكِينِ، السُّوبِرْمَارْكِت، مَحَلَّاتِ الصِّيَاغَةِ وَالْمُجَوْهَرَاتِ، الْمَطَاعِمِ، الْمَقَاهِي، وَمَحَلَّاتِ الْهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ) دَاخِلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ حَصْرًا ١٣٩٥ مَحَلًّا تِجَارِيًّا، وَتَتَوَزَّعُ بِدِقَّةٍ كَامِلَةٍ دُونَ إِغْفَالٍ عَلَى الْحَارَاتِ الْأَرْبَعِ كَالْآتِي:

1. الحَيُّ الْإِسْلَامِيُّ، يشْمَلُ الْأَسْوَاقَ الرَّئِيسِيَّةَ ، فِيهِ 708 محَلًّا تجَارِيًّا. تُعَدُّ الْأَكْبَرَ نَشَاطًا تجَارِيًّا لِاحْتِوَائِهِ عَلَى أَسْوَاقِ (خَانِ الزَّيْتِ، طَرِيقِ الْوَادِ، الْعَطَّارِينَ، اللَّحَّامِينَ، الصَّاغَةِ، وَالْقَطَّانِينَ).

محَلَّاتُ البِقَالَةِ وَالخُضَارِ: 130 دُكَّانًا.

المَطَاعِمُ وَالمَقَاهِي وَمحَلَّاتُ الحَلْوِيَّاتِ: 105 محَلَّاتٍ.

محَلَّاتُ المَلَابِسِ وَالأَقْمِشَةِ وَالأَحْذِيَةِ: 240 محَلًّا.

الصَّيْدَلِيَّاتُ وَمحَلَّاتُ البَصَرِيَّاتِ: 3 مَرَافِقَ.

صَالُونَاتُ الحِلَاقَةِ وَالتَّجْمِيلِ: 8 صَالُونَاتٍ.

مَطَابِعُ النَّشْرِ وَالدِّعَايَةِ: 2 مَطْبَعَتَانِ.

محَلَّاتُ الصِّيَاغَةِ وَالمُجَوْهَرَاتِ فِي سُوقِ الصَّاغَةِ: 45 محَلًّا (الأَغْلَبِيَّةُ مُغْلَقَةٌ وَالبَعْضُ مِنْهَا تحَوَّلَ إِلَى مِهَنٍ أُخْرَى).

محَلَّاتُ الهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ وَالحِرَفِ: 125 محَلًّا.

2. الحَيُّ الْمَسِيحِيُّ، وَيُوجَدُ فِيهِ 449 محَلًّا تِجَارِيًّا. تتَرَكَّزُ الْمَحَلَّاتُ حَوْلَ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ، وَسُوقِ الْبَطْرَكِ أَفْتِيمُوسَ، وَسُوقِ الدَّبَّاغَةِ، وَسُوقِ الْخَوَاجَاتِ.

محَلَّاتُ الهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالتُّحَفِ (الأَنْتِيكَا): 350 محَلًّا.

محَلَّاتُ البِقَالَةِ وَالسُّوبِرْمَارْكِت وَالدَّكَاكِينِ: 45 دُكَّانًا.

المَطَاعِمُ وَالمَقَاهِي وَالمَخَابِزُ: 40 محَلًّا.

محَلَّاتُ المَلَابِسِ وَالمَصْنُوعَاتِ الجِلْدِيَّةِ: 50 محَلًّا.

الصَّيْدَلِيَّاتُ وَمحَلَّاتُ البَصَرِيَّاتِ: مَرْفِقٌ وَاحِدٌ.

صَالُونَاتُ الحِلَاقَةِ وَالتَّجْمِيلِ: 5 صَالُونَاتٍ.

مَطَابِعُ النَّشْرِ وَالدِّعَايَةِ: 4 مَطَابِعَ.

3. الحَيُّ الْيَهُودِيُّ يَشْمَلُ عَلَى 177 محَلًّا وَمَرْفِقًا تِجَارِيًّا. تَتَرَكَّزُ التِّجَارَةُ فِيهِ دَاخِلَ سُوقِ "الْكَارْدُو" التَّارِيخِيّ وَالْمَيْدَانِ الرَّئِيسِيّ لِلْحَارَةِ.

مَحَلَّاتُ الهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ وَالمُقْتَنَيَاتِ الدِّينِيَّةِ وَالفُنُونِ: **115** مَحَلًّا.
مَحَلَّاتُ البِقَالَةِ وَالسُّوبِرْمَارْكِت وَالدَّكَاكِينِ:**30** دُكَّانًا.
المَطَاعِمُ وَالمَقَاهِي وَالمَخَابِزُ: **22** مَحَلًّا.
مَحَلَّاتُ المَلَابِسِ وَالأَقْمِشَةِ: **6** مَحَلَّاتٍ.
الصَّيْدَلِيَّاتُ وَمَحَلَّاتُ البَصَرِيَّاتِ: مَرْفِقٌ وَاحِدٌ.
صَالُونَاتُ الحِلَاقَةِ وَالتَّجْمِيلِ: صَالُونٌ وَاحِدٌ.
مَطَابِعُ النَّشْرِ وَالدِّعَايَةِ: مَطْبَعَةٌ وَاحِدَةٌ.

4. الْحَيُّ الْأَرْمَنِيُّ فِيهِ **61** مَحَلًّا تِجَارِيًّا. تُعَدُّ الْأَقَلَّ تِجَارِيًّا لِطَبِيعَتِهِ السَّكَنِيَّةِ وَالدِّيرِيَّةِ الْهَادِئَةِ، وَتَتَرَكَّزُ مَحَالُّهَا قُرْبَ بَابِ الْخَلِيلِ وَطَرِيقِ الْأَرْمَنِ.
مَحَلَّاتُ الهَدَايَا التَّذْكَارِيَّةِ وَالسِّيرَامِيكِ الْأَرْمَنِيِّ التَّقْلِيدِيِّ: **30** مَحَلًّا.
لدَّكَاكِينُ وَمَحَلَّاتُ البِقَالَةِ:**10** دَكَاكِينَ.
المَطَاعِمُ وَالمَقَاهِي: **5** مَحَلَّاتٍ.
مَحَلَّاتُ المَلَابِسِ وَالأَحْذِيَةِ:**14** مَحَلًّا.
صَالُونَاتُ الحِلَاقَةِ وَالتَّجْمِيلِ: صَالُونٌ وَاحِدٌ.
مَطَابِعُ النَّشْرِ وَالدِّعَايَةِ: مَطْبَعَةٌ وَاحِدَةٌ.

المَتَاحِفُ وَالمَعَالِمُ الأَثَرِيَّةُ

تَضُمُّ البَلْدَةُ القَدِيمَةُ فِي القُدْسِ دَاخِلَ أَسْوَارِهَا تَرِكَةً تَارِيخِيَّةً وَأَثَرِيَّةً غَنِيَّةً تَتَمَثَّلُ فِي مَجْمُوعَةٍ مِنَ المَتَاحِفِ وَالمَعَالِمِ الأَثَرِيَّةِ البَارِزَةِ الَّتِي تَتَوَزَّعُ جُغْرَافِيًّا عَلَى حَارَاتِهَا المُخْتَلِفَةِ، حَيْثُ يَبْلُغُ عَدَدُ المَتَاحِفِ الرَّئِيسِيَّةِ دَاخِلَ الأَسْوَارِ سَبْعَةَ مَتَاحِفَ نَشِطَةٍ، تَشْمَلُ المَتْحَفَ الإِسْلَامِيَّ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَى، وَمَتْحَفَ أَرْقَامِ الحَرَمِ الطَّاهِرِ، وَمَتْحَفَ أَرْمِنْيَا فِي الحَيِّ الأَرْمَنِيِّ، وَمَتْحَفَ قَلْعَةِ دَاوُدَ الأَثَرِيَّ عِنْدَ بَابِ الخَلِيلِ،

وَمَتْحَفَ البَلَاطِ الأَثَرِيّ (هيروديان) فِي الحَيِّ اليَهُودِيّ، وَمَتْحَفَ البَيْتِ المَحْرُوقِ الَّذِي يَعُودُ لِعَهْدِ الهَيْكَلِ الثَّانِي، وَمَتْحَفَ كَاتِدْرَائِيَّةِ مَارْ جِرْجِس لِلْأَقْبَاطِ.

أَمَّا المَوَاقِعُ وَالأَمَاكِنُ الأَثَرِيَّةُ الرَّئِيسِيَّةُ الَّتِي لَا يَخْلُو مِنْهَا أَيُّ زُقَاقٍ، فَتَقَعُ فِي طَلِيعَتِهَا الأَسْوَارُ التَّارِيخِيَّةُ نَفْسُهَا بِبَوَّابَاتِهَا السَّبْعِ المَفْتُوحَةِ (بَابُ الخَلِيلِ، وَبَابُ العَمُودِ، وَبَابُ الأَسْبَاطِ، وَبَابُ شُوشَان "الرَّحْمَةِ"، وَبَابُ الكَارْدُو، إِضَافَةً إِلَى مَجْمُوعَةٍ ضَخْمَةٍ مِنَ المَعَالِمِ الحَضَرِيَّةِ الأَثَرِيَّةِ مِثْلِ نَفَقِ الحَائِطِ الغَرْبِيّ، وَمِنْطَقَةِ القَيْصَرِيَّةِ (الكَارْدُو الرُّومَانِيّ) الَّتِي تَقْسِمُ البَلْدَةَ القَدِيمَةَ، وَبِرْكَةِ حَزَقِيَّا (بِرْكَةِ الحَمَّامِ البَطْرِيَرْكِيّ)، وَبِرْكَةِ بَيْتِ حِسْدَا الأَثَرِيَّةِ بِالقُرْبِ مِنْ كَنِيسَةِ القِدِّيسَةِ حَنَّةَ، وَقَبْرِ الحَدِيقَةِ، وَمَجْمُوعَةِ القِبَابِ وَالمَحَارِيبِ وَالْمَدَارِسِ المَمْلُوكِيَّةِ وَالأَيُّوبِيَّةِ المُنْتَشِرَةِ فِي مُحِيطِ الحَرَمِ الشَّرِيفِ مِثْلِ المَدْرَسَةِ التَّنْكِزِيَّةِ وَالمَدْرَسَةِ الأَرْغُونِيَّةِ، مِمَّا يُشَكِّلُ هَذَا النَّسِيجُ المُتَكَامِلُ هُوِيَّةً أَثَرِيَّةً جَامِعَةً لِكُلِّ حَارَاتِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ دُونَ اسْتِثْنَاءٍ.

البِنْيَةُ المُؤَسَّسَاتِيَّةُ

تَتَوَزَّعُ المَكَاتِبُ الحُكُومِيَّةُ، وَمَكَاتِبُ المُحَامَاةِ، وَالمُؤَسَّسَاتُ الأَهْلِيَّةُ وَالقَضَائِيَّةُ دَاخِلَ أَسْوَارِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ فِي القُدْسِ بِشَكْلٍ مَنْهَجِيّ يَرْتَبِطُ بِطَبِيعَةِ كُلِّ حَيٍّ وَأَنْشِطَتِهِ، حَيْثُ تَتَرَكَّزُ هَذِهِ المَرَافِقُ تَقْرِيبًا فِي تِسْعَةٍ وَعِشْرِينَ مَقَرًّا وَمَكْتَبًا رَئِيسِيًّا تَتَوَزَّعُ جُغْرَافِيًّا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

فِي الحَيِّ الإِسْلَامِيّ، تَنْشَطُ المَحَاكِمُ الشَّرْعِيَّةُ التَّارِيخِيَّةُ وَمَكَاتِبُ الأَوْقَافِ الإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي تُدِيرُ شُؤُونَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ وَالعَقَارَاتِ، حَيْثُ يَضُمُّ هَذَا النِّطَاقُ مَقَرَّ المَحْكَمَةِ الشَّرْعِيَّةِ الرَّئِيسِيّ، إِضَافَةً إِلَى ثَمَانِيَةِ مَكَاتِبَ لِمُحَامِينَ نَشِطِينَ يَتَخَصَّصُونَ فِي قَضَايَا

الأَرَاضِي وَالعَقَارَاتِ وَالأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ، لِيَبْلُغَ إِجْمَالِيُّ المَكَاتِبِ القَضَائِيَّةِ وَالقَانُونِيَّةِ وَالإِدَارِيَّةِ فِيهَا عَشْرَةَ مَقَارَّ نَشِطَةٍ.

وَفِي الحَيِّ المَسِيحِيِّ، تَتَمَثَّلُ البِنْيَةُ المُؤَسَّسَاتِيَّةُ فِي مَقَارِّ البَطْرِيَرْكِيَّاتِ المُخْتَلِفَةِ (مِثْلِ البَطْرِيَرْكِيَّةِ الأُرْثُوذُكْسِيَّةِ وَاللَّاتِينِيَّةِ) الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى مَحَاكِمَ كَنَسِيَّةٍ لِلأَحْوَالِ الشَّخْصِيَّةِ يَعْمَلُ فِيهَا قُضَاةٌ رُوحَانِيُّونَ، إِضَافَةً إِلَى وُجُودِ سِتَّةِ مَكَاتِبَ لِلاستِشَارَاتِ القَانُونِيَّةِ وَالمُحَامَاةِ تَقَعُ بِالقُرْبِ مِنْ بَابِ الخَلِيلِ لِتَقْدِيمِ الدَّعْمِ القَانُونِيِّ لِلسُّكَّانِ وَالمُؤَسَّسَاتِ الأَهْلِيَّةِ، مِمَّا يَجْعَلُ مَجْمُوعَ المَرَافِقِ فِيهَا ثَمَانِيَةَ مَوَاقِعَ رَسْمِيَّةٍ وَمَحَلِّيَّةٍ.

أَمَّا فِي الحَيِّ اليَهُودِيِّ، فَتُوجَدُ مَكَاتِبُ إِدَارِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِبَلَدِيَّةِ القُدْسِ وَسُلْطَةِ الآثَارِ، إِضَافَةً إِلَى مَقَرِّ «صُنْدُوقِ تُرَاثِ حَائِطِ البُرَاقِ» (الغَرْبِيِّ) الَّذِي يُدِيرُ شُؤُونَ المَوْقِعِ، كَمَا تَضُمُّ الحَارَةُ ثَلَاثَةَ مَكَاتِبَ لِلْمُحَامَاةِ وَتَوْثِيقِ العُقُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالقَانُونِيَّةِ، لِيَصِلَ مَجْمُوعُ المَكَاتِبِ الحُكُومِيَّةِ وَالخِدْمَاتِيَّةِ فِيهَا إِلَى سَبْعَةِ مَرَافِقَ.

وَفِي الحَيِّ الأَرْمَنِيِّ، يَقْتَصِرُ النَّشَاطُ الإِدَارِيُّ عَلَى مَقَرِّ بَطْرِيَرْكِيَّةِ الأَرْمَنِ الَّتِي تُدِيرُ الأَوْقَافَ الأَرْمَنِيَّةَ وَتَحْتَوِي عَلَى لِجَانٍ قَانُونِيَّةٍ وَإِدَارِيَّةٍ مَحَلِّيَّةٍ لِتَسْوِيَةِ النِّزَاعَاتِ، إِضَافَةً إِلَى أَرْبَعَةِ مَكَاتِبَ لِمُؤَسَّسَاتٍ خَيْرِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ أَهْلِيَّةٍ تَعْمَلُ دَاخِلَ هَذَا النِّطَاقِ المُغْلَقِ، مِمَّا يَجْعَلُ إِجْمَالِيَّ المَكَاتِبِ فِي هَذِهِ الحَارَةِ أَرْبَعَةَ مَوَاقِعَ، لِيَكْتَمِلَ بِذَلِكَ النَّسِيجُ المَكْتَبِيُّ وَالقَضَائِيُّ لِلْبَلْدَةِ القَدِيمَةِ بِشَكْلٍ كَامِلٍ.

البِنْيَةُ الأَمْنِيَّةُ وَمَرَاكِزُ الشُّرْطَةِ

بِنَاءً عَلَى السِّجِلَّاتِ الْأَمْنِيَّةِ وَالتَّنْظِيمِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ الصَّادِرَةِ عَنْ مَدِيرِيَّةِ الشُّرْطَةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ (מִשְׁטֶרֶת יִשְׂרָאֵל)، يَقَعُ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ مَقَرُّ اللِّوَاءِ الرَّئِيسِيِّ وَاحِدٍ (מִפְקֶדֶת מֶרְחָב) الَّذِي يُعْرَفُ بِاسْمِ "مَرْحَب دَافِيد"

(**מֶרְחַב דָּוִד**)، وَيَتْبَعُ لَهُ عَمَلِيًّا أَرْبَعُ نِقَاطٍ أَمْنِيَّةٍ وَأَرْبَعُ قَوَاعِدَ عَسْكَرِيَّةٍ دَائِمَةٍ تَقَعُ جَمِيعُهَا دَاخِلَ السُّورِ حَصْرًا، وَتَفْصِيلُهَا كَالتَّالِي:

مَرْكَزُ شُرْطَةِ الْقِشْلَةِ (תַּחֲנַת הַקִּישְׁלֶה): الْمَقَرُّ الرَّئِيسِيُّ لِإِدَارَةِ عَمَلِيَّاتِ شُرْطَةِ لِوَاءِ الْقُدْسِ دَاخِلَ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ، وَيَقَعُ فِي مَبْنَى "الْقِشْلَةِ" التَّارِيخِيِّ بَيْنَ بَابِ الْخَلِيلِ وَحَارَةِ الْأَرْمَنِ، بِمَا فِي ذَلِكَ الإِشْرَافُ وَالسَّيْطَرَةُ المَيْدَانِيَّةُ الكَامِلَةُ عَلَى نُقْطَةِ بَابِ العَمُودِ المُلَاصِقَةِ لِلْبَابِ مِنْ جِهَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ وَالَّتِي تَتْبَعُ لِلْمَرْكَزِ إِدَارِيًّا وَتَشْغِيلِيًّا.

مَحْكَمَةُ بَابِ السِّلْسِلَةِ (בְּסִיס מַחְכַּמָה): نُقْطَةٌ عَسْكَرِيَّةٌ أَمْنِيَّةٌ ثَابِتَةٌ لِقُوَّاتِ "حَرَسِ الْحُدُودِ"، وَتَقَعُ فِي مَبْنَى الْمَدْرَسَةِ التَّنْكِزِيَّةِ الْمُطِلَّةِ عَلَى سَاحَةِ الْبُرَاقِ.

نُقْطَةُ شُرْطَةِ جَبَلِ الْهَيْكَلِ/الْحَرَمِ (נְקֻדַּת הַר הַבַּיִת): مَرْكَزُ الشُّرْطَةِ الدَّائِمُ يَقَعُ فِي بَاحَاتِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى لِلْإِشْرَافِ الْأَمْنِيِّ الْمُبَاشِرِ دَاخِلَ الْمُجَمَّعِ.

نُقْطَةُ شُرْطَةِ حَارَةِ الْيَهُودِ (נְקֻדַּת הָרֹבַע הַיְּהוּדִי): نُقْطَةٌ ثَابِتَةٌ تَقَعُ فِي مِنْطَقَةِ السَّاحَةِ الْغَرْبِيَّةِ لِإِدَارَةِ الْأَمْنِ وَإِدَارَةِ شُؤُونِ السُّكَّانِ وَالْقَاطِنِينَ فِي الْحَيِّ وَالْحَرَاكِ السَّيَّاحِيِّ فِيهِ.

آفَاقُ الرِّعَايَةِ الصِّحِّيَّةِ

تَتَوَزَّعُ الخِدْمَاتُ الصِّحِّيَّةُ دَاخِلَ أَسْوَارِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ فِي مَرَاكِزَ طِبِّيَّةٍ وَعِيَادَاتٍ لِصَنَادِيقِ المَرْضَى دُونَ وُجُودِ مُسْتَشْفَيَاتٍ عَامَّةٍ نَشِطَةٍ لِلتَّنْوِيمِ دَاخِلَ الأَسْوَارِ حَالِيًّا عَلَى النَّحْوِ التَّالِي:

فِي الحَيِّ الإِسْلَامِيِّ، الذي يَحْظَى بِالنَّصِيبِ الأَكْبَرِ مِنَ الخِدْمَاتِ نَظَرًا لِلْكَثَافَةِ السُّكَّانِيَّةِ، تَقَعُ أَرْبَعُ عِيَادَاتٍ طِبِّيَّةٍ نَشِطَةٍ؛ أَوَّلُهَا عِيَادَةُ صُنْدُوقِ المَرْضَى العَامِّ (كَلَالِيتْ) الَّتِي تَقَعُ فِي طَرِيقِ الوَادِ وَتُقَدِّمُ خِدْمَاتِ الطِّبِّ العَامِّ وَالأَطْفَالِ، وَثَانِيهَا عِيَادَةُ صُنْدُوقِ المَرْضَى (مِئُوحِيدِتْ) القَرِيبَةُ مِنْ بَابِ السَّاهِرَةِ دَاخِلَ الأَسْوَارِ وَتَضُمُّ طَاقَمًا لِلْفُحُوصَاتِ المَخْبَرِيَّةِ، وَثَالِثُهَا عِيَادَةُ (مَكَابِي) الصَّغِيرَةُ الَّتِي تُقَدِّمُ خِدْمَاتٍ

لِلأَمْرَاضِ المُزْمِنَةِ وَالرِّعَايَةِ الأَوَّلِيَّةِ لِمُنْتَسِبِيهَا، وَرَابِعُهَا مَرْكَزُ عِيَادَاتِ الهِلَالِ الأَحْمَرِ الطِّبِّيّ الكَائِنُ فِي عَقَبَةِ الصُّوَّانِ، وَهُوَ مَرْكَزٌ حَيَوِيٌّ لِلطَّوَارِئِ وَعِيَادَاتِ الأُمُومَةِ وَالطُّفُولَةِ.

وَفِي الحَيِّ المَسِيحِيّ، تَقَعُ عِيَادَتَانِ رَئِيسِيَّتَانِ تَعْمَلَانِ بِصِفَةٍ أَهْلِيَّةٍ وَخَيْرِيَّةٍ؛ تَتَمَثَّلُ الأُولَى فِي عِيَادَةِ «مَرْكَزِ الصِّحَّةِ المَحَلِّيّ» التَّابِعِ لِلْبَطْرِيَرْكِيَّةِ اللَّاتِينِيَّةِ بِالقُرْبِ مِنْ بَابِ الخَلِيلِ وَالَّتِي تُقَدِّمُ خِدْمَاتٍ عِلَاجِيَّةً وَتَطْعِيمَاتٍ، وَالثَّانِيَةُ هِيَ العِيَادَةُ الطِّبِّيَّةُ الخَيْرِيَّةُ فِي دَيْرِ الأَقْبَاطِ الَّتِي تُسَاهِمُ فِي تَقْدِيمِ الطِّبِّ العَامّ وَرِعَايَةِ الأَسْنَانِ، دُونَ وُجُودِ فُرُوعٍ رَسْمِيَّةٍ لِصَنَادِيقِ المَرْضَى الكَبِيرَةِ دَاخِلَ جُغْرَافْيَا هَذَا الحَيّ.

أَمَّا فِي الحَيِّ اليَهُودِيّ، فَتَنْشَطُ عِيَادَتَانِ مَحَلِّيَّتَانِ تَقَعَانِ فِي مِنْطَقَةِ المُرَبَّعِ السَّكَنِيّ؛ عِيَادَةُ صُنْدُوقِ المَرْضَى (كَلَالِيتْ) لِتَقْدِيمِ خِدْمَاتِ طِبِّ العَائِلَةِ وَالرِّعَايَةِ التَّمْرِيضِيَّةِ، وَعِيَادَةُ صُنْدُوقِ المَرْضَى (مِئُوحِيدِتْ) الَّتِي تَعْمَلُ لِعِدَّةِ أَيَّامٍ فِي الأُسْبُوعِ لِخِدْمَةِ سُكَّانِ الحَيّ، بَيْنَمَا يَخْلُو الحَيُّ الأَرْمَنِيُّ تَمَامًا مِنْ أَيِّ عِيَادَةٍ رَسْمِيَّةٍ لِصَنَادِيقِ المَرْضَى أَوْ مَرَاكِزِ الرِّعَايَةِ الصِّحِّيَّةِ الأَوَّلِيَّةِ.

المَدَارِسُ فِي البَلْدَةِ القَدِيمَةِ

تَمْتَلِكُ البَلْدَةُ القَدِيمَةُ فِي القُدْسِ تَارِيخًا تَعْلِيمِيًّا غَنِيًّا وَمُتَدَاخِلًا، حَيْثُ تَتَمَرْكَزُ المُؤَسَّسَاتُ التَّعْلِيمِيَّةُ لِكُلِّ طَائِفَةٍ فِي مُحِيطِ أَمَاكِنِهَا المُقَدَّسَةِ وَأَحْيَائِهَا التَّارِيخِيَّةِ. وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالمَدَارِسِ الإِسْلَامِيَّةِ، فَقَدِ اِرْتَبَطَ التَّعْلِيمُ الإِسْلَامِيُّ فِي القُدْسِ ارْتِبَاطًا وَثِيقًا بِالمَسْجِدِ الأَقْصَى وَقُبَّةِ الصَّخْرَةِ. وَقَدْ كَانَتِ المَدَارِسُ فِي العُهُودِ الأَيُّوبِيَّةِ وَالمَمْلُوكِيَّةِ وَالعُثْمَانِيَّةِ عِبَارَةً عَنْ مُؤَسَّسَاتٍ دِينِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ كُبْرَى. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ المَدَارِسِ التَّارِيخِيَّةِ المَدْرَسَةُ العُمَرِيَّةُ الَّتِي تَقَعُ فِي الزَّاوِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ لِلمَسْجِدِ الأَقْصَى، بِالقُرْبِ مِنْ بَابِ الغَوَانِمَةِ، وَهِيَ مَدْرَسَةٌ ضَخْمَةٌ تُقَدَّرُ مِساحَتُهَا بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ دُونَمَاتٍ أُنْشِئَتْ عَبْرَ العَهْدَيْنِ الأَيُّوبِيِّ وَالمَمْلُوكِيّ، وَلَا تَزَالُ تُسْتَخْدَمُ كَمُؤَسَّسَةٍ تَعْلِيمِيَّةٍ حَتَّى اليَوْمِ. كَمَا تَبْرُزُ المَدْرَسَةُ الصَّلَاحِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الأَصْلِ كَنِيسَةَ القِدِّيسَةِ آنَّ، ثُمَّ حَوَّلَهَا

صَلَاحُ الدِّينِ الأَيُّوبِيُّ إِلَى مَدْرَسَةٍ لِلشَّافِعِيَّةِ فِي عَامِ ١١٨٧م، وَتَقَعُ بِالقُرْبِ مِنْ بَابِ الأَسْبَاطِ، رَغْمَ انْتِقَالِ مِلْكِيَّتِهَا لَاحِقًا. وَبِالإِضَافَةِ إِلَى تِلْكَ المَدَارِسِ العَرِيقَةِ، فَالقُدْسُ مَلِيئَةٌ بِمَدَارِسَ أُخْرَى أُنْشِئَتْ فِي العَهْدِ المَمْلُوكِيِّ، مِثْلَ المَدْرَسَةِ البَاسِطِيَّةِ، وَالمَدْرَسَةِ الأَمِينِيَّةِ، وَالمَدْرَسَةِ الفَارِسِيَّةِ، وَالمَدْرَسَةِ المَلِكِيَّةِ، وَجَمِيعُهَا تَقَعُ ضِمْنَ أَرْوِقَةِ الحَرَمِ أَوْ مُحَاذِيَةً لَهُ، وَقَدْ كَانَتْ مَرَاكِزَ لِتَدْرِيسِ الحَدِيثِ وَالفِقْهِ وَعُلُومِ الفَلَكِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ. وَعَلَى الصَّعِيدِ الحَدِيثِ، تَبْرُزُ مَدَارِسُ رِيَاضِ الأَقْصَى الإِسْلَامِيَّةُ، وَهِيَ مُؤَسَّسَةٌ تَعْلِيمِيَّةٌ حَدِيثَةٌ "تَأَسَّسَتْ سَنَةَ ١٩٧٦م" تَهْدِفُ لِتَعْزِيزِ التَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَلَهَا فُرُوعٌ مُتَعَدِّدَةٌ دَاخِلَ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ، بَعْضُهَا يَقَعُ ضِمْنَ الرِّوَاقِ الشَّمَالِيِّ لِلمَسْجِدِ الأَقْصَى بَيْنَ بَابَيْ حِطَّةَ وَفَيْصَلَ، وَبَعْضُهَا فِي حَارَةِ السَّعْدِيَّةِ.

المَدَارِسُ المَسِيحِيَّةُ

تَتَمَرْكَزُ المَدَارِسُ المَسِيحِيَّةُ فِي البَلْدَةِ القَدِيمَةِ دَاخِلَ الحَيِّ المَسِيحِيِّ وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الكَنَائِسِ الكُبْرَى وَالمَرَاكِزِ الدِّينِيَّةِ وَفِي مُحِيطِ كَنِيسَةِ القِيَامَةِ، وَهِيَ تَتْبَعُ الكَنَائِسَ المَسِيحِيَّةَ المُخْتَلِفَةَ. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ المَدَارِسِ مَدْرَسَةُ الفَرِيرِ الَّتِي أُسِّسَتْ عَلَى يَدِ جَمْعِيَّةِ إِخْوَةِ الفَرِيرِ الكَاثُولِيكِيَّةِ عَامَ ١٨٧٦م، وَهِيَ مِنْ أَقْدَمِ المَدَارِسِ وَأَشْهَرِهَا فِي القُدْسِ وَلَا تَزَالُ عَامِلَةً، وَتَقَعُ قُرْبَ بَابِ الجَدِيدِ فِي حَيِّ المَسِيحِيِّينَ. كَمَا تَبْرُزُ مَدْرَسَةُ مَارْ مِتْرِي الثَّانَوِيَّةُ وَهِيَ إِحْدَى المَدَارِسِ لِلرُّومِ الأُرْثُوذُكْسِ وَتَقَعُ فِي شَارِعِ القِدِّيسِ دِمِتْرِيُوسَ بِالقُرْبِ مِنْ بَابِ الخَلِيلِ. وَبِالإِضَافَةِ إِلَيْهَا، تُوجَدُ مُؤَسَّسَاتٌ تَرْبَوِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِحِرَاسَةِ الأَرَاضِي المُقَدَّسَةِ، مِنْهَا مَدْرَسَةُ تِيرَا سَانْتَا الابْتِدَائِيَّةُ الَّتِي تَقَعُ فِي شَارِعِ القِدِّيسِ جِرْيِسَ القَرِيبِ جِدًّا مِنْ بَابِ الخَلِيلِ وَحَيِّ المَسِيحِيِّينَ، وَكَذَلِكَ كُلِّيَّةُ تِيرَا سَانْتَا الثَّانَوِيَّةُ الَّتِي تَقَعُ فِي شَارِعِ عَقَبَةِ الجَبْشَةِ. وَتَشْمَلُ مُؤَسَّسَاتُ الحِرَاسَةِ أَيْضًا المَرَاكِزَ التَّعْلِيمِيَّةَ وَاللَّاهُوتِيَّةَ وَالدِّرَاسَاتِ الكِتَابِيَّةَ مِثْلَ المَعْهَدِ الكِتَابِيِّ الفِرَنْسِيسْكَانِيِّ. وَفِي النِّهَايَةِ، تُمَثِّلُ هَذِهِ المَدَارِسُ جُزْءًا أَسَاسِيًّا مِنَ النَّسِيجِ التَّعْلِيمِيِّ وَالثَّقَافِيِّ لِلبَلْدَةِ القَدِيمَةِ.

المَدَارِسُ اليَهُودِيَّةُ

تَنْتَشِرُ المَدَارِسُ اليَهُودِيَّةُ فِي القُدْسِ دَاخِلَ أَسْوَارِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ بِشَكْلٍ رَئِيسِيٍّ فِي الحَيِّ اليَهُودِيِّ، وَهِيَ تَعْمَلُ غَالِبًا كَيَشِيفُوت "مَدَارِسَ دِينِيَّةٍ عُلْيَا" تَهْتَمُّ بِدِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّلْمُودِ، وَتُقَدِّمُ فِيهَا دِرَاسَاتٍ مُتَعَمِّقَةً. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ المُؤَسَّسَاتِ مَدْرَسَةُ نَارِ التَّوْرَاةِ "יְשִׁיבַת אֵשׁ הַתּוֹרָה" الَّتِي تَقَعُ بِالقُرْبِ مِنَ الحَائِطِ الغَرْبِيِّ (الكُوتِلْ)، وَتُعْتَبَرُ وَاحِدَةً مِنَ مَدَارِسِ اليَشِيفُوتِ المَرْمُوقَةِ. كَمَا تَضُمُّ مَدَارِسَ أُخْرَى مِثْلَ مَدْرَسَةِ أَبْنَاءِ عَقِيفَا "בְּנֵי עֲקִיבָא" الَّتِي تَقَعُ فِي شَارِعِ المَقْبُولِينَ فِي الحَيِّ اليَهُودِيِّ، وَمَدْرَسَةِ بَرَكَةِ التَّوْرَاةِ "בִּרְכַּת תּוֹרָה" الَّتِي تَقَعُ فِي شَارِعِ نُورِ الحَيَاةِ فِي الحَيِّ اليَهُودِيِّ لِلبَلْدَةِ. وَتُوجَدُ أَيْضًا مَدْرَسَةُ "יַעְבֵּץ" الَّتِي تَقَعُ فِي شَارِعِ دَاوُدَ فِي الحَيِّ الأَرْمَنِيِّ، وَهُوَ اخْتِصَارٌ يُشِيرُ فِي أَغْلَبِ الوَقْتِ إِلَى الحَاخَامِ الكَبِيرِ يَعْقُوب بْنِ تْسْفِي إِيمْدِينْ (١٦٩٨–١٧٧٦م)، الَّذِي يُعْتَبَرُ مِنْ أَبْرَزِ شُرَّاحِ التَّلْمُودِ وَالفِقْهِ اليَهُودِيِّ، وَتُطْلَقُ التَّسْمِيَةُ نِسْبَةً إِلَى مُؤَلَّفَاتِهِ الدِّينِيَّةِ وَأَعْمَالِهِ. وَتُمَثِّلُ هَذِهِ اليَشِيفُوتُ بِشَكْلٍ عَامٍّ المَرْكَزَ الرُّوحِيَّ وَالتَّعْلِيمِيَّ لِلطَّائِفَةِ اليَهُودِيَّةِ فِي القُدْسِ القَدِيمَةِ.

أَلْوَانُ الهُوِيَّةِ

تَمَيَّزَتْ بَعْضُ المَنَاطِقِ فِي العُصُورِ المَاضِيَةِ بِعَدَمِ وُجُودِ فُرُوقٍ مَحَلِّيَّةٍ دَقِيقَةٍ بَيْنَ أَثْوَابِ المُدُنِ مِثْلَمَا نَعْرِفُهَا اليَوْمَ، حَيْثُ كَانَ الِانْقِسَامُ التَّارِيخِيُّ يَعْتَمِدُ أَكْثَرَ عَلَى طَبَقَاتِ المُجْتَمَعِ أَهْلَ المُدُنِ، وَأَهْلِ الرِّيفِ، وَالبَدْوِ.

العَصْرُ الأُمَوِيُّ

سَادَ فِي هَذَا العَصْرِ اللِّبَاسُ العَرَبِيُّ البَسِيطُ المَدْمُوجُ بِتَأْثِيرَاتٍ شَامِيَّةٍ؛ فَارْتَدَى الرِّجَالُ فِي القُدْسِ وَرَامَ اللهِ وَبَيْتِ لَحْمٍ "الجُبَّةَ" وَ"الرِّدَاءَ" وَ"التُّونِكَ" (الخِمَاصَ)، مَعَ العِمَامَةِ عَلَى الرَّأْسِ. وَارْتَدَتِ النِّسَاءُ الفَسَاتِينَ الطَّوِيلَةَ الفَضْفَاضَةَ المَصْنُوعَةَ مِنَ الكِتَّانِ أَوِ

الصُّوفِ بَادِيَ التَّطْرِيزِالبَسِيطِ، مَعَ أَغْطِيَةِ رَأْسٍ سَادِلَةٍ (الخِمَارِ)، وَكَانَ قُمَاشُ "الخَزِّ" وَالحَرِيرِ حَكْراً عَلَى نُخْبَةِ مَدِينَةِ القُدْسِ.

العَصْرُ العَبَّاسِيُّ

أَدْخَلَ العَبَّاسِيُّونَ تَقَالِيدَ جَدِيدَةً رَكَّزَتْ عَلَى الأَلْوَانِ وَالفَخَامَةِ؛ فَتَمَيَّزَ اللِّبَاسُ بِظُهُورِ "الخِلَعِ" وَالأَقْمِشَةِ المَنْقُوشَةِ بِخُيُوطِ الذَّهَبِ (الطِّرَازِ) التِّي صُنِعَتْ فِي دُورِ الطِّرَازِ المَلَكِيَّةِ، وَظَهَرَ "السِّرْوَالُ" الفَضْفَاضُ بِشَكْلٍ أَوْسَعَ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَسَادَ اللَّوْنُ الأَسْوَدُ وَالأَلْوَانُ الدَّاكِنَةُ فِي أَلْبِسَةِ رِجَالِ الدَّوْلَةِ فِي القُدْسِ، بَيْنَمَا اسْتَمَرَّ سُكَّانُ رِيفِ رَامَ اللهِ وَبَيْتِ لَحْمٍ فِي ارْتِدَاءِ أَلْبِسَةِ الصُّوفِ وَالكِتَّانِ المَحَلِّيِّ الصَّالِحِ لِلْعَمَلِ الزِّرَاعِيِّ.

العَصْرُ الفَاطِمِيُّ

اشْتَهَرَ العَصْرُ الفَاطِمِيُّ بِالأَزْيَاءِ المُرَفَّهَةِ وَالأَقْمِشَةِ الخَفِيفَةِ؛ فَارْتَدَى أَهْلُ القُدْسِ أَقْمِشَةَ "القَصَبِ" وَالعَمَائِمَ الضَّخْمَةَ المُذَهَّبَةَ، وَتَمَيَّزَتِ النِّسَاءُ بِارْتِدَاءِ الأَثْوَابِ المُلَوَّنَةِ بَاهِيَةِ التَّطْرِيزِ بِأَشْكَالِ الطُّيُورِ وَالأَزْهَارِ، وَظَهَرَ اسْتِخْدَامُ المَقَانِعِ وَالطَّرَاحَاتِ الخَفِيفَةِ المُطَرَّزَةِ لِتَغْطِيَةِ الرَّأْسِ، فِيمَا بَدَأَتِ النَّوَاةُ الأُولَى لِتَمَايُزِ بَعْضِ مَنْسُوجَاتِ بَيْتِ لَحْمٍ وَرَامَ اللهِ مَنَاطِقِيّاً بِفِعْلِ رَوَاجِ مَرَاكِزِ النَّسِيجِ المَحَلِّيَّةِ.

العَصْرُ المَمْلُوكِيُّ

عُرِفَ هَذَا العَصْرُ بِفَرْضِ قَوَانِينَ صَارِمَةٍ عَلَى اللِّبَاسِ لِتَمْيِيزِ الرُّتَبِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ؛ فَارْتَدَى العَسْكَرُ وَالنُّخْبَةُ فِي القُدْسِ "القُبَاطَ" جَمْعُ قَبَاطٍ وَهُوَ ثَوْبٌ ضَيِّقُ الأَكْمَامِ "وَالكَلُوتَةَ" قُبَّعَةٌ صَغِيرَةٌ تُلَفُّ عَلَيْهَا العِمَامَةُ، وَتَمَيَّزَتْ أَزْيَاءُ النِّسَاءِ بِالتَّعْقِيدِ حَيْثُ لَبِسْنَ ثِيَاباً فَوْقَ ثِيَابٍ مِثْلَ "الفَرَجِيَّةِ"، وَشَاعَ اسْتِخْدَامُ البَرَاقِعِ وَالأَوْشِحَةِ الطَّوِيلَةِ، بَيْنَمَا حَافَظَ سُكَّانُ أَرْيَافِ رَامَ اللهِ وَبَيْتِ لَحْمٍ عَلَى فَرَاوِي الصُّوفِ وَالأَثْوَابِ الكِتَّانِيَّةِ الثَّقِيلَةِ لِمُوَاجَهَةِ البَرْدِ.

العَصْرُ العُثْمَانِيُّ

فِي هَذِهِ الفَتْرَةِ اسْتَقَرَّتِ الأَشْكَالُ الهُوِيَّاتِيَّةُ لِلأَثْوَابِ المَحَلِّيَّةِ؛ فَعُرِفَ رِجَالُ القُدْسِ "بِالطَّرْبُوشِ" وَ"القُمْبَازِ" الحَرِيرِيّ، وَنِسَاؤُهَا "بِالحِبْرَةِ" السَّوْدَاءِ التِي تُغَطِّي الفَسَاتِينَ الفَاخِرَةَ. وَفِي بَيْتِ لَحْمٍ، ارْتَدَتِ النِّسَاءُ "الثَّوْبَ المَلَكَ" المُمَيَّزَ بِتَطْرِيزِ التَّحْرِيرِ "وَالشَّطْوَةِ" المُرْتَفِعَةِ المُرَصَّعَةِ بِالعُمُلَاتِ العُثْمَانِيَّةِ الذَّهَبِيَّةِ. أَمَّا فِي رَامَ اللهِ، فَقَدْ تَمَيَّزَتِ النِّسَاءُ "بِثَوْبِ الرُّومِي" المَصْنُوعِ مِنَ الكِتَّانِ الأَبْيَضِ المُطَرَّزِ بِغُرْزَةِ المُصَالَبَةِ الحَمْرَاءِ الدَّاكِنَةِ مَعَ وَضْعِ "الصَّفَّةِ" النَّقْدِيَّةِ عَلَى الرَّأْسِ.

الاِنْتِدَابِ البِرِيطَانِيّ

شَهِدَ هَذَا العَصْرُ دُخُولَ الأَقْمِشَةِ المَصْنَعِيَّةِ الأُورُوبِيَّةِ مِثْلَ المُخْمَلِ وَالرُّوزَا؛ فَتَحَوَّلَتِ الشَّطْوَةُ التَّلْحَمِيَّةُ وَالصَّفَّةُ الرَّامَلَاوِيَّةُ إِلَى أَحْجَامٍ أَصْغَرَ حَيْثُ اسْتُبْدِلَتْ فِيهَا العُمُلَاتُ العُثْمَانِيَّةُ بِالجُنَيْهِ الاِسْتِرْلِينِيّ، وَبَدَأَ رِجَالُ المُدُنِ فِي القُدْسِ وَرَامَ اللهِ يَهْجُرُونَ القُمْبَازَ لِصَالِحِ "البَدْلَةِ الغَرْبِيَّةِ" مَعَ الاِحْتِفَاظِ بِالطَّرْبُوشِ أَوِ الكُوفِيَّةِ، كَمَا ظَهَرَتْ نُقُوشُ تَطْرِيزٍ جَدِيدَةٌ مُسْتَوْحَاةٌ مِنَ الكُتَيِّبَاتِ الأَجْنَبِيَّةِ (مِثْلَ نَقْشَةِ المَارْكَةِ وَالطُّيُورِ) فِي رَامَ اللهِ.

الحُكْمِ الأُرْدُنِيّ

اخْتَفَى الطَّرْبُوشُ الرِّجَالِيُّ تَمَاماً مِنَ القُدْسِ، وَصَارَتْ البَدْلَةُ الإِفْرَنْجِيَّةُ هِيَ الكِسَاءُ الرَّئِيسِيُّ لِلرِّجَالِ فِي القُدْسِ وَرَامَ اللهِ وَبَيْتِ لَحْمٍ، مَعَ انْتِشَارِ الكُوفِيَّةِ الحَمْرَاءِ المُهَدَّبَةِ فِي المَنَاطِقِ الرِّيفِيَّةِ. أَمَّا النِّسَاءُ، فَقَدْ تَرَاجَعَ ارْتِدَاءُ "الشَّطْوَةِ" وَ"الصَّفَّةِ" النَّقْدِيَّةِ لِيَقْتَصِرَ عَلَى الكِبَارِ وَالمُنَاسَبَاتِ، وَحَلَّتْ مَحَلَّهَا الأَوْشِحَةُ البَيْضَاءُ الخَفِيفَةُ، وَدَخَلَتْ خَامَاتٌ صِنَاعِيَّةٌ رَخِيصَةٌ مِثْلَ "التُّتْرْ" وَ"الفِيسْكُوزِ" فِي صُنْعِ الأَثْوَابِ.

العَصْرُ الإِسْرَائِيلِيُّ

تَحَوَّلَتِ المَلَابِسُ الغَرْبِيَّةُ الحَدِيثَةُ الجِينْزُ، وَالقُمْصَانُ، وَالفَسَاتِينُ المُعَاصِرَةُ إِلَى كِسَاءٍ يَوْمِيّ كَامِلٍ لِجَمِيعِ السُّكَّانِ فِي القُدْسِ وَرَامَ اللهِ وَبَيْتِ لَحْمٍ. وَتَحَوَّلَ الثَّوْبُ المُطَرَّزُ التَّقْلِيدِيُّ سَوَاءٌ المَلَكُ التَّلْحَمِيُّ أَوْ الرَّامَلَاوِيُّ مِنْ مَلْبَسٍ حَيَاتِيّ إِلَى رَمْزٍ ثَقَافِيّ وَوَطَنِيّ يُلْبَسُ حَصْراً فِي حَفَلَاتِ الزِّفَافِ وَالمِهْرَجَانَاتِ، مَعَ إِدْخَالِ التَّطْرِيزِ الآلِيّ الحَدِيثِ بِاسْتِخْدَامِ الكُمْبْيُوتَرِ عَلَى أَقْمِشَةٍ خَفِيفَةٍ مِثْلَ الشّيفُونِ وَالكرِيبِ.

الثَّوْبُ "التُّرْكِيُّ" الرُّومِيُّ فِي رَامَ اللَّهِ



الصِّنَاعَاتُ الْمَحَلِّيَّةُ

تَحْتَفِظُ البَلْدَةُ القَدِيمَةُ فِي القُدْسِ بِتَقَالِيدَ عَرِيقَةٍ مِنَ الصِّنَاعَاتِ الحِرَفِيَّةِ وَالْيَدَوِيَّةِ الَّتِي تُنْتَجُ فِي مَوَاقِعِهَا، مُرْتَبِطَةً بِالمَوَاقِعِ الدِّينِيَّةِ وَالحَرَكَةِ السِّيَاحِيَّةِ. وَمِنْ أَبْرَزِ هَذِهِ الحِرَفِ صِنَاعَةُ التُّحَفِ وَالمُنْتَجَاتِ اليَدَوِيَّةِ الَّتِي يُنْتِجُهَا الحِرَفِيُّونَ مِنْ خَشَبِ أَشْجَارِ الزَّيْتُونِ بِأَشْكَالٍ مُتَنَوِّعَةٍ، فَيَصْنَعُونَ مِنْهَا المَسَابِحَ وَالأَيْقُونَاتِ وَالتَّمَاثِيلَ التِّذْكَارِيَّةَ وَتَرَخِيمَ الصَّدَفِ. كَمَا تَشْتَهِرُ بِصِنَاعَةِ الخَزَفِ وَالسِّيرَامِيكِ، خَاصَّةً الخَزَفَ الأَرْمَنِيَّ المَزْخْرَفَ، لِإِنْتَاجِ البِلَاطِ المُلَوَّنِ وَالأَوَانِي الخَزَفِيَّةِ وَالصُّحُونِ، وَإِلَى جَانِبِهَا حِرَفَ التَّطْرِيقِ عَلَى النُّحَاسِ لِإِنْتَاجِ الأَوَانِي النُّحَاسِيَّةِ المَطْرُوقَةِ وَالتُّحَفِ وَالدَّلَّاتِ القَدِيمَةِ، وَصِنَاعَةُ الصِّيَاغَةِ فِي صُنْعِ وَبَيْعِ المُجَوْهَرَاتِ الذَّهَبِيَّةِ وَالفِضِّيَّةِ فِي الأَسْوَاقِ المُخَصَّصَةِ لِذَلِكَ. وَمِنْ أَهَمِّ الصِّنَاعَاتِ المَحَلِّيَّةِ صِنَاعَةُ الصَّابُونِ وَالشُّمُوعِ وَالمَصَابِيحِ بِأَحْجَامٍ وَأَلْوَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ بِشَكْلٍ دَائِمٍ لِكَنَائِسِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ وَأَدْيِرَتِهَا. وَتُعْتَبَرُ الصِّنَاعَاتُ الغِذَائِيَّةُ المَحَلِّيَّةُ جُزْءًا أَصِيلًا مِنْهَا، كَتَعْبِئَةِ البُهَارَاتِ وَالأَعْشَابِ الطِّبِّيَّةِ المَحَلِّيَّةِ (كَمَا هُوَ الحَالُ فِي سُوقِ العَطَّارِينَ)، وَصُنْعِ الحَلْوَيَاتِ الشَّعْبِيَّةِ كَالْكُنَافَةِ وَالقَطَائِفِ بِطَرِيقَةٍ يَدَوِيَّةٍ مَحَلِّيَّةٍ مُحْتَرِفَةٍ. وَأَخِيرًا، تُوجَدُ صِنَاعَةُ النَّسِيجِ وَالجُلُودِ وَبَيْعُ الأَقْمِشَةِ الحَرِيرِيَّةِ وَالقُطْنِيَّةِ، وَعَمَلُ المُطَرَّزَاتِ اليَدَوِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ الحِرَفَ الأَخِيرَةَ تَنْقَرِضُ تَدْرِيجِيًّا لِقِلَّةِ الطَّلَبِ عَلَيْهَا فِي الوَقْتِ الحَالِيِّ.

الزِّرَاعَةُ

الزِّرَاعَةُ وَالْإِنْتَاجُ الزِّرَاعِيُّ دَاخِلَ أَسْوَارِ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ فِي الْقُدْسِ هُوَ أَمْرٌ مُنْعَدِمٌ تَقْرِيبًا بِالْمَعْنَى الْوَاسِعِ لِلْكَلِمَةِ، وَلَا يُشَكِّلُ مَصْدَرًا رَئِيسِيًّا لِاقْتِصَادِهَا أَوْ إِمْدَادِهَا الْغِذَائِيِّ. وَيَعُودُ السَّبَبُ إِلَى نُدْرَةِ المَسَاحَاتِ المَفْتُوحَةِ دَاخِلَ الْبَلْدَةِ؛ فَهِيَ مَدِينَةٌ مُغْلَقَةٌ وَمُكْتَظَّةٌ بِالْمَبَانِي الحَجَرِيَّةِ، وَلَا تَسْمَحُ مَسَاحَتُهَا الضَّيِّقَةُ بِوُجُودِ حُقُولٍ زِرَاعِيَّةٍ كَبِيرَةٍ أَوْ بَسَاتِينَ كَمَا هُوَ الْحَالُ فِي الرِّيفِ. لَكِنْ، هُنَاكَ بَعْضُ الْمُبَادَرَاتِ الْمَحْدُودَةِ

جدًّا الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِالزِّرَاعَةِ الحَضَرِيَّةِ أَوْ "الزِّرَاعَةِ الْمَنْزِلِيَّةِ" فَقَطْ، حَيْثُ تَقُومُ بَعْضُ الْعَائِلَاتِ بِزِرَاعَةِ الْخُضْرَوَاتِ الْمَوْسِمِيَّةِ أَوِ الْأَعْشَابِ عَلَى أَسْطُحِ الْمَنَازِلِ أَوْ فِي فَنَاءَاتِ الْبُيُوتِ الصَّغِيرَةِ لِلاسْتِهْلَاكِ الشَّخْصِيِّ. وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ زِرَاعَةُ النَّعْنَاعِ وَالْمَرْمَرِيَّةِ (الْمِيرَمِيَّةِ) وَالزَّعْتَرِ، وَهِيَ سَهْلَةٌ زِرَاعَتُهَا فِي الْأَصُصِ، بِالإِضَافَةِ إِلَى بَعْضِ الْخُضْرَوَاتِ الْخَفِيفَةِ الْمَوْسِمِيَّةِ لِلاسْتِهْلَاكِ الْمَنْزِلِيِّ الْمُبَاشِرِ مِثْلَ الْبَنْدُورَةِ وَالخِيَارِ.

شَوَارِعُ أَحْيَاءِ الْمَدِينَةِ

تَتَشَابَكُ شَوَارِعُ وَأَزِقَّةُ الْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ، مُشَكِّلَةً نُقْطَةَ الْتِقَاءٍ مُهِمَّةً بَيْنَ أَحْيَائِهَا. فَمِنْ بَابِ الْعَامُودِ يَبْدَأُ الْحَيُّ الْإِسْلَامِيُّ، مُتَّجِهًا إِلَى الْجِهَةِ حَيْثُ يَقَعُ شَارِعُ دِيزَالَ، وَبِجَانِبِهِ شَارِعُ حَيِّ السَّعْدِيَّة، وَتَحْتَهُمَا شَارِعُ الشَّيْخِ رَيْحَانَ، وَيُوَازِيهِ شَرْقاً شَارِعُ الْبُرْجِ الْأَحْمَرِ. وَيُقَابِلُهُ شَرْقاً شَارِعُ الْبَسْطَامِيِّ وَشَارِعُ شَدَّادٍ، حَيْثُ يَتَقَابَلَانِ لِيَصِلَا إِلَى شَارِعِ بَابِ الزَّاهِرَةِ مُتَفَرِّعَاً شَرْقاً بِشَارِعِ الشَّيْخِ حَسَنٍ، مَارّاً وَسَطَ شَارِعِ الْأَبِ تُوبِيَّةَ، وَمُرُوراً بِشَارِعِ الصَّلَاحِيَّةِ وَالِ عَمْرِي، مُنْتَهِياً بِشَارِعِ آلِ مُعَظَّمِيَّةَ قُرْبَ السُّورِ الشَّرْقِيِّ الشِّمَالِيِّ.

وَمِنْ بَابِ الْأَسْبَاطِ، يَبْدَأُ الطَّرِيقُ بِشَارِعِ الْمُجَاهِدِينَ مَارّاً إِلَى سُوقِ الْوَادِي. وَمِنْ عِنْدِ أَوَّلِ مَدْخَلِ بَابِ الْأَسْبَاطِ، عَلَى الْجِهَةِ الشِّمَالِيَّةِ، يَقَعُ شَارِعُ سَاحَةِ الْغَزَالِيِّ، يُقَابِلُهُ شَارِعُ بَوَّابَةِ الْأُسُودِ، وبِجَانِبِهِ شَارِعُ طَرِيقِ الْآلَامِ، الذي يَنْحَدِرُ لِيَلْتَقِي بِشَارِعِ بَرْقُوقَ وَشَارِعِ عَلَاءِ الدِّينِ، مَارّاً بِبَابِ الْحَدِيدِ وَسُوقِ الْقَطَّانِينَ، مُنْتَهِياً بِشَارِعِ السَّلْسَلَةِ.

أَمَّا مِنْ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ لِحَيِّ الْمُسْلِمِينَ، فَيَبْدَأُ شَارِعُ خَانِ الزَّيْتِ مَارًّا بِجَانِبِ طَرِيقِ الْآلَامِ وَشَارِعِ فَضَائِلِ التَّعْلِيمِ، وَتَتَّصِلُ بِهِ شَوَارِعُ عَقَبَةِ السَّرَايَا، وَالْقَيْرَمِيِّ، وَالْخُلَيْدَةِ. وَيَسْتَمِرُّ (خَانُ الزَّيْتِ) فِي مَسَارِهِ لِيَلْتَقِيَ بِسُوقِ الصَّاغَةِ. وَمِنْ هَذِهِ النُّقْطَةِ (سُوقِ الصَّاغَةِ)، يَتَفَرَّعُ شَرْقًا شَارِعُ عَقَبَةِ التَّكِيَّةِ، وَتَتَّصِلُ بِهِ مَجْمُوعَةُ الْأَسْوَاقِ الثَّلَاثَةِ

الْمُتَّجِهَةِ جَنُوبًا، وَهِيَ سُوقُ الْعَطَّارِينَ، وَسُوقُ اللَّحَّامِينَ، وَسُوقُ الْخَوَّاجَاتِ، مُنْتَهِيَةً بِشَارِعِ السِّلْسِلَةِ.

أَمَّا شَوَارِعُ حَيِّ الْمَسِيحِيِّينَ، فَيَبْدَأُ مَسَارُهَا مِنْ نُقْطَةِ بَابِ الْعَامُودِ، حَيْثُ يَتَّجِهُ غَرْبًا نُزُولًا لِتَلْتَقِيَ عِنْدَ نُقْطَةِ تَفَرُّعِ خَانِ الزَّيْتِ وَالْوَادِي وَدِيزَالَ (رَسَاس) وَرَيْحَانَا. لِيَشُقَّ مَسَارَهُ صُعُودًا مِنْ شَارِعِ الْجَبْشَةِ، ثُمَّ يَمُرُّ عِنْدَ نُقْطَةِ شَارِعِ الْكَنَائِسِ يَمِينًا، وَيَلْتَقِي بِشَارِعِ الرُّسُلِ الْقَادِمِ مِنَ الشِّمَالِ الْغَرْبِيِّ، الَّذِي يَنْتَهِي بِدَوْرِهِ عِنْدَ عَقَبَةِ الْبَطِّيخِ وَشَارِعِ مَارِ إِلْيَاسَ، مُرُورًا بِشَارِعِ عَقَبَةِ الْخَانْقَاهِ الْوَاقِعَةِ خَلْفَ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ. يَتَّصِلُ شَارِعُ عَقَبَةِ الْبَطِّيخِ بِشَارِعِ الرُّسُلِ، لِيُوَاصِلَ هَذَا الْأَخِيرُ مَسَارَهُ حَتَّى شَارِعِ حَرَلَمْبُوسَ الَّذِي يَنْحَدِرُ شَرْقًا، وَيَبْلُغُ نِهَايَةَ طَرِيقِهِ عِنْدَ الشَّارِعِ التِّجَارِيِّ الرَّئِيسِيِّ سُوقِ الدَّبَّاغَةِ. يُكْمِلُ الطَّرِيقُ فِي سُوقِ الدَّبَّاغَةِ لِيَنْعَطِفَ يَمِينًا فِي الِاتِّجَاهِ الْغَرْبِيِّ قَبْلَ سُوقِ اللَّحَّامِينَ، مُؤَدِّيًا إِلَى مَدْخَلِ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ. وَفِي ذَاتِ الْمَسَارِ لِسُوقِ الدَّبَّاغَةِ، يَتَّجِهُ الشَّارِعُ شَرْقًا لِيُكْمِلَ طَرِيقَهُ إِلَى نُقْطَةِ بِدَايَةِ سُوقِ اللَّحَّامِينَ وَسُوقِ الصَّاغَةِ. وَفِي الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ مَدْخَلِ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ، يَقَعُ سُوقُ أَفْتِيمُوسَ الصَّغِيرُ أَمَامَ شَارِعِ الْكَنِيسَةِ اللُّوثَرِيَّةِ، وَيَمُرُّ بِعَقَبَةِ الدَّبَّاغَةِ الَّتِي يُقَابِلُهَا عَقَبَةُ الْمَارِسْتَانِ، وَكِلَاهُمَا يَنْتَهِي بِشَارِعِ دَاوُدَ. يَتَّجِهُ شَارِعُ دَاوُدَ صُعُودًا لِيَلْتَقِيَ عِنْدَ مَخْرَجِهِ بِشَارِعِ الْمَسِيحِيِّينَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَابِ الْخَلِيلِ. وَيَشُقُّ شَارِعُ الْمَسِيحِيِّينَ طَرِيقَهُ لِيَتَفَرَّعَ إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَارَاتٍ فِي مِنْطَقَتِهِ؛ فَالْجِهَةُ الْيُمْنَى تَنْحَدِرُ شَرْقًا نَحْوَ كَنِيسَةِ الْقِيَامَةِ وَجَامِعِ عُمَرَ، أَمَّا الْجِهَةُ الْيُسْرَى فَتَتَّجِهُ صُعُودًا غَرْبًا إِلَى شَارِعِ الْأَقْبَاطِ، بَيْنَمَا يُكْمِلُ الْمَسَارُ الرَّئِيسِيُّ شَمَالًا نَحْوَ شَارِعِ عَقَبَةِ الْخَانْقَاهِ وَشَارِعِ سَانْت فَرَنْسِيس. وَقَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى عَقَبَةِ الْخَانْقَاهِ بِقَلِيلٍ، يَتَفَرَّعُ مِنْهُ طَرِيقٌ جَانِبِيٌّ يَسَارًا غَرْبًا إِلَى شَارِعِ الْبَطْرِيَرَكِيَّةِ الْيُونَانِيَّةِ. أَمَّا الْمَسَارُ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْ نُقْطَةِ بَابِ الْجَدِيدِ، فَيَمُرُّ بِشَارِعِ بَابِ الْجَدِيدِ لِيَنْتَهِيَ وَسْطَ شَارِعِ الْإِخْوَةِ الْفَرِيرِ الَّذِي فِيهِ يَتَقَاطَعُ إِلَى مَسَارَيْنِ، مَسَارٌ يَنْعَطِفُ يَمِينًا فِي الِاتِّجَاهِ الْغَرْبِيِّ مُكْمِلًا مَسِيرَتَهُ مُرُورًا بِالْمُؤَسَّسَاتِ

اللاتِينيَّةِ. وَمَسَارٌ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى يَنْحَدِرُ نُزُولًا لِيَلْتَقِيَ عِنْدَ نُقْطَةٍ بِشَارِعِ سَانْت بَاسِيلِيُوسَ مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، مُكْمِلًا مَسَارَهُ نُزُولًا، فَيَلْتَقِي عَبْرَ تَقَاطُعٍ مِنْ جِهَتِهِ الْيُسْرَى قَبْلَ انْحِدَارِهِ شَرْقًا نَحْوَ شَارِعِ سَانْت فَرَنْسِيسَ، وَمِنَ الْجِهَةِ الْأَمَامِيَّةِ يُكْمِلُ مَسَارَهُ لِيَنْتَهِيَ بِشَارِعِ كَازَانُوفَا، الَّذِي يَنْتَهِي مَسَارُهُ إِلَى شَارِعِ مِتْرِي الْمُنْحَدِرِ إِلَى نِهَايَةِ الْإِلْتِقَاءِ بِشَارِعِ الْمَسِيحِيّينَ. أَمَّا شَارِعُ بَابِ الْخَلِيلِ الَّذِي يَلْتَقِي بِشَارِعِ دَاوُدَ، فَيَمْتَدُّ صَاعِدًا مِنْ قَلْعَةِ هِيرُودِسَ جَنُوبًا نَحْوَ الْحَيِّ الْأَرْمَنِيِّ. وَعَلَى بُعْدِ ثَلَاثِينَ مِتْرًا تَقْرِيبًا مِنْ مَيْدَانِ عُمَرَ عِنْدَ نُقْطَةِ الِانْطِلَاقِ، يَتَقَاطَعُ مَعَ شَارِعِ "**الْبَطْرِيَرْكِيَّةِ اللاتِينِيَّةِ**"؛ لِيُفْضِيَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَارِعِ "**سَانْت بُطْرُسَ**"، يَلِيهِ شَارِعُ "**الْفَرِيرِ**"، وُصُولًا إِلَى شَارِعِ بَابِ الْجَدِيدِ. وَمِنْ نُقْطَةِ شَارِعِ الْبَطْرِيرَكِيَّةِ اللاتِينِيَّةِ مِنْ شَارِعِ بَابِ الْخَلِيلِ بِنَحْوِ مَا يُقْرَبُ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ مِتْرًا، يَتَفَرَّعُ الشَّارِعُ فِي الْجِهَةِ الْيُسْرَى إِلَى شَارِعِ دَيْرِ الرُّومِ الْكَاثُولِيكِ، فَيَلْتَقِي بِهِ يَمِينًا شَارِعُ سَانْت جُورْجَ، وَيَشُقُّ مَسَارَهُ مُتَّجِهًا شَرْقًا نَحْوَ الْبَطْرِيرَكِيَّةِ إِلَى شَارِعِ مِتْرِي، لِيَنْتَهِيَ عِنْدَ نُقْطَةِ الِالْتِقَاءِ بِشَارِعِ دَيْرِ الرُّومِ الْأُرْثُوذُكْسِ .

كما تَقَعُ مَسَارَاتُ الْحَيِّ الْأَرْمَنِيِّ فِي الْجَانِبِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ تَنْطَلِقُ مَسَارَاتُهَا مِنْ نُقْطَةِ بَابِ الْخَلِيلِ غَرْبًا، وَتَحْدِيدًا مِنْ مَيْدَانِ عُمَرَ (مَوْقِعِ قَلْعَةِ هِيرُودِسَ الْمَلِكِ)؛ وَهُنَاكَ يَتَشَعَّبُ الطَّرِيقُ إِلَى مَسَارَيْنِ رَئِيسَيْنِ. الْمَسَارُ الْأَوَّلُ يَنْحَدِرُ صَوْبَ الشَّرْقِ رَاسِمًا التُّخُومَ الشَّمَالِيَّةَ لِلْحَيِّ، فَيَبْتَدِئُ مِنْ شَارِعِ دَاوُدَ عَنْ يَمِينِ السَّائِرِ، ثُمَّ يَلْتَقِي بِشَارِعِ "**مَارْ مُرْقُسَ**" عِنْدَ تَقَاطُعٍ يَفْصِلُهُ عَنِ الْحَيِّ الْمَسِيحِيّ، لِيُوَاصِلَ انْحِدَارَهُ شَرْقًا عَبْرَ شَارِعِ "**الْبَازَارِ**"، حَتَّى يَبْلُغَ مُنْتَهَاهُ عِنْدَ شَارِعِ "**الْحُصْرِ**" بِمُحَاذَاةِ حَيِّ السُّرْيَانِ.الْمَسَارُ الثَّانِي يَنْعَطِفُ يَمِينًا عِنْدَ مَبْدَأِ انْحِدَارِ شَارِعِ دَاوُدَ، مُتَّجِهًا نَحْوَ الْجَنُوبِ فِي طَرِيقٍ صَاعِدٍ يُعْرَفُ بِشَارِعِ "**الْبَطْرِيَرْكِيَّةِ الْأَرْمَنِيَّةِ**" (عَقَبَةِ عُمَرَ قَدِيمًا). وَفِي مَسَارِهِ، يَجْتَازُ شَارِعَ "**دَيْرِ الْمَوَارِنَةِ**" عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ يَمْضِي لِيَتَخَطَّى شَارِعَ "**سَانْتِ يَعْقُوبَ**" شَرْقَ الْبَطْرِيَرْكِيَّةِ، عَابِرًا نَفَقَيْنِ ضَيِّقَيْنِ تَكْتَنِفُهُمَا

أَبْنِيَةُ الْبَطْرِيَرْكِيَّةِ الْعَرِيقَةُ. بَعْدَ ذَلِكَ، يَمُرُّ بِالْمَتْحَفِ الْأَرْمَنِيّ مُتعَرِّجًا بِمُحَاذَاةِ سُورِ الْمَدِينَةِ الْعَتِيقِ، لِيَخْتِمَ مَسِيرَهُ عِنْدَ بَابِ صِهْيَوْنَ (بَابِ النَّبِيِّ دَاوُدَ). كَمَا تَنْطَلِقُ الْحُدُودُ الشَّرْقِيَّةُ مِن لَدُنْ بَابِ صِهْيَوْنَ، مُنْحَدِرَةً نَحْوَ الشَّرْقِ عَبْرَ شَارِعِ "النَّبِيّ دَاوُدَ" ، ثُمَّ تَنْعَطِفُ لِتَمْتَدَّ طُولِيًّا حَتَّى تَلْتَقِيَ بِشَارِعِ "حَبَّادَ" الْفَاصِلِ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ الْأَرْمَنِيّ وَالْيَهُودِيّ. وَمِنْ هُنَاكَ، يَلْتَفُّ الْمَسَارُ مَيَسَرَةً نَحْوَ الْغَرْبِ بِشَارِعِ "الْمَلَاكِ"، مَتْلُوًّا بِالشَّارِعِ الْمُؤَدّي إِلَى "أَرَارَاتَ".وَفِي مَسَارِهِ، يَجْتَازُ نُقْطَةَ تَقَاطُعٍ تَتَفَرَّعُ مَيْسَرَةً نَحْوَ يَسَارِ شَارِعِ "سَانْتِ يَعْقُوبَ"، وَيَمْنَةَ شَارِعِ "نُورِ الْحَيَاةِ"، الَّذِي يَشُقُّ طَرِيقَهُ مُسْتَقِيمًا لِيَصُبَّ فِي نِهَايَتِهِ عِنْدَ شَارِعِ "مَارْ مُرْقُسَ".

أَمَّا الْحَيُّ الْيَهُودِيُّ، فَتَقَعُ مَسَارَاتُهُ فِي الْجَانِبِ الْجَنُوبِيّ الْغَرْبِيّ لِلْمَدِينَةِ، حَيْثُ تَنْطَلِقُ مِنْ لَدُنْ "بَابِ صِهْيَوْنَ" (بَابِ النَّبِيِّ دَاوُدَ)، مُنْحَدِرَةً نَحْوَ الشَّرْقِ الْجَنُوبِيّ بِمُوَازَاةِ سُورِ الْمَدِينَةِ عَبْرَ شَارِعِ "حَبَاد" الْفَاصِلِ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ الْأَرْمَنِيّ وَالْيَهُودِيّ. وَمِنْهُ يَتَفَرَّعُ يَسَاراً مَسَارٌ يُفْضِي إِلَى شَارِعِ "أَرَارَاتَ" وُصُولاً إِلَى نُقْطَةِ تَقَاطُعِ شَارِعِ "سَانْتِ يَعْقُوبَ"، وَهُوَ الْحَدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ الْأَرْمَنِيّ وَالْيَهُودِيّ، لِيَنْعَطِفَ بَعْدَهَا يَمِيناً نَحْوَ الشَّرْقِ عَبْرَ شَارِعِ "نُورِ الْحَيَاةِ"؛ لِيَلْتَقِيَ بِذَاتِ الْمَسَارِ عَبْرَ شَارِعِ "حَبَاد"، مُسْتَمِرّاً فِي طَرِيقِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى شَارِعِ "دَاوُدَ" الْوَاقِعِ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ "سُوقِ اللَّحَّامِينَ". أَمَّا الْمَسَارُ الثَّانِي الْمُخْتَصَرُ لِشَارِعِ "حَبَاد"، فَيَبْدَأُ مِنْ نُقْطَةِ الْجَانِبِ الْجَنُوبِيّ الْغَرْبِيّ عِنْدَ سُورِ الْمَدِينَةِ، مُتَّجِهاً نَحْوَ الشَّمَالِ فِي خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ عِنْدَ شَارِعِ "دَاوُدَ" الْوَاقِعِ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ "سُوقِ اللَّحَّامِينَ".

وَمِنَ الشَّرْقِ يَحُدُّهُ شَارِعُ السِّلْسِلَةِ؛ مُبْتَدِئاً مِنْ نُقْطَةِ نِهَايَةِ شَارِعِ "حَبَّاد" عَبْرَ شَارِعِ "دَاوُدَ" مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ لِسُوقِ اللَّحَّامِينَ، نُزُولاً نَحْوَ الشَّرْقِ مُجْتَازاً مَسَاراً مِنَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى يَنْعَطِفُ بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ وَهُوَ "شَارِعُ الْكَارْدُو" الْوَاقِعُ أَمَامَ سُوقِ الصَّاغَةِ الْفَاصِلِ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ الْإِسْلَامِيّ وَالْيَهُودِيّ، وَشَارِعُ "الْيَهُودِ" الْوَاقِعِ أَمَامَ سُوقِ الْخَوَاجَاتِ الَّذِي يَنْتَهِي بِدَوْرِهِ بِشَارِعِ "مَجْدِ الْقُدْسِ".

يَشُقُّ الشَّارِعُ طَرِيقَهُ صَوْبَ الشَّرْقِ لِيَلْتَقِيَ بِشَارِعِ السِّلْسِلَةِ الْفَاصِلِ بَيْنَ الْحَيَّيْنِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْيَهُودِيِّ، مُجْتَازاً ثَلَاثَةَ مَسَارَاتٍ تَنْحَدِرُ عَنْ يَمِينِهِ نَحْوَ الْجَنُوبِ؛ الْمَسَارُ الْأَوَّلُ هُوَ شَارِعُ "سَرِيَّةِ الْكُوتِلِ"، ثُمَّ يَمْضِي شَرْقاً لِيَعْبُرَ الْمَسَارَ الثَّانِيَ الْمُنْعَطِفَ جَنُوباً وَهُوَ شَارِعُ "مَأْوَى الْحِصْنِ"، وَيُتَابِعُ طَرِيقَهُ شَرْقاً حَتَّى يَبْلُغَ الْمَسَارَ الثَّالِثَ؛ حَيْثُ يَنْحَرِفُ بَعْدَهُ يَمِيناً بِاتِّجَاهِ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ عَبْرَ شَارِعِ "الْكُوتِلِ"، مُنْتَهِيًا إِلَى سَاحَةِ "الْجِدَارِ الْغَرْبِيِّ التَّارِيخِيِّ"، الْوَاقِعَةِ عَلَى بُعْدِ أَمْتَارٍ قَلِيلَةٍ مِنْ بَابِ السِّلْسِلَةِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى.

وَمِنْ شَارِعِ "بَيْتِ الْمَلْجَأِ" الْوَاقِعِ قُرْبَ الْجِدَارِ الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ، تَبْدَأُ نُقْطَةٌ عِنْدَ انْتِهَاءِ شَارِعِ "النَّبِيِّ دَاوُدَ" وَبِدَايَةِ شَارِعِ "حَبَاد"، مُنْحَدِراً نَحْوَ الشَّرْقِ الْجَنُوبِيِّ مُجْتَازاً الْمَسَارَاتِ الْأَرْبَعَةَ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى بِاتِّجَاهِ الشِّمَالِ الشَّرْقِيِّ، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ عِنْدَ نُقْطَةِ الْتِقَاءِ بَوَّابَةِ النِّفَايَاتِ (الْبَابِ الْغَرْبِيِّ قَدِيماً "بَابِ سِلْوَانَ"). الْمَسَارُ الْأَوَّلُ هُوَ "شَارِعُ الْوَحَدَاتِ" الَّذِي يَجْتَازُ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى شَارِعَ "الْأَبْوَاقِ"، وَبَعْدَ عِدَّةِ أَمْتَارٍ يَبْدَأُ بِاجْتِيَازِ شَارِعِ "مَجْدِ الْقُدْسِ" شَاقّاً طَرِيقَهُ لِيَنْتَهِيَ عِنْدَ أَوَّلِ نُقْطَةٍ لِشَارِعِ "الْكَهَنُوتِ". وَمِنْ شَارِعِ "الْكَهَنُوتِ" يَسِيرُ مُسْتَقِيماً نَحْوَ الشِّمَالِ فَيَجْتَازُ تَقَاطُعَ طُرُقِ "بَيْتِ الرَّبِّ" مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى، وَشَارِعٍ يَنْتَهِي إِلَى "كَنِيسِ الْإِسْبَانِ" مِنَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى، مُسْتَمِرّاً فِي طَرِيقِهِ لِيَنْتَهِيَ أَمَامَ "سَاحَةِ الْأَطْلَالِ" الْمَعْرُوفَةِ بِدَوَّارِ الْخِرْبَةِ، إِذْ يَلْتَقِي خَلْفَهَا شَارِعُ "مَجْدِ إِسْرَائِيلَ" لِيَصُبَّ بِدَوْرِهِ فِي الرُّبْعِ الْأَوَّلِ "لِشَارِعِ الْيَهُودِ".

الْمَسَارُ الثَّانِي يَبْدَأُ بَعْدَ نُقْطَةِ "شَارِعِ الْوَحَدَاتِ" بِقَلِيلٍ، مُتَّجِهاً بِمَسَارِهِ نَحْوَ "شَارِعِ جِلْعَادَ" بِاتِّجَاهِ الشِّمَالِ الشَّرْقِيِّ؛ لِيَجْتَازَ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى شَارِعَ "مَقَامَاتِ إِسْرَائِيلَ"، مُنْتَهِيًا عِنْدَ أَوَّلِ نُقْطَةٍ لِشَارِعِ "الْقَبَّالِيِّينَ" الَّذِي يَجْتَازُ بِدَوْرِهِ شَارِعَ "الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ" مِنَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى، مُكْمِلًا مَسَارَهُ نَحْوَ الشَّرْقِ لِيَجْتَازَ أَيْضًا "شَارِعَ الْقَرَّائِينَ"، إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ عِنْدَ تَقَاطُعِ مَسَارَاتِ شَارِعِ "مَجْدِ إِسْرَائِيلَ" مِنَ الْجِهَتَيْنِ الْيُمْنَى

وَالْيُسْرَى، وَشَارِعُ "**بُنَاةِ الْجِدَارِ**" فِي الْمَسَارِ الْأَمَامِيّ نَفْسِهِ، فَيَجْتَازُ بَعْدَهَا شَارِعَ "**الْأُرْغُنِ**" مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى، مُكْمِلًا طَرِيقَهُ نَحْوَ الشَّرْقِ لِيَعْبُرَ شَارِعَ "**الصَّنْجِ**"، وَيَنْتَهِيَ عِنْدَ شَارِعِ "**دَارِسِي الشَّرَائِعِ**" الَّذِي يَمْتَدُّ وُصُولًا إِلَى شَارِعِ السِّلْسِلَةِ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى، وَحَائِطِ الْكُوتِلِ مِنَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى.

الْمَسَارُ الثَّالِثُ يَبْدَأُ بِشَارِعِ «**الْجِتِيَّةِ**» بَعْدَ نُقْطَةِ مَدْخَلِ «**بَيْتِ هَتُولْفَا**» الْوَاقِعَةِ أَمَامَ الزَّاوِيَةِ الثَّانِيَةِ لِجِدَارِ السُّورِ عِنْدَ بَوَّابَةِ النِّفَايَاتِ (بَابِ سِلْوَانَ). وَيُعَدُّ مَسَارُهُ قَصِيراً جِدّاً؛ فَبَعْدَ أَنْ يَجْتَازَ مِنَ الْجِهَةِ الْيُسْرَى «**شَارِعَ الثَّامِنَةِ**» الْمُلْتَفَّ نَحْوَ مَدْخَلِ «**بَيْتِ هَتُولْفَا**»، يَنْتَهِي عِنْدَ شَارِعِ «**مَلْجَأِ الْمَنْكُوبِ**» نَحْوَ الشِّمَالِ الشَّرْقِيِّ، مُجْتَازاً بِدَوْرِهِ ثَلَاثَةَ مَسَارَاتٍ مِنَ الْجِهَةِ الْيُمْنَى نَحْوَ الشَّرْقِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ يَعْبُرَ شَارِعَ «**الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ**» سَالِكاً طَرِيقَهُ بِاتِّجَاهِ الشِّمَالِ الشَّرْقِيِّ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ عِنْدَ شَارِعِ السِّلْسِلَةِ.

الْمَسَارُ الْأَوَّلُ هُوَ شَارِعُ «**الرَّابِ يَهودَا هَالِيفِي**» الَّذِي يُفْضِي بِمَسَارِهِ إِلَى «**شَارِعِ الدَّائِمِ**»، مُلْتَفّاً لِيَلْتَقِيَ ثَانِيَةً بِشَارِعِ «**مَلْجَأِ الْمَنْكُوبِ**». وَالْمَسَارُ الثَّانِي هُوَ «**شَارِعُ الدَّائِمِ**» نَفْسُهُ الَّذِي يَنْتَهِي قَبْلَ دُخُولِ «**الْكُوتِلِ**» الْغَرْبِيِّ، أَمَّا الْمَسَارُ الثَّالِثُ فَهُوَ «**شَارِعُ الْكُوتِلِ**» الَّذِي يَنْتَهِي أَمَامَ سَاحَةِ الْحَائِطِ.

أَمَّا الْمَسَارُ الرَّابِعُ فَيُكْمِلُ طَرِيقَهُ مُجْتَازاً شَارِعَ «**الْجِتِيَّةِ**» لِيَصِلَ إِلَى دَوَّارِ «**الرَّابِ أُورِنِ**» أَمَامَ مَدْخَلِ سَاحَةِ «**الْكُوتِلِ**»، وَذَلِكَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَوَّابَةِ النِّفَايَاتِ (بَابِ سِلْوَانَ) بِمَسَافَةٍ تُقَدَّرُ مَا بَيْنَ أَرْبَعِينَ إِلَى سِتِّينَ مِتْراً.

طَرْقُ أبْوابِ المَدينةِ

تُحِيطُ بِمَدِينَةِ الْقُدْسِ الْقَدِيمَةِ حَالِياً أَسْوَارٌ عَرِيقَةٌ تَضُمُّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ بَابًا، سَبْعَةٌ مِنْهَا مَفْتُوحَةٌ لِلْعُبُورِ وَسِتَّةٌ مُغْلَقَةٌ. لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْأَبْوَابُ مُجَرَّدَ نِقَاطِ عُبُورٍ، بَلْ

مَثَّلَتْ قَدِيماً المَدَاخِلَ وَالمَخَارِجَ الأَسَاسِيَّةَ الَّتِي رَبَطَتِ المَدِينَةَ القَدِيمَةَ بِالعَالَمِ الخَارِجِيّ. فَقَدْ كَانَتْ بِمَثَابَةِ الشَّرَايِينِ الحَيَوِيَّةِ لِخُطُوطِ التِّجَارَةِ وَالقَوَافِلِ وَالمُسَافِرِينَ القَادِمِينَ إِلَى وَمِنْ المُدُنِ وَالمَنَاطِقِ الأُخْرَى فِي الشَّرْقِ الأَوْسَطِ.وَلِكُلِّ بَابٍ مِنَ الأَبْوَابِ السَّبْعَةِ المَفْتُوحَةِ وَظِيفَتُهُ وَاتِّجَاهُهُ، حَيْثُ كَانَ يُوَجِّهُ القَوَافِلَ نَحْوَ وُجْهَةٍ مُحَدَّدَةٍ. وَنَظَراً لِلأَهَمِّيَّةِ الاِسْتِرَاتِيجِيَّةِ لِهَذِهِ المَدَاخِلِ، كَانَتْ تُدَارُ بِنِظَامٍ صَارِمٍ لِضَمَانِ أَمْنِ المَدِينَةِ وَاستِمْرَارِيَّةِ تَدَفُّقِ الحَرَكَةِ التِّجَارِيَّةِ.فَفِي المَسَاءِ، كَانَتِ الأَبْوَابُ تُغْلَقُ بِإِحْكَامٍ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَتُفْتَحُ عِنْدَ الفَجْرِ. هَذِهِ العَمَلِيَّةُ الرُّوتِينِيَّةُ الصَّارِمَةُ لَمْ تَكُنْ فَقَطْ تَحْمِي السُّكَّانَ مِنْ أَيِّ هَجَمَاتٍ لَيْلِيَّةٍ مُحْتَمَلَةٍ، بَلْ كَانَتْ أَيْضاً تُحَدِّدُ أَوْقَاتَ الحَرَكَةِ التِّجَارِيَّةِ بِدِقَّةٍ. وَقَدْ كَانَ حَارِسُ البَوَّابَةِ (البَوَّابُ) هُوَ المَسْؤُولُ الأَوَّلُ عَنْ تَنْفِيذِ قَوَاعِدِ الدُّخُولِ وَالخُرُوجِ، حَيْثُ كَانَ يَتَحَقَّقُ مِنَ القَوَافِلِ وَالبَضَائِعِ بِعِنَايَةٍ فَائِقَةٍ قَبْلَ السَّمَاحِ لَهَا بِالعُبُورِ.

أَمَّا عَنْ بِنْيَتِهَا، فَقَدْ صُنِعَتِ الأَبْوَابُ مِنَ الخَشَبِ السَّمِيكِ المُقَوَّى بِالحَدِيدِ، وَكَانَتْ تُغْلَقُ بِمَزَالِيجَ وَقُضْبَانٍ ضَخْمَةٍ لِتَعْزِيزِ دِفَاعَاتِهَا. فَضْلاً عَنْ ذَلِكَ، صُمِّمَتْ بَعْضُ مَدَاخِلِهَا بِمَسَارَاتٍ مُتَعَرِّجَةٍ وَهَيَاكِلَ دِفَاعِيَّةٍ مُتَطَوِّرَةٍ لِإِبْطَاءِ أَيِّ مُحَاوَلَةِ اقْتِحَامٍ وَإِعَاقَتِهَا مُفَاجِئَةٍ، مِمَّا يُؤَكِّدُ دَوْرَ هَذِهِ الأَبْوَابِ كَعَنَاصِرَ دِفَاعِيَّةٍ لَا تَقِلُّ أَهَمِّيَّةً عَنِ الأَسْوَارِ نَفْسِهَا.

بَابُ العَمُودِ

يُعَدُّ بَابُ العَمُودِ "بَابِ دِمَشْقَ" الأَهَمَّ وَالأَجْمَلَ مِنْ بَيْنِ أَبْوَابِ القُدْسِ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَرُبَّمَا أَقْدَمَهَا. فَقَدْ كَانَ هَذَا البَابُ نُقْطَةَ الاِنْطِلَاقِ الرَّئِيسِيَّةَ لِلْقَوَافِلِ المُتَّجِهَةِ شَمَالاً؛ حَيْثُ يَنْشَقُّ الطَّرِيقُ مِنْهُ عَبْرَ نَابُلُس وَجِنِينَ وَطَبَرِيَا، وَصُولاً إِلَى بِلَادِ الشَّامِ الكُبْرَى (سُورِيَا وَلُبْنَانَ).

أَمَّا اليَوْمَ، فَقَدْ تَجَاوَزَتْ أَهَمِّيَّةُ بَابِ العَمُودِ وَظِيفَتَهُ التَّارِيخِيَّةَ، إِذْ تُعْتَبَرُ السَّاحَةُ الوَاقِعَةُ خَارِجَهُ مَرْكَزاً حَيَوِيّاً وَعَصَباً نَابِضاً لِلْمَدِينَةِ. فَهِيَ نُقْطَةُ الْتِقَاءٍ رَئِيسِيَّةٌ

لِحَرَكَةِ المُشَاةِ وَالمُوَاصَلَاتِ العَامَّةِ، تَرْبِطُ البَلْدَةَ القَدِيمَةَ بِالقُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ الحَدِيثَةِ بِشَكْلٍ فَعَّالٍ.وَتُشَكِّلُ هَذِهِ السَّاحَةُ الاِمْتِدَادَ الحَيَوِيَّ لِلْأَسْوَاقِ الوَاقِعَةِ دَاخِلِ البَابِ وَخَارِجِهِ (كَسُوقِ بَابِ العَمُودِ وَحَيِّ المِصْرَارَةِ)، كَمَا تَمْتَدُّ لِتَشْمَلَ شَارِعَ صَلَاحِ الدِّينِ التِّجَارِيَّ الَّذِي يَضُمُّ الفَنَادِقَ وَالبُنُوكَ وَالمَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةَ الكُبْرَى لِلْقُدْسِ الشَّرْقِيَّةِ. بِالإِضَافَةِ إِلَى دَوْرِهِ التِّجَارِيِّ، يَعْمَلُ بَابُ العَمُودِ كَمحَطَّةٍ مَرْكَزِيَّةٍ لِلْحَافِلَاتِ الَّتِي تَرْبِطُ القُدْسَ الشَّرْقِيَّةَ بِجَمِيعِ المُدُنِ وَالقُرَى وَالبَلْدَاتِ المُجَاوِرَةِ فِي الضَّفَّةِ الغَرْبِيَّةِ (مِثْلَ رَامَ اللَّهِ، وَبَيْتِ لَحْمٍ، وَالخَلِيلِ، وَأَرِيحَا). مِمَّا جَعَلَ السَّاحَةَ نُقْطَةَ المُغَادَرَةِ وَالوُصُولِ الأَكْثَرَ اسْتِخْدَاماً لِلْمُسَافِرِينَ وَالتُّجَّارِ وَالعُمَّالِ. وَزِيَادَةً فِي أَهَمِّيَّةِ السَّاحَةِ، فَإِنَّ القِطَارَ الخَفِيفَ (التَّرَامْوَايَ) يَمُرُّ خَطُّهُ الرَّئِيسِيُّ عَبْرَ شَارِعِ صَلَاحِ الدِّينِ القَرِيبِ مِنْهَا، مِمَّا يَرْبِطُهَا بِفَاعِلِيَّةٍ بِالقُدْسِ الغَرْبِيَّةِ وَمَنَاطِقَ أُخْرَى مِنَ المَدِينَةِ، مُؤَكِّداً دَوْرَهَا كَجِسْرٍ يَرْبِطُ بَيْنَ مُخْتَلِفِ مُكَوِّنَاتِ المَدِينَةِ الحَدِيثَةِ.

بَابُ الخَلِيلِ (يَافَا)

يُمَثِّلُ بَابُ الخَلِيلِ البَوَّابَةَ الغَرْبِيَّةَ لِلْقُدْسِ، الَّتِي كَانَتْ الأَكْثَرَ حَيَوِيَّةً وَازْدِحَاماً وَأَقْوَى اِرْتِبَاطاً بِالتِّجَارَةِ الدَّوْلِيَّةِ. فَقَدْ اِنْطَلَقَ مِنْهُ المَسَافِرُونَ غَرْباً نَحْوَ اِتِّجَاهِ يَافَا وَمِينَائِهَا الحَيَوِيِّ عَلَى البَحْرِ الأَبْيَضِ المُتَوَسِّطِ. وَمِنْ هُنَا، كَانَتْ تُنْقَلُ البَضَائِعُ القَادِمَةُ وَالمُسْتَوْرَدَةُ مِنْ أُورُوبَا، كَمَا كَانَ البَابُ بِمَثَابَةِ مَرْكَزٍ لِتَصْدِيرِ المُنْتَجَاتِ المَحَلِّيَّةِ، وَالمَدْخَلَ الرَّئِيسِيّ لِلْحُجَّاجِ المَسِيحِيِّينَ القَادِمِينَ بَحْراً. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ مَسَارَاتٍ أُخْرَى، كَانَ بَابُ الخَلِيلِ يُعْرَفُ أَيْضاً بِاِسْمِ "بَوَّابَةِ بَيْتِ لَحْمٍ" فِي بَعْضِ الفَتَرَاتِ التَّارِيخِيَّةِ.

أَمَّا فِي يَوْمِنَا هَذَا، فَقَدْ ظَلَّ بَابُ الخَلِيلِ مُحْتَفِظاً بِأَهَمِّيَّتِهِ، إِذْ يُؤَدِّي إِلَى مَحَاوِرَ رَئِيسِيَّةٍ تَرْبِطُ البَلْدَةَ القَدِيمَةَ بِالجُزْأَيْنِ الغَرْبِيِّ وَالجَنُوبِيِّ الغَرْبِيِّ مِنَ القُدْسِ الحَدِيثَةِ، وَيُعَدُّ بَوَّابَةً أَسَاسِيَّةً لِلنَّشَاطِ السِّيَاحِيِّ وَالإِدَارِيِّ.وَبِمُجَرَّدِ العُبُورِ مِنْهُ، يَبْدَأُ شَارِعُ

يَافَا التَّارِيخِيُّ؛ الَّذِي يُعَدُّ أَحَدَ أَطْوَلِ الشَّوَارِعِ وَأَكْثَرِهَا حَيَوِيَّةً فِي المَدِينَةِ. يَتَّجِهُ هَذَا الشَّارِعُ غَرْباً نَحْوَ المَنَاطِقِ الحَدِيثَةِ، وَيَرْبِطُ البَلْدَةَ القَدِيمَةَ بِمَحَطَّاتِ النَّقْلِ الرَّئِيسِيَّةِ وَالمَرَاكِزِ التِّجَارِيَّةِ الحَدِيثَةِ.

وَعَلَى اِمْتِدَادِ البَابِ مُبَاشَرَةً، تَلْتَقِي سَاحَةُ مَامِيلَّا وَمُجَمَّعُهَا التِّجَارِيُّ الرَّاقِي؛ وَهُمَا مَنْطِقَةٌ حَدِيثَةٌ تَرْبِطُ بَابَ الخَلِيلِ بِأَحْيَاءِ المَدِينَةِ الجَدِيدَةِ. تُعْتَبَرُ هَذِهِ المَنْطِقَةُ نُقْطَةَ اِنْطِلَاقٍ مُحَبَّبَةٍ لِلْمُشَاةِ وَالسُّوَّاحِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ فِي الوُصُولِ إِلَى قَلْعَةِ بُرْجِ دَاوُدَ وَالحَيَّيْنِ الأَرْمَنِيِّ وَالمَسِيحِيِّ دَاخِلَ الأَسْوَارِ. وَهَكَذَا، يُمَثِّلُ البَابُ جِسْراً حَيَوِيّاً يَرْبِطُ التَّارِيخَ القَدِيمَ بِمَرْكَزِ المَدِينَةِ الحَدِيثِ المُتَطَوِّرِ اِقْتِصَادِيّاً وَإِدَارِيّاً فِي الغَرْبِ. عَلَى الجَانِبِ الجَنُوبِيِّ، لَا يَزَالُ الطَّرِيقُ المُنْحَدِرُ القَرِيبُ مِنْ بَابِ الخَلِيلِ يَتَّجِهُ جَنُوباً نَحْوَ بَيْتِ لَحْمٍ وَالخَلِيلِ، وَتُسْتَخْدَمُ هَذِهِ المَسَارَاتِ حَتَّى اليَوْمِ لِلْوُصُولِ إِلَى تِلْكَ المُدُنِ وَالمَنَاطِقِ الجَنُوبِيَّةِ.

بَابُ النَّبِيِّ دَاوُدَ (بَابُ صِهْيُونَ)

هُوَ أَحَدُ الأَبْوَابِ الرَّئِيسِيَّةِ فِي السُّورِ الجَنُوبِيِّ لِلْقُدْسِ القَدِيمَةِ، وَيَقَعُ مُبَاشَرَةً عَلَى الطَّرِيقِ المُؤَدِّي إِلَى جَبَلِ صِهْيُونَ الَّذِي يَتَمَوْقَعُ خَارِجَ السُّورِ. قَدِيمًا، كَانَ هَذَا البَابُ يُشَكِّلُ نُقْطَةَ الاِنْطِلَاقِ الأَسَاسِيَّةَ لِلْقَوَافِلِ وَالمُسَافِرِينَ المُتَّجِهِينَ جَنُوبًا إِلَى مُدُنِ بَيْتَ لَحْمٍ وَالخَلِيلِ وَغَزَّةَ وَغَيْرِهَا مِنَ البُلْدَانِ الجَنُوبِيَّةِ، لِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ الطَّرِيقُ شِرْيَانًا حَيَوِيًّا لِلتِّجَارَةِ وَلِلْحَرَكَةِ السُّكَّانِيَّةِ بَيْنَ القُدْسِ وَالمَنَاطِقِ الجَنُوبِيَّةِ خَاصَّةً. كَمَا كَانَ جَبَلُ صِهْيُونَ يَضُمُّ فِي مُحِيطِهِ مَزَارَاتٍ دِينِيَّةً هَامَّةً مِثْلَ قَبْرِ النَّبِيِّ دَاوُدَ وَعِلِّيَّةِ صِهْيُونَ، الَّتِي تُعَدُّ مَوْقِعَ العَشَاءِ الأَخِيرِ تَقْلِيدِيًّا.

أَمَّا فِي يَوْمِنَا هَذَا، فَقَدْ تَغَيَّرَتْ وَظِيفَةُ البَابِ بِشَكْلٍ كَبِيرٍ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ كَمَسَارٍ رَئِيسِيٍّ لِلْقَوَافِلِ التِّجَارِيَّةِ، لَكِنَّهُ لَا يَزَالُ يَخْدُمُ أَدْوَارًا مُهِمَّةً لِتَيْسِيرِ حَرَكَةِ المُشَاةِ وَالسُّيَّاحِ وَالحُجَّاجِ. فَهُوَ يُوصِلُ الزُّوَّارَ مُبَاشَرَةً إِلَى المَوَاقِعِ الدِّينِيَّةِ السَّالِفَةِ

الذِّكْرَ، بِالإِضَافَةِ إِلَى كَنِيسَةِ رُقَادِ العَذْرَاءِ الَّتِي بُنِيَتْ عَلَى أَنْقَاضِ كَنَائِسَ سَابِقَةٍ فِي المَوْقِعِ ذَاتِهِ. وَقَدِ اكْتَمَلَ بِنَاءُ هَذِهِ الكَنِيسَةِ وَدُشِّنَتْ عَامَ 1910م، أَيْ فِي أَوَائِلِ القَرْنِ العِشْرِينَ، وَتَتَوَلَّى إِدَارَتَهَا فِي الوَقْتِ الحَالِيِّ الرَّهْبَنَةُ البِنِدِكْتِيَّةُ الأَلْمَانِيَّةُ.

بَابُ الأَسْبَاطِ

يُعَدُّ بَابُ الْأَسْبَاطِ، الْوَاقِعُ فِي السُّورِ الشَّرْقِيِّ لِلْقُدْسِ، أَحَدَ أَهَمِّ أَبْوَابِهَا التَّارِيخِيَّةِ وَأَكْثَرِهَا عُمْقًا. وَلِهَذَا الْبَابِ عِدَّةُ تَسْمِيَاتٍ ارْتَبَطَتْ بِتَارِيخِهِ الطَّوِيلِ؛ فَبَيْنَمَا كَانَتْ تَسْمِيَتُهُ الْقَدِيمَةُ بَابَ الظَّأْنِ (أَوْ بَابُ الْأَغْنَامِ). ثُمَّ سُمِّيَ لَاحِقًا بِبَابِ الْأَسْبَاطِ لِلاعْتِقَادِ السَّائِدِ بِأَنَّ أَسْبَاطَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ "وَهُمْ أَبْنَاءُ يَعْقُوبَ" كَانُوا يَعْبُرُونَهُ فِي طَرِيقِهِمْ إِلَى الْهَيْكَلِ، وَعَلَاوَةً عَلَى ذَلِكَ يُعْرَفُ الْبَابُ مَسِيحِيًّا بِاسْمِ بَابِ اسْتِفَانُوسَ؛ نِسْبَةً إِلَى الرَّسُولِ اسْتِفَانُوسَ، أَحَدِ التَّلَامِيذِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ يَسُوعُ الْمَسِيحُ، وَأَوَّلِ شَهِيدٍ مَسِيحِيٍّ الَّذِي يُرَجَّحُ أَنَّهُ رُجِمَ قُرْبَ هَذَا الْمَوْقِعِ الْوَاقِعِ خَارِجَ السُّورِ. كَمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ أَيْضًا اسْمُ بَابِ سِتِّي مَرْيَمَ لِقُرْبِهِ مِنْ كَنِيسَةِ الْقِدِّيسَةِ حَنَّةَ، وَكَنِيسَةِ قَبْرِ مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ، وَمَوْقِعِ كَنِيسَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ، الَّذِي قَضَى فِيهِ يَسُوعُ الْمَسِيحُ اللَّيْلَةَ الْأَخِيرَةَ مَعَ تَلَامِيذِهِ. وَتَقَعُ كُلُّ تِلْكَ الْمَوَاقِعِ الْمُقَدَّسَةُ فِي وَادِي قَدْرُونَ (أَيْ يَهُوشَافَاطَ)، الَّذِي يَفْصِلُ الْمَدِينَةَ عَنْ جَبَلِ الزَّيْتُونِ.أَمَّا فِي الْعَصْرِ الْعُثْمَانِيِّ، فَقَدْ عُرِفَ الْبَابُ بِاسْمِ بَابِ الْأُسُودِ، لِوُجُودِ نَقْشَيْنِ لِأُسُودٍ (أَوْ فُهُودٍ) مَنْحُوتَيْنِ عَلَى وَاجِهَتِهِ الْخَارِجِيَّةِ، اللَّذَيْنِ يَعُودَانِ إِلَى ذَلِكَ الْعَهْدِ. كَانَ البَابُ بِمَثَابَةِ نُقْطَةِ انْطِلَاقٍ حَيَوِيَّةٍ، حَيْثُ كَانَتْ تَنْطَلِقُ مِنْهُ القَوَافِلُ وَالمُسَافِرُونَ المُتَّجِهُونَ شَرْقًا عَبْرَ وَادِي الأُرْدُنِّ وَمِنْطَقَةِ البَحْرِ المَيِّتِ إِلَى المُدُنِ الوَاقِعَةِ شَرْقِيَّ النَّهْرِ مِثْلَ أَرِيحَا، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى مَنَاطِقِ شَرْقِ الأُرْدُنِّ. وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ كَانَ البَابُ يُمَثِّلُ الطَّرِيقَ الأَقْصَرَ لِلزُّوَّارِ

وَالْمُسَافِرِينَ وَالحُجَّاجِ الصَّاعِدِينَ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَمِنْهُ كَانَ المَسَارُ يَنْحَدِرُ فِي نِهَايَتِهِ مِنْ جِهَتِهِ الجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى قَرْيَةِ العَيْزَرِيَّةِ وَالقُرَى المُحِيطَةِ بِهَا.

أَمَّا اليَوْمَ، فَقَدْ تَغَيَّرَتْ وَظِيفَةُ بَابِ الأَسْبَاطِ عَنْ كَوْنِهِ مَمَرًّا لِلقَوَافِلِ، لِيُصْبِحَ بَوَّابَةً حَيَوِيَّةً تَرْبِطُ بَيْنَ دَاخِلِ المَدِينَةِ وَخَارِجِهَا، حَيْثُ يُسْتَخْدَمُ بِشَكْلٍ رَئِيسِيٍّ لِتَيْسِيرِ وُصُولِ المُشَاةِ وَالحُجَّاجِ الْمُتَّجِهِينَ إِلَى مَوَاقِعِ بُسْتَانِ الجِسْمَانِيَّةِ وَجَبَلِ الزَّيْتُونِ، وَهُوَ المَدْخَلُ الأَقْرَبُ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَى. كَمَا أَنَّهُ أَحَدُ الأَبْوَابِ القَلِيلَةِ الَّتِي تَسْمَحُ بِدُخُولِ المَرْكَبَاتِ المُصَرَّحِ بِهَا إِلَى دَاخِلِ البَلْدَةِ القَدِيمَةِ (خَاصَّةً الحَيِّ الإِسْلَامِيِّ).

أَمَّا الأَبْوَابُ الَّتِي ظَهَرَتْ مُنْذُ العَصْرِ العُثْمَانِيِّ، فَمِنْهَا البَابُ الجَدِيدُ، وَبَابُ هِيرُودِسَ المُلَقَّبُ بِبَابِ السَّاهِرَةِ، إِلَى جَانِبِ بَابِ سِلْوَانَ الَّذِي أُطْلِقَ عَلَيْهِ أَيْضًا البَابِ الغَرْبِيَّ أَوِ المَغْرِبِيِّ، لِكَوْنِهِ يَقَعُ فِي الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ لِلمَسْجِدِ الأَقْصَى.

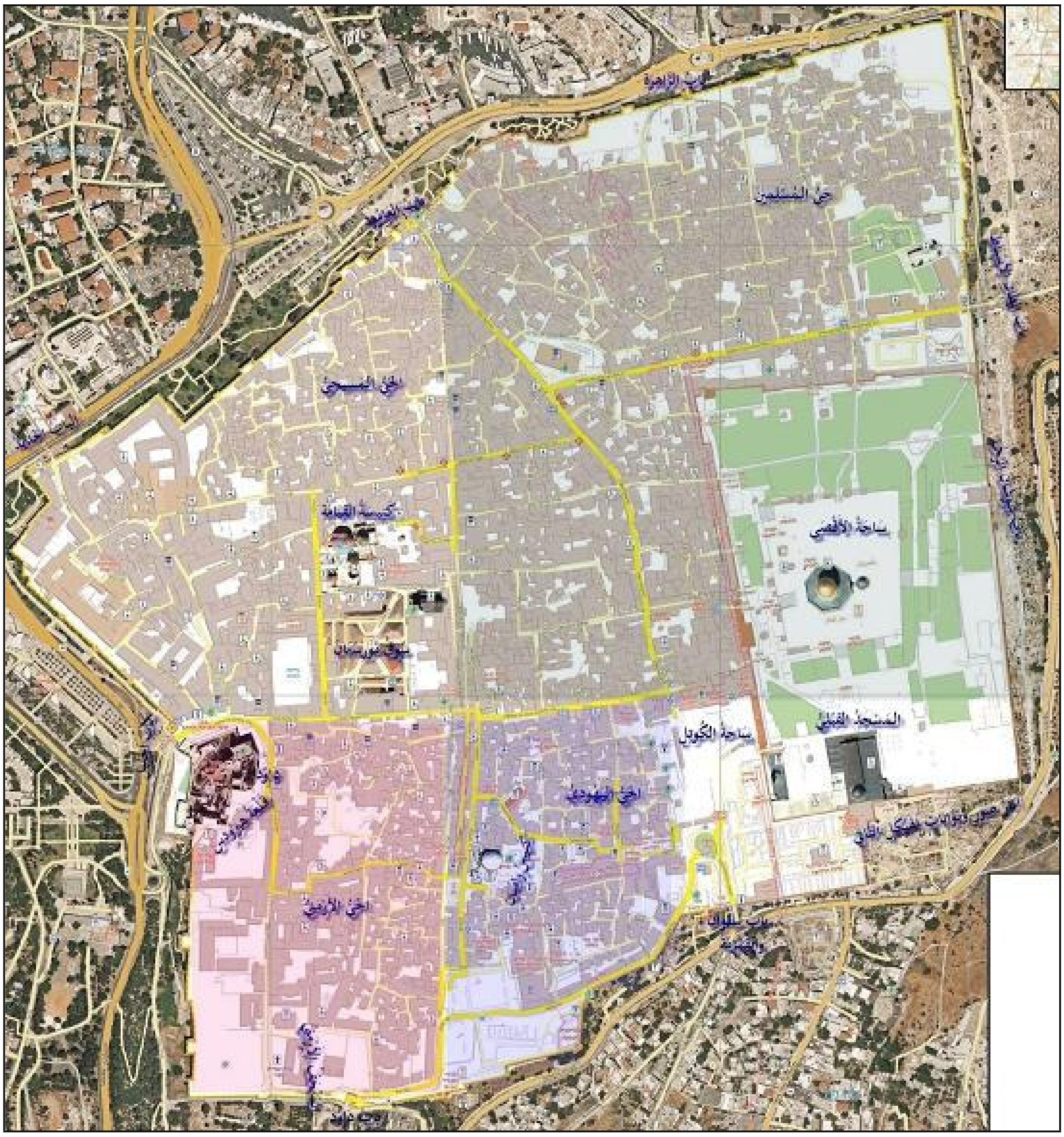
الْمَوْقِعُ الجُغْرَافِيُّ الحَالِيُّ لِلْقُدْسِ

تَقَعُ الْمَدِينَةُ عَلَى سِلْسِلَةِ جِبَالِ يَهُوذَا، وَهِيَ مَحْصُورَةٌ جُغْرَافِيًّا بَيْنَ نُقْطَتَيْنِ بَحْرِيَّتَيْنِ حَيَوِيَّتَيْنِ؛ حَيْثُ تَبْعُدُ عَنِ الْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ الْوَاقِعِ غَرْبًا، الَّذِي تَبْعُدُ عَنْهُ حَوَالَيْ 60 إِلَى 65 كِيلُومِتْرًا أَوْ مَا يُعَادِلُ 37 إِلَى 40 مِيلًا بِالطَّرِيقِ إِلَى السَّاحِلِ مِثْلَ يَافَا، تَلْ أَبِيبْ، وَأَشْدُودْ. بَيْنَمَا تَفْصِلُهَا عَنِ الْبَحْرِ الْمَيِّتَ الْوَاقِعَ شَرْقًا بِمَسَافَةِ 35 كِيلُومِتْرًا (أَوْ مَا يُعَادِلُ 21.7 مِيلًا) عَلَى الطَّرِيقِ. كَمَا تَتَحَدَّدُ هَذِهِ النُّقْطَةُ الجُغْرَافِيَّةُ بِالتَّحْدِيدِ عِنْدَ خَطِّ عَرْضٍ يُقَارِبُ 31.77 دَرَجَةً شَمَالًا، وَخَطِّ طُولٍ يُقَارِبُ 35.22 دَرَجَةً شَرْقًا.

يَحُدُّ الْمَدِينَةَ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَحْيَاءِ؛ فَمِنَ الجِْهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ يَأْتِي حَيَّانِ الْمَسْرَارَةِ وَبَنِي الْأَنْبِيَاءِ، بَيْنَمَا تَقَعُ حَارَةُ الزَّاهِرَةِ (السَّاهِرَةِ) وَقَرْيَةُ وَادِي الجَْوْزِ فِي الجِْهَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ.وَبِالانْتِقَالِ إِلَى الشَّرْقِ، تَتَشَكَّلُ الحُْدُودُ الطَّبِيعِيَّةُ وَالتَّارِيخِيَّةُ بِوُجُودِ وَادِي قَدْرُونَ، الَّذِي يُعْرَفُ أَيْضًا بِاسْمِ وَادِي يَهُوشَافَاطَ، وَعَلَى ضِفَافِهِ تَقَعُ مَعَالِمُ بَارِزَةٌ مِثْلُ قَبْرِ أَبْشَالُومَ، ابْنِ الْمَلِكِ دَاوُدَ، ثُمَّ يَتَّجِهُ الْمَوْقِعُ صُعُودًا بِاتِّجَاهِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ مُرُورًا بِمَوْقِعِ الجِْسْمَانِيَّةِ وَقَبْرِ مَرْيَمَ، أَمَّا جَنُوبًا، فَتَمْتَدُّ الحُْدُودُ لِتَضُمَّ قَرْيَةَ سِلْوَانَ الْوَاقِعَةَ فِي سَفْحِ الجَْبَلِ، حَيْثُ تَعْلُوهَا عَلَى قِمَّةِ الجَْبَلِ نَفْسِهِ قَرْيَةُ رَأْسِ الْعَامُودِ، وَأَخِيرًا الحَْدُّ الْغَرْبِيُّ تَشْغَلُهُ الْقُدْسُ الْغَرْبِيَّةُ، الَّتِي يَسْكُنُهَا الْإِسْرَائِيلِيُّونَ، إِلَى جَانِبِ أَقَلِّيَّةٍ نَادِرَةٍ جِدًّا مِنَ الْعَرَبِ.

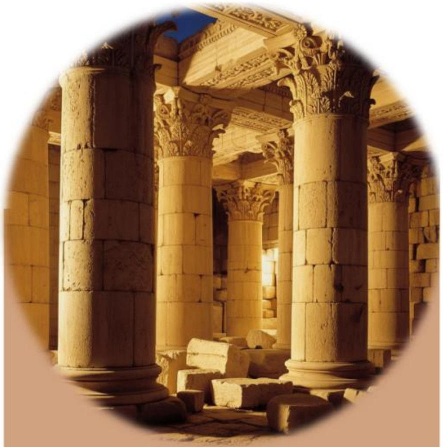
تَضُمُّ الْبَلْدَةُ الْقَدِيمَةُ حَالِياً تِسْعَةَ مَتَاحِفَ، وتِسْعَةَ خَانَاتٍ (مَرَاكِزَ لُوجِسْتِيَّةً)، وَاثْنَيْ عَشَرَ فُنْدُقاً، وَسَبْعَةَ عَشَرَ كَنِيساً، وَإِحْدَى وَعِشْرُونَ كَنِيسَةً، وَخَمْسَةً وَثَلَاثِينَ مَسْجِداً. وَ 1432 مَحَلًّا تِجَارِيًّا مُسَجَّلًا.و أَرْبَعَةُ مَرَاكِزَ وَنِقَاطٍ شُرْطِيَّةٍ رَئِيسِيَّةٍ وَدَائِمَةٍ حَصْرًا .

صُورَةٌ تَوْضِيحِيَّةٌ لِلْبَلْدَةِ الْقَدِيمَةِ



فِي هَذَا الْكِتَابِ

اكتشفْ مَا لَمْ يُكتَشفْهُ أَحَدٌ. بَيْنَ رَمَادِ التَّارِيخِ، نَهَضَ السِّرُّ الْعَظِيمُ. الْهَيْكَلُ الثَّانِي يَعُودُ لِيَرْوِيَ حِكَايَتَهُ. لَا تَجْعَلِ الْفُرْصَةَ تَفُوتَكَ، فَالْكَنْزُ الْحَقِيقِيُّ بِانْتِظَارِكَ



الْهَيْكَلُ الثَّانِي الْمَفْقُودُ: مَاذَا نَعْرِفُ عَنْهُ؟
هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَمْ خَيَالٌ؟
هَلْ كَانَ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي التَّارِيخِ الْبَشَرِيِّ؟
إِلَيْكَ كُلُّ التَّفَاصِيلِ الَّتِي غَابَتْ عَنْكَ!

كِتَابٌ وَاحِدٌ يَقْلِبُ كُلَّ مَا تَعْرِفُهُ عَنِ التَّارِيخِ رَأْسًا عَلَى عَقِبٍ. اسْتَعِدَّ لِلصَّدْمَةِ. بَيْنَ السُّطُورِ الْمُزَوَّرَةِ، تَخْتَبِئُ الْحَقِيقَةُ.
الْهَيْكَلُ الثَّانِي يَنْطِقُ، فَيَكْشِفُ زَيْفَ مَنْ حَاوَلُوا دَفْنَ التَّارِيخِ.
هَذَا لَيْسَ مُجَرَّدَ اكْتِشَافٍ، بَلْ هُوَ ثَوْرَةٌ ضِدَّ الْأَكَاذِيبِ.
لَا تَجْعَلِ الْفُرْصَةَ تَفُوتَكَ، فَالْكَنْزُ الْحَقِيقِيُّ بِانْتِظَارِكَ

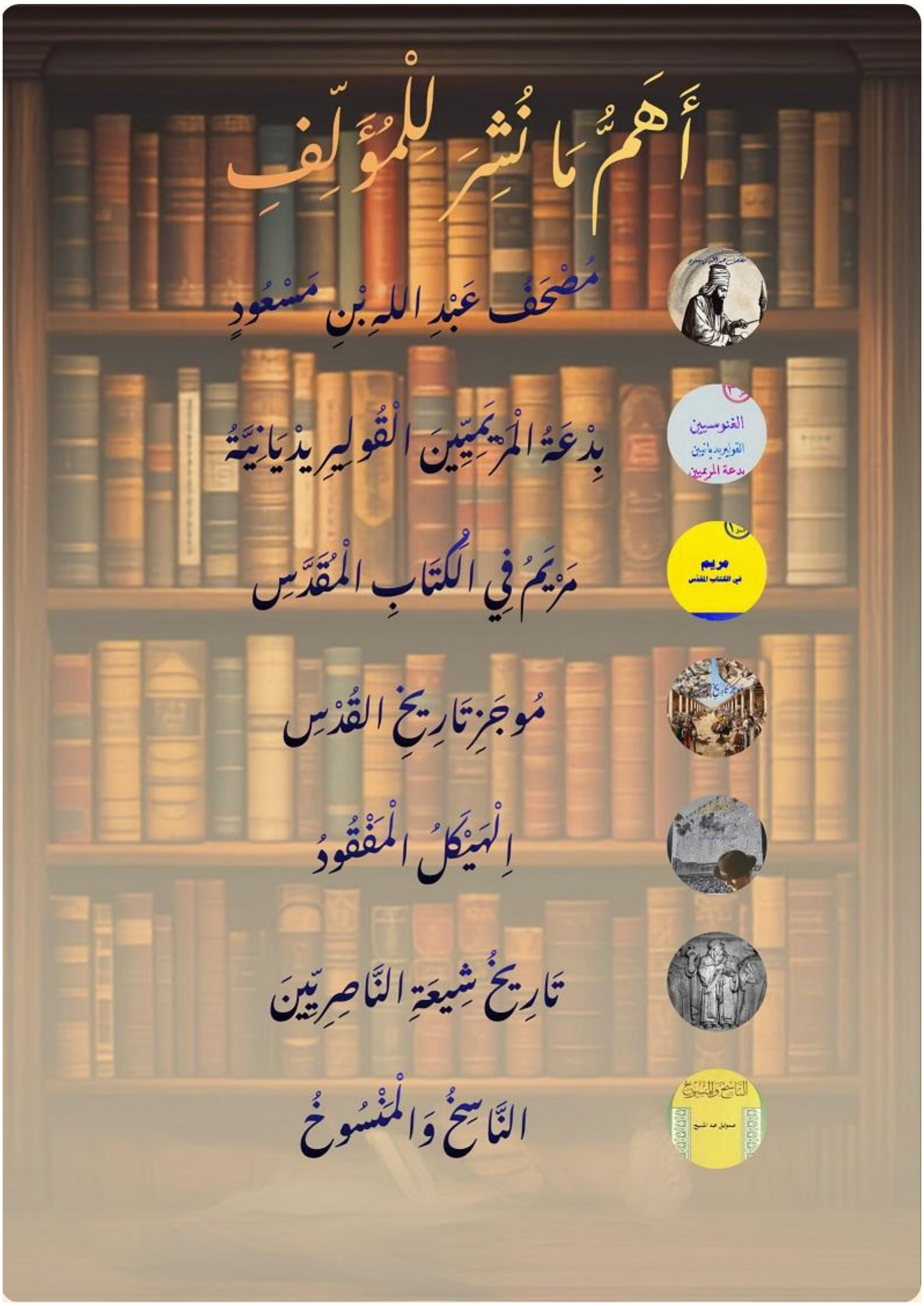


الْهَيْكَلُ الْمَفْقُودُ

صَمُوئِيلُ عَبْدُ الْمَسِيحِ

samu2el@hotmail.com

الاصدار الثاني 2025


أَهَمُّ مَا نُشِرَ لِلْمُؤَلِّفِ
مُصْحَفُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ
بِدْعَةُ الْمَرْيَمِيِّينَ الْقُولِيرِيدْيَانِيَّةُ
مَرْيَمُ فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ
مُوجَزُ تَارِيخِ الْقُدْسِ
الْهَيْكَلُ الْمَفْقُودُ
تَارِيخُ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ
النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ